



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الجمعية العلمية السعودية
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

مَجلّة

الدِّرَاسَاتِ العَقَدِيَّة

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

العدد ١١ - السَّنة الخامسة - رجب ١٤٣٤هـ

ردمك × ١٦٥٨-٥١٦

رقم الإيداع ١٤٣٠/٧٦١٧


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

(ص.ب ١٠٠٤٠) المدينة المنورة.

جوال ٠٥٥٨٣٠٣٨٤٠

هاتف ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الإلكتروني

aqeedaamm@gmail.com

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ ـ أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ ـ أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ـ أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ ـ أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ ـ أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ـ أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ ـ أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ ـ أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ ـ أن تصدّر بنبذة مختصرة ـ لا تزيد عن نصف صفحة ـ للتعريف بها.

١٠ـ أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ـ أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج الوورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: Lotus Linotype

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم× ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤.٧٥ أسفل ٤.٥ أيسر وأيمن)

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥مستلة منه.

مجلّة الدّرَاسَاتِ العَقَدِيّة

المواد المنشورة

في المجلة

تعبر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة

الإبطال لما نُسب إلى الأنبياء
من شُبَه الشرك والضلال

إعداد الدكتور: سليمان بن صفية

باحث جزائري، حاصل على الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنّ الأنبياء عليهم السلام هم أشرف الخلق وأزكاهم، وأتقاهم لله وأخشاهم، ومقامهم مقام الاصطفاء والاجتباء، وواجب الخلق نحوهم التعزير والتوقير، والتأسي والاقتداء.

فالواجب أن يُحفظ لهم هذا المقام، وأن ينزهوا عن مدّ الألسن إليهم بالنقد والاتهام، والناس في هذا المقام أصناف:

- منهم أهل التنزيه الذين صانوا قلوبهم وألسنتهم عن ثلب الأنبياء ولمزهم، وهم سلف الأمة وعدولها ومن اقتفى آثارهم من أهل السنة والجماعة.

- وثمّة صنف من الخلائق مدت ألسنتها إلى الأنبياء بالعيب والتهم، فلم تدع نبياً -إلا ما ندر- لم ترمه بدعوى العيب والإثم، تريد بذلك انتقاصهم، والحطّ من أقدارهم، بل والطعن في القرآن الكريم الذي ذكر عنهم أحوالهم، وهم ملل الكفر ونحلهم على اختلافهم وتباينهم.

- وصنف آخر لم يحمل في طويته نيّة انتقاص الأنبياء، ولكن زلّت به القدم، وعزب عنه الفهم، عند النصوص المشتبهات، فنسب جهلاً وغفلة النقص والكفر والشرك إلى الأنبياء عليهم السلام.

وإنّ المقصود في هذه الورقات، إبطال الشبه الواردة في مثل هذه النصوص المشتبهات، صوناً لدين الله من التحريف، وحفظاً لحق الأنبياء

وما يتوجّب تجاههم من اعتقاد العصمة.

أهمية البحث:

١- إنّ في درء الشبه الواردة في النصوص المشتبهة؛ فيما فيه نسبة للكفر والضلال للأنبياء عليهم السلام، فيه حفظ لمقام التوحيد، وركن النبوة من الزيغ والانحراف، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ {البقرة: ٢٨٥}.

٢- حفظ مقام النبوّة والأنبياء عليهم السلام، مستلزم لحفظ الشريعة من التحريف والتبديل، إذ الأنبياء وسائط لتعريف الخلق بأحكام الشرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم»[(١)].

٣- في درء الشبه عن النصوص المشتبهة، سدٌّ للذرائع، وقطع للطريق أمام ملل الكفر، ومن انتسب إلى الإسلام من الفرق الضالة، في طعنهم على الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ {آل عمران: ٧}.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ٩٣.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على أبرز شبه الكفر والضلال التي نسبت للأنبياء عليهم السلام دون غيرها من سائر الشبه –كالذنوب والمعاصي–.

كما أنّ هذه الدراسة تتناول شبه الكفر والضلال التي نشأت من سوء فهم للنصوص المشتبهة، دون غيرها من سائر المطاعن التي روجها ملل الكفر قديماً وحديثاً، وهي محضّ تجنٍّ.

منهج البحث:

استخدم الباحث منهجَين في دراسته، وهما:

١– **المنهج الاستقرائي**: وذلك باستقراء النصوص المتشابهة التي انحرف فئام من الخلق في فهمها فطعنوا بسبب ذلك في الأنبياء.

وكذا استقراء كلام وشبه من انحرف في هذا الشأن.

٢– **المنهج النقدي**: وذلك بنقد هذه الشبه، وبيان خطئها، وضعفها، بالأدلة الشرعية والحجج والبراهين.

خطة البحث:

قسّم الباحث هذه الدراسة إلى تمهيد، وستة مطالب:

التمهيد: وفيه بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الأول: ما نسب إلى الأنبياء جملة من شُبَه الشرك والضلال.

المطلب الثاني: ما نسب لآدم عليه السلام من الشرك.

المطلب الثالث: ما نُسب لإبراهيم عليه السلام من الشرك.

المطلب الرابع: ما نُسب ليوسف عليه السلام من الشرك.

المطلب الخامس: ما نُسب لشعيب عليه السلام من الشرك.

المطلب السادس: ما نُسب لنبينا محمد ﷺ من الشرك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

عصمة الأنبياء عليهم السلام

أولاً: مفهوم العصمة:

أ- لغة: العصمة، مصدر من عَصَم يعصِم عصماً وعصمة، وهي ترد في اللغة بمعنى: المنع، والحفظ، ويشتقّ منها اسم الآلة: كالقلادة، والحبل.

قال صاحب اللسان: «العصمة في كلام العرب المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، يقال عصمه، يعصمه، عصماً: منعه ووقاه»(١).

وقال ابن فارس: «العين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إمساكٍ ومنْع وملازمة. والمعنى في ذلك كلِّه معنىً واحد. من ذلك العِصْمة: أن يعصم اللهُ تعالى عَبْدَه من سوءٍ يقع فيه»(٢).

ب- شرعاً:

عرَّفها الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: «وعصمة الأنبِياء - على نبيِّنا وعليْهِم الصَّلاة والسَّلام -: حِفْظُهم من النقائص، وتَخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والثَّبات في الأمور، وإنْزال السَّكينة »(٣).

وقال الرَّاغب الأصفهاني: «عصمة الله الأنبِياءَ: حِفْظُه إيَّاهم أوَّلاً بما

---

(١) "لسان العرب" لابن منظور، مادة: عصم ١٢/ ٤٠٣.

(٢) "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، مادة: عصم ٤/ ٣٣٢.

(٣) فتح الباري ١١/ ٥٠٢.

خصَّهم من صفاء الجوهر، ثمَّ بما أوْلاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتَّوفيق»[(١)].

وأحسن وأسلم التَّعريفات أنَّ العصمة: «لطفٌ من الله تعالى يَحمل النبيَّ على فعل الخير، ويزْجره عن الشَّرِّ، مع بقاء الاختِيار تحقيقًا للابتِلاء»[(٢)].

ثانياً: مراتب عصمة الأنبياء عليهم السلام

١- عصمة الأنبياء في الجانب الاعتقادي:

عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكفر والشرك، إما أن تكون قبل النبوّة أو بعدها.

أ- أما عصمة الأنبياء من الوقوع في الكفر والشرك بعد البعثة؛ فقد أجمع أهل العلم المعتبرين على عصمتهم، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء»[(٣)].

---

(١) "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني ٢/ ٩٩.

(٢) انظر: التعريفات للجرجانى ص١٥٠. فالعصمة عند أهل السنة أمر إلهي، بخلاف الفلاسفة الذين جعلوها أثراً من آثار قوى النفس وملكتها، تحصل بالنظر وقوة العلم، انظر: "اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية" للحلّي، ص ١٧٠.

(٣) "تفسير القرطبي" ٧/ ٢٥.

ولم يخالف في ذلك إلاّ شُذَّاذ الروافض والخوارج [(١)].

ب- أما عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكفر والشرك قبل البعثة، فقد وقع فيه خلافٌ مشهور عند أهل السنة والجماعة [(٢)]، على قولين:

القول الأوّل: تجويز وقوع الكفر من الأنبياء قبل البعثة، سوى نبينا ﷺ

وهو قول المازري وابن الحاجب، وطائفة من أصحاب الحديث، والمعتزلة؛ وقد مال لهذا القول وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال رحمه الله: «وأما قولهم إن شعيبا والرسل ما كانوا في ملتهم قط، وهي ملة الكفر فهذا فيه نزاع مشهور، وبكل حال فهذا خبر يحتاج إلى دليل سمعي أو عقلي، وليس في أدلة الكتاب والسنة والإجماع ما يخبر بذلك، وأما العقل ففيه نزاع، والذي عليه نظار أهل السنة أنه ليس في العقل ما يمنع ذلك، وهذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من المنتسبين إلى السنة والحديث، والمعتزلة»[(٣)].

---

(١) ذهب الفضيلة من فرق الخوارج إلى جواز صدور الكفر من الأنبياء عليهم السلام، وذلك لأنهم يجوّزون صدور الذنوب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم، ويجيز الروافض على الأنبياء إظهار كلمة الكفر على سبيل التقيّة، انظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ٣٩، ونقل ابن حزم عن أبي جعفر السمناني القاضي قوله: "وجائز على الأنبياء أن يكفروا" انظر: "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم ٤/ ٢.

(٢) نقل الجرجاني وغيره الإجماع على عصمة الأنبياء من الكفر قبل البعثة، قال الجرجاني: "وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، ولا خلاف لأحد منهم في ذلك" "شرح المواقف" للجرجاني، ص ١٣٤، وهذا الإجماع غير مسلمّ.

(٣) "تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول =

وقد أطال رحمه الله النفس في الانتصار لهذا القول، وفيما يأتي اختصار لما أورده رحمه الله من أدلة على ذلك:

١- عدم امتناع تلبس الأنبياء بالكفر قبل النبوّة - عقلاً -.

٢- أنّه لم يرد في الكتاب والسنة ما ينفي تلبس الأنبياء بالكفر قبل البعثة.

٣- بعض النصوص التي فيها دلالة على تلبس بعض الأنبياء بالكفر قبل البعثة، كقوله تعالى عن شعيب: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ {الأعراف: ٨٨} ، فالعود هاهنا هو الرجوع إلى ما كان عليه من الكفر قبل البعثة، وقوله تعالى عن لوط: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ {العنكبوت: ٢٦}، أي آمن لإبراهيم، بعد أن لم يكن مؤمناً به.

٤- أنّ تجويز صدور الكفر من الأنبياء قبل بعثتهم ليس فيه نقص ولا بغض ولا غضاضة، إذا كانوا على مثل دين أقوامهم، ولذلك لم يعب المشركون الأنبياء بما كانوا مشتركين فيه جميعاً.

٥- الإجماع على جواز بعثة رسول لم يعرف ما جاءت به الرسل قبله من أمور النبوة والشرائع[1].

=

الصواب، بل لا يوجد فيها إلاّ ما هو خطأ"، لابن تيمية الحراني ١/ ١٧٨.

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ١٨٢، ١٩٤، ١٩٥، ٢٣٢.

القول الثاني: عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل البعثة.

وهو قول كثير من علماء أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكثير من أهل السنة يقولون: إنّ الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة، كما قال ذلك: ابن الأنباري، والزجاج، وابن عطية، وابن الجوزي، والبغوي.

قال البغوي: وأهل الأصول على أن الأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي»[(١)].

ومن جملة ما استدلّ به هؤلاء ما يأتي:

١- أنه لم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحداً نُبِّئ واصطفى ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك؛ قاله القاضي عياض[(٢)].

٢- قال القاضي عياض رحمه الله: «الصواب عصمتهم قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته، والتشكيك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار عن الأنبياء بتبرئتهم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان[(٣)]»[(٤)].

---

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ١٨١.

(٢) "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض ٢/ ١١٠.

(٣) ولعل القاضي عياض يقصد النصوص الواردة في تبرئة النبي ﷺ من الشرك قبل بعثته، وقياس حال الأنبياء عليه.

(٤) المصدر السابق.

٣- أنّ القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله، والعقول السليمة تأبى أن تنقاد لداعي التوحيد والإيمان إن كان قد عرف منه قبل دعوته كفر أو شرك[(١)].

٤- أنّ كفار الأمم قد رموا أنبياءهم بكل نقيصة، كالسحر والجنون وغير ذلك، ولم يكن الكفر أو الشرك ضمن ما رموا به الأنبياء قبل بعثتهم، فدلّ على براءتهم منه[(٢)].

٥- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ {الأحزاب: ٧}، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ {آل عمران: ٨١}، ووجه الدلالة منه: أنه إذا عهد إليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه، وتوحيده، فكيف يصدر عنهم ما يخالفه قبل النبوة أو بعدها[(٣)].

المناقشة والترجيح:

يمكن أن يناقش ما أورده شيخ الإسلام من أدلة على عدم عصمة الأنبياء من الكفر قبل البعثة، بما يأتي:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١١١.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١١١-١١٢.

١ - أما عدم امتناع تلبس الأنبياء بالكفر قبل النبوة عقلاً، فيرد عليه من وجوه:

• أنّ العقل يمنع من صدور الكفر من الأنبياء قبل النبوة، كما ورد في أدلة الجمهور.

• على التسليم بعدم الامتناع العقلي، فليس في هذا دليل البتة على صدور الكفر منهم، لأنّ المعوّل في هذا الباب على النقل وليس العقل.

٢- أما الاحتجاج بعدم ورود نص من الكتاب والسنة ينفي تلبس الأنبياء بالكفر قبل البعثة، فجوابه من وجوه:

• ومن جهة أخرى لم يرد أيضاً في نصوص الكتاب والسنة ما يثبت وقوعهم في الكفر قبل النبوة، ولا شكّ أنّ قواعد الترجيح تقتضي تقديم النفي على الإثبات، بمعنى نفي الكفر عنهم على إثباته عند انعدام النص.

٣- أما ما استدل به رحمه الله من آية العود في قصة شعيب، فقد تنازع العلماء في العود هل هو بمعنى الرجوع أو الابتداء والصيرورة كما سيأتي[١]، فسقط الاحتجاج بهذا الدليل لاستواء الاحتمال.

أما إيمان لوط لإبراهيم عليهما السلام، فجوابه: أنّه صدَّقه عليه السلام في جميع مقالاته، أو بنبوته حين ادعاها؛ لا أنه صدَّقه فيما دعا إليه من التوحيد ولم يكن كذلك قبل، وقيل المراد بالإيمان الرتبة العالية منها وهي

(١) انظر: ص (٣٣) من هذا البحث.

التي لا يرتقي إليها إلا الأفراد، وقيل: أظهر له لوط الإيمان من بين غيرهم، وقد كان لوط مؤمنا من قبل[1]. فالدليل قد تطرق إليه الاحتمال فبطل به الاستدلال على القول بعدم عصمة الأنبياء قبل النبوة.

٤- أما ادعاء -أنّ تجويز صدور الكفر من الأنبياء قبل البعثة- ليس فيه مذمة ولا نقيصة، فغير مسلم، بل هو في غاية القبح، فالنفوس تنفر وتأنف من اتباع من تلبس بمثل جرمها.

٥- وأما الإجماع على بعثة رسول لم يعرف ما جاءت به الرسل قبله، فليس فيه دليل على كفر هذا الرسول، لأنّ التأييد الإلهي والتوفيق الرباني لهذا النبي هو مكمن العصمة من الكفر، وليس مجرّد العلم فقط.

الراجح - والله أعلم-:

عصمة الأنبياء من التلبس بالشرك والكفر، وعبادة غير الله قبل بعثتهم، وإن كانوا قد يتلبسون بجهل بعض فروع التوحيد، وهذا لاعتبارات عدّة:

- أنّ إثبات الكفر يحتاج إلى دليل نقلي وليس ثمة دليل.

- أن القول بجواز صدور الكفر عن الأنبياء قبل النبوة، قول اشتهر عند المتأخرين كما صرح بذلك شيخ الإسلام نفسه كما تقدّم، ولم يقل به إلاّ نزر قليل من أعلام السلف.

---

(١) انظر: "تفسير الطبري" ٢٠/ ٢٥، و"معالم التنزيل" للبغوي ٦/ ٢٣٨، و"روح المعاني" للألوسي ١٥/ ٢٦٣.

- أنّ حفظ مقام الأنبياء يستلزم تنزيههم عن النقائض والمعائب القادحة، ومن أعظمها الكفر والشرك.

٢- عصمة الأنبياء في التبليغ والفتوى:

أجمع من يُعتدّ به من العلماء على أنّه لا يجوز على الرسل الكذب في التبليغ أو تحريفه أو التقصير فيه أو الخيانة فيه أو كتمانه لا عمداً ولا سهواً.

وأجمعوا على أنّه لا يجوز عليهم تعمّد الخطأ في الفتوى، ولا يقرّون على الخطأ فيها إن وقع.

قال ابن تيمية رحمه الله: «الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى في تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه... وهذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة ... والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين»[(١)].

٣- عصمة الأنبياء عن كبائر الذنوب:

أجمع أهل العلم على عصمة الأنبياء من كبائر الذنوب بعد النبوّة.

قال ابن بطال رحمه الله: «أجمعت الأمة على أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون في الرسالة، و أنه لا تقع منهم الكبائر»[(٢)].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" ١٠/ ٢٨٩.

(٢) "شرح ابن بطال لصحيح البخاري" ١٠/ ٤٣٩.

وقال القاضي عياض رحمه الله: «أما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال، فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء، من الفواحش، والكبائر الموبقات»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام.. وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلاّ ما يوافق هذا القول»(٢).

- **أما عصمتهم من الكبائر قبل النبوّة ففيه خلاف بين أهل العلم:**

القول الأول: جواز وقوع الكبائر منهم قبل البعثة.

إذ لا دليل من العقل أو السمع على امتناعها منهم.

وهو قول جمهور أهل السنة، وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

القول الثاني: منع صدور الكبائر منهم قبل البعثة.

وهو قول القاضي عياض، وابن حزم، والقسطلاني، والزرقاني، وغيرهم، وهو مذهب جمهور المعتزلة (٣).

ودليلهم في ذلك:

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ١٤٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٣١٩.

(٣) انظر: "تفسير آيات أشكلت" ١/ ١٨٠، و "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" ٢/ ١٤٧.

أنّ ارتكابهم للكبائر تؤدي إلى النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم.

قال ابن حزم رحمه الله: «فبيقين ندري أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة... »[(١)].

الترجيح:

أولاً: جواز صدور الكبائر منهم قبل البعثة.

ففيه تفصيل؛ إذ الذنوب الكبائر على نوعين:

١- نوع يستقل العقل بإدراك أنه ذنب، فينفر صاحبه من ارتكابه كالزنا، والقتل العمد، والكذب، والخيانة، فهذا لا يجوز عقلاً صدوره من الأنبياء لأمرين:

- أنّ عقولهم السليمة تنفر عنه، فهم أصح الناس عقولاً.
- أنّ صدور هذا النوع من الذنوب منهم يكون قادحاً فيهم بعد النبوة ومنفر عن اتباعهم.

٢- ما يتوقف معرفة أنه ذنب على الشرع، كالتعامل بالربا مثلاً، فهذا النوع لا مانع لدى العقل من فعله، ولا تشريع قبل البعثة يمنع منه، ولا ينفر أتباع الأنبياء بعد البعثة.

ثانياً: أما وقوعها فعلاً منهم قبل البعثة.

---

(١) "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم ٤/ ٢٥.

فالذي يترجح للباحث، عدم صدورها منهم لأمرين:

• أنّ اختيار الله تعالى لهم للنبوة يقتضي إعدادهم منذ نشأتهم لمنصبها السامي بالتأديب الحسن، والحفظ من القبح، وسوء السيرة.

كما جاء في الحديث قوله ﷺ: **(ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منها)**[(١)].

• أنه لم ينقل إلينا أنّ أحداً من الأنبياء قد ارتكب كبيرة قبل بعثته.

قال الشهاب الخفاجي رحمه الله: «ولما كان الله لم يرسل إلى خلقه إلاّ من هو أعقل أهل زمانه، وأقواهم فطرة وأحسنهم خلقاً وخلقاً، كانوا معصومين قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك منهم أصلاً، وإن اختلف في جوازه عقلاً، فعلى منعه لا يبقى شيء، وعند من جوّزه قبل البعثة كالباقلاني لم يقل بوقوعه كذلك، فالكلّ متفقون على أنّ الله لم يبعث فاسقاً، ولا معروفاً بالظلم والفجور وعدم الإنصاف، ولم يبعث إلاّ نقياً زكياً محبوباً للقلوب، مهيباً في عيونهم، له وقع عند كلّ أحد»[(٢)].

٤ – العصمة عن فعل صغائر الذنوب:

اختلف في عصمة الأنبياء من صغائر الذنوب على قولين مشهورين:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٧٣، رقم: ٧٦١٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبزار في مسنده ٢/ ٣١٠، رقم: ٥٨٢ وابن حبان في صحيحه ١٤/ ١٦٩، رقم: ٦٢٧٢.

(٢) "نسيم الرياض شرح الشفا" لشهاب الدين أحمد الخفاجي ٤/ ١٤٨.

القول الأوّل: عصمة الأنبياء من الصغائر مطلقاً

وهو قول الشيعة.

قال السيد المرتضى: «قالت الشيعة الإمامية، لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان أو صغيراً، لا قبل النبوة ولا بعدها. ويقولون في الأئمة مثل ذلك»[(١)].

ودليلهم في ذلك[(٢)]:

١- لو صدر من الأنبياء الذنب لما نالوا عهده تعالى فقد قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ {البقرة: ١٢٤}، فلا تحصل للظالمين الإمامةُ في الدين. فكيف ينال النبوة ظالم، و من يقترف الصغائر من الذنوب يعتبر ظالما لظلمه نفسه باقتراف بعض الذنوب ؟!!.

٢- إذا أذنب نبي كان فاسقاً لأن الفسق الخروج عن طاعة الله، ويلزم منه رد الشهادة، وإذا لم تقبل شهادته في هذه الأشياء الحقيرة فبأن لا تقبل في إثبات الأديان الباقية إلى يوم القيامة كان أولى، وهذا باطل فذاك باطل.

٣- أن النبي ﷺ إذا أذنب يشمله التوهين لقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

---

(١) مقدمة كتاب تنزيه الأنبياء، للشريف المرتضى، ص ١٥، وانظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ٤٠.

(٢) أورد فخر الدين الرازي في كتابه: "عصمة الأنبياء" خمسة عشرة دليلاً أو حجة على عصمة الأنبياء من الذنوب كبيرها وصغيرها، ص ٤١-٤٧.

{البقرة:٤٤}[١].

فيكون بذلك فعل النبي ﷺ - وهو المعصية - مخالفٌ لقوله وأمره باجتنابها، وهذا مستقبحٌ.

القول الثاني: جواز وقوع الأنبياء في الصغائر.

وهو قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء.

قال القاضي عياض رحمه الله: «وأما الصغائر فجوّزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبى جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين»[٢].

واستدلوا لقولهم بجملة من الأدلة أوجز ذكرها ابن بطال رحمه الله بقوله: «وقال أهل السنة: جائز وقوع الصغائر من الأنبياء، واحتجوا بقوله تعالى مخاطبًا لرسوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ {الفتح: ٢} فأضاف إليه الذنب، وقد ذكر الله في كتابه ذنوب الأنبياء فقال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ {طه: ١٢١}، وقال نوح لربه: ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ {هود: ٤٥}، فسأله أن ينجيه، وقد كان تقدم إليه تعالى فقال: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ {هود: ٣٧}، وقال إبراهيم: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ {الشعراء: ٨٢}، وفى كتاب الله تعالى من ذكر

---

(١) انظر: الرسل والرسالات، لعمر سليمان الأشقر، ص ١١٠.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ١٤٤.

خطايا الأنبياء ما لا خفاء به»[١].

المناقشة والترجيح:

لعل أسعد الأقوال بالحق هو القول الثاني الذي عليه جمهور السلف رحمهم الله، - والله تعالى أعلم -، وذلك من وجوه:

١ - أنّ الأنبياء إذا صدرت منهم صغائر فإنهم سرعان ما يتوبون إلى الله وينيبون إليه، فتكون كأن لم تكن، و ينالون بذلك منزلة أعلى من منزلتهم السابقة [٢].

٢- أنّ الفسق إنما يكون بارتكاب الكبائر والإصرار عليها، وليس بارتكاب بعض الصغائر المتبوعة بالتوبة والإنابة.

٣- ليس في تجويز وقوع الأنبياء في الصغائر انتقاصا منهم إذ الخطأ من طبع البشر جبلوا عليه، و الأنبياء بشر غير مجردين من الطبيعة الإنسانية وما يعتريها.

٤- ليس في وقوع الأنبياء في الصغائر مخالفة الأقوال للأفعال؛ لأن الآية تعيب من عرف عنه أمر الناس بالمعروف والتخلف عنه، ونهيهم عن المنكر وإتيانه، أما الأنبياء فقد كانوا أحرص الناس على البر واجتناب النواهي.

---

(١) شرح صحيح البخاري ١٠/ ١٤٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٠٩.

٥- أنّ وقوع الصغائر من الأنبياء فيه حكم بالغة منها:

- الدلالة على أن الكمال المطلق لله تعالى.

- ليعرف الناس الفرق بين الـرب والعبـد، فـلا يفضي بالنـاس الغلـو بتعظيم أنبيائهم والإعجاب بفضائلهم ونزاهتهم إلى عبادتهم مع الله تعالى.

- التأسّي بالأنبياء عليهم السلام عند الوقـوع في المعصـية بـالإسراع في التوبة، وعدم التسويف.

المطلب الأول: ما نُسِبَ للأنبياء (جميعاً) من شُبَه الشرك

أولاً: أصل الشبهة:

من الآيات المشتبهات التي يتوهّم فيها وقوع الأنبياء عليهم السلام في الكفر والشرك قبل النبوّة والرسالة، هي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ {إبراهيم: ١٣}.

فقوله: ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ قد يتوهّم منها أنّ الأنبياء كانوا على ملّة أقوامهم من عبادة الأوثان والإشراك بالله قبل البعثة(١).

فقالوا: بأنّ العود في الآية المراد به الرجوع إلى حالة قد كانت وهي الكفر والشرك (٢).

ثانياً: درء الشبهة والجواب على الإشكال:

يندفع هذا الإشكال من وجوه:

١ - العود في لغة العرب يأتي بمعنى الرجوع والصيرورة والابتداء:

فالعرب تستعمل العود وتريد به: الابتداء والصيرورة والرجوع.

- **أما الابتداء**: فمنه قول الشاعر:

---

(١) انظر: "الكشاف" للزمخشري ٣/ ٢٧٢، و"تفسير آيات أشكلت ١/ ١٧٤.

(٢) انظر: "تفسير آيات أشكلت" ١/ ١٧٤.

وعاد الرأْسُ مِنِّي كالثَّغَامِ[١].

فيكون معنى الآية: لتدخلنّ في ملتنا.

• **وأما الصيرورة**: فهذا الاستعمال كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار، ولكن عاد، ما عدت أراه، عاد لا يكلمني، ما عاد لفلان مال[٢].

ومنه قول الشاعر:

فإن تكنِ الأيام أحسنّ مدةً.... إليّ فقد عادت لهنَّ ذُنُوبُ

أي: فقد صارت لهن ذنوب، ولم يرد أن ذنوباً كانت لهن قبل الإحسان[٣].

قال القاضي عياض رحمه الله: «والعرب تستعمل عاد بمعنى صار إلى حالة أخرى وإن لم يكن متصفا بها»[٤].

ولهذا الاستعمال نظائر في النصوص الشرعية، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾{الأنعام: ٢٨}، أي: لصاروا على ما نهوا عنه، ذكره الفيومي، وشيخه أبو حيان[٥].

---

(١) انظر: "تاج العروس" للزبيدي ٨/ ٤٣٢. و"لسان العرب" لابن منظور ٣/ ٣١٥.

(٢) انظر: "الكشاف" للزمخشري ٣/ ٢٧٢.

(٣) "محاسن التأويل" للقاسمي ١٠/ ٣٧١٧.

(٤) "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" للقاضي عياض ٢/ ١٠٤.

(٥) انظر: "تاج العروس" للزبيدي ٨/ ٤٣٢.

أما الرجوع:

فهو عندهم يقتضي الرجوع إلى شيء، والرجوع عن شيء.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أنّ العود إذا عدّي بـ (في) أو باللام، فإنه غالباً يدلّ على الرجوع، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ {المجادلة: ٨}، وكذا في قوله ﷺ: (العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه)[١] فهذا صريح في العود إلى أمر كان عليه قبل[٢].

فكلّ هذه المعاني للفظة (عاد) مستعملة عند العرب، ولا يمكن ترجيح أحدها على الآخر.

٢- أنّ العود على التسليم بأنّ معناه الرجوع، فهو موجه بالآتي:

أ- المقصود بالملة ليس الكفر والشرك:

فالمقصود به الرجوع إلى بقايا الملّة والدين الذي بقي من إرث الأنبياء قبلهم في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك.

ويشهد لذلك ما رواه البيهقي في دلائل النبوّة عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (لقد رأيت رسول الله ﷺ، وهو على دين قومه، وهو يقف على بعير له، بعرفات، من بين قومه حتى يدفع معهم، توفيقا من الله عز وجل له)

---

(١) البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها: ٢٤٧٠

(٢) انظر: "تفسير آيات أشكلت" ١/ ١٧٤-١٧٥.

قلت - أي: البيهقي-: قوله: (على دين قومه) معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل، في حجهم ومناكحهم وبيوعهم، دون الشرك، فإنه لم يشرك بالله قط، وفيما ذكرنا من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك»[(١)].

ب- المراد الرجوع إلى سكوت الأنبياء عن أقوامهم قبل البعثة:

قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله: « (والعودة) أبداً إنما هي إلى حالة قد كانت، والرسل ما كانوا قط في ملة الكفر، فإنما المعنى: لتعودن في سكوتكم عنا وكونكم أغفالاً، وذلك عند الكفار كون في ملتهم»[(٢)].

٣- أنّ حال الأنبياء قبل البعثة يردّ على هذه الفرية:

إنّ الحقّ الذي لا مرية فيه، والذي تعاضدت لبيانه النصوص الشرعية أنّ الله قد حفظ أنبياءه قبل البعثة من المعاصي والآثام، بل نجد أنهم كانوا في أقوامهم في منتهى القوة والرشد، والعقل، والحكمة، والطهارة، وعلو النسب، بإقرار أقوامهم وشهادتهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾ {هود: ٦٢}، أي: «قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما

(١) دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٤١٧، رقم: ٣٧١.

(٢) "المحرر الوجيز" لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٤/ ٩٦.

زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه»[١].

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ { هود: ٨٧}، أي: «أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه الحقيقة، وقالوا أنت حليم رشيد فلِم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله»[٢].

وهذا كان شأن الأنبياء جميعاً، فهم المصطفون في أخلاقهم ونعوتهم وأوصافهم قبل البعثة.



(١) "تفسير السعدي" ص ٣٨٤.

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ٢/ ٢٢١.

المطلب الثاني: ما نُسب لآدم عليه السلام من الشرك

أولاً: أصل الشبهة:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ {الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠}، فقد جعلت هذه الآية مستنداً لاتهام آدم عليه السلام بالوقوع في الشرك، حيث ذكروا في تفسير هذه الآية أنّ آدم وحواء عليهما السلام قد سميا ولدهما بعبد الحارث، أي: عبد الشيطان رجاء أن يعيش.

وجعلوا الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ عائداً على آدم وحواء(١).

ثانياً: درء الشبهة والجواب على الإشكال:

إنّ العلماء قد اختلفوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾، على أقوال ذكروها، والسبب في هذا الاختلاف هو اختلافهم في عود الضمير في الآية: هل يعود على آدم وحواء، أم يعود على الجنسين الذكر والأنثى من بني آدم، أم يعود على زوجين من ذرية آدم عليه السلام؟

---

(١) انظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ٥٤.

وفيما يلي بيان لأقوال العلماء وما استندوا إليه، مشفوعاً ببيان الراجح منها، والرد على المرجوح.

القول الأول: عود الضمير على آدم وحواء عليهما السلام.

ومستند هذا القول بعض الآثار المرفوعة والموقوفة، التي ذكرت أنّ إبليس اللعين وسوس لحواء بأن تسمي ولدها عبد الحارث، - والحارث كان اسماً للشيطان -، حيث كان لا يعيش لها ولد، فسمته بذلك رجاء بقائه.

١- عن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**»(١).

٢- و عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد آتاها الشيطان، فقال: سمياه عبد الحارث يعيش لكما، فسمياه عبد الحارث فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره)(٢).

---

(١) رواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب: ومن سورة الأعراف، رقم: ٣٠٨٦، وأحمد في المسند ٣٣/ ٣٠٥، رقم: ٢٠١١٧، والطبراني في المعجم الكبير ٧/ ٢١٥، رقم: ٦٩١١، والبزار في المسند ٢/ ١٥٤، رقم: ٤٥٨٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٧٧، وابن جرير في تفسيره ١٣/ ٣١٣، والحديث ضعيف كما سيأتي بيانه، ينظر ص: ٤٣ من هذا البحث.

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٨٧: " أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ". قلت ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ٣٠٩، وهذا الأثر من الإسرائيليات كما سيأتي بيانه في ص: ٤٤ من هذا البحث.

ولا شكّ أنّ الأنبياء مبرؤون من الشرك، ولذا حاول العلماء دفع هذا الإشكال الوارد في الآية من وجوه، لعل أبرزها:

١- أن المشركين كانوا يقولون: إنَّ آدم عليه السلام كان يعبد الأصنام، ويرجع في طلب الخير ودفع الشر إليها، فذكر تعالى قصة آدم وحواء عليهما السلام وحكى عنهما أنهما قالا: ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ أي: ذكر تعالى أنه لو آتاهما ولداً صالحاً لاشتغلوا بشكر تلك النِّعمة. ثم قال: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾. فقوله: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الإنكار والتَّبعيد. تقديره: فلما آتاهما صالحاً أجعلا له شركاء فيما آتاهما؟. ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذي يقولون بالشِّرك وينسبونه إلى آدم عليه السلام(١).

٢- قيل: إنَّهُ تعالى لما آتاهما ذلك الولد الصَّالح عزما أن يجعلاه وقفاً على خدمة الله وطاعته وعبوديَّتِهِ على الإطلاق، ثُمَّ بدا لهُما في ذلك، فتارة كانوا ينتفعون به في مصالح الدُّنيا ومنافعها، وتارة كانوا يأمرونه بخدمة الله تعالى وطاعته، وهذا العملُ، وإن كان مِنَّا طاعة وقربة، إلاَّ أنَّ حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين، فلهذا قال اللهُ تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

---

(١) انظر: "اللباب في علوم الكتاب" لأبي حفص النعماني ٨/٨٧.

٣- قالوا إنّ آدم وحواء عليهما السلام إنَّما سميا ولدهما بعبد الحارث لأنَّهُم اعتقدوا أنه إنما سلم من الآفَةِ والمرض بسبب دعاء ذلك الشخص المُسَمَّى بالحارث.

وقد يُسمى المُنْعَم عليه عبداً للمنعمِ، كما يقالُ في المثل: أنا عبدُ من تعلَّمتُ منه حرفاً فآدم وحوَّاء إنما سمياهُ بعبد الحارث لاعتقادهم أنَّ سلامته من الآفات ببركة دعائه، ولا يخرجه ذلك عن كونه عَبْداً للهَّ من جهة أنَّهُ مملوكه ومخلوقه، وحسنات الأبرار سيئات المقربين فلمَّا حصل الاشتراك في لفظ العبدِ لا جرم عُوتب آدم عليه الصَّلاة والسَّلام في هذا العمل بسبب الاشتراك في مجرد لفظ العبد.

القول الثاني: عود الضمير في الآية على ذرية آدم عليه السلام.

- فقال أصحاب هذا القول، إنّ القصة سيقت عن آدم وحواء عليهما السلام، إلاّ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾، قالوا ثمة محذوف وهو المضاف، وقد أقيم المضاف إليه مقامه، أي: جعلا أولادهما شركاء، وكذا فيما: «آتاهُما» أي أولادهما.

وجاء تثنية ذرية آدم في قوله تعالى: « جَعَلَا لَهُۥ »

لأنَّ ذريّة آدم قسمان ذكر وأنثى فقوله «جَعَلَا » المراد منه الذكر والأنثى فمرة عبّر عنهما بلفظ التثنية لكونهما صنفين ونوعين، ومرَّة عبَّرَ عنهم بلفظ الجمع، وهو قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾.

وهذا القول اختاره جمهور المفسرين [١].

القول الثالث: أنّ الخطاب في الآية لقريش « وهم آل قصي ».

والمرادُ من قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ قُصَيٌّ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلمَّا آتاهما ما طلبا من الولد الصَّالح السَّوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولاهما الأربعة: عبد منافٍ، وعبد العزَّى، وعبد قُصيٍّ وعبد اللاَّتِ وعبد الدَّار، وجعل الضمير في يُشركُونَ لهما، ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك [٢].

المناقشة والترجيح:

أرجح الأقوال وأسعدها بالحق هو القول الثاني، فالمقصود بالمخاطب بالآية هم ذرية آدم عليه السلام، الذين أشركوا بالله جلّ وعلا بعد أن أنعم عليهما بالذريّة.

ومما يؤيد ترجيح هذا القول أمور منها:

١- أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بضمير الجمع.

---

(١) انظر: "تفسير ابن كثير" ٣/ ٥٢٨، و"النكت والعيون" ٢/ ٤٠، و"تفسير البغوي" ٣/ ٣١٤.

(٢) انظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ٥٤.

٣- أن ما ذكروه من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة [١].

مناقشة القول الأول: وهو عود الضمير على آدم وحواء عليهما السلام.

إنّ القول الأول غاية في الضعف، وهو تأويل فاسد غاية الفساد، ويتبين ذلك من خلال الآتي:

١- أنّ حديث سمرة المتقدّم هو غاية في الضعف.

فقد رواه الإمام أحمد وغيره من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه.

وهذا الحديث معلول من أربعة أوجه:

أ- أنّ عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد ضعفه المحققون خاصة في روايته عن قتادة، كما في هذا الحديث.

قال أبو حاتم الرازي: «لا يحتج به»، وقال أحمد: «يروى عن قتادة أحاديث مناكير، يخالف»، وقال ابن عدي: «يروى عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب»[٢].

ب- أنه قد روي من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعاً، كما في رواية ابن

---

(١) انظر: "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي ١/ ٥٤٥.

(٢) انظر: "تهذيب الكمال" للمزي ٢١/٢٧٠، و"المغني في الضعفاء" للذهبي ٢/٤٦٢،

جرير الطبري[١].

ج- أنّ في سماع الحسن من سمرة خلاف مشهور، ثم هو مدلس ولم يصرح بسماعه من سمرة، وقال الذهبي في ترجمته: «كان الحسن كثير التدليس، فإذا قال في حديث: عن فلان، ضعف احتجاجه»[٢].

د- أن الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا، فقد روى ابن جرير من طريقه عن الحسن قال: عني بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده.

وفي رواية: كان الحسن البصري يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا، فهودوا ونصروا [٣].

وقال ابن كثير: «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن البصري»[٤].

٢- أمّا الأثر المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه:

فالذي يظهر والله أعلم أنها من الإسرائيليات الدخيلة على كتب التفسير.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة. ومن الطبقة

---

(١) "تفسير الطبري" ١٣/ ٣١٤.

(٢) انظر: "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" للذهبي ١/ ٥٢٧، و"السلسلة الضعيفة" للألباني ١/ ٥١٧.

(٣) " تفسير الطبري" ١٣/ ٣١٥.

(٤) " تفسير ابن كثير" ٣/ ٥٢٧.

الثانية: قتادة، والسدي، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب، فإن ابن عباس رواه عن أُبي بن كعب... وهذه الآثار يظهر عليها -والله أعلم -أنها من آثار أهل الكتاب»[١].

٣- أنّ قوله تعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ دلَّ على أن الذين أتوا بهذا الشركِ جماعةٌ.

فهذه الآيةُ من أقوى الدَّلائل على أنَّ إبليس -المذكور في القصة المزعومة- ليس هو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ إذ لو كان المرادُ ذلك لكانت هذه الآية أجنبية عنها بالكليَّة، وكان ذلك النَّظْمُ في غاية الفسادِ.

فالمرادُ من الآية السابقة الرَّدُّ على عبدة الأوثان؛ لأنه أراد ههنا إقامة الحجَّة على أنَّ الأوثان لا تصلحُ للإلهيَّةِ فقوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي: أيعبدون ما لا يقدرُ على أن يخلق شيئاً؟ وهم يُخلقون، يعني الأصنام[٢].

٤- قال تعالى بعدهُ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ وهذا يدلُّ على أن المقصود من الآية: الرَّد على من جعل الأصنام شركاء للهِ تعالى، ولم يجر لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر[٣].

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٥٢٨.

(٢) انظر: " البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي ٦/ ١٠

(٣) انظر: "مفاتيح الغيب" ١٥/ ٧٠، و"اللباب في علوم الكتاب" ٨/ ٨٦.

٥- لو كان المراد إبليس لقال: أيشركُون من لا يخلُقُ؛ لأن العاقلَ إنَّما يُذْكَرُ بصيغة من[١].

٦- أنَّ آدم - عليه السَّلام - كان من أشدّ النَّاس معرفة بإبليس، وكان عالماً بجميع الأسماءِ كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ {البقرة: ٣١} فلا بد وأن يكُون قد علم أن اسم إبليس هو الحارثُ، فمع العداوة الشَّديدة التي بينهُمَا ومع علمه بأنَّ اسم إبليس الحارث كيف يسمِّي ولدهُ بعبد الحارث؟ وكيف ضاقت عليه الأسماءُ بحيث لم يجد سوى هذا الاسم؟.

٧- أن بتقدير أن آدم عليه الصلاة والسلام، سماه بعبد الحارث، فلا يخلو إمَّا أن يقال إنه جعل هذا اللفظ اسم علم له أو جعله صفة له، بمعنى أنَّهُ أخبر بهذا اللفظ أنَّهُ عبد الحارثِ، فإن كان الأول لم يكن هذا شركاً لأن أسماء الأعلام والألقاب لا تفيد في المسميات فائدة، فلا يلزم من هذه التسمية حصول الإشراك، وإن كان الثاني كان هذا قولاً بأن آدم - عليه الصلاة والسلام - اعتقد أنَّ لله شريكاً في الخلق والإيجاد، وذلك يُوجبُ الجزم بكُفْر آدم، وذلك لا يقوله عاقل؛ فثبت فساد هذا القول[٢].

مناقشة القول الثالث: أنّ الخطاب في الآية لقريش « وهم آل قصى ».

إنّ هذا القول أيضا ضعيف، يدلّ على ضعفه أمور:

---

(١) انظر: المصدرين السابقين.

(٢) انظر: "اللباب في علوم الكتاب" ٨/ ٨٦.

١ – أنه يفتقر إلى دليل صحيح.

٢ – أن الخطاب على هذا التأويل خاص بذرية قصيّ من قريش، رغم أنّ الظاهر في الخطاب في الآية عام لبني آدم.

٣– أنّ قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾، هذا يصح في حواء لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصح في زوجة قصي[1].



(١) انظر: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" لنظام الدين النيسابوري ٤/ ٤٤.

المطلب الثالث: ما نُسب لإبراهيم عليه السلام من الشرك

من النصوص المشتبهة التي اعتُقد فيها وقوع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في الشرك، ثلاثة مواضع في كتاب الله، وهي كالآتي:

الشبهة الأولى: اعتقاد ربوبية الأجرام السماوية

أولاً: أصل الشبهة:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ {الأنعام: ٧٥-٧٨}.

وقد تأولها القائلون بهذه الشبهة على أحد تأويلين:

التأويل الأوّل: أنّ قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ في المواضع الثلاثة ظاهر في أنّه عليه السلام كان يعتقد في وقت من الأوقات بربوبية هذه الأجرام السماوية.

التأويل الثاني: حملوا قول إبراهيم في هذه الآيات على أول أحوال تكليفه في مهلة النظر، التي لا حرج على من أخطأ فيها -كما يزعمون-، وأنه تحير في ربه من هو؟ ورأى أشرف الجهات جهة السماء العلوية، وأشرف ما فيها هذه الجواهر المضيئة فقال في نفسه: انظر هل يجوز أن يكون أحد هذه الأشياء ربك؟ وبهذا قال الرازي و محمد بن إبراهيم الوزير وأبو

بكر البيهقي وغيرهم [(١)].

ثم اختلفوا في تحديد وقت هذا الاعتقاد الفاسد:

- فقيل: يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف [(٢)].

- وقيل: إنّ أمه كانت قد وضعته في كهف مظلم لخوفها عليه من النمرود، فلما عقل وخرج من الكهف ورأى الشمس والقمر قال: هذا ربي [(٣)].

وقد ذكروا في ذلك راويات عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة، وغيرهم.

وفيها: «أنّ إبراهيم عليه السلام فُرَّ به من جبار مترف (وهو النمرود)، فجعل في سرب وجعل رزقه في أطرافه، فجعل لا يمص أصبعاً من أصابعه إلا جعل الله له فيها رزقاً فلما خرج من ذلك السرب أراه الله ملكوت السموات والأرض، وأراه شمساً وقمراً ونجوماً وسحاباً وخلقاً عظيماً، وأراه ملكوت الأرض فرأى جبالاً وبحوراً وأنهاراً وشجراً ومن كل الدواب وخلقاً عظيماً ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ فرأى كوكب

---

(١) انظر: عصمة الأنبياء للرازي، ص ٦١-٦٨، و"البرهان القاطع في إثبات الصانع" لابن الوزير، ص٥٨، و"الأسماء والصفات" للبيهقي، ص٢٨٠-٢٨١.

(٢) انظر: "تفسير الطبري" ١١/ ٤٨٤.

(٣) انظر: "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي ١/ ٤٣٨، و"بحر العلوم" لأبي الليث السمرقندي ١/ ١١٧، و"روح البيان" لإسماعيل حقي الخلوتي ٤/ ١٥٦.

الزهرة طلعت عشاء ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ علم أن ربه دائم لا يزول ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ ﴾ رأى خلقاً أكبر من الخلق الأوّل ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ أي أكبر خلقاً من الخالقين الأوّلين. وأبهى وأنور»[١].

ثانياً: الجواب على الشبهة:

أ- إنّ الحادثة المنسوبة إلى إبراهيم عليه السلام في تفسير الآيات المذكورة سابقاً لا تصح، سنداً ومعنى:

١- أما من جهة الإسناد:

فالروايات الواردة عن ابن عباس وابن مسعود كلها ضعيفة.

• فالرواية الأولى عنهما: فيها أسباط بن نصر[٢]، وأبو صالح باذام[٣]، وكلاهما ضعيف.

• والرواية الثانية عن ابن عباس فيها: أبو صالح[٤] كاتب الليث: لا

---

(١) هذه الآثار ذكرها ابن جرير الطبري في تفسيره ١١/ ٤٨١-٤٨٥. والسيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٦٨، وهي آثار جلها ضعيف سنداً ومتناً كما سيأتي بيانه في ص: ٥١ من هذا البحث.

(٢) ضعفه أبو نعيم والساجي وابن معين في رواية عنه، قال عنه: ليس بشيء، وقال عنه النسائي: ليس بالقوي، انظر: "كتاب الضعفاء" لأبي زرعة ٢/ ٢٦٤.

(٣) ضعفه البخاري، وقال النسائي: ليس بثقة، انظر: "الجرح والتعديل" ٢/ ٤٣١، و"تهذيب التهذيب" ١/ ٤١٦.

(٤) قال أحمد بن صالح: متهم ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن المديني: لا أروي عنه =

يحتج به، ومعاوية بن صالح(١): له أوهام، وعلي بن أبي طلحة(٢): لم يسمع التفسير من ابن عباس.

• أما الروايات الواردة عن إسحاق: فكلها ضعيفة أيضاً إذ أن كلتا الروايتين عنه رويت عن محمد بن حميد(٣): وهو ضعيف، وسلمة بن الفضل(٤): وهو ضعيف أيضاً، مع عدم إسناد ابن إسحاق الرواية لأحد، لكنه قال: (فيما ذكر لنا)، ولعلها مما رواه ابن إسحاق عن بني إسرائيل.

• والرواية عن قتادة غير معتبرة أيضاً -وإن صح السند قبلها-، لأن قتادة لم يبين من ذكر له هذا، ولعلها من أخبار بني إسرائيل.

• ثمّ إن هذه الأخبار كلها مستندة إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها، ولاسيما إذا خالفت الحق كما ذكر ذلك ابن كثير(٥)، وقد أجمع المسلمون على أن ما نقل عن بني إسرائيل في الأنبياء المتقدمين لا يجوز أن يجعل عمدة في

=

شيئاً، انظر: "الجرح والتعديل" ٥/ ٨٦، و"تهذيب التهذيب" ٥/ ٢٥٦.

(١) قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال عنه ابن معين في رواية عنه: ليس بمرضي، انظر: "تهذيب التهذيب" ١٠/ ٢٠٩.

(٢) قال أحمد بن حنبل: له أشياء منكرات، وقال دحيم: لم يسمع علي بن أبي طلحة التفسير عن ابن عباس، وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث منكر ليس محمود المذهب. انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ١٣٤.

(٣) رماه أبو حاتم الرازي وصالح بن محمد الأسدي وأبو زرعة وابن خراش والنسائي وابن وراة بالكذب، وأورد قصصاً تدل على ذلك، انظر: "تهذيب التهذيب" ٩/ ١٢٧.

(٤) قال البخاري: عنده مناكير، وقال أبو حاتم: محله الصدق، في حديثه إنكار يكتب حديثه ولا يحتج به، انظر: "تهذيب التهذيب" ٤/ ١٥٤.

(٥) "البداية والنهاية" لابن كثير ١/ ١٣٥.

دين المسلمين إلا أن يكون منقولاً إلينا عن خاتم المرسلين نقلاً صحيحاً[(١)].

٢- أما من جهة المعنى:

فهذا التفسير لا يوافق ظاهر الآيات المذكورة، بل يناقضه، ويتبين ذلك من عدة أوجه:

أ- أنّ هذه القصة لم تكن في طفولة إبراهيم، بل كانت بعد بعثته، حيث كان إبراهيم عارفاً بربه آنذاك، ويدل على ذلك أن الله ذكر محاجة إبراهيم لأبيه، كما ذكر أنه أراه ملكوت السموات والأرض، ثم أعقب هذا يذكر هذه القصة، فقال: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ... ﴾ الآيات، فعطف هذه القصة على ما سبقها بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب. فهي إما معطوفة على محاجة إبراهيم لأبيه، فتدل على أن هذه القصة بعد مبعثه وبعد معرفته لربه، ودعوة قومه لعبادة الله وحده، وتكون آية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ جملة معترضاً بها بين المعطوف والمعطوف عليه[(٢)].

وإما معطوفة على قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب، مما يدل على أن هذه القصة لم تقع إلا بعد أن عرف ربه وكان من الموقنين الصادقين[(٣)].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٥٧.

(٢) انظر: "الكشاف" للزمخشري ٢/ ٣٠-٣١.

(٣) انظر: "أضواء البيان" ٢/ ٢٠١.

ب- أن في قوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ دلالة على أنه كان بين قومه عند مقالته هذه، ومعلوم أنه عندما خرج من السرب -كما زعموا- لم يكن معه قومه.

ب- أما قول المتكلمين بأنّ إبراهيم عليه السلام قال ذلك في مقام النظر والاستدلال، فهو باطل من وجوه:

١- بطلان هذه القاعدة الكلامية، لأنّ سبيل معرفة الله والإيمان به ومعرفة شرعه عن طريق الرسل، وليس النظر والمقدمات والنتائج كما يزعم هؤلاء، وهذا ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ {النساء: ١٦٥}. وقوله: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ {الإسراء: ١٥}.

٢- أن مبدأ معرفة الأنبياء بالله وبشرائعه تكون عن طريق الوحي، لا بالنظر وهذا ما دلت عليه الأدلة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ {الشورى: ٥٢}.

٣- أن هذه القصة في بيان أن المستحق للعبادة هو الله وحده، وليست في إثبات أن خالق هذا الكون هو الله، ومن غير المعقول أن يعتقد إبراهيم عليه السلام أن الكوكب أو القمر هو خالق السموات والأرض، أو أن الشمس هي الخالقة بناءً على أنها أكبر، هذا لا يعتقده إلا مخبول، ولم يكن قول

إبراهيم عليه السلام: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ يقصد به أنه رب العالمين، وأنه الصانع لهذا الكون، بل ولم يكن هذا اعتقاد قومه، بل كانوا مقرين بوجود رب العالمين، ولكن كانوا يشركون معه بعبادة هذه الكواكب والأصنام، ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الشعراء: ٧٥ - ٧٧}.

ثالثاً: مذهب أهل الحق في هذه الآيات:

مذهب أهل الحق أنّ إبراهيم عليه السلام إنما ذكر ما ذكر على سبيل المحاجة والمناظرة، والتنزّل مع الخصم، ويدلّ على ذلك أمور:

١ - أنّ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ تفيد الترتيب، مما يدل على أن إبراهيم عليه السلام قال مقالته تلك بعد أن رأى ملكوت السموات والأرض، أو بعد مناقشته لأبيه آزر بشأن عدم صلاحية الأصنام للعبادة[1].

٢- قوله تعالى بعد أن ذكر إبراهيم هذه القصة: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾، ولم يقل: على نفسه، فعلم أن هذه المباحثة إنما جرت بين إبراهيم وقومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن يطلب إبراهيم الدين والمعرفة لنفسه.

(١) انظر: "الكشاف" ٢/ ٣٠.

٣- أن قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ معناه هذا ربي في زعمكم واعتقادكم، وهذا الإضمار معروف في العربية، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي ﴾ {فصلت: ٤٧}، أي: في زعمكم واعتقادكم[١].

أو أن يكون المراد الاستفهام على سبيل الإنكار، و المعنى: أهذا ربي؟ وهذا أسلوب معروف في العربية، كقول الله تعالى: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ {الأنبياء: ٣٤} أي: أفهم الخالدون[٢].

الشبهة الثانية: التمسّك بعلم النجوم

أولاً: أصل الشبهة:

قال تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ {الصافات: ٨٨ - ٨٩}.

فقد ذهب جماعة من الرافضة إلى أنّ إبراهيم عليه السلام كان عالماً بأحكام النجوم، وأنه كان مستعملاً له، ونسبوا - زوراً وبهتاناً - إلى جعفر الصادق رحمه الله تفسيراً باطنياً لقوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾، زعموا أنه قال: «حَسَبَ - أي: إبراهيم عليه السلام - فرأى ما يحلّ بالحسين، فقال: «إني سقيم لما يحل بالحسين»[٣]. وقد حكى الفخر الرازي نسبة أحكام النجوم إلى إبراهيم عليه السلام عن بعض العلماء[٤].

(١) انظر: "تفسير القرطبي" ٧/ ٢٦.

(٢) انظر: "تفسير الطبري" ٧/ ٢٥٠.

(٣) انظر: "الأصول من الكافي" ١/ ٣٨٧.

(٤) "التفسير الكبير" للرازي ٢٦/ ١٤٧-١٤٨.

ثانياً: الجواب على الشبهة:

الجواب على هذه الشبهة من وجوه:

١- أنّ ما ذكر عن إبراهيم الخليل عليه السلام من أنه تمسك بعلم النجوم حين قال: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ هو كذب وافتراء على خليل الرحمن عليه السلام، فإنه ليس في الآية أكثر من أنه نظر نظرة في النجوم، ثم قال: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾، فمن ظن من هذا أن علم أحكام النجوم من علم الأنبياء، وأنهم كانوا يراعونه فقد كذب على الأنبياء، ونسبهم إلى ما لا يليق، وهو من جنس من نسبهم إلى الكهانة والسحر، وزعم أن تلقيهم الغيب من جنس تلقي غيرهم[1].

٢- أن الرسل بعثت بمحق الشرك من الأرض ومحق أهله، وقطع أسبابه، ولا شك أن ما وقع فيه قوم إبراهيم عليه السلام من الشرك، فكيف يظن بإبراهيم عليه السلام أنه كان يتعاطى علم النجوم، ويأخذ منه أحكام الحوادث؟ وهذا بلا ريب من أعظم الأسباب المفضية إلى الشرك[2].

واختلف القائلون بتنزيه الخليل عليه السلام عن التنجيم في توجيه الآية:

١- فذهب ابن قيم الجوزية وغيره إلى أنّ النظرة التي نظرها إبراهيم عليه السلام في النجوم كانت من معاريض الأفعال، كما كان قوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾{الأنبياء: ٦٣}، وقوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾، وقوله عن سارة:

(١) انظر: "مفتاح دار السعادة" لابن القيم ٢/ ١٩٦.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٩٧.

«هذه أختي» من معاريض المقال ليتوصل بها إلى غرضه من كسر الأصنام، فلهذا نظر الخليل عليه السلام في النجوم نظر تورية وتعريض محض ينفي به عنه تهمة قومه، ويتوصل إلى كيد أصنامهم[١].

٢- وذهب قتادة إلى أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يلهيهم به، فقال: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم[٢].

والظاهر أن قول قتادة أصوب -والله أعلم- لما يأتي:

١- أن الفعل (نظر) يختلف معناه بحسب ما يتعدى به، فإن تعدى بنفسه فمعناه الانتظار، وإن تعدى بـ (إلى) فمعناه النظر بالأبصار، وإن تعدى بـ (في) فمعناه التفكر والاعتبار[٣]، ويدل لهذا المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾{الأعراف: ١٨٥}، لذا كان معنى نظر هنا: تفكر ليدبر حجة.

٢- إنّ الرسول ﷺ حدد كذبات إبراهيم عليه السلام أنها ثلاث كذبات في قوله: (**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات...**)[٤]، وكلها من المعاريض، وإن اعتبرنا أن هذه من المعاريض أيضاً عدت كذبة رابعة، وهذا مخالف للحصر الوارد في الحديث.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٩٧.

(٢) انظر: "تفسير ابن كثير" ٧/ ٢٤.

(٣) انظر: "لسان العرب" ٥/ ٢١٦-٢١٧.

(٤) متفق عليه، البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا ، رقم: ٣١٩٥ ، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، رقم: ٤٤٧٤.

٣- إن هذا الفعل - وإن صدر على سبيل التعريض - فيه نوع محاباة وتأييد لعبادة النجوم، والمعروف من حال إبراهيم عليه السلام خلاف هذا، كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ {الأنبياء: ٦٠}، ولو علموا أنه وافقهم في مذهبهم لفرحوا بذلك كثيراً، وحاجوا إبراهيم عليه السلام به إذا أنكر عليهم(١).

الشبهة الثالثة: الشكّ في قدرة الله تعالى

أولاً: أصل الشبهة:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ {البقرة: ٢٦٠}، قال بعضهم: في الآية دلالة على أنه لم يكن موقناً بقدرة الله على إحياء الموتى، وهذا شك في قدرة الله، وطعن في كمال ربوبيته(٢).

واستدلوا بقول النبي ﷺ: (**نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال:** ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾)(٣).

ثانياً: الجواب على الشبهة:

---

(١) انظر: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" ٢/ ٧٢٠.

(٢) انظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ٧٤.

(٣) متفق عليه، البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله عز وجل: ونبئهم عن ضيف إبراهيم، رقم: ٣٢٠٨، ومسلم: كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم: ٢٤٢.

يجاب على هذه الشبهة من وجوه:

١- أنّ إبراهيم سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين، فكان سؤاله زيادة لنفسه وطمأنينة لقلبه فيسكن القلب عند المعاينة ويطمئن لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان[١]، لأنّ النفس تجد من الطمأنينة بعلم الكيفية ما لا تجده بعلم الآنية، والعلم في الوجهين حاصل، والشك مرفوع[٢].

٢- أنّ سؤال إبراهيم ربّه عن كيفية إحياء الموتى دليل على يقينه بقدرة الله على الإحياء، وإنما أراد أن يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك، وما شك إبراهيم عليه السلام في أن الله تعالى يحيي الموتى، وإنما أراد أن يرى الهيئة، كما أننا لا نشك في صحة وجود الفيل والتمساح والكسوف وزيادة النهر والخليفة، ثم يرغب من لم ير ذلك أن يرى كل ذلك ولا يشك في أنه حق، لكن ليرى العجب الذي يتمثله ولم تقع عليه حاسة بصره فقط [٣].

٣- أنّ صيغة السؤال دالة على إقرار إبراهيم بقدرة الله على الإحياء، إذ السؤال وقع بـ (كيف) الدالة على حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول، كما تقول: كيف علم فلان؟ فكيف في الآية، سؤال عن هيئة الإحياء، لا عن نفس الإحياء، فإنه ثابت مقرر لدى سيدنا

---

(١) انظر: "التبيان في أقسام القرآن" لابن القيم، ص ١١١.

(٢) انظر: "الأسماء والصفات" للبيهقي ٢/ ٤٨٨.

(٣) انظر: "الفصل في الملل والنحل" ٤/ ٦.

إبراهيم عليه السلام[(١)].

٤- أنّ الله شهد لإبراهيم عليه السلام بالإيمان بالبعث في قوله عز وجل: (أَوَلَمْ تُؤْمِن) والاستفهام هنا تقريري للمنفي، وهو الشك، كأنه قال له: ألست مؤمناً بالبعث؟ فكان جوابه عليه السلام بـ (بلى) لإثبات المنفى وهو الشك، والمعنى: أنا مؤمن بالبعث كما علمت ما في قلبي، لكنني أريد أن يطمئن قلبي برؤية الكيفية فقط، واعتبر بذلك[(٢)].

٥- أنّ الجهل بالكيفية لا يقدح في اليقين بالقدرة إذ ليس من المؤمنين أحد يؤمن بالغيوب وبخلق السموات والأرض إلا وقد يجهل الكيفية، وذلك لا يقدح في إيمانه[(٣)].

٦- قيل: إن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار منـزلته عند ربه وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى (أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ) أي تصدق بمنـزلتك منى وخلتك واصطفائك[(٤)].

روى البيهقي عن عبد الله بن المبارك، في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال: بالخلة، يقول: إني أعلم أنك اتخذتني خليلا[(٥)].

٧- أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت، طلب ذلك من ربه

(١) المصدر السابق ٥/ ٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: "شرح صحيح البخاري" لابن بطال ٩/ ٥٢٩.
(٤) انظر: " الشفا بتعريف حقوق المصطفى" ٢/ ٨٥.
(٥) "الأسماء والصفات" للبيهقي ٢/ ٤٨٨.

ليصح احتجاجه عيانا [١].

٨- أما قول النبي ﷺ: (**نحن أحق بالشك من إبراهيم**).

ليس المقصود منه إثبات الشك والموافقة عليه، وإنما المقصود كما قال العلماء: نفي الشك عن النبي ﷺ وعن إبراهيم الخليل عليه السلام [٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: «أحسن التأويلات وأصحها: أن الشك مستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك، وإنما خص إبراهيم عليه السلام لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك، وإنما رجح إبراهيم على نفسه ﷺ تواضعاً وأدباً» [٣].

وقال ابن حزم رحمه الله: «وهذا الحديث حجة لنا على نفي الشك عن إبراهيم، إذ لو كان الكلام من إبراهيم عليه السلام شكاً لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم عليه السلام أحق بالشك، فإذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم غير شاك فإبراهيم عليه السلام أبعد من الشك» [٤].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٤٨٨، وانظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ٧٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٤٦٥.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ١٨٣.

(٤) "الفصل في الملل والنحل" ٤/ ٦.

المطلب الرابع: ما نُسب ليوسف عليه السلام من الشرك

أولاً: أصل الشبهة:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ {يوسف: ٤٢}.

قالوا في الآية دليل على استعانة يوسف بغير الله تعالى، وهذا قدح في التوكّل، كانت سبباً في معاقبة الله له، بأن لبث في السجن بضع سنين، بدليل قوله تعالى فأنساه فجعلوا الباء سببية عائدة إلى يوسف عليه السلام [(١)].

وذهب إلى هذا التأويل بعض المفسرين كقتادة وعكرمة ومجاهد، والطبري، والألوسي، وغيرهم.

واستدلوا ببعض الأحاديث والآثار على مقالتهم هذه، منها:

الحديث القدسي الذي رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: **(أوحى الله إلى يوسف، يا يوسف من استنقذك من الجب إذْ ألقوك فيه؟ قال: أنت يا رب. قال: من استنقذك من القتل إذ هم إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب، قال: فما لك نسيتني وذكرت آدميًا؟ قال: جزعًا بذنبي، وكلمة تكلم بها لساني. قال: وعزتي لأخلدنك السجن بضع سنين)**[(٢)].

---

(١) انظر: "تفسير الطبري" ١٦/ ١١، وروح المعاني ٩/ ٢٥.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٣٧١، رقم: ١٢٤٩٥. وهذا الحديث ضعيف جداً كما سيأتي بيانه في ص: ٦٨ من هذا البحث.

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**لو لم يقل يوسف** - يعني الكلمة التي قال- **ما لبث في السجن طول ما لبث** - يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله»[١].

• وعن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أنه** - يعني يوسف- **قال الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث**» [٢].

وروي هذا الحديث أيضاً عن الحسن، وقتادة مرسلاً [٣].

ومن الآثار المروية في هذا الشأن:

• عن مالك بن دينار قال: «لما قال يوسف للساقي: ﴿ أَذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾، قال: قيل: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلا؟ لأطيلن حبسك! فبكى يوسف وقال: يا ربّ، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي»[٤].

وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره جملة من الآثار في هذا المعنى عن الحسن البصري، ومجاهد، وغيرهما [٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١/ ١٢٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٣٩، مطولا، قال: "رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي، وهو متروك".

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٣٦٩، والطبري في تفسيره ١٦/ ١١٢. وهو حديث ضعيف معلول كما سيأتي بيانه في ص: ٦٩ من هذا البحث.

(٣) انظر: "تفسير الطبري" ١٦/ ١١٢.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٣٦٩، والطبري في تفسيره ١٦/ ١١٢.

(٥) انظر: "تفسير الطبري" ١٦/ ١١٢-١١٣.

ثانياً: الجواب على الشبهة:

يجاب على هذه الشبهة من وجوه:

١- لا يُسلم أنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ عائد على يوسف عليه السلام، وذلك لأمور:

- أنّه الأنسب في السياق، لقوله ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾، أي: سيدك، ثم قال: ﴿ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾، فالرب في الموضعين واحد، وهو سيد الناجي(١).

- أنّ الله تعالى قال بعد ذلك: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾{يوسف: ٤٥}، فالذكر المقابل للنسيان نسب هاهنا للناجي، ولم ينسب ليوسف عليه السلام، فدلّ ذلك أنّ النسيان في قوله: ﴿ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ إنما هو نسيان الناجي(٢).

- أنّ الضمير في قوله: ﴿ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ يعود لأقرب مذكور إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، وأقرب مذكور ها هنا هو الناجي(٣).

٢- أنّ يوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربه، بدليل:

أنه دعا صاحبيه قبل ذلك لله تعالى بقوله: ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ

---

(١) انظر: "فتح القدير" للشوكاني ٤/ ٣٥.

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ١٥/ ١١٢.

(٣) المصدر السابق ١٥/ ١١٢.

مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {يوسف: ٣٩ – ٤٠}، ثم عبّر لهما الرؤيا، ثم طلب من الناجي أن يذكره عند سيده، فكيف يكون ناسياً لربه ومولاه؟ (١).

٣- أنّ يوسف عليه السلام تبرأ من الشرك قبل هذه المقالة، بقوله: ﴿ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾{ يوسف: ٣٨}، وذلك نفي للشرك على الإطلاق، وتفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى، فرجوعه لغير الله تعالى كالمناقض لذلك التوحيد(٢).

٤- أنه ليس في قوله: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ ما يناقض التوكّل، وذلك من وجوه:

• أنّ يوسف عليه السلام أقرّ قبل ذلك بأنّ الحكم لله تعالى وحده، فقال: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ ﴾ {يوسف: ٤٠} فأخذه بالأسباب مع اعترافه وتفويضه الحكم لله لا يقدح في التوكّل البتّة (٣).

• أنّ صنيع يوسف عليه السلام كصنيع أبيه يعقوب عليه السلام من قبل، حينما أخذ بالأسباب فقال: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ

(١) المصدر السابق ١٥/ ١١٢.
(٢) انظر: روح المعاني ٩/ ٢٥.
(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ١٥/ ١١٣.

مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ {يوسف: ٦٧}، فاجتمع الأخذ بالأسباب والتوكّل ها هنا، كما اجتمعا ليوسف بعد ذلك[(١)].

٥- أنّ الله تعالى قد شهد ليوسف عليه السلام أنه من عباده المخلصين، في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ {يوسف: ٢٤} والمخلص لا يكون مخلصا مع توكله على غير الله؛ فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركاً لا في عبادته ولا توكله.

٦- أنّ يوسف عليه السلام قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ {يوسف: ٣٣}، فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده ؟[(٢)].

٧- أن طلب يوسف عليه السلام من الناجي أن يذكره عند سيده، مثل طلبه بعد ذلك للولاية لمصلحة دينية في قوله: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ {يوسف: ٥٥}، لم يكن هذا مناقضا للتوكل ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه، فكيف يكون قوله للفتى: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ مناقضا للتوكل، وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به ليعلم حاله ليتبين الحق[(٣)].

٨- أنّ سجن يوسف عليه السلام لم يكن عقوبة من الله له، لذنب اقترفه،

(١) المصدر السابق ١٥/ ١١٣.

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ١٥/ ١١٤.

(٣) انظر: روح المعاني ٩/ ٢٦.

وإنما كان كرامة من الله في حقه؛ ليتم بذلك صبره وتقواه فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال؛ ولهذا قال: ﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ {يوسف: ٩٠}، ولو لم يصبر ويتق بل أطاعهم فيما طلبوا منه جزعاً من السجن، لم يحصل له هذا الصبر والتقوى، وفاته الأفضل باتفاق الناس(١).

٩- أن يوسف عليه السلام لم يفعل ذنبا ذكره الله عنه، وهو سبحانه لا يذكر عن أحد من الأنبياء ذنبا إلا ذكر استغفاره منه، ولم يذكر عن يوسف استغفارا من هذه الكلمة، فتبيّن أنها لم تكن ذنباً أو شركاً(٢).

١٠- أنّ الأحاديث التي استدلوا بها على نسبة الشرك ليوسف غاية في الضعف، لا يصح منها شيء، وبيان ذلك كالآتي:

أ- الحديث القدسي:

فإنّ القصة واهية والحديث منكر، وعلته: (سلام بن أبي الصهباء) وهو ضعيف منكر الحديث لا يحتجّ به(٣).

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ١٥/ ١١٥.

(٢) المصدر السابق ١٥/ ١١٥.

(٣) قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ١٨٠: "سلام بن أبى الصهباء، أبو المنذر البصري الفزاري.عن ثابت، وقتادة.ضعفه يحيى.وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.وقال البخاري: منكر الحديث".

ب- أما الأحاديث المرفوعة:

فهذه الأحاديث رويت مسندة موصولة إلى النبي ﷺ ومرسلة.

• أما المسند منها فهو من رواية: سفيان بن وكيع عن عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً، وهو معلول بعلتين:

١- سفيان بن وَكِيع متّهم بالكذب(١).

٢- وإبراهيم بن يزيد - هو الخُوزي - متروك(٢).

• أما الروايات المرسلة، فإن المرسل لا يحتجّ به، لأنّه - كما هو معلوم عند جماهير المحدثين - في عداد الحديث الضعيف، وذلك لجهالة الواسطة، واحتمال أن يكون غير صحابي، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة وغير ثقة، فلا يؤمن أن يكون كذاباً(٣).

ج- أما الآثار: فهي أقوال رجال، لا يصادم بها صريح النص، والحق الثابت بالحجة والبرهان.

---

(١) قال أبو زرعة وغيره: يتّهم بالكذب، انظر: الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي ٢/ ٤٠٤.

(٢) قال الإمام أحمد: متروك، انظر: تهذيب الكمال ١/ ٤٥٢.

(٣) انظر: "مقدمة ابن الصلاح" ص ٣١.

المطلب الخامس: ما نُسب لشعيب عليه السلام من الشرك

أولاً: أصل الشبهة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴾ {الأعراف: ٨٨ - ٨٩}.

قال المتأوّلون: إنّ شعيباً عليه السلام كان على دين قومه من الكفر والشرك قبل أن ينجيه الله من ذلك، ويصطفيه بالنبوّة [١].

ثانياً: الجواب على الشبهة:

يجاب على هذه الشبهة الواهية من وجوه:

١- أنّ قولهم: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ ﴾ عطفوا على ضميره، الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم، قالوا: ﴿ لَتَعُودُنَّ ﴾ فغلبوا الجماعة على الواحد، فجعلوهم عائدين جميعاً، إجراءاً للكلام على حكم التغليب.

وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال: ﴿ إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ ﴾ وهو يريد عود قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم، وإن

---

(١) انظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ١٠٠.

كان بريئاً من ذلك، إجراء لكلامه على حكم التغليب[١].

٢- أنّ العود عند العرب يطلق على الصيرورة والابتداء كما تقدّم[٢]، فالعود قد يستعمل فيما لم يكن فيه قط.

٣- أنّه على التسليم بأنّ المراد بالعود في الآية الرجوع، فإنه يوجّه بتوجيهات:

• منها: أن العود المقابل للخروج، هو العود إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها. والجار والمجرور حال، أي: ليكن منكم الخروج من قريتنا، أو العود إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها، داخلين في ملتنا.

• ومنها: أن العود المذكور إلى ما خرج منه، وهو القرية. والمجرور حال كالسابق، أي: ليكن منكم الخروج من قريتنا أو العود إليها، كائنين في ملتنا. وعُدِّي عاد بفي كأن الملة لهم منزلة الوعاء المحيط بهم.

• ومنها: أن هذا القول جار على ظنهم أنه كان في ملتهم، لسكوته قبل البعثة عن الإنكار عليهم.

• ومنها: أنه صدر عن رؤسائهم تلبيساً على الناس، وإيهاماً لأنه كان على دينهم، وما صدر عن شعيب عليه السلام كان على طريق المشاكلة[٣].

٤- أمّا قوله: ﴿ بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾، فإنّ النجاة قد تستعمل فيما لم

---

(١) انظر: "الكشاف" للزمخشري ٢/ ١٢٢، و"تفسير آيات أشكلت" ١/ ١٦٩.

(٢) انظر: ص (١٨) من هذا البحث.

(٣) انظر: "مفاتيح الغيب" ٧/ ١٨٧.

تكن فيه، فإنّ السالم مما ابتلي به غيره يقول: الحمد لله الذي نجانا مما ابتلى به فلاناً[(١)].

٥- أنّ الكناية في قوله: ﴿ بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾ يرجع إلى الملّة، ويجوز أن يكون شعيب قبل الوحي مكلّفاً بتلك الملّة، ثم صارت منسوخة، فدعوه إليها مرّة أخرى فأجابهم شعيب عليه السلام بأنّه ليس له أن يعود إليها بعد نسخها[(٢)].

---

(١) انظر: "عصمة الأنبياء" للرازي، ص ١٠٠.

(٢) انظر: المصدر السابق.

المطلب السادس: ما نُسب لنبينا محمد ﷺ من الشرك

الشبهة الأولى: الهداية بعد الضلال:

أولاً: أصل الشبهة:

قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ {الضحى: ٧}.

قالوا: إنّ النبي ﷺ كان على الكفر والضلالة قبل أن يمنّ الله عليه بالرسالة، وهذا تأويل بعض أئمة التفسير.

قال الكلبي: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد، وقال السدي: كان على دين قومه أربعين سنة، وقال مجاهد: وجدك ضالاًّ عن الهدى لدينه(١).

ثانياً: الجواب على الشبهة:

أنّ الضلال هو الذهاب والانصراف، ولا بدّ من أمر يكون منصرفاً عنه، وهو غير مذكور في الآية، وقد قدّره العلماء بعدّة أمور، منها:

• وجدك ضالاً عن النبوّة فهداك إليها، ويؤكّده قوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ {الشورى: ٥٢}.

ويدلّ عليه ما روي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب: «ووجدك ضالاً عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها

(١) رواها الطبري في تفسيره ٢٤/ ٤٨٨.

فهداك إليها»[١].

• وجدك ضالاً في زمان الصِّبا في بعض المفاوز، حيث ذكر البغوي أنّ النبي ﷺ ضلّ في شعاب مكة وهو صغير، ثم رجع. وقيل: إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبًا ناقة في الليل، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق[٢].

• وجدك ضالاً أي مضلولاً عنه في قومه، لا يعرفون حقّك، فهداهم إلى معرفتك، كما يقال: فلان ضال في قومه إذا كان مضلولاً عنه[٣].

يقال: ضل الماء في الليل إذا صار مغموراً، فمعنى الآية كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه[٤].

• أنّ العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة، كأنه تعالى يقول: كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان بالله ومعرفته إلا أنت، فأنت، شجرة فريدة في مفازة الجهل، فوجدتك ضالاً فهديت بك الخلق.

• أنه قد يخاطب السيد، ويكون المراد قومه فقوله: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١/ ٧٩.

(٢) انظر: "تفسير ابن كثير" ٨/ ٤٢٦.

(٣) انظر: "عصمة الأنبياء" ص ١٣٧.

(٤) انظر: "تفسير الرازي" ١٧/ ٧٩.

أي: وجد قومك ضلالاً، فهداهم بك وبشرعك.

• وجدك ضالاً عن الهجرة، متحيراً في يد قريش متمنياً فراقهم، وكان لا يمكنك الخروج بدون إذنه تعالى، فلما أذن له ووافقه الصديق عليه وهداه إلى خيمة أم معبد، وكان ما كان من حديث سراقه، وظهور القوة في الدين كان ذلك المراد بقوله: ﴿ فَهَدَىٰ ﴾.

• وجدك ضالاًّ عن القبلة، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له، وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا، فهداه الله بقوله: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ {البقرة: ١٤٤} فكأنه سمى ذلك التحير بالضلال.

• أنه حين ظهر له جبريل عليه السلام في أول أمره ما كان يعرف أهو جبريل أم لا، وكان يخافه خوفاً شديداً، فهداه الله حتى عرف أنه جبريل عليه السلام.

• أنّ الضلال بمعنى المحبة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ {يوسف: ٩٥} أي محبتك، ومعناه أنك محب فهديتك إلى الشرائع التي بها تتقرب إلى خدمة محبوبك.

• ضالاًّ عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها، ثم هديتك حتى ربحت تجارتك، وعظم ربحك

• ووجدك ضالاًّ، أي ناسياً لقوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ {البقرة:

٢٨٢} فهديتك أي ذكرتك[١].

الشبهة الثانية: قصة الغرانيق

أوّلاً: أصل الشبهة:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾{ الحج: ٥٢}.

قالوا: إنّ ظاهر الآية يدلّ على أنّ الشيطان مُلْقٍ في قراءة الأنبياء ما يؤدي إلى الشبهة.

وذُكِرَ أنّ سبب نزول هذه الآية؛ ما روي أن النبي ﷺ لما نزلت عليه سورة النجم. قرأها في المسجد الحرام حتى بلغ: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ {النجم: ١٩-٢٠} ألقى الشيطان على لسانه « **أولئك الغرانيق العلا. وأن شفاعتهن لترتجى**» ثم ختم السورة وسجد. وسجد معه المسلمون والمشركون، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود، ورضي بذلك كفار قريش، وسمع بذلك من هاجر لأرض الحبشة. فأنكر جبريل على النبي ﷺ ما قرأه، وشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[٢].

---

(١) انظر الأوجه السابقة في: "النكت والعيون" للماوردي ٤/ ٤٣٠، و"تفسير الرازي" ١٧/ ٧٩.

(٢) هذا الحديث أخرجه: ابن جرير فى تفسيره ١٧/ ١٨٦، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٨/ ٢٥٠٠، =

وقد ذهب إلى هذا التأويل جماعة من المفسرين، والمحدثين، وجعل منها المستشرقون مطيّة للطعن في عصمة النبي ﷺ، مـن تسـلط الشـيطان عليـه، وعصمته في بلاغه لوحي الله تعالى [١].

ثانياً: الجواب على الشبهة:

أ- بالنسبة لاستدلالهم بآية التمنّي

ليس في الآية دليل على ما ذهبوا إليه، وذلك لما يأتي:

١ - أنّ الله تعالى نفى عن نبيه التغيير والتبديل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ الحاقة: ٤٤

=

وابن المنذر، ثلاثتهم من طرق عن سعيد بن جبير مرسلاً، ووصلها البزار في مسنده. وكذا الطبراني، وابن مردويه، والضياء في المختارة من طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال ابن جبير فيما أحسب، شك في أن القصة بمكة.

وأخرجه النحاس بسند فيه الواقدي عن ابن عباس، وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وابن جرير في تفسيره ١٧/ ١٨٦ من طريق العوفي عنه، وعن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبي العالية، وكلها مرسلة، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٢٥٠٢، عن السدي، وموسى بن عقبة في المغازي عن الزهري، ومن طريق موسى بن عقبة أخرجه البيهقي فى دلائل النبوة ٢/ ٢٨٥.

ورواها الطبراني مرسلة عن عروة بن الزبير، وفى سنده ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا منه، كما قال الهيثمي فى مجمع الزوائد ٧/ ٧٢. وينظر: ٦/ ٣٢ - ٣٤، والمعنى فى الروايات السابقة كلها للقصة واحد، كما قال الحافظ فى فتح البارى ٨/ ٢٩٣.

انظر طرق القصة وافية في كتاب: " نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق" للعلامة الألباني رحمه الله. وهو حديث باطل كما سيأتي بيانه في ص: ٨٠ من هذا البحث.

(١) انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص٣٤.

-٤٦، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ {يونس: ١٥}.

٢- أنّ التمنّي في اللغة جاء لأمرين:

أحدهما: تمني القلب.

والثاني: التلاوة والقراءة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ {البقرة: ٧٨}، أي: إلاّ قراءة، لأنّ الأميّ لا يعلم القرآن من المصحف وإنما يعلمه قراءة.

ومنه قول حسّان رضي الله عنه:

تمنــى كتــاب الله أول ليلــة وآخرها لاقى حمام المقادر

وإنما سميت القراءة أمنية، لأنّ القارئ إذا انتهى إلى آية عذاب تمنّى أن لا يبتلى به(٢). وقيل: لأنّ التالي يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئاً فشيئاً.

والمراد بذلك هنا عند كثير القراءة، والآية مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم بأن السعي في إبطال الآيات أمر معهود وأنه لسعي مردود، والمعنى وما أرسلنا من قبلك رسولاً ولا نبياً إلا وحاله أنه إذا قرأ شيئاً من الآيات ألقى الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرؤه على أوليائه ليجادلوه بالباطل ويردوا

(١) انظر: كتاب "العين" للفراهيدي ٨/ ٣٩٠.

(٢) انظر: "عصمة الأنبياء" ص ١٤٠.

ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ ﴾ {الأنعام: ١٢١} ، وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ {الأنعام: ١١٢} ، وهذا كقولهم عند سماع قراءة الرسول ﷺ: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾ {البقرة: ١٧٣} إنه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح الله تعالى، وقولهم على ما في بعض الروايات عند سماع قراءته ﷺ: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾{الأنبياء: ٩٨} إن عيسى عبد من دون الله تعالى والملائكة عليهم السلام عبدوا من دون الله تعالى: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي: فيبطل ما يلقيه من تلك الشبه ويذهب به بتوفيق النبي ﷺ لرده أو بإنزال ما يرده[(١)].

ب- بالنسبة لاستدلالهم بقصة الغرانيق

هذه القصة باطلة مختلقة، ويدلّ على ضعفها أمور:

١- بطلانها من جهة المتن:

• القصة مخالفة لحقائق تاريخ السيرة العطرة، إذ أن سورة النجم تحمل الحديث عن المعراج، وكان المعراج بعد السنة العاشرة من البعثة باتفاق، أما قصة الغرانيق هذه فإن رواياتها تبين أنها كانت في السنة الخامسة للبعثة، إبان الهجرة الأولى للحبشة، في رمضان منها؛ وهذا مما يؤكد بطلان تلك

---

(١) انظر: "روح المعاني" للألوسي ١/ ٤٦٣.

المرويات، ويحقق كذبها ووضعها على رسول الله ﷺ.

• يضاف إلى ذلك أن الرسول ﷺ قَبْلَ إسلام عمر رضي الله عنه، ما كان يصلي عند الكعبة جهاراً نهاراً آمناً أذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلي إذا خلا المسجد منهم، وعمر رضي الله عنه قد أسلم في السنة السادسة، وهذه في الخامسة، وبذلك يبطل هذا القول، وهو صلاته بحضورهم على هذه الهيئة[(١)].

٢- ذهب جماهير علماء الأمة من المحدثين والمحققين إلى إنكار القصة، والجزم بوضعها واختلاقها، ومن نماذج أقوالهم:

قال ابن حزم رحمه الله: «وأما الحديث الذي فيه: (**وأنهن الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى**) فكذب بحت موضوع، لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد»[(٢)].

وقال القاضي عياض رحمه الله: «إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم... ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين التابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها، ضعيفة واهية،

---

(١) انظر: "الفصول الزكية في سيرة خير البرية" لعبد الموجود عبد اللطيف ص٢٨٤، ٢٨٥

(٢) "الفصل في الأهواء والنحل" ٢/ ٣١١.

والمرفوع فيه حديث ابن عباس»[١].

وقال الرازي: «أهل التحقيق قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، ونقل عن الحافظ ابن خزيمة، أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً، كما حكى عن الإمام البيهقي قوله: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم»[٢].

وهذا هو مذهب أكثر المفسرين والمحدثين، وممن ذهب إليه الجصاص، وابن عطية وأبو حيان، و السهيلي، و الفخر الرازي، والقرطبي، وابن العربي، والآلوسي، وأبو السعود، والبيضاوي، والقاسمي والشنقيطي، والمنذري، والطيبي، والكرماني والعيني وغيرهم.

٣- إنّ قصة الغرانيق لم ترو موصولة إلا عن ابن عباس، ورويت مرسلة عن عدد من التابعين.

وجميع الطرق الموصولة إلى ابن عباس واهية شديدة الضعف لا يصح منها شيء ألبتة كما قال المحدثون.

وأما المرسلة فلا يصح منها إلا أربع روايات، وهي: رواية سعيد بن جبير و أبي العالية و أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وقتادة.

وهذا الروايات وإن صحت إليهم فإن ذلك لا يعني قبولها، والاعتماد

(١) "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" ٢/ ١٢٥.

(٢) "تفسير الرازي" ١١/ ١٣٤.

عليها لأنها مراسيل، والمرسل- كما هو معلوم عند جماهير المحدثين - في عداد الحديث الضعيف، وذلك لجهالة الواسطة، واحتمال أن يكون غير صحابي، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة وغير ثقة، فلا يؤمن أن يكون كذاباً.

قال الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه: «والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة »[1].

ومثله قال الإمام ابن الصلاح رحمه الله في مقدمته: «... وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضَعفه، هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفّاظ الحديث، و نقاد الأثر، و قد تداولوه في تصانيفهم »[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما أحاديث سبب النزول فغالبها مرسل ليس بمسند ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: «ثلاث علوم لا إسناد لها، وفي لفظ ليس لها أصل: التفسير والمغازي والملاحم ويعني أن أحاديثها مرسلة»[3].

ولو نظرنا فيمن صحت عنه هذه المراسيل لوجدناهم من طبقة واحدة، فوفاة سعيد بن جبير سنة (٩٥) وأبي بكر بن عبد الرحمن سنة (٩٤)، وأبي العالية سنة (٩٠)، وقتادة سنة بضع عشرة ومائة، والأول كوفي، والثاني مدني، و الأخيران بصريان.

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٣.
(٢) "مقدمة ابن الصلاح" ص ٣١.
(٣) "منهاج السنة النبوية" ٧/ ٤٣٥.

فجائز أن يكون مصدرهم الذي أخذوا عنه هذه القصة واحداً، وجائز أن يكون جمعاً ولكنهم جميعاً ضعفاء، ومع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقَبول حديثهم هذا، لا سيّما في مثل هذا الأمر العظيم الذي يمسّ مقام النبوة، فلا جرم حينئذ أن يتتابع العلماء على إنكار هذه الرواية والتنديد ببطلانها[1].



(١) للاستزادة حول الروايات والطرق يرجع إلى كتاب الشيخ الألباني رحمه الله: "نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق"، وكتاب "التحقيق في قصة الغرانيق" لأحمد بن عبد العزيز القصير.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث؛ توصل الباحث إلى نتائج عدة أبرزها ما يأتي:

١- أنّ عصمة الأنبياء شاملة لنواحي الاعتقاد والتبليغ والفتوى، وهم مبرؤون منزهون من كبائر الذنوب، أما الصغائر فقد تقع منهم دون إصرار، ولكن تعقبها توبة ومغفرة.

٢- أنّ الأنبياء مبرؤون من الوقوع في الشرك قبل النبوة وبعدها.

٣- أنّ آدم مبرّأ من الشرك، ولا يصح ما نسب إليه من تسمية ولده بعبد الحارث، لضعف الرواية الواردة في ذلك، ولكون الضمير في الآية عائد إلى ذريته.

٤- أنّ إبراهيم منزّه من نسبة اعتقاده ربوبية الكواكب قبل نبوّته وبعدها، وما جرى ذكره في سورة الأنعام إنما كان في مقام المناظرة والمجادلة.

٥- أنّ إبراهيم مبرّأ من اعتقاد علم النجوم والأخذ به، وإنما نظر في النجوم للتفكر وليس للاستدلال بها.

٦- أنّ إبراهيم إنما سأل ربه كيفية إحياء الموتى مع يقينه بكمال قدرة الله، فهو سأل الارتقاء من علم اليقين إلى عين اليقين، وليس في ذلك شك.

٧- أن يوسف مبرّأ من الشرك والاستعانة بغير الله، وأخذه بالأسباب مع تفويضه الحكم لله ليس بقادح في توكّله على ربّه ومولاه.

٨- براءة شعيب من الشرك، لأنّ المراد بالعود في آية الأعراف هو الابتداء والصيرورة.

٩- براءة النبي ﷺ من الضلال، لأنّ المراد بالضلال في سورة الضحى هو الضلال عن النبوّة، أو الهجرة أو القبلة أو غير ذلك.

١٠- أنّ قصة الغرانيق باطلة سنداً ومتناً، وليس في آية التمني مطعن للنبي ﷺ.

فهرس المراجع

١. الأسماء والصفات: لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة، الطبعة: الأولى.

٢. الأصول من الكافي: للكليني، دار الكتب الإسلامية طهران الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- ١٤١٥هـ.

٤. بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣.

٥. البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض. الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٢٢هـ.

٦. البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف – بيروت.

٧. البرهان القاطع في إثبات الصانع: لمحمد بن إبراهيم الوزير اليماني، تحقيق: مصطفى عبد الكريم الخطيب، طبعة دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي. تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو. الطبعة الأولى، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٦ هـ.

٩. تاريخ الشعوب الإسلامية: لكارل بروكلمان، ترجمة، تحقيق: نبيه أمين فارس-منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٥م.

١٠. التبيان في أقسام القرآن، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الفكر.

١١. التحقيق في قصة الغرانيق: لأحمد بن عبد العزيز القصير.

١٢. التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية: ١٤١٥ هـ.

١٣. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني. تحقيق: إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي- بيروت -، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤. تفسير ابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المكتبة العصرية – صيدا، لبنان.

١٥. تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء. دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ هـ.

١٦. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، لأبي الحسن محمد بن الحسين البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك دار النشر: دار المعرفة – بيروت.

١٧. تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ.

١٨. تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار النشر: دار الشعب – القاهرة.

١٩. تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب، بل لا يوجد فيها إلاّ ما هو خطأ، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٠. تنزيه الأنبياء، للشريف المرتضى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية: ١٤٠٩ هـ.

٢١. تهذيب التهذيب، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل مرشد، إبراهيم الزيبق. مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٦ هـ.

٢٢. تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي. تحقيق: د. بشار عواد معروف. الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة -بيروت- ١٤٠٠هـ.

٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق. مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى. ١٤٢٣ هـ.

٢٤. الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٢٧١ هـ.

٢٥. الدر المنثور في التأويل بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م.

٢٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث –الطبعة الأولى– ١٤٠٨هـ.

٢٧. الرسل والرسالات: لعمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح – دار النفائس، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ.

٢٨. روح البيان: لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي.

٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – بيروت.

٣١. شرح الخريدة البهية، للدردير مع حاشية الصاوي على شرح الخريدة، مطبعة الاستقامة بمصر.

٣٢. شرح صحيح البخاري، لأبي الحسين علي بن خلف بن عبد الله بن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر إبراهيم. مكتبة الرشد: ١٤٢٠ هـ، الطبعة الأولى.

٣٣. شرح صحيح مسلم للنووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.

٣٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، دار الفكر، ١٤٢٣ هـ.

٣٥. الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي، تأليف: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي أبو زرعة، تحقيق: د. سعدي الهاشمي، الناشر: الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م.

٣٦. عصمة الأنبياء: لفخر الدين الرازي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ.

٣٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين الحسن النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٦ هـ.

٣٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبي محمد. مكتبة الخانجي – القاهرة.

٣٩. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال.

٤٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤١. اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني، دار الإيمان القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

٤٢. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور. دار صادر – بيروت. اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية

٤٣. مجموع الفتاوى، لأحمد عبد الحليم بن تيمية مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٤٤. محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى: ١٣٧٦ هـ.

٤٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٤٦. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس ين زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت–.

٤٧. المغني في الضعفاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٤٨. مفاتح الغيب: (التفسير الكبير)، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي. دار الكتب العلمية –بيروت– ١٤٢١هـ، الطبعة: الأولى.

٤٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية). دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٠. مفردات ألفاظ القرآن، تأليف: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم ـ دمشق.

٥١. مقدمة ابن الصلاح: لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مكتبة الفارابي، الطبعة: الأولى ١٩٨٤ م.

٥٢. منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى.

٥٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م.

٥٤. نسيم الرياض شرح الشفا: لشهاب الدين أحمد الخفاجي، المطبعة الأزهرية المصرية.

٥٥. نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق: لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٧ هـ.

٥٦. النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -.

٥٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الفيحاء - عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٥٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ.

فهرس الموضوعات

الآغاخانية

إعداد الدكتور:

أحمد بن عبد الله آل سرور الغامدي

أكاديمي سعودي، أستاذ الدراسات العليا المشارك بقسم

الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أكمل الدين وأتم النعمة، فله جل وعلا الثناء الحسن والمنة، وصلى الله على رسولِ الهدى والرحمة، الذي كشف به سبحانهُ وتعالى الغمة، وأقام به الحجة، فتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[1]، فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى من سار على نهجه واقتفى أثره واهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله تعالى رضي لنا الإسلام ديناً، ومحمداً ﷺ نبياً، الذي ما ترك عليه الصلاة والسلام أمته إلا وقد بيّن لها كل أمور دينها، فليس لأحد أن يشرّع، أو يستدرك، أو يزيد أو ينقص مما شرعهُ اللهُ جل وعلا.

وقد سار الصحابة ﭫ على غايةٍ من الاتباع، لا يحيدون عن الكتاب والسنة، فسادوا العالم، ودانت لهم حصون فارس والروم، وما كان هذا ليرضي أعداء الله جل وعلا، فأخذوا في نشر كيدهم، وبث آرائهم، ليوهنوا في عضد الأمة، فعن طريقهم ثارت الفتنة، ووقعت الفرقة، ونشبت الحروب بين المسلمين، وما كيد اليهود والنصارى قديما وحديثا عن الذهن ببعيد، وقد أخبر تبارك وتعالى عن حقيقتهم فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ

---

(١) أخرج ابن ماجه عن العرباض بن سارية، قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال قد تركتكم على البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...) سنن ابن ماجه، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٢٠-٢١) حديث رقم (٤٣). وقال الشيخ الألباني: صحيح. سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ {البقرة: ١٢٠}.

وقد علم الأعداء، بل تيقنوا أن المسلمين في غايةٍ من القوةِ ما تمسكوا بدينهم، واتبعوا سنةَ نبيهم، لهذا لجأوا إلى محاربةِ هذا الدين وأهله، ومن أساليبهم لمحاربته، اتخاذهم من الدعوةِ لآل بيت النبوة ذريعة لنشر كيدهم، وتحقيق غاياتهم، فادعوا محبتهم، وتستروا بالانتصار لهم، وزعموا لأنفسهم أنهم من شيعتهم.

والتشيّع لآل البيت مر بمراحل، إذ لم يكن يتجاوز في بداية ظهوره المحبة - ومن ذا الذي ينكر حب آل البيت، وحقوقهم، وما يجب لهم؟!!!- إلى أن أصبح ستاراً لأهل الإلحاد والزندقة، وانقسم أهله حينئذٍ إلى طوائف عديدة، من أبرزها غلواً طائفة "الإسماعيلية" والتي لا تزال بأفكارها الباطنية حتى يومنا هذا، وإن ظهرت بمسميات أخرى، ومن أبرزها طائفة "الآغاخانية" ومن هنا رأيتُ أهمية الكتابة عن هذه الطائفة، ومما دفعني لذلك أيضاً الأمور الآتية:

١- ظن بعض المسلمين أن هذه الطوائف الباطنية لم يعد لها وجود في هذه الأزمنة.

٢- ظهورها تحت مسميات جديدة مما جعل أمرها يلتبس على بعض الناس خاصة أنها تقدم في بعض الأحيان ما يكون في صالح المسلمين في البقاع التي تتواجد بها.

٣- تصدي أتباع هذه الأفكار إلى إخراج التراث الإسماعيلي القديم والزعم أنه يمثل ويجسد الثقافة الإسلامية الصحيحة، وأن هذه الدعوة

الباطنية تمثل ملجأ لكل مظلوم.

٤- الخداع الذي تمارسه مؤسسات الآغاخان في هذه الأزمنة، وما تبذلهُ من مساعداتٍ اقتصادية واجتماعية، من أجل بسط سلطان هذه الطائفة ونشر فكرها.

وقد جاءت هذه الدراسة المختصرة في مقدمةٍ وعدةِ مباحث:

أما المقدمةُ فقد أشرتُ فيها إلى كيدِ الأعداء لهذا الدين وأهله، كما ضمنتها بعض الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع.

أما المبحث الأول: فعن نشأة الإسماعيلية وبعض حركاتها، وأشرتُ فيه إلى بطلان زعمهم في انتسابهم لآل البيت.

والمبحث الثاني: عن الأئمة الآغاخانية، وأشرت فيه إلى أثر الاستعمار في التمكين لهم ونشر مذهبهم.

أما المبحث الثالث: فكان عن عقائد الآغاخانية، وبينت فيه الترابط والصلة بين الأفكار الآغاخانية والإسماعيلية الباطنية، وأن أفكار المتأخرين منهم هي بذاتها الأفكار الإلحادية التي قال بها أسلافهم.

أما المبحث الرابع فكان عن موقف الآغاخانية من الشريعة الإسلامية، وتحدثت فيه عن زعمهم أن الشريعة الإسلامية منسوخة، وأن النصوص الشرعية لها ظاهر وباطن، وأن ظاهرها غير مراد، وبينت فيه موقفهم من حجاب المرأة، ومناداتهم بوحدة الأديان.

أما المبحث الخامس: فعن بعض مظاهر الآغاخانية الدينية والاجتماعية، وبينت فيه حقيقة عبادتهم، وأشرت إلى مزاراتهم وأعيادهم،

وبينت أنهم ينطلقون في عباداتهم وعاداتهم من خلال عقيدتهم الباطنية.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج وبعض التوصيات، والله تعالى أسأل السداد والإعانة.

المبحثُ الأول: نشأةُ الإسماعيلية

تعدّ الإسماعيلية واحدة[١] من أكبر الفرق الباطنية[٢]، وهي تنسب لـ "إسماعيل بن جعفر الصادق"[٣] وهو الإمام السابع في سلسلة الأئمة الإثني عشر، ومن المعلوم أن الإماميةَ يتفقون إلى الإمام السادس، ثم بعد ذلك يختلفون[٤]، فمن قال بإمامة "إسماعيل بن جعفر" سموا بالإسماعيلية، ومن قال بإمامة "موسى الكاظم"[٥] سموا بالموسوية، وعلى هذا

---

(١) الفرق الكبرى الباطنية إضافة إلى الإسماعيلية هي: النصيرية، الدروز. انظر: أصول الإسماعيلية (١/ ٢٢٦). الدكتور سليمان السلومي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م، دار الفضيلة، الرياض، السعودية.

(٢) يقول الغزالي عن سبب تسميتهم بالباطنية: (إنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة...). فضائح الباطنية (٢١- ٢٢). تحقيق محمد علي القطب، المكتبة العصرية. بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. وانظر: القرامطة لابن الجوزي (٣٦- ٣٧). تحقيق محمد الصباغ، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، المكتب الإسلامي، بيروت. وهو مأخوذ من المنتظم لابن الجوزي رحمه الله.

(٣) ولد سنة ١١٠ هـ، بالمدينة النبوية، وهو الابن الأكبر لجعفر الصادق، ويرى الإسماعيلية أن الأب نص على إمامته في حياته، إلا أنه مات في حياة أبيه سنة ١٣٨هـ، وكثرت الأقوال في موته أو بقائه. انظر عن ترجمته: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (١٢٣-١٢٩). الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٤) انظر: الملل والنحل (١٦٥). الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. أصول الإسماعيلية (١/ ٢٠٣).

(٥) الإمام، القدوة، كثير العبادة والاجتهاد فيها، كان سخيا كريماً، ولد سنة ١٢٨ هـ، بالمدينة، ومات سنة ١٨٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧٠-٢٧٤). للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، بيروت، لبنان.

فالإسماعيلية نشأت بعد الإمام السادس على وجه التحديد، والقول إن نشأتهم في هذا الوقت، لا يعني عدم وجود الاختلاف في الآراء، بل الاضطراب فيها حول بداية تكوين هذه الدعوة، على أن الأمر الأهم حين الحديث عن النشأة، هو الإشارة إلى أن "إسماعيل بن جعفر" كان على صلةٍ بالخطابيةِ[١]، وعاش في كنفهم، ونهج نهجهم، لذلك تبرأ منه والدهُ[٢].

والمقصود أن الحركةَ الإسماعيلية نبتت وتأصلت في أحضانِ الحركات الباطنية التي اتخذت من زعمها حب آل البيت ستارا لحرب الإسلام وهدم أصوله في نفوس أهله.

ومن أهم المسائل العقدية- إن لم تكن أهمها- عند الطوائف الباطنية عامة، مسألة الإمامة[٣]، حيث جعلوها أصلاً من أصولِ الدين، وفرعوا

(١) هم أتباع أبي الخطاب الأسدي، يزعمون أن الإمامة في أولاد عليّ رضي الله عنه، إلى أن انتهى إلى جعفر الصادق، ويزعمون أن الأئمة كانوا آلهة. انظر عنهم: الفرق بين الفرق (٢٤٧) وما بعدها. عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٢) انظر عن ذلك: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٥٦) وما بعدها. إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، دون ذكر لرقم الطبعة. أصول الإسماعيلية (١١٠ – ١١١). برنارد لويس، ترجمة: خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، د ار الكتاب العربي، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. نشأة الفكر الفلسفي (٢/ ٣١٧). الدكتور علي سامي النشار، الطبعة السابعة، ١٩٧٧م، دار المعارف، القاهرة. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٢٦٩). الدكتور أحمد محمد جلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أصول الإسماعيلية (١/ ٢١٧).

(٣) من المعلوم أن الباطنية ساروا في هذه المسألة تبعاً للرافضة.

عليها الكثير من عقائدهم وآرائهم، ومع هذه الأهمية فقد وقع الخلاف والاضطراب فيها، بل وقع الخلاف عند الإسماعيلية حتى في ذات الإمام المنصوص على إمامته عندهم مولداً، وسلوكاً، وعمراً[(١)]، مما جعلهم يتناقضون كثيراً في أصولهم وما تقرره عقيدتهم.

ومما يجبُ التنبيه عليه والإشارة إليه أن الإسماعيليةَ ترى أن الإمامةَ مرت بثلاث مراحل أو ثلاثة أدوار، وهي باختصار:

الدور الأول: دور الظهور ويتمثل في الفترة الأولى من حياة "محمد بن إسماعيل" عندما كان مقيماً بالحجاز ويرسل دعاته في جزائر الأرض لنشر المذهب الإسماعيلي، لحين دخوله في دور الستر بسبب خوفه من العباسيين.

الدور الثاني: دور الستر وهي الفترة التي اضطر فيها الأئمة إلى الاستتار خوفا من بطش أعدائهم كما يذكره كتّاب ودعاة الإسماعيلية[(٢)]، ومما يذكر أن مؤرخي الإسماعيلية جاء حديثهم مضطرباً مختلفاً أشد الاختلاف عن هذا الدور[(٣)]، بل وقع الخلاف بينهم في أول الأئمة

(١) انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٦٨٤).

(٢) انظر: الحاكم بأمر الله (١٠). عارف تامر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٣) انظر: طائفة الإسماعيلية (١٥). الدكتور محمد كامل حسين، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٦٤). الدكتور محمد أحمد الخطيب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٢٦٨).

المستورين[١].

الدور الثالث: دور الظهور[٢]، وهذا الدور يبدأ فعليا بظهور "عبيد الله المهدي"[٣]، ويعد أول أئمة هذا الدور، وهذا لا يلغي العمل الذي كان يقوم به دعاة المذهب من البعوث والعمل السري في تحقيق أهداف هذه الدعوة.

ومسألة انتساب "عبيد الله المهدي" مؤسس الدولة الفاطمية لآل البيت نسبة باطلة، ومما يؤيد هذا أن "محمد بن إسماعيل" مات ولم يعقب أحدا من الأولاد،[٤] ولهذا بيّن علماء الإسلام بطلان هذه النسبة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - بعد أن ذكر أن دولة بني أمية وبني العباس أقرب إلى الله تعالى ورسوله ﷺ من دولتهم، وأعظم علما وإيمانا من دولتهم، وأن

---

(١) انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٧٩).

(٢) انظر: الحاكم بأمر الله (١٠). وانظر: العقيدة والشريعة في الإسلام (٣١٧). غولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، منشورات الجمل، بيروت، لبنان.

(٣) أول من قام من الخلفاء العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وكان عبيد الله ذا مكر ودهاء وحيل، ادعى أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق، هلك سنة ٣٢٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤١) وما بعدها.

(٤) انظر: فضائح الباطنية (٢٤). وقال: (وقد أورد أهل المعرفة بالنسب في كتاب الشجرة أنه مات ولا عقب له). التبصير في الدين (١٤١). الإسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت. وقال الإسفراييني عن ميمون: (ادعى أنه من أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن إسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب، وهذا شيء قد اتفق عليه النسابة). الفرق بين الفرق (٤٧).

من شهد لهم بالإيمان أو بصحة النسب فقد شهد لهم بما لا يعلم[(١)] -: (وكذلك "النسب" قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم[(٢)]، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس، أو اليهود، هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف، من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النسب، والعامة، وغيرهم، وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم...)[(٣)].

كما بيّن شيخ الإسلام أن مسألة النسب لا يمكن الطعن فيها مهما حاول العدو فعل ذلك؛ لأنها مما تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، ومما قالهُ:(إن الأنسابَ المشهورة أمرها ظاهرٌ متدارك مثل الشمس لا يقدر العدو أن يطفئه، وكذلك إسلام الرجل وصحة إيمانه بالله والرسول أمر لا يخفى، وصاحب النسب والدين لو أراد عدوه أن يبطل نسبه ودينه وله هذه الشهرة لم يمكنه ذلك، فإن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ولا يجوز أن تتفق على ذلك أقوال العلماء)[(٤)].

ومما لا ريبَ فيه أن الحركات الإسماعيلية ظهرت في فتراتٍ عديدة من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٢٧). و (٣٥/ ١٣١). جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) يقول شيخ الإسلام: (وهؤلاء بنو عبيد القداح ما زالت علماء الأمة المأمونون علما ودينا يقدحون في نسبهم ودينهم). مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٣١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٢٨). ويقول: (وأما القدح في نسبهم فهو مأثور عن جماهير علماء الأمة من علماء الطوائف). المرجع نفسه (٣٥/ ١٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٣٠).

تاريخ الأمةِ وحتى وقتنا الحاضر، وعملت هذه الحركات على إثارةِ الفتن والاضطراب، وبث الأفكار الباطلة، والدعوات المنحرفة، واتخذت أساليب شتى، ووسائل مختلفة من أجل القضاء على الإسلام في نفوسِ أهله، ومن هذه الحركات:

الحركة الإسماعيلية في اليمن: تعدّ الحركة الإسماعيلية في اليمن أولى الحركات – في الغالب – التي كتب لها النجاح، وعن طريقها تأسست أول دولة إسماعيلية في التاريخ عام ٢٦٦ هـ[١]، وأظهرَ دعاتها[٢] في هذه الناحية الكفر والإلحاد، واستحلال المحرمات[٣].

ومنها حركة القرامطة في البحرين: تزامنت مع الحركةِ الإسماعيليةِ في اليمن حركةٌ أخرى في البحرين، عرفت بحركة القرامطة، وتنسب إلى

---

(١) أغلب الروايات تذكر هذا التاريخ.

(٢) مثل: الحسن بن حوشب، وعلي بن الفضل. انظر: عن حياة ابن حوشب وتحوله إلى المذهب الإسماعيلي: ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن (٣١-٤٠) لسيف الدين القصير، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. وعن علي بن الفضل وتحوله إلى الإسماعيلية، انظر المرجع نفسه (٥٠-٥٣).

(٣) انظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه (٨٢). للديلمي، مكتبة دار ابن قتيبة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. وانظر: ص (٨٣). الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٦٥). وما بعدها. وعن تاريخ الحركة الإسماعيلية باليمن – ولو شئت لقلت القرمطية، انظر: القرامطة (١٧٧) وما بعدها. عارف تامر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. إسلام بلا مذاهب (١٦٥). وما بعدها. الدكتور مصطفى الشكعة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة. ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن(٨٧-٨٨). ويقصر ذلك على عليّ بن الفضل دون الحسن بن حوشب، والكتاب فيه نظر في العديد من موضوعاته.

"حمدان قرمط"[(١)] الذي التقى بأحد دعاة الإسماعيلية وهو "أبو سعيد الجنابي"[(٢)] وأثر عليه فدخل في دعوته، وما جاء أواخر القرن الثالث الهجري إلا وأصبحت دولة "حمدان قرمط" خطراً يتهددُ الخلافة، وينشر الرعبَ بين الناس، فهاجم القرامطةُ البصرة، والكوفة، ونواحي الشام، وانتشروا في اليمن، ونواحي البحرين، والقطيف، وأسسوا دولتهم في البحرين[(٣)].

وقد أكثر جيشُ القرامطة من النهبِ والسلبِ والقتلِ للمسلمين، وبلغوا مبلغهم الإلحادي بما فعلوه – في عام ٣١٧ هـ - بحجاج بيت الله الحرام، فقد نهبوا أموالهم واستباحوا قتالهم، في رحاب مكةَ وشعابها وفي المسجدِ الحرام وفي جوفِ الكعبةِ، واقتلعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه[(٤)]. واستمر

(١) رجل من أهل الكوفة، كان أحد دعاة الباطنية، انظر عن حمدان وسبب تسميتهم بالقرامطة: تلبيس إبليس (١٢١– ١٢٢). لابن الجوزي، لجنة التحقيق بدار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الفرق بين الفرق (٢٨٢). القرامطة (٤٤–٤٧). ولمزيد من الأقوال عن سبب التسمية، انظر: المرجع نفسه (٣٨ – ٤٤).

(٢) الحسين بن بهرام، يعرف بأبي سعيد الجنابي، اجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره، فقتل من حوله من أهل القرى، وقتل على يد خادمه سنة ٣٠١هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٦٤). لابن خلكان، مكتب التحقيق بإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ (٦ / ٩٢– ٩٣ و ٩٩– ١٠٠ و ١٨٦ –١٨٩ و ١٩١ – ١٩٢) لابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، دون ذكر لرقم الطبعة. الفرق بين الفرق (٢٨٢).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ (٦ / ٢٠٣ – ٢٠٥). البداية والنهاية (١٥/ ٣٩). لابن كثير، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

نشاط القرامطة في البحرين حتى ضعفت دولتهم وانتهت عام ٤٧٠هـ[(١)].

ومنها الحركة الإسماعيلية في إفريقية: لم يقتصر نشاط دعاة الإسماعيلية على اليمن، **بل** امتد إلى شمال إفريقية، حيث أرسلوا الدعاة إليها لنشر مذهبهم، وبالفعل قويت شوكتهم في الشمال الإفريقي بعد حروب عديدة مع مخالفيهم، وكانوا في هذه الأثناء يرسلون بعثاتهم العسكرية إلى مصر، وبعد أن وصل الأمر إلى "المعز لدين الله"[(٢)] انقاد له البربر، وأحسن إليهم، فعظم أمرهُ، وبرز في عهدِهِ "جوهر الصقلي"[(٣)] فأرسلهُ "المعز لدين الله" إلى مصر وفتحت سنة ٣٥٩هـ، ثم سار إليها المعز سنة ٣٦٢هـ، وكان أول خلفاء الفاطميين بها، ومات سنة ٣٦٥هـ، ثم تتابع الأئمة في مصر حتى وصل الحكم إلى "المستنصر بالله"[(٤)] سنة ٤٢٧ هـ ومات سنة ٤٨٧ هـ،

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٢٩٠). وعن علاقة القرامطة بالإسماعيلية، انظر: الإسماعيلية في العصر الوسيط (٣٥). وما بعدها، مجموعة من المؤلفين، ترجمة سيف الدين القصير، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا.

(٢) أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم، العبيدي المهدوي المغربي، كان صاحب المغرب، ولي سنة ٣٤١هـ، كان عاقلا لبيبا حازما، يرجع في الجملة إلى عدل وإنصاف، ولولا بدعته ورفضه لكان من خيار الملوك. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥٩- ١٦٧).

(٣) أبو الحسن جوهر بن عبد الله، كان من موالي المعز، سيرهُ إلى مصر، واستولى عليها، وقطع خطبة بني العباس عن منابر الديار المصرية، وسار إلى جامع ابن طولون، وأمر أن يؤذن بحي على خير العمل، وسُرَّ القائد جوهر بذلك، وكتب إلى المعز يبشره، بقي جوهرا متوليا للأمور إلى أن عزله المعز، كانت وفاته سنة ٣٨١هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ١٩٣-١٩٥).

(٤) أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله، ولي بعد أبيه، وله سبع سنين وكان ذلك سنة ٤٢٧هـ، كان سب الصحابة رضي الله عنهم فاشيا في أيامه، والسنة غريبة مكتومة، هلك سنة ٤٨٧هـ. انظر: السير (١١/ ١٨٦-١٩٦).

وانقسمت الإسماعيلية من بعده إلى طائفتين:

١- **المستعلية**: نسبة إلى "المستعلي بالله[(١)]" الابن الأصغر لـ" المستنصر بالله".

٢- **النزارية**: نسبة إلى" نزار" [(٢)] الابن الأكبر لـ "المستنصر بالله"[(٣)].

وبقيت المستعلية بمصر إلى أن وضع "صلاح الدين"[(٤)] حدا لوجودهم السياسي فيها، وأبطل بعض شعاراتهم التي كانوا يتخذونها، وذلك سنة ٥٦٧ هـ[(٥)]، إلا أنه كان للمستعليةِ وجود في اليمن، وأقاموا بها دولةً للإسماعيليةِ وهي الدولة الصليحية، التي انقرضت في القرنِ السادس

---

(١) أبو القاسم أحمد بن المستنصر، قام بعد أبيه سنة ٤٨٧هـ، وفي أيامه وهنت الدولة العبيدية، وكثرت في دولته الباطنية الملاحدة الذين هم الإسماعيلية، وفتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء، وهلك سنة ٤٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦-١٩٧). وفيات الأعيان (١/ ٩٨-٩٩).

(٢) الابن الأكبر للمستنصر، ولد بالقاهرة سنة ٤٣٧هـ، تذكر كتب الإسماعيلية أنه تعرض لمؤامرة قتل بسببها، وذلك عن طريق الأفضل بن بدر الجمالي، وهو رأس الأئمة النزاريين الإسماعيليين، قتل سنة ٤٩٠هـ. انظر: الإمامة في الإسلام (١٩٢). عارف تامر، دار الكتاب العربي، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٣) انظر: تاريخ الإسماعيلية (١ / ٩٣). عارف تامر.

(٤) السلطان الكبير، أبو المظفر، يوسف بن الأمير نجم الدين، كان خليقا للإمارة، مهيبا، شجاعا، مجاهدا كثير الغزو، عالي الهمة، ومحاسنه جمة، ولد سنة ٥٣٢هـ، ومات سنة ٥٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٧٨-٢٩١).

(٥) انظر عن تاريخهم: طائفة الإسماعيلية (٤٦) وما بعدها. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٢٨٦) وما بعدها. إسلام بلا مذاهب (١٧٠). الحركات الباطنية في الإسلام (١٢٥). الموسوعة الميسرة (١/ ٣٨٥). إشراف الدكتور مانع الجهني، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض.

الهجري[١]، ولم يعد للإمامية أي أثر في الحياةِ السياسيةِ بها، والتزموا مبدأ التقية وانصرفوا للتجارةِ، وأعطاهم ذلك فرصة كبيرة لنشر دعوتهم في الهند، واعتنقها جماعة من الهندوس وعرف أتباعهم باسم "البوهرة أو البهرة [٢]" أي التجار، وهم اليوم متفرقون في الهند وباكستان وعدن، وفي جبال حراز باليمن، والبهرة قسمان: البهرة الداوودية[٣]، والبهرة السليمانية[٤]، وهم شديدو التعصب لمذهبهم والحفاظ على عقائدهم[٥]، هذا هذا بالنسبة للإسماعيلية المستعلية. أما الإسماعيلية النزارية فقد كان لهم دورٌ خطيرٌ وكبيرٌ في مناطق فارس والشام، على يدِ أحد دعاة الإسماعيلية وهو

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٢٩٤ – ٢٩٥) وعن نهجهم الباطني وبعض آرائهم انظر: المرجع نفسه (٢٩٥ – ٢٩٧). بمرجعه.

(٢) انظر عن طائفة البوهرة كتاب: البوهرة تاريخها وعقائدها للدكتور رحمة الله قمر الهدى الأثري، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. عن أحوالهم الاقتصادية والتعليمية (٢٧٩- ٢٨٣) وعن أحوالهم الاجتماعية (٢٨٤-٢٨٧). وعن نظام دعوتهم (٢٨٨ – ٢٩١). إسلام بلا مذاهب (١٧٦). الإسماعيلية (٧٣٦). ظهير. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٧٢). الموسوعة الميسرة (١/ ٣٨٦). وانظر: تاريخ الإسماعيلية (١/ ٩٣). عارف تامر، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، رياض الريس للكتب والنشر، لندن. مفاتيح المعرفة (١٧٧) الدكتور مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دون ذكر لرقم الطبعة. طائفة الإسماعيلية (٥٢) وما بعدها.

(٣) نسبة إلى قطب شاه داود وهم في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري، وداعيتهم يقيم في بومباي.

(٤) نسبة إلى سليمان بن الحسن ومركزهم في اليمن.

(٥) انظر: طائفة الإسماعيلية (٥٢ -٥٣). و(٥٨ – ٥٩). الإمامة في الإسلام (١٦٢). عارف تامر. تامر.

"الحسن بن الصباح"[١] الذي دعا إلى إمامة "نزار"، واتخذ مبدأ القتل وسيلة لتحقيق أهدافه، واستطاع الاستيلاء على قلعة آلموت[٢]، وأسس بذلك دولة الإسماعيلية الشرقية التي عرفت باسم الإسماعيلية النزارية، أو دولة الحشاشين[٣]، أو أصحاب "الدعوة الجديدة"[٤] وبعد أن هلك "ابن الصباح" استمرت جماعة الإسماعيلية منغلقة في قلعة "آلموت" ما بين دعاة الأئمة، والأئمة المزعومين، حتى كانت نهايتها عام ٦٥٤ هـ[٥]، حيث قتل

---

(١) ولد في مدينة الري، نشأ على مذهب الإمامية الاثني عشرية، ثم ذكر عن نفسه دخوله في المذهب الإسماعيلي، تنقل إلى الشام والعراق وخوزستان وكان يدعو للمذهب الإسماعيلي في كل بلد نزل به، استولى على كثير من القلاع والحصون، بما في ذلك قلعة آلموت، وأسس دولة إسماعيلية في فارس، كانت سياسته تقوم على الاغتيال وإراقة الدماء، هلك سنة ٥١٨هـ. انظر ما ذكره الدكتور محمد كامل حسين عن ابن الصباح في كتابه: طائفة الإسماعيلية (٦٤- ٧٩). وانظر: آل موت أو إيديولوجيا الإرهاب الفدائي (٤١) وما بعدها. الدكتورة سميرة بن عمو، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٢٠١-٢٠٢). طائفة الإسماعيلية (٧٧).

(٣) انظر عنهم كتاب: الحشاشون، برنارد لويس، تعريب محمد العزب موسى الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دار المشرق العربي الكبير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. وانظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٢٠١-٢٠٢)، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار المشرق العربي الكبير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

(٤) انظر: الملل والنحل (١٩٥). وأراد بذلك تمييزها عن الدعوة السابقة من قبل العبيديين. آل موت أو إيديولوجيا الإرهاب الفدائي (٦١، ٧٥) وما بعدها.

(٥) كانت نهايتهم على يد "هولاكو" ولمزيد من التفصيل عن ذلك انظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٢٠٠- ٢٠٣). طائفة الإسماعيلية (٨٥). وما بعدها. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٧٣- ٧٨). الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية (١٨٥) وما بعدها. الدكتور عثمان عبد الحميد عشري، المكتبة التاريخية، ١٩٨٢م.

"ركن الدين خورشاه"[١] آخر أئمة الإسماعيلية النزارية في آلموت، وبذلك قضي على هذه الدولة التي كانت مصدراً للإلحاد والفتنة، وبلغ نشاطهم إلى الشام، ولكن ضعف أمرهم شيئاً فشيئاً إلى أن سقطت آخر قلاعهم عام ٦٧٢هـ [٢]. وتزعم النزارية أن "شمس الدين محمد بن ركن الدين"[٣] استطاع الوصول إلى أذربيجان وتقلد إمامتهم، وبعد وفاته انقسموا إلى فريقين: فالفريق الذي كان يعيش بتلك الناحية نادوا بإمامة "محمد شاه "وجعلوا الإمامة في نسله حتى انقطعت سلسلتهم سنة ٩٥٠ هـ [٤]. أما الفريقُ الثاني: فزعم أن الإمامَ بعد "شمس الدين" هو "قاسم شاه"[٥]، وتتابع الأئمة من نسله[٦]، واستمرت الإسماعيلية النزارية على ولائهم

---

(١) ولد في قلعة آلموت، وأصبح إماما بعد وفاة أبيه سنة ٦٥٣هـ، استمرت إمامته عاما واحدا وهلك سنة ٦٥٤هـ، وبانتهاء عهده ودع الإسماعيلية بلاد " آلموت" إلى أذربيجان. انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٧٥- ٢٧٦). للدكتور مصطفى غالب، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية (١٠٧-١٠٨). مذاهب الإسلاميين (١١٣٠- ١١٣١). الدكتور عبد الرحمن بدوي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

(٣) ولد شمس الدين بقلعة "آلموت" تولى الإمامة بعد وفاة أبيه، سنة ٦٥٤هـ، تولى رئاسة الدعوة في عهده الفيلسوف الإسماعيلي جلال الدين الرومي، وهلك سنة ٧١٠هـ. انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٧٧- ٢٧٩). طائفة الإسماعيلية (٨٦).

(٤) انظر: طائفة الإسماعيلية (٨٦-٨٧). الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٧٨).

(٥) ولد سنة ٦٩٠هـ بأذربيجان، وأصبح إماما بعد وفاة أبيه سنة ٧١٠هـ، أرسل الدعاة لبث الفكر الفكر الإسماعيلي، هلك سنة ٧٧١هـ، ودفن في مدينة " قائم آباد" من بلاد إيران. انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٨٠- ٢٨٢).

(٦) انظر ما ذكره الدكتور الإسماعيلي مصطفى غالب عنهم: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٨٣). وما بعدها.

لإمامةِ نسل " قاسم شاه " إلى أن ظهر رجلٌ يدعى "حسن علي شاه".

المبحثُ الثاني: الإسماعيلية الآغاخانية[(١)]

بعد أن اختفت الإسماعيلية النزارية من الحياة العامة منذ القرن السابع الهجري، لم يسمع عنهم إلا اليسير حتى القرن الثالث عشر الهجري، ولا يعني ذلك عدم وجودهم[(٢)]، ولكن المقصود أنه لم تكن لهم سلطة سياسية، ولا قوة عسكرية في تلك الفترة، وبقوا في بعض قلاعهم زمن دولة المماليك، وكذلك تركهم الأتراك على حالهم في قلاعهم لما فتحوا الشام سنة ٩٢٣هـ، وحتى نهاية حكمهم[(٣)].

وفي الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ظهر رجل في إيران يدعى **"حسن علي شاه"**[(٤)] وهو رجل إسماعيلي، أخفى مذهبه، وجمع حوله حوله عدداً من الإسماعيلية وغيرهم، وهاجم بهم القرى والقوافل حتى ذاع صيته في جميع أنحاء إيران، فتوافد الناس إليه، وانضموا لجماعته، طمعاً في المكاسب المادية التي سيحظون بها من مهاجمة القرى والمدن، ولم يكن

---

(١) آغاخان: يعني في اللغة الفارسية السيد ولفظ خان يعني في نفس اللغة: الرئيس أو الزعيم أو القائد أو الحاكم. انظر: الإسماعيلية المعاصرة (٤٨). الدكتور محمد الجوير، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) انظر ما ذكره الإسماعيلي المعاصر عارف تامر عن بعض الأئمة في تلك الفترة كتاب: الإمامة في الإسلام (١٩٢) وما بعدها. وانظر: (٢١٧). وما بعدها. تاريخ الإسماعيلية (٤/ ١٠٢) وما بعدها. تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٢٧). وما بعدها.

(٣) انظر عن ذلك: مذاهب الإسلاميين (١١٣٣).

(٤) ولد في بلدة محلات الإيرانية سنة ١٢١٩هـ، تولى الإمامة وعمره أربعة عشر عاماً، لقبه آغاخان آغاخان الأول، بسط نفوذه على شئون إيران السياسية، وهلك سنة ١٢٩٨هـ. انظر: الإمامة في الإسلام (٢٢٨). تاريخ الإسماعيلية (٤/ ١١٣). تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٢١-٣٢٤).

"حسن علي" في ذلك الوقت يذيع شيئاً عن إسماعيليته، أو ينشر بين أتباعه شيئاً عن عقيدته، بل عمل أولاً على جمع الناس حوله ليظهر بمظهر قوي[1].

وإذا كان من المسلّم به أن الاستعمار بطرفيه العسكري والفكري، أحد الأسباب الرئيسة في إثارةِ الطوائف المخالفة والفرق والمذاهب المختلفة الداعية إلى الضلالةِ، فإن هذا ما لجأ إليه الاستعمار ودعاة الغزو الفكري، حيث اتخذوا من دعاةِ الضلالِ والإلحادِ والخرافةِ مطايا لبث سمومهم، وإبعاد المسلمين عن دينهم، وهذه إطلالةٌ مختصرةٌ عن استغلال الاستعمار لـ" الآغاخان ".

الاستعمار الإنجليزي و"حسن علي شاه":

إن من الأساليب التي اتخذها الاستعمار -سواء العسكري أم الفكري- في تحقيق أهدافه إثارة الطوائف والفرق والمذاهب المختلفة[2] المخالفة، ليتخذوا منها مطايا لبث سمومهم، وإبعاد المسلمين عن دينهم، وهذا ما حـدث مع زعيم الطائفـة الآغاخانية "حسن علي شاه ".

١- استغلالهُ في إيران

---

(١) طائفة الإسماعيلية (١١١). وانظر: إسلام بلا مذاهب (٢٥٣ - ٢٥٤). وراجع: الإمامة في الإسلام (٢٢٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام (٢٨٣). وما بعدها. الدكتور سعد الدين السيد صالح، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الزقازيق.

من الأمور التي يقر بها دعاة الآغاخانية أن "حسن علي شاه" ذاع صيته في إيران وأصبح له نفوذ واسع بها، مما جعل بعض المؤرخين يذهب إلى القول: إن "آغاخان" كان الحاكم الفعلي لإيران من وراء الستار، وبذلك اشتد ساعد الإسماعيلية وقويت شوكتهم، وازداد عددهم بصورة واضحة، وعُين "الآغاخان" قائداً عاماً للجيش الإيراني، ثم عزل، وقام بالثورة ضد الحاكم حينذاك، ولكن الثورة فشلت وتم اعتقاله وسجنه، ثم ما لبث أن أمر الحاكم بإطلاق سراحه وإبعاده عن إيران[١]، ويذكر بعض الباحثين أن الإنجليز هم الذين توسطوا في الإفراجِ عنه[٢]، وزعم بعض الإسماعيليين أن طرده من إيران إنما كان بسبب الوشاية به عند السلطان[٣]، ومن ثم لم تعد البلاد الإيرانية مكاناً صالحاً له، وأن وجوده فيها يشكل خطراً على حياتِهِ وسلامةِ أتباعهِ[٤].

٢- استغلالُهُ في أفغانستان

بعد تدخل الإنجليز في الإفراجِ عن "حسن علي شاه" عقب فشله في ثورته في إيران، زين له الإنجليز أن يرحل إلى أفغانستان، وكان مزوداً بتعاليمهم التي بها يزداد نفوذهم، وقد اعترف كتاب ودعاة الإسماعيلية أن

---

(١) انظر: أعلام الإسماعيلية (٢١٤ – ٢١٧). مصطفى غالب، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م. تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٢٢). غالب.

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها (١١٢). إسلام بلا مذاهب (٢٥٤).

(٣) انظر: تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١١٤) عارف تامر. أعلام الإسماعيلية (٢١٥).

(٤) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٢٢).

الإنجليز رحبوا به حينما توجه إلى أفغانستان[١]، ولكنه لم يستطع أن يقدم شيئا لحلفائه، نظراً ليقظة الأفغانيين –حينذاك- للدور الذي جاء يمثله ضدهم في خدمة أعدائهم[٢]، ومن ثمّ كان لابد من البحث عن مكانٍ جديد.

٣- استغلالهُ في الهند

بعد أن فشل "حسن علي شاه" في أفغانستان رحل إلى الهند وسكن مدينة بومباي، وهناك اعترف به الإنجليز إماماً على الطائفة النزارية الإسماعيلية، وخلعوا عليه لقب "آغاخان" فانتسب إلى الإمام نزار ابن المستنصر الفاطمي، وأصبح إمام الإسماعيلية النزارية، وأخذ في تنظيم أتباعه وخدمتهم إلى أن مات سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م[٣].

ويذكر "برنارد لويس" أن " الآغاخان" استطاع أن يحصلَ على صداقةِ الانجليز مقابل خدمات أداها لهم في أفغانستان والسند[٤]، وهذا ما اعترف به الإسماعيلي "عارف تامر" حيث قال: (ومن الغريبِ أن هذه الدولة قد رحبت به واستقبلته استقبالاً رسمياً عند وصوله على حدود الهند،

---

(١) انظر: أعلام الإسماعيلية (٢١٧).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية (١١٢). إسلام بلا مذاهب (٢٥٤).

(٣) انظر: أعلام الإسماعيلية (٢١٨– ٢١٩). طائفة الإسماعيلية (١١٢ – ١١٣). إسلام بلا مذاهب (٢٥٤). انظر: الإمامة في الإسلام (٢٢٨). وانظر: الشيعة المهدي الدروز تاريخ ووثائق (١٤٠) الدكتور عبد المنعم النمر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م، الكتاب العالمي.

(٤) انظر: الحشاشون (٣٧).

ووضعت تحت تصرفه كافة الوسائل التي تؤمن له الراحة والاطمئنان) [١].

ويذكر "عارف تامر" أن أمراءَ السند في ذلك الوقت كانوا يعارضون الاستعمار ويجهزون أنفسهم للدفاعِ والقتالِ، فتقدم" آغاخان" بالإصلاح بين الطرفين، وهكذا كانت له جهوده في الإصلاح!! ومن ثم (قابل الإنكليز هذه الجهود والخدمات بكل تقدير واحترام واعتبروها ولاء جديرا بالثناء والمكافأة...)[٢]. وبالمقابل فـ (قد حافظ آغا خان طيلة حياته على صداقته للبريطانيين)[٣]. وهذه الخدمات والصداقة من "الآغاخان" للاستعمار في الوقت الذي يعده الإسماعيلية من أعظم الأئمة بعد زوال الدولة الفاطمية[٤].

ثانيا: علي حسن شاه " آغاخان الثاني "[٥]

بعد أن هلك "حسن علي" خلفه ابنه علي ولقب بـ " آغاخان " الثاني، وكان أبوهُ قد هيأه وأعدّهُ للإمامةِ، وقام "الآغاخان الثاني" على تيسير سبل التعليم لأبناء المسلمين دون النظر إلى مذاهبهم، فكسب بذلك مكانة بين

---

(١) تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١١٤). وانظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٢٢). غالب.

(٢) انظر: تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١١٤ – ١١٥).

(٣) تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١١٥). وانظر: طائفة الإسماعيلية (١١٢). وفيها (وكان يقنع نفسه دائما بأنه يرد إلى الإنجليز جميلهم في إطلاق سراحه).

(٤) انظر: أعلام الإسماعيلية (٢١٩). وانظر: عن سيرته تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٢١-٣٢٤).

(٥) ولد في بلدة محلات الإيرانية سنة ١٢٤٦ هـ، اشتهر بالرماية، وكانت وفاته سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م، ونقل إلى النجف. انظر: الإمامة في الإسلام (٢٢٨). تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١١٥ – ١١٦). أعلام الإسماعيلية (٣٧٣- ٣٧٦).

مسلمي الهند[١]، وكان رئيساً لـ "جمعية الاتحاد الإسلامية"[٢]، ويذكر عارف تامر أنه سار على خطى والده فيما يختص بعلاقته مع الدولة البريطانية، وكانت تُوليه ثقتها التامة مما ساعده على النهوض بأتباعه[٣].

ثالثا: محمد شاه " أغاخان الثالث"[٤]

بعد أن هلك "علي شاه" خلفه ابنه "محمد شاه" وكان في الثامنة من عمره حين تولى الإمامة، وتعد هذه الشخصية من أشهر الشخصيات الآغاخانية، وقد استغل هذه الشهرة وذلك النفوذ الذي اكتسبه من ثرائه وولاء أتباعه له في التمكين لطائفته، وكان يحرص على أن يظهرَ بمظهرِ الغيور على الإسلام، والحريص على مصالح المسلمين، وعُرف عنه دفاعهُ عن الخلافةِ العثمانية، وشارك في تأسيس الرابطةِ الإسلامية بالهند سنة، ١٩٠٧م، وأسهم في إنشاء جامعة عليكرة بالهند، سنة ١٩١٠ م، كما اهتم

(١) انظر: إسلام بلا مذاهب (٢٥٤).

(٢) انظر: تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١١٦).

(٣) تاريخ الإسماعيلية ٤ (١١٦). وانظر عن سيرته وبعض أعماله: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٢٥-٣٢٧).

(٤) ولد سنة ١٨٧٧م، في كراتشي، كان يهتم بالألعاب الرياضية، وتولى الإمامة في سن مبكرة، واهتمت والدته به وجلبت له الأساتذة والمربين، لتعليمه اللغات الأجنبية، وزار الغرب سنة ١٨٩٨م، وفي سنة ١٨٩٩م، زار زنجبار وعاد إلى أوربا فزار ألمانيا، ومنح ألقابا من الإمبراطور، وزار فرنسا، ثم زار القسطنطينية، ومنح لقب " قمر تركية" وفي سنة ١٩٥١م زار إيران، ومنح أعظم وسام فيها. وفي سنة ١٩٥٧م مات في سويسرا. انظر: تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١١٩ – ١٢١). الإمامة في الإسلام (٢٣٤ – ٢٣٧). أعلام الإسماعيلية (٤٥٩). وما بعدها.

بطائفته ونشر مذهبه[١]. أما حياته فقد عاش حياة طويلة مليئة بعناصر الإثارة[٢]، وكان سلوكه الشخصي مثاراً للجدل والحديث [٣].

وأوصى بالإمامة من بعده لحفيده **"كريم بن علي بن محمد شاه الآغاخان الرابع"** ووصلت الوصية له من لندن على متن طائرة خاصة، من عام ١٩٥٧ م، ولا يزال حتى الآن، وقد كانت ولادته سنة ١٩٣٦م، في مدينة جنيف بسويسرا[٤]، تلقى الإمام تعليمه في إحدى الجامعات الأمريكية[٥]. يقول عنه "عارف تامر": (كثير التنقل والأسفار، يمارس الرياضة الصعبة... أتنبأ له بمستقبل زاهر... وأعتقد أن الإسماعيليين النزاريين سيصلون إلى الذروة في عهده؛ لأنه الإمـام الوحيد الباقي، وأمـل الشيعة الإمـامية المرتقب)[٦].

وبعد هذه الإطلالة المختصرة على نشأةِ الإسماعيلية إلى ظهور الإسماعيلية الأغاخانية الباطنية، فإن الأغاخانية تمثل الفكر الإسماعيلي الباطني وهذا ما سيظهر إن شاء الله تعالى من خلال المبحث الآتي.

---

(١) انظر تفصيل ذلك: طائفة الإسماعيلية (١١٤). وما بعدها. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٣٠٧–٣٠٨). إسلام بلا مذاهب (١٧٨).

(٢) انظر: إسلام بلا مذاهب (١٨٧).

(٣) انظر: طائفة الإسماعيلية (١٢٥). دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٣٠٨ – ٣٠٩).

(٤) انظر: أعلام الإسماعيلية (٤٣٥-٤٣٦).

(٥) انظر: تاريخ الإسماعيلية ٤ الدولة النزارية (١٢٢- ١٢٣). أعلام الإسماعيلية (٤٣٤- ٤٣٥). إسلام بلا مذاهب (١٧٨). الموسوعة الميسرة (٤٩).

(٦) الإمامة في الإسلام (٢٣٧ – ٢٣٨).

المبحثُ الثالث: عقائد الأغاخانية

إن من أشدِ الطوائفِ غلواً وإلحاداً طائفة الإسماعيلية الباطنية، وقد يتوهم بعض الناس أنها بأفكارها الإلحادية ليس لها وجود الآن، غير أن هذا الوهم يتبدد أمام حقيقة الآراء والأفكار التي يرددها أئمة الإسماعيلية المعاصرون وأتباعهم، ويدل على ذلك إقرارهم، وكثرة مؤلفاتهم وتعدد أقوالهم، بل إنهم يصرحون بالصلة التي تربطهم مع الإسماعيليةِ القديمة، يقول "عارف تامر": (إن الإسماعيلية الحديثة وفروعها مدينة للمبادئ الإسماعيلية القديمة)(١). ولهذا تجد إسماعيلية العصر وكتابها يمتدحون الباطنية، ويدافعون عنها، وعن نسب القداحية(٢)، وفي هذا دلالة واضحة على أنهم لا يفترون يرددون ذات الأفكار والعقائد التي نادى بها أسلافهم الأوائل، وهذه إشاراتٌ مختصرةٌ عن عقيدةِ هذه الطائفة المعاصرة.

أولا: عقيدتهم في الخالق جل وعلا

تقوم عقيدة الإسماعيلية على نفي وجود الخالق جل وعلا(٣)؛ لأن حقيقة معتقدهم القول بإلهين اثنين أحدهما أطلقوا عليه السابق، والآخر التالي(٤)، وهذه العقيدة هي عين عقيدة الآغاخانية، فهم تبع لأسلافهم فيها، يقول الدكتور "مصطفى غالب": (وبواسطة الأصلين اللذين هما

---

(١) القرامطة (١٩٦).

(٢) انظر: تاريخ الإسماعيلية (٢٦٨). وما بعدها. الجزء الخاص بالدعوة والعقيدة. القرامطة (٢٠٤).

(٣) انظر: فضائح الباطنية (٤٤-٤٥). بيان مذهب الباطنية وبطلانه (٥-٦).وفيه: (وغرضهم نفي الصانع تعالى بوجه يدق على عوام الخلق). ص (٦).

(٤) انظر عن هذه العقيدة عندهم كتاب: الذخيرة في الحقيقة (٢٦). وما بعدها.

السابق والتالي، أو العقل والنفس، وجدت المخلوقات كلها العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية)[(١)].

ويرى الإسماعيلية أن العقل المبدع الأول فاض عن الإله، وعنه كانت النفس الكلية [(٢)]، ويقولون عن العقل: (هو الاسم الأول الحق الذي أبدع الوجود) [(٣)].

وهذا ما يذكره الآغاخانية في الوقت الحاضر، حيث يرون أن النفس الكلية وجدت بواسطة العقل الفعال[(٤)]، وأن العقل الأول هو علة الموجودات، وهو الجوهر المحيط بالأشياء كلها، وهو لا يحتاج إلى أحد، ولا يستمد من أحد[(٥)]، وهو أصل عالم العقول وعلة وجودها [(٦)]، فالعقل الأول الأول أو العقل الكلي عندهم، هو الخالق، وهو الذي يدبر أمر هذا العالم.

وقد نتج عن هذه الأقوال قولهم بنفي الأسماء والصفات عن الإله جل وعلا [(٧)]، وقالوا: إن الله تعالى (لا يدخل تحت اسم ولا صفة... ولا يقال

---

(١) مفاتيح العلوم (٢٧٤).

(٢) انظر: الرسالة الكافية (١٠١) وما بعدها. لمحمد بن سعد بن داؤد، تحقيق عارف تامر، ضمن خمس رسائل إسماعيلية، دار الإنصاف للتأليف والطباعة والنشر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م. دون ذكر لرقم الطبعة.

(٣) رسالة الأسابيع (١٦٤) للداعي قيس بن منصور، تحقيق عارف تامر، ضمن خمس رسائل إسماعيلية.

(٤) انظر مقدمة الطبعة الأولى من كتاب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (١٨). للدكتور مصطفى غالب.

(٥) انظر: مفاتيح المعرفة (٢٧٤-٢٧٥).

(٦) انظر: مفاتيح المعرفة (٢٧٦). وانظر: ص (٢٨٦).

(٧) انظر عن آراء الإسماعيلية قديما: الملل والنحل (١/ ١٩٣). ومما جاء فيه: (فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك =

عليه حياً، ولا قادرا، ولا عالما، ولا عاقلا، ولا كاملا، ولا تاما، ولا فاعلاً... ولا يقال له ذات؛ لأن كل ذات حاملة للصفات)(١).

ويقول الدكتور "مصطفى غالب": معلقا على قول "الحامدي": -(ليس للعقل في نيل أسمائه مجال) (٢)- (يشير إلى تنزيه الله تعالى عن التشبيه بكل ما هو صادر أو ناشئ عنه، فهو لا يُعرف، ولا يوصف ولا يسمى، إنه غيب الغيوب، ومبدع المبدعات، لا تدركه الأبصار، ولا يمكن أن ينسب إليه لا اسم ولا صفة، ولا وجود ولا عدم وجود ؛ لأنه فوق الكائنات والموجودات، وهو ليس بكائن ولا يكون، لأنه موجد الكينونة وفعلها ذاته)(٣).

=

في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه، وذلك تشبيه). وعن آرائهم انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٢٧٧) وما بعدها. ونقل أقوالهم من مصادرهم. مذاهب الإسلاميين (٩٦٤). ونقل كثيرا من أقوالهم في باب الإلهيات. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٨٥ – ٩٥).

(١) كنز الولد (١٣). للحامدي، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م، دون ذكر لرقم الطبعة. جلاء العقول وزبدة المحصول، لعلي بن الوليد، ضمن منتخبات إسماعيلية (٩٥). تحقيق الدكتور عادل العوا، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

(٢) كنز الولد (١٧).

(٣) كنز الولد (١٧). هامش رقم (٢). وانظر: ص (٢٢). وتعليق الدكتور مصطفى غالب هامش رقم (٣). وانظر: المرجع نفسه (٢٣). هامش رقم (٣). وقارن ما جاء في كتاب: المجالس المؤيدية (٦٤). والكتاب من تحقيقه. وانظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٤٦). كنز الولد (١١). هامش رقم (٤). وانظر: مفاتيح المعرفة (٦٠). ومقدمته لكتاب الينابيع (٢١).

ويقول الإسماعيلي الآخر "عارف تامر": (ليس له أسماء؛ لأن الأسماء من موجوداته، ولا صفات؛ لأن الصفات من آيسياته[١]، وأن حروف اللغة لا يمكن أن تؤدي إلى لفظ اسمه أو أن يطلق عليه شيء منها؛ لأن جميعها من مخترعاته وإن كافة الأسماء التي أبدعها جعلها أسماء لمبدعاته)[٢].

وبعد أن قالوا بنفي الأسماء والصفات عن الإله جل وعلا، أثبتوها للعقل الفعال، يقول الدكتور "مصطفى غالب" عن الإسماعيلية: (ألقوا على العقل الفعال الذي هو أول الموجودات تسعة وتسعين اسما معروفة بأسماء الله الحسنى؛ لأن المبدع بنظرهم لا اسم له...)[٣].

ويظهر جلياً أن الآغاخانية، تقول بذات الآراء التي قال بها أسلافهم، وهي آراء باطلة.

ومما يقال في الرد عليهم: إن الإقرار بوجوده تعالى أمر مستقر في النفوس البشرية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ {الأعراف: ١٧٢}. يقول "ابن القيم" في بيان معنى هذه الآية: (كل

---

(١) يعبر بعض الفلاسفة بـ"الليس" عن العدم، والـ"أيس" أي الوجود. انظر: كتاب الكندي إلى المعتصم بالله (١٠٠-١٠١). تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٢) الإمامة في الإسلام (٦٦). من الإسماعيلية المعاصرة (٨٢).

(٣) مقدمته لكتاب: إثبات الإمامة (١٨). أحمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م، ١٤١٦هـ. وانظر: طائفة الإسماعيلية (١٥٨).

إنسان جعله الله مقرا بربوبيته شاهدا على نفسه بأنه مخلوق، والله خالقه، وهذا أمر ضروري لبني آدم لا ينفك منه مخلوق، وهو مما جُبلوا عليه، فهو علم ضروري لهم لا يمكن أحد جحده)[(١)].

وإذا تقرر هذا فإن القول بإلهين للعالم قول باطل، وشرك بالله العظيم، وقد قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {المائدة: ٧٣}.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ {النحل: ٥١}.

ثم إن صدور العالم عن فاعلين ممتنع شرعا وعقلا[(٢)]، وفطرة[(٣)]. قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ {المؤمنون: ٩١}. وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ {الأنبياء: ٢٢}.

يقول شارح الطحاوية: (ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٦٢). وانظر: ما بعدها. تحقيق الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

(٢) انظر ما ذكره شيخ الإسلام في: منهاج السنة (١/ ٣٢٨-٣٢٩) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٦-٢٧). لابن أبي العز، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحداً، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيها متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره، فلو كان للعالم إلهان معبودان، لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السموات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد)[1].

وأما نفي الأسماء والصفات عنه جل وعلا فما أبشع قول هؤلاء وما أفسده شرعا وعقلا، فإنهم جعلوا الجمادات أكثر كمالا منه، تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً، والآيات والأحاديث في إثبات الأسماء والصفات أكثر من أن ينكرها جاحد، أو يعرض عن ثبوتها معاند، إلا من نهج نَهْج الملاحدة، أو استكان إلى تأويلات فاسدة.

ومن المعلوم أن مذهب السلف الصالح ومن تبعهم يقوم على إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ، والأصل الذي يعتمدون عليه في عقيدتهم هذه إنما هو الكتاب والسنة الصحيحة، وكل ما فيهما حق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. يقول شيخ الإسلام "ابن تيمية" عن سبيل المؤمنين: (فمن سبيلهم في الاعتقاد "الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه" التي وصف بها نفسه، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٠-٤١).

ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها...)[١].

ويقول عن من زاغ وحاد عن طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنهم الفلاسفة، والقرامطة الباطنية ونحوهم: (إنهم يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات)[٢].

ثانيا: عقيدتهم في النبوة:

يعتقد الإسماعيلية أن النبوةَ مكتسبةٌ، ومن ثَمَّ يستطيع من توفرت فيه بعض الشروط مع ترويض النفس ومجاهدتها أن يكون نبياً[٣]، ولهذا أنكروا عقيدة ختم النبوة، واعتقدوا أن الإمامة تحل محلها، وهي متممة واستمرار لها، يقول "الحامدي": (وأما محمد بن إسماعيل فهو متمم شريعته وموفيها

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢). جمع عبد الرحمن بن محمد، وابنه، مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية.

(٢) التدمرية (١٥-١٦). تحقيق الدكتور محمد بن عودة السعوي، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان، الرياض.

(٣) انظر عن موقفهم من النبوة على سبيل المثال: إثبات النبوات (١١٠) وما بعدها. الرسالة الجامعة (٣٢٤) وما بعدها. أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. كنز الولد (٢٠٨). وما بعدها. فضائح الباطنية (٤٦ – ٤٧). بيان مذهب الباطنية وبطلانه (٦). الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٣٢١) وما بعدها. مذاهب الإسلاميين (١٠٣٢). وما بعدها. أصول الإسماعيلية (٢ / ٥٧٥). وما بعدها.

حقوقها وحدودها، وهو السابع من الرسل)[١].

وهذه الآراء هي التي ينادي بها كتّاب ودعاة الفكر الإسماعيلي في الوقت الحاضر، سواء كان ذلك في مؤلفاتهم مباشرة، أو عن طريقِ إخراج كتب أسلافهم وتحقيقها ونشرها، والدفاع عنها، فعن إحلالِ الإمامةِ محل النبوة يقول الدكتور "مصطفى غالب": (ولما كانت النبوة وقتية زائلة فقد شاءت إرادة المبدع أن تحل الإمامة محلها وتتممها، وتكون خالدة منذ الأزل وإلى الأبد كدين وجدت للبشرية، وهي موجودة وستوجد دائما، مرآة صادقة لذات الله؛ لأن الصورة الإمامية هي مثال عن الصورة الإلهية...)[٢].

وعندهم إنما عظم فضل النبي وأهل بيته بعلي ﵁، فهو صاحب التأويل، ومبين الشرائع للمرسلين[٣]، يقول الداعي القرمطي "عبدان"[٤]: (وأما القائم سلام الله عليه، فهو صاحب التأويل الذي يجمع به جميع شرائع

(١) كنز الولد (٢١١). والكتاب من تحقيق الدكتور مصطفى غالب. وانظر: جامعة الجامعة (٢٥) وما بعدها. لإخوان الصفا، من مقدمة المحقق عارف تامر، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، دون ذكر لتاريخها، بيروت، لبنان. الذخيرة (١١٥).

(٢) مفاتيح المعرفة (٢١٤) وانظر: (١٦٣-١٦٤). وانظر: مقدمته لكتاب المصابيح في إثبات الإمامة (٥) للكرماني، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار المنتظر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: الرسالة المذهبية (٨٦) ضمن خمس رسائل إسماعيلية، حققها الإسماعيلي عارف تامر.

(٤) يقول عارف تامر: كل ما نعرفه أن هذا الداعي انتسب للدعوة الإسماعيلية على يد حمدان قرمط، ومما نعرفه أنه تزوج ابنة حمدان، وأنه تثقف في مدرسة الدعوة بسلمية. انظر: مقدمته لكتاب شجرة اليقين (٦).

النطقاء وأعمالهم وهو صاحب يوم الكشف)[(١)].

ويرى الإسماعيلية أن (من أتى بغير ولايةِ علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أسقطت نبوته ووصايته وولايته وصالح عمله، ولم يقبل الله منه...)[(٢)].

وهذه الأقوال[(٣)] ينقلها الإسماعيلية المعاصرون عن أسلافهم، ويؤيدونها، يقول "مصطفى غالب" في بيان مذهب الإسماعيلية: (إن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد، ولا اتصل بهم الوحي إلا عن طريق الحدود الروحانية، الغير متشخصة...)[(٤)]. ويقول في بيان أن الأئمةَ يدركون علم الباطن بينما رسول الله ﷺ لم يتجاوز مسألة التنزيل: (وكما أن الرسول خص بالتنزيل فكذلك الأئمة المنحدرين، بموجب النص من صلب عليّ بن أبي طالب، فقد خصوا بالتأويل الباطن بأمر من الله...)[(٥)].

أما أدوار النبوة: فيعتقد الآغاخانية المعاصرون ما يعتقده أسلافهم من

---

(١) شجرة اليقين (١٢) الداعي القرمطي عبدان، تحقيق عارف تامر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت. وانظر ما ذكره الشيرازي في كتاب: إثبات النبوات (١٦٦-١٦٩).

(٢) كنز الولد (٢١٨). والكتاب من تحقيق الإسماعيلي الدكتور مصطفى غالب.

(٣) يقول النيسابوري: (بأمير المؤمنين تتم أمور الأنبياء والأسس والأئمة، وتنتظم أمورهم، وتظهر تمام الحكمة في شرائعهم وموضوعاتهم وتأويلاتهم، وهو مثل الرأس وهم كالجسد، أو كالبدن، وأمير المؤمنين فيهم كالروح والجسد لا يتم إلا بالروح، وأمير المؤمنين مثل القلب وسائر من مضى كالأعضاء...). إثبات الإمامة (٨٣-٨٤).

(٤) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٥٤). وانظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٥٢).

(٥) مفاتيح المعرفة (٢١٥).

أن النبوةَ مرت بستةِ أدوار عظمى هي أدوار: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام،[١] وبدأ الدور السابع بظهورِ محمد بن إسماعيل[٢]، وهو الناطق الذي نسخ شريعة الإسلام؛ لأن كل ناطق يقوم بنسخ شريعة من سبقه، فهو ناسخ وفتح لعهد جديد، ورأي أغلب الإسماعيلية إن لم يكن كلهم أن محمد بن إسماعيل جاء بشريعةٍ جديدةٍ[٣]، يقول الإسماعيلي الدكتور "مصطفى غالب": (ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين، والناطق السابع ومتمم الدور؛ لأن إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الإسماعيلية، فقام بنسخ

---

(١) إثبات النبوات (١٩٣). وانظر: (١٨١-١٩٢) لأبي يعقوب السجستاني، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، دون ذكر لتاريخها، دار المشرق، بيروت، لبنان. رسالة الأصول والأحكام، لأبي المعالي حاتم بن عمران بن زهرة، ضمن خمس رسائل إسماعيلية (١٠٥) وما بعدها. تحفة المستجيبين ضمن خمس رسائل إسماعيلية (١٥٢) وما بعدها. لأبي يعقوب السجستاني. مبتدأ العوالم ومبدأ دور الستر والتقية لحسن المعدل، ضمن أربع كتب حقانية (١٣٣). وما بعدها. والرسالة من تحقيق الإسماعيلي المعاصر الدكتور مصطفى غالب. جلاء العقول (١٣٨). وما بعدها. ضمن منتخبات إسماعيلية. وانظر: شجرة اليقين (١٠-١٢). والكتاب من تحقيق عارف تامر.

(٢) ولد سنة ١٣٢هـ، في المدينة النبوية، وانتقلت إليه الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ، واستتر عن الأنظار خوفا من الدولة العباسية، كما تذكر المصادر الإسماعيلية، ورحل إلى نهاوند، ومنها إلى "دوماند" وبنى مدينة "محمود آباد" ثم خرج من "دوماند" متخفيا إلى تدمر بسوريا، سنة ١٩١هـ، وكانت وفاته بها سنة ١٩٣هـ، وقد أقر الإسماعيليون بوقوع الاضطراب والأقوال المتناقضة في شخصية هذا الإمام. انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (١٣٠) وما بعدها. وعن دور القائم عندهم انظر: الذخيرة (٩٧- ١٠٠).

(٣) انظر: عبيد الله المهدي (٢٨٢). حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، مطبعة النهضة المصرية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

الشريعة التي سبقته، وبذلك جمع بين النطق والإمامة، ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة، ونادى بالتأويل، واهتم بالباطن)(١). ويرى الإسماعيلية أن من لم يؤمن بكل الأدوار التي مرت بها النبوة فهو كافر(٢).

ختم النبوة: بناء على ما تقرر من عقيدةِ الإسماعيلية في قولهم باستمرار النبوة، فإن لازمَ هذا القول إنكار عقيدة ختم النبوة بمحمد ﷺ، بل صرح دعاة الإسماعيلية بنبوة محمد بن إسماعيل، ونقل المعاصرون عنهم تلك العقيدة مؤيدين لها(٣). يقول "عارف تامر" بعد ذكر الآية الكريمة -: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ {الأنبياء: ١٠٤} - (ففي التأويل الإسماعيلي أن السماء هي الشريعة العائدة للناطق وتأويل الآية أنه عند ظهور القائم السابع المنتظر ستطوى جميع الشرائع وعددهم عدد السموات أي ست شرائع وهي لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام كما يطوى السجل ويضيف إليهم الشريعة السابعة التي تلغي جميع ما قبلها وعندئذ يبدأ عهد جديد كما كان قبل بدء الخليقة الطبيعية أي عالم الدين)(٤).

ويذكر "غولدتسيهر" مذهب الإسماعيلية في النبوة فيقول: (إن الوحي الإلهي لا ينقطع ولا ينتهي في فترة زمنية معينة من فترات تاريخ الخليقة،

(١) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (١٣٤).

(٢) يقول الداعي الإسماعيلي عبدان (الكافر من أقر ببعض الأدوار ونطقائها، ولم يقر ببعضها، والمسلم من أقر بالأدوار الماضية واستعمل الشرائع الناسخة، ووقف على معرفتها). شجرة اليقين (١٣).

(٣) انظر: أصول الإسماعيلية (٢ / ٥٨٧ - ٥٩١). الإسماعيلية المعاصرة (٩٠ - ٩١).

(٤) جامعة الجامعة (٥٨). من مقدمته.

وبهذا النظام الدوري المتكرر يلي المهدي الناطق السابع آتيا برسالة تُعد من حيث هي مظهر من المظاهر الدورية أكمل وأعظم مما سبقها، بل تفوق رسالات من سبقه حتى رسالة النبي محمد عليه السلام)[(١)].

والمقصود أنهم يرون أن الإمام أفضل من النبي ﷺ، وتارة يقولون إنه ﷺ وعليّ رضي الله عنه في منزلة واحدة[(٢)] (فمن اعتقد في أحدهما أنه أفضل من الآخر، فقد غلا فيه وقصر في الثاني)[(٣)]، بل يرون أن النبوة والإمامة تجتمع في بعض أئمتهم[(٤)]، وقد ضربت صفحا عن أقوالهم في الوصي والوصاية؛ وهي كبقية عقائدهم كفر صراح، وشرك بواح [(٥)].

ومما يُرد به عليهم:

أن النبوة لا يمكن أن تكون كسبية، بل هي اصطفاء وتفضّل من الله تعالى، قال جل في علاه: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ {الحج: ٧٥}.

---

(١) العقيدة والشريعة (٣١٩). وانظر: جلاء العقول وزبدة المحصول (١٣٦- ١٣٧). ضمن منتخبات إسماعيلية.

(٢) انظر على سبيل المثال: المجالس المؤيدية (١٥٢). للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) مفاتيح المعرفة (١٦١). وقد نسب الدكتور الجوير هذا القول لمصطفى غالب كما في كتابه الإسماعيلية المعاصرة (٩٠). غير أن الصواب أنه من كلام الحسين بن علي بن الوليد، وهذا ما أشار إليه الدكتور مصطفى غالب، في كتابه مفاتيح المعرفة (١٦١). وإن كان إيراده له ودفاعه عنه يدل على اعتقاده له.

(٤) انظر: عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية (٢٧، ٢٨٢).

(٥) انظر عن ذلك بعض ما ذكره إحسان إلهي ظهير في كتابه: الإسماعيلية (٣٤٩- ٣٦٥).

أما اعتقادهم أن الأولياء والأئمة أعظم قدراً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهذا ضلال بيّن، وقول منكر، فإنه لا يتصور الوصول إلى رتبة الولاية إلا باتباع الرسول ﷺ، فالولي مستفيد من النبي عليه السلام، وتابع له، فكلما قرب من النبي عليه السلام كان أفضل، وكلما بعد كان بالعكس، ولهذا كان للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار من الفضل والأجر ما ليس لغيرهم، ومع عظم هؤلاء الأخيار، فلم يدعِ أحد منهم أنه أفضل من الأنبياء عليهم السلام، فكيف بمن يدعي الولاية وهو من أبعد البشر عنها وعن الأسباب الموصلة إليها، فولاية أئمة الإسماعيلية تعدّ ولاية موهومة لا حقيقة لها ولا وجود، ومن ثم فهي دعوة كاذبة كغيرها من أكاذيبهم وادعاءاتهم الزائفة، كيف لا ولديهم ما يناقض ولاية الله تعالى، ولهم من فساد العقائد، وترك العبادات والإعراض عما جاءت به الرسل من الخير والصلاح، ما يندى له الجبين، ولهذا فولاية الباطنية ولاية شيطانية، لا صلة لها بالله ولا رسله أو كتبه[1] .

وأما زعمهم أن الإمام السابع ناسخ لكل الشرائع، وأنه نبي من الأنبياء، فيكفي في إبطال هذا الزعم قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٤٠}. وقوله ﷺ: (لا نبي بعدي)[2] .

---

(١) انظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٦٠١-٦٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب مذكر عن بني إسرائيل، فتح الباري (٦/ ٤٩٥). حديث رقم (٣٤٥٥). ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، مسلم بشرح النووي (١٢/ ٢٣١). الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، المطبعة المصرية بالأزهر.

ثالثا: عقيدتهم في الإمامة والأئمة

إن الإمامةَ عند الإسماعيلية أصلٌ من أصولِ الدين التي لا يتم إلا بها، بل هي الدين[١]، يقول "النيسابوري": (الإمامة هي قطب الدين، وأساسه، والتي يدور عليها جميع أمور الدين والدنيا، وصلاح الآخرة والأولى وينتظم بها أمور العباد، وعمارة البلاد، وقبول الجزاء في دار المعاد، وبها يصل إلى معرفة التوحيد...) [٢].

وهذا الرأي عن الإمامة وأهميتها، وكونها أصل الدين وأساسه، هو ما يردده كتّاب ودعاة الإسماعيلية في الوقت الحاضر، يقول الدكتور "مصطفى غالب": (وفي اعتقاد أهل الحق أن الولاية هي أفضل فرائض الدين...) [٣].

ويقول: (الإمامة أفضل دعائم الدين وأقواها ولا يستقيم الدين إلا بها، والإمامة هي المحور الذي تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده...) [٤]. ومن ثمّ (فلا دين لمن لا يعتقد بإمامة الأئمة

---

(١) انظر: تاج العقائد ومعدن الفوائد (٦٥-٦٦). نقلا من كتاب الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٣٦٧). ولمزيد من أقوالهم عن الإمامة، انظر: فضائح الباطنية (٤٧ – ٤٩). الإسماعيلية تأريخ وعقائد (٣٦٧). وما بعدها. أصول الإسماعيلية (٢ / ٤١٣). وما بعدها.

(٢) إثبات الإمامة (٢٧).

(٣) مفاتيح المعرفة (١٨٩). وانظر: (٢٠٤).

(٤) السهروردي (٢٨). الدكتور مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: مفاتيح المعرفة (٢٠٤). وفيها: إن (علماء أهل الحق قد جعلوا الولاية المحور الأساسي الذي يدور عليه الدين كله، وقالوا بأن الولاية أفضل الفرائض الدينية وألزمها...). وانظر: مقدمته لكتاب الينابيع (١١) وانظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٩-٤٠). وفيها: (ولا تزال الإمامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد =

من أهل بيت الرسول ﷺ) [(١)].

ويقول الإسماعيلي المعاصر "عارف تامر" وهو يتحدث عن موقف الإسماعيلية من الإمامة: لـ (قد جعلوا ولاية الإمام أحد أركان الدين ودعائمه، بل هو الإيمان بعينه، ثم ذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما قالوا: إن الإمامة أفضل دعائم الدين وأقواها ولا يستقيم الدين إلا بها، فالإمامة هي المركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده، ثم إنهم يقولون بالنص، وأن الإمامة تستمر مدى الدهر، وأن الكون لا يستطيع البقاء لحظة دون إمام، وأنه لو فقد الإمام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد،... وفوق كل هذا فالإمام في نظرهم يحل الحرام، ويحرم الحلال...)[(٢)].

والإمامةُ عند الإسماعيلية الأغاخانية تعتبر المحور الذي تدور عليه عقائدهم[(٣)]، ويرى "عارف تامر" أن الإمامة للفاطميين هي القاعدة الرئيسة للدولة والدين، ويقر بأن الفاطميين في حريتهم الفكرية الواسعة التي أخذوا فيها من الديانات والفلسفات القديمة- ويصبغونها بالصبغة الإسلامية كما يزعم- كانت مقيدة بموضوع الإمامة، ويقول: فكافة

=

الإسماعيلية وفلسفتها؛ لأن الإمامة ركن أساسي لجميع أركان الدين).

(١) إثبات الإمامة (٨) أحمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م، ١٤١٦هـ.

(٢) الإمامة في الإسلام (٦٥ – ٦٦). وانظر: تاريخ الإسماعيلية (١/ ٧٥). وقارن بما ذكره في كتابه: المعز لدين الله (١٧).

(٣) إثبات الإمامة (٨). من كلام مصطفى غالب.

مؤلفات الفاطميين ومجالس حكمتهم كانت تدور قبل كل شيء حول الإمامة[١]، بل إنهم (اتخذوا التعاليم الدينية ذريعة للوصول إلى غرضهم السياسي، فأدخلوا في الدين ما وصلت إليه الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وآراء الأقدمين، وكل هذا لإسباغ الفضائل على الأئمة من أهل البيت، فهم قد أعطوا الفكر حريته المقامة إلى أبعد الحدود، ولكنهم قيدوها بهذا الإمامة)[٢].

ولهذا فإن الطائفة الآغاخانية لا زالت تولي هذه العقيدة اهتماماً كبيراً، يقول الإسماعيلي المعاصر "عارف تامر" عنها: (وتكاد تكون الفرقة الإمامية الشيعية الوحيدة بالإضافة إلى الزيدية التي ما فتئت محافظة على التعاليم الإمامية) [٣].

ويقول الدكتور "مصطفى غالب": (ولا تزال الإمامة حتى هذا العصر الذي نعيش فيه المحور الذي تدور عليه كل العقائد باعتبار الإمام مدماك أساسي ترتكز عليه جميع مداميك الدين وأسسه الظاهرة والباطنة)[٤]. ولهذه الأهمية فقد غلوا في أئمتهم، وقالوا بألوهيتهم.

وأقوالهم هذه في أن الإمامة أهم المطالب في الدين، وأشرف مسائله،

---

(١) انظر: العزيز بالله (٦٧-٦٨).

(٢) العزيز بالله (٦٨).

(٣) الإمامة في الإسلام (١٤٠).

(٤) من مقدمته لكتاب: دامغ الباطل وحتف المناضل (١/ ١٤). لداعيتهم المطلق علي بن الوليد، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م، بيروت، لبنان.

كلام باطل ترده النصوص الشرعية، يقول شيخ الإسلام: (إن قول القائل: إن مسألة الإمامة أهم المطالب في الدين، وأشرف مسائل المسلمين، كذب بإجماع المسلمين سنيهم وشيعيهم، بل هذا كفر، فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فالكافر لا يصير مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... ومن المتواتر أن الكفار على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام ولم يذكر لهم الإمامة بحال، ولا نقل هذا عن رسول الله ﷺ أحد من أهل العلم، لا نقلا خاصا ولا عاما، بل نحن نعلم بالاضطرار عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول في دينه الإمامة لا مطلقاً ولا معينا، فكيف تكون أهم المطالب في أحكام الدين؟)[١].

- **ألوهية الأئمة:**

ذهبت الإسماعيليةُ إلى القولِ بألوهية الأئمة، وقالوا: إن الإمام ظاهره إمامة وباطنه غيب، لا يدرك، وهو آية الحدود السبعة، وهو البشرية والإنسية، والجنية والملكية، والظاهر والباطن[٢]، ويرون أن الإمامَ لا يخلو منه مكان، ولا يحوزه مكان؛ لأنه إلهي الذات سرمدي الحياة، لو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق إلى معرفته وصول[٣]، ولولاه لما كان

(١) منهاج السنة (١/ ٧٥- ٧٧).

(٢) انظر: كنز الولد (١٩٤). وما بعدها.

(٣) رسالة مطالع النجوم ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية (٣٣). عارف تامر. نقلا من أصول الإسماعيلية (٢/ ٤٢١).

للمعارف الإلهية ولا لصور الحياة الأبدية وجود[(١)].

ويرى الإسماعيلية أن الإله يظهر في هذه الصورة التي هي الإمام، وبها ظهر لخلقه بخلقه، ولهذا قالوا عن الإمام: (ظاهره إمامة، وباطنه غيب، لا يدرك)[(٢)]، وهذا ما ذهب إليه الآغاخانية، يقول الإسماعيلي المعاصر الدكتور "مصطفى غالب" معلقاً على بعض الأبيات الشعرية[(٣)]: (إن الإمام هو مشمول الله في الأرض، وقد احتجب تعالى فيه لتراه العيون)[(٤)]. ويقولون: إن بعض أئمتهم قالوا: (ما قيل في الله فهو فينا)[(٥)]. ويزعمون أن الخليفةَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: نحن آيات الله الكبرى، وأسماؤه الحسنى[(٦)].

كما يرون وجوب تعظيم الأئمة، وأن تعظيمهم من تعظيم الله تعالى، وأنه يجب السجود لهم وتقبيل الأرض بين أيديهم[(٧)]، وأن يقف الإنسان

---

(١) انظر: المجالس المؤيدية (١٤٤).

(٢) كنز الولد (١٩٤). ويزعمون أن جعفر الصادق قال: (ظاهرنا إمامة، وباطننا غيب لا يدرك). كنز الولد (١٩٥).

(٣) انظر: كنز الولد (١٩٦).

(٤) كنز الولد (١٩٦). تعليق رقم (١). وانظر: ذات الصفحة، تعليق رقم (٤، ٥).

(٥) كنز الولد (١٩٥). وانظر: ما بعدها، فقد ذكر العديد من الأبيات التي تدل على عقيدتهم في أن الإله تجسد فيهم.

(٦) خمس رسائل إسماعيلية الرسالة المذهبية للقاضي النعمان (٣٠). تحقيق عارف تامر، دار الإنصاف للتأليف والطباعة والنشر، ١٣٥٧هـ/ ١٩٥٦م. ويقولون: إنه فارج الكرب، والعروة الوثقى. انظر: المجالس المؤيدية (٣٨٤).

(٧) انظر عن هذا وأمثاله: الهمة في آداب اتباع الأئمة (١٠٤-١٠٥). وانظر: ما بعدها. تحقيق =

أمامهم معتدلا كقيامه في الصلاة، ويرمي ببصره إلى الأرض، وينظر إليه من تحت طرفه نظر من يرى أن نظره إليه عباده[١]، ولهذا (ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه، ويتقيهم كما يتقي الله)[٢]... وهذا الكلام يحققه كتاب الإسماعيلية ودعاتها في العصر الحاضر دون أن يذكروا كلمة واحدة في موقفهم منه، مما يدل على أن عقائدهم هي ذات عقائد أسلافهم الباطنية.

وإذا كانت الآراء الإسماعيلية القديمة والحديثة تقرر ألوهية الأئمة، فإن "الآغاخان" الثالث "محمد شاه" ادعى الألوهية، ورضي لأتباعه أن يعبدوه، كما ادعى أن الإلهَ متجسمٌ فيه شخصياً، وأن آلافاً من البشرِ يعتقدون ذلك، ومما قال لزوجته الفرنسية "أندريه" وهو يقدمُ نفسه لها: (ابنتي العزيزة: أنت لا تجهلين ولا ريبَ بأني أميرٌ شرقي كبير، واعتقد بأنك تجهلين بأن آلافاً وآلافاً من البشرِ يعتقدون بأن الإلهَ متجسمٌ فيّ تقريباً.

نعم إن هذا الأمر لا أهمية له هنا، وأما في الهند وسوريا وإيران والباكستان، وبورما، وسيلان، وأفريقيا، له أهمية كبرى، ونأمل أن نقوم سوية بزيارة قريبة لتلك البلاد لقضاء شهر العسل فيها، وسوف تتأكدين بنفسك من ذلك)[٣].

=

الدكتور محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(١) الهمة في آداب اتباع الأئمة (١١٠).

(٢) الهمة (٧٨).

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥٨).

ويقول الدكتور "محمد كامل حسين": في وصف "الآغاخان" الثالث: (حتى عجب الناس من تناقض شخصيته، فهو إمام لطائفة دينية يعتقد أتباعه عصمته، ورفعوه في التقديس إلى درجة الألوهية، ثم هو في الوقت نفسه لم يتحرج عن أن يأتي ما يتنافى مع كل دين من الأديان...)[(١)].

ويقول أنه وجه سؤالا إلى الآغاخان – بعد أن وعده بعدم الغضب منه – فقال له: (لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك، فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إلها ؟

فضحك طويلاً وعلت قهقهاته، ودمعت عيناه من كثرة الضحك ثم قال: هل تريد الإجابة عن هذا السؤال، إن القوم في الهند يعبدون البقرة، ألست خيراً من البقرة!!

فلم أحر جوابا بعد ذلك، وخرجت من عنده وأنا أفكر في هذا الرجل الذي اعتقد فيه أتباعه الألوهية، أو على الأقل إن نور الله حل به، وكان هو يعلم أنه ليس بإله، ولم يمسسه نور الله...)[(٢)].

يقول الدكتور "مصطفى غالب" عن عقيدة الإسماعيلية: (وهم يعتبرون الأئمة من البشر من حيث الظاهر، وأنهم خلقوا من التراب، ويتعرضون للأمراض والآفات والموت، مثل غيرهم من الناس، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه "وجه الله" و "يد الله" و "جنب الله" وأنه هو الذي يحاسب البشر يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم، والذكر

(١) طائفة الإسماعيلية (١٢٥).

(٢) طائفة الإسماعيلية (١٢٦– ١٢٧).

الحكيم، إلى غير ذلك من الصفات)[١]. والمقصود أن الإسماعيلية الأغاخانية يقولون بتأليه أئمتهم[٢] سواء بطريق مباشر، أم بطريق إخراج كتب أسلافهم[٣] والتعليق عليها، بما يدل على تأييدهم لما ذكر فيها، ولا تجد لهم كلمة في إنكار الإلحاد الذي امتلأت به تلك الكتب، وفي هذا برهان قاطع على أن دعاتها وكتابها يذهبون إلى ذات الأفكار التي قال بها أسلافهم.

والمقصود أنهم قدسوا الأئمة حتى أخرجوهم من مقام البشرية والعبودية لله تعالى، إلى مقام الألوهية، والتحكم بتدبير الكون[٤]، وهذا الأمر بطلانه معلوم لكل عاقل، ناهيك عن الإنسان المسلم.

يقول غولدتسهير: (وقد صبغت الإسماعيلية الآراء الدينية في الإسلام بعناصر الغنوصية[٥] والأفلاطونية الحديثة، مما جعل تعاليم هذه الفرقة

---

(١) مقدمته لكتاب الينابيع (١٢). وانظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٤٠). مفاتيح المعرفة (١٥٢) السهروردي (٣٠). طائفة الإسماعيلية (١٥٧).

(٢) انظر: طائفة الدروز تاريخها وعقائدها (٨٥). الطبعة الثانية، دون ذكر لتاريخها، دار المعارف، مصر. الشيع المهدي، الدروز (٢٣٢).

(٣) انظر على سبيل المثال ما ذكره النيسابوري في كتابه: إثبات الإمامة (٨٧-٩٣). والكتاب من تحقيق الدكتور مصطفى غالب. ضياء الحلوم ومصباح العلوم، علي بن حنظلة الوادعي، ضمن أربع كتب حقانية (٩٥). وما بعدها. تحقيق الدكتور مصطفى غالب، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٤) انظر: مقدمة الدكتور مصطفى غالب لكتاب: الينابيع (١٦). وانظر: المجالس المؤيدية (٤٣، ٤٨). إثبات الإمامة (٥٣، ٥٤، ٥٧).

(٥) الغنوصية: الغنوصية: الغنوص كلمة يونانية معناها المعرفة، ومعناها الاصطلاحي هو: التوصل =

ستارا لحفظ البقايا الدينية للوثنية القديمة. وبما إن الإسماعيلية قد رفعت الأئمة العلويين إلى مستوى الألوهية، فقد كان من السهل عليهم أن يتخذوا منهم أقانيم يسبغون عليهم تصورات الوثنية القديمة عن الألوهية، وهي تصورات وعقائد ليس لها من الإسلام إلا الألفاظ والاصطلاحات الدينية الإسلامية التي تستتر وراءها)[١].

- **علم الأئمة للغيب**

يعتقد الإسماعيلية أن الأئمة يعلمون الغيب ومما ذكره "الكرماني"[٢]: (وله[٣] معجزة بل معجزات، وأخبار بالكائنات قبل كونها وإظهارا للعلوم المكنونة)[٤].

ويقول "المؤيد الشيرازي": إن الأئمة (يعلمون من أمر البدء والمعاد ما حجبه الله سبحانه عن كافة العباد، بموادهم الإلهية وقواهم النفسانية، وبكونهم عقول هذا العالم... فلا يكاد يغيب عنهم غائبة مما يصلح شأن

= بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، أو هو: تذوق تلك المعارف تذوقًا مباشرًا بأن تلقى في النفس إلقاء، فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية. انظر: نشأة الفكر الفلسفي (١/ ١٨٦).

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام (٣٢٨).

(٢) أحمد حميد الدين الكرماني، نسبة إلى مدينة كرمان الفارسية، تلقى علومه في المدارس الإسماعيلية، له العديد من المؤلفات امتلأت بالفكر الباطني والإلحاد، هلك سنة ٤١١هـ. انظر: مقدمة مصطفى غالب لكتابه: المصابيح في إثبات الإمامة (١٠- ١١).

(٣) يقصد الحاكم بأمر الله.

(٤) المصابيح في إثبات الإمامة (١٠٦).

العباد...)[١].

ويذكرون أن الخليفةَ الرابع رضي الله عنه يقول: (أدركت علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة)[٢].

أما المعاصرون فقد قال "الآغاخان" الثالث: (إن عليا يا عزيزتي كان الشعر والحلم بعينيهما، عالما بالسر الذي يوضح وجود هذا العالم...)[٣].

ويقول الدكتور "مصطفى غالب" عن "الآغاخان" الثالث: (لقد تعلم الإمام آغاخان واختبر الحياة فعلم باطنها وظاهرها، وتوصل إلى معرفة ما تشكو منه البشرية)[٤].

هذا بالإضافة إلى أن الدكتور "مصطفى غالب" يورد خطبة يقول عنها "خطبة البيان" منسوبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيها مزاعم ينزه عنها الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيها: (أنا سر الأسرار... أنا سبب الأسباب... أنا الأول والآخر، أنا الباطن والظاهر... أنا سريرة الخفيات... أنا كنز أسرار النبوة، أنا المطلع أخبار الأولين، أنا المخبر عن وقائع الآخرين... أنا كاشف الكرب...)[٥].

ومما يقال في رد زعمهم هذا: أن علم الغيب مما اختص الله تعالى به، لا

---

(١) المجالس المؤيدية للشيرازي (٤٤١). والكتاب من تحقيق الإسماعيلي المعاصر الدكتور مصطفى غالب.

(٢) مسائل في الحقائق وجواباتها ضمن أربعة كتب إسماعيلية (٣٨) مجهولة المؤلف، تحقيق: شتر وطمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٠٢).

(٤) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٨٣).

(٥) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٣١- ٣٣٦).

يشاركه فيه أحد لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وأعظم ما يرد به على هذا الزعم، ما جاء في كتاب الله جل وعلا، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ {النمل: ٦٥}.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ {الأنعام: ٥٩}.

وقال جل وعلا: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ {الأنعام: ٥٠}.

يكفي بهذا إبطال لزعم الآغاخانية وأسلافهم أن الأئمة يعلمون الغيب، ولا ريب في كفر من زعم ذلك.

- **عصمة الأئمة** (١):

يذهبُ الإسماعيلية إلى القولِ بعصمةِ أئمتهم، وعدم جواز الاعتراض عليهم أو التشكيك في أفعالهم، يقول "النيسابوري" عن المستجيب للدعوة فيعتقد (إمامة إمام الزمان، وضرورة وجوده، ويعرف أنه رأس العالم، وخليفة الله في خلقه، وأنه لا يعترض على شيء من أوامره، ونواهيه، وأقواله، وأفعاله، كونه يتمتع بالعصمة التي وهبه إياها الله، فامتاز بها عن بقية المخلوقات)(٢). بل الأمر عندهم أشد من ذلك فليس من حق أحد الاعتراض عليهم ولو رآهم بعينه يرتكبون الباطل ويقعون في الحرام، فإنه

(١) انظر ما ذكره الكرماني عن القول بعصمتهم: المصابيح في إثبات الإمامة(٧٤). وما بعدها.
(٢) إثبات الإمامة (٥١).

لا ينكر ذلك لا بقلبه، ولا بلسانه، ولا يخالجه شك في أنه حق وصواب[(١)]!!!.

وإذا كان هذا بعضاً مما جاء عن الإسماعيلية قديماً، فإن المعاصرين منهم لا يخرجون عن هذه الآراء والأفكار، يقول الدكتور "مصطفى غالب" عن حياة الإسماعيلية في عهد "الآغاخان" الثاني: (والخلاصة نهضت الإسماعيلية نهوضاً عاماً شاملاً وانتشروا في جميع البلدان وازدهرت أعمالهم التجارية، وأصبحوا من أرقى الشعوب، كل هذا بفضل إخلاصهم وتفانيهم وطاعتهم العمياء لإمامهم المعصوم[(٢)] الذي يسهر دائماً على مصالحهم ويؤمن لهم السعادة والرخاء) [(٣)].

ويذكر أن من عقائد الإسماعيلية: (القول بوصاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولاية الأئمة المنصوص عليهم من ذريته وعصمتهم جميعاً)[(٤)]؛ لأن ذلك أصل من أصول ومرتكزات العقيدة الإسماعيلية [(٥)].

ومما يقال في رد ضلالتهم هذه: إما أن يكون طريق علمكم بعصمته

---

(١) انظر: الهمة (١٣١). والتعجب من عندي. وانظر: (١٢٧) وما بعدها. تحت عنوان: ذكر النهي عن إنكار أفعال الأئمة والأمر بتلقيها عنهم بالقبول !!!.

(٢) انظر أيضا: تاريخ الإسماعيلية (١/ ٧٦). وانظر ما بعدها حيث ذكر العديد من الأقوال الواردة عن أئمة الإسماعيلية في الإمامة. والكتاب من تأليف الإسماعيلي المعاصر عارف تامر.

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٧٢).

(٤) من مقدمته لكتاب الينابيع (١٠). وانظر: (١١).

(٥) من مقدمته لكتاب الينابيع (١١). وانظر: إثبات الإمامة (٢٦) للنيسابوري. مفاتيح المعرفة (١٦٢). مقدمة كتاب: دامغ الباطل(١٤). للدكتور مصطفى غالب.

ضرورة العقل، أو نظره، أو عن طريق الخبر، ولا سبيل إلى دعوى الضرورة فإن الضروري ما يشترك في معرفته ذوو العقول السليمة، كقولنا الكل أعظم من الجزء، وأصل وجوب وجود الإمام لا يعرف ضرورة بل نازع فيه منازعون، وإن ادعيتم علم ذلك بالنظر فهذا إبطال لمذهبكم، وإن علمتم ذلك عن طريق إمامكم فلم صدقتموه قبل أن تعلموا عصمته بدليل آخر؟! وإذا كنتم لا تعرفون عصمته إلا من قوله، وقوله لا يكون حجة إلا إذا كان معصوماً فقد وقف كل واحد من الأمرين على الآخر، فلا يحصلان ولا واحد منهما، ومن ثم فلتتعجب من هذا التناقض البيّن وغفلة هؤلاء المغرورين عنه[١].

ويبيّن شيخ الإسلام حال الإسماعيلية، فيقول: (ومنتهى دعوتهم إلى رجال ملاحدة منافقين فساق، ومنهم من هو شر في الباطن من اليهود والنصارى، فالداعون إلى المعصوم لا يدعون إلى سلطان معصوم، بل إلى سلطان كفور أو ظلوم، وهذا أمر مشهور يعرفه كل من له خبرة بأحوالهم)[٢].

رابعا: عقيدتهم في صحابة رسول الله ﷺ:

إن الإسماعيلية يظهرون موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم بكثرة ما يرددون من أقوال عن الإمامة ولمن تكون بعد رسول الله ﷺ[٣]، وأنها لعلي رضي الله عنه دون

---

(١) انظر: فضائح الباطنية (٧٧-٧٨). أصول الإسماعيلية (٢/ ٤٥٣).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٨٠).

(٣) انظر: المصابيح في إثبات الإمامة (٨٣). وما بعدها. والكتاب من تحقيق الإسماعيلي الدكتور =

غيره[١]، وفي هذا دلالة واضحة على موقفهم من الصحابة عامة، والخلفاء الثلاثة خاصة، رضي الله عنهم جميعاً، ويظهر موقف الآغاخانية من صحابة رسول الله ﷺ من خلال الكتب التي يقومون بتحقيقها لدعاة الإسماعيلية المتقدمين، وهم بهذا يتبنون الفكر الموجود في هذه الكتب، من خلال تحقيقهم لها ونشرها واعتبارها الممثلة الحقيقية للإسماعيلية قديماً وحديثاً[٢]، ويضاف إلى ذلك الكتب التي يقومون بتأليفها ويتحدثون فيها عن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة دون سواه، وأن ما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم كان مؤامرة، وأنهم كانوا يتسابقون إلى الحصول على الخلافة، ونحو ذلك[٣]. وقد وجدت كلامهم في ما تحت يدي من كتبهم لا يظهر فيه السب أو اللعن مباشرة، ولكن يغلفون كيدهم ومكرهم وحقيقة عقيدتهم بطريقة ليست بخافية على من يدرك حقيقة مذهبهم. فهذا الدكتور "مصطفى غالب" بعد أن ذكر الخلفاء الثلاثة، وذكر قتل عثمان رضي الله عنه قال: (وبذلك تم القضاء على المغتصبين وأعيد الحق إلى نصابه، والسيف إلى قرابه، فتسلم الإمام علي السلطتين الزمنية والروحية...) [٤].

ومما يقال في الرد عليهم: إن صحابة رسول الله ﷺ قد رضي الله عنهم، وشهد لهم بالفضل والخيرية أفضل رسل رب البرية، ومن أبى قبول ذلك

=

مصطفى غالب.

(١) انظر: مقدمة الدكتور مصطفى غالب لكتاب إثبات الإمامة (٩- ١١-١٢، ١٣).

(٢) انظر على سبيل المثال: إثبات الإمامة (٧٦- ٨٢). من تحقيق الدكتور الإسماعيلي مصطفى غالب.

(٣) انظر: الإمامة في الإسلام (٤٨). وما بعدها. للإسماعيلي عارف تامر.

(٤) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٨٢-٨٣).

فقد عارض وعاند ما جاءت به النصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ {التوبة: ١}.

وكما هو معلوم فإن الآغاخانية وأسلافهم يأبون ذلك، وكفى به إثماً مبينا، وضلالا بعيداً، وبهذا الموقف يتبيّن لكل مسلم أن هؤلاء الباطنية قديما وحديثا، أعداء للدين وأهله، فإن خير القرون وأعدل الناس وأفضلهم بعد الأنبياء عليهم السلام، هم صحابة رسول الله ﷺ، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ، رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، والقدح في الخلفاء الثلاثة من قبل الباطنية قدح في الله تعالى وفي رسوله ﷺ؛ لأنه يستلزم تكذيب ما جاءت به النصوص الشرعية.

وهم يرون أن الإمامة إنما تكون في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذريته؛ لأنهم -دون غيرهم- أصحاب الحق، يقول الدكتور "مصطفى غالب": (أبرز أوجه التلاقي عند الإسماعيلية والشيعة، قضية الإمام، وضرورة وجود الإمام المنحدر من صلب علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاحب الحق الشرعي في الإمامة بعد رسول الله ﷺ وأن حفدة النبي أحق الناس بأن يعرفوا حقيقة رسالة جدهم، فهم وحدهم ورثة علم النبي، خصهم به ليكونوا حجة على المسلمين من بعده، وذلك كله بأمر من الله تعالى...)[1].

---

(١) مقدمته لكتاب الينابيع (٩). لأبي يعقوب السجستاني، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان. وانظر: مفاتيح المعرفة (١٥١). وفيها: (تعتبر مرتبة الوصاية والإمامة المحور الأساسي الذي تدور عليه كافة العقائد عند أهل الحق خاصة والشيعة بصورة عامة، ولكنهم لا يصرحون بهذا المعتقد علانية، بل يرمزون إليه متخذين من نظرية الظاهر والباطن ستارا لتحقيق ما يشيرون إليه).

وهذا زعم باطل، وكل ما ذكروه من أدلة فهي إما موضوعة أو مطعون فيها، وما صح منها وهو قليل، فهم يؤولونه تأويلا باطنيا، يخرجون به عن الحق الذي تقتضيه تلك النصوص[١]، بل إن الصحابة رضي الله عنهم، متفقون على تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل تواتر عن علي رضي الله عنه من وجوه كثيرة أن خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهم أجمعين [٢].

خامساً: قولهم بالظاهر والباطن

يقوم مذهب الإسماعيلية على اعتقاد أن لكل ظاهر من النصوص الشرعية باطنا[٣]، وأن (الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلوات الله عليه، وصاحب الحقيقة هو الوصي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه)[٤].

ويرون أن الرسول ﷺ هو الذي قسم الشريعة ظاهريا، ثم عهد بتقسيمها وتفصيلها باطنياً إلى صامت[٥]، وهو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم بهذا يهدفون إلى تقديم علي رضي الله عنه، على رسول الله ﷺ.

وعندهم أن للدين حدوداً ظاهرة بينة يعلمها أهل الشريعة، ولأحكامه وحدوده أسرار وبواطن لا يعرفها إلا الخواص منهم والراسخون في

---

(١) ولمزيد عن رد هذا الزعم انظر: أصول الإسماعيلية (٢/ ٤٦١) وما بعدها.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ١١- ١٥).

(٣) انظر: المصابيح في إثبات الإمامة (٥١) وما بعدها. والكتاب من تحقيق الإسماعيلي الدكتور مصطفى غالب.

(٤) الافتخار (٧١). من الإسماعيلية (٤٧٤). ظهير.

(٥) انظر: إثبات النبوات (١٩٢).

العلم[١].

وقد اهتم الإسماعيلية في الوقت الحاضر بهذا المبدأ، وأقروا بأنه يجب الرجوع إلى التأويل الباطني، يقول الدكتور "مصطفى غالب" عن طائفته الإسماعيلية: (ونادوا بوجوب التأويل الباطن؛ لأنه من عند الله، خص به عليا بن أبي طالب رضي الله عنه كما خص الرسول ﷺ بالتنزيل... وعمدوا إلى إحاطة علوم الباطن بالستر والكتمان، وحظروا إظهارها إلا لمن يستحق ذلك فقط. واعتبروا التأويل الباطن نظرية دينية فلسفية... وقالوا إن المخلوقات قسمان: قسم ظاهر للعيان، وقسم باطن خفي، فالظاهر يدل على الباطن، وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية، وما جاء في القرآن هي معاني يعرفها العامة، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنا لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدهم)[٢].

ويرون أن هذا المبدأ به قوام الدين، وأن الألفاظ الظاهرة يستتر خلفها الكثير من الأمور المحجوبة، يقول "عارف تامر": (ومهما يكن من أمر فإن هنالك معاني مستترة تحت الألفاظ وأمور محتجبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام فهي قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة...)[٣].

---

(١) انظر: جامعة الجامعة (٤٣). من مقدمة المحقق عارف تامر، وذكر أقوال سلفه في ذلك.

(٢) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٤٢). وانظر: مقدمته لكتاب دامغ الباطل (١٢-١٣). وانظر: ظاهر الدين وباطنه (١٧٩). وانظر: مقدمته لكتاب: إثبات الإمامة (١٨).

(٣) جامعة الجامعة (٤٨) تحقيق عارف تامر، من تعليقاته. الطبعة الثانية، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، دون ذكر لرقم الطبعة. يقول غولدتسهير: (إن غاية ما تذهب إليه الإسماعيلية هو هدم كل عقيدة واقعية محدودة، بل إنه في المراحل الإعدادية التي يقتضيها الاندماج في المذهب =

ومقصودهم من القول بهذه العقيدة هو إبطال الشرائع؛ بطريقة كلها خبث ودهاء، حقيقتها كفر وإلحاد، فهم عندما (عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معاني الشرع، وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم للمبايعة والموالاة، وأنهم لو صرحوا بالنفي المحض والتكذيب المجرد لم يحظوا بموالاة الموالين، وكانوا أول المقصودين المقتولين)[1].

ومما يقال في رد ضلالهم وكفرهم هذا: بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ ما ذكرتم؟ فإن أخذتموه من نظر العقل فهو عندكم باطل، وإن سمعتموه من لفظ الإمام المعصوم فلفظه ليس بأشد تصريحا من هذه الألفاظ التي أولتموها[2].

ويقال لهم: إن هذه العقيدة يلزم منها القدح في كتاب الله تعالى، فهو غير بيّن، والقدح في رسوله ﷺ، فهو لم يبلغ كما أمر، يقول "الغزالي": (هذه البواطن و التأويلات التي ذكرتموها لو سامحناكم أنها صحيحة فما حكمها في الشرع؟ أيجب إخفاؤها، أم يجب إفشاؤها؟ فإن قلتم: يجب إفشاؤها إلى

=

الإسماعيلي ينبغي أن يفهم المريد القرآن والشريعة فهما مجازيا، أي عليه أن ينبذ المعاني الظاهرة ولا يُعنى بها؛ لأنها ستار يحجب المعنى الروحي الصحيح). العقيدة والشريعة (٣٢٠).

(١) فضائح الباطنية (٥٩). وانظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه (٨). وفيه: (ويقولون للشرائع باطن لا يعرفه إلا الإمام ومن ينوب منابه، وكذلك كل ما ورد في الحشر والنشر وغيرها فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن...).

(٢) انظر عن ذلك: فضائح الباطنية (٦١- ٦٢).

كل أحد- قلنا فلم كتمها محمد ﷺ فلم يذكر شيئا من ذلك للصحابة ولعامة الخلق حتى درج ذلك العصر ولم يكن لأحد من هذا الجنس خبر؟ و كيف استجاز كتمان دين الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ {آل عمران: ١٨٧}. تنبيها على أن الدين لا يحل كتمانه، و إن زعموا أنه يجب إخفاؤه فنقول: ما أوجب على الرسول ﷺ إخفاؤه من سر الدين كيف حل لكم إفشاؤه؟ والجناية في السر بالإفشاء ممن اطلع عليه من أعظم الجنايات. فلولا أن صاحب الشرع عرف سرا عظيما و مصلحة كلية في إخفاء هذه الأسرار لما أخفاها و لما كرر هذه الظواهر على أسماع الخلق ولما تكررت في كلمات القرآن صفة الجنة و النار بألفاظ صريحة مع علمه بأن الناس يفهمون منه خلاف الباطن الذي هو حق، و يعتقدون هذه الظواهر التي لا حقيقة لها. فإن نسبتموه إلى الجهل بما فهمه الخلق منه فهو نسبة إلى الجهل بمعنى الكلام، إذ كان النبي ﷺ يعلم قطعا أن الخلق ليس يفهمون من قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ {الواقعة: ٣٠ - ٣٢}. إلا المفهوم منه في اللغة- فكذا سائر الألفاظ ثم مع علمه بذلك كان يؤكده عليهم بالتكرير و القسم، و لم يفش إليهم الباطن الذي ذكرتموه لعلمه بأنه سر الله المكتوم، فلم أفشيتم هذا السر وخرقتم هذا الحجاب؟ وهل هذا إلا خروج عن الدين ومخالفة لصاحب الشرع، وهدم لجميع ما أسسه؟ إن سُلم لكم جدلا أن ما ذكرتموه من الباطن حق عند الله - و هذا لا مخرج لهم عنه)[1].

(١) فضائح الباطنية (٦٤-٦٥).

سادساً: قولهم بالتناسخ[١]:

إن من العقائد التي يقول بها الإسماعيلية عقيدة التناسخ، وقد أشار بعض الإسماعيلية لهذا المعتقد عند ذكرهم حال المخالفين والمعاندين ومآلهم[٢].

والغريب أن بعض الباحثين يزعم أنهم لا يقولون بالتناسخ[٣]، بينما يقر بهذه العقيدة كتّاب الإسماعيلية المعاصرون فيذكر الدكتور "مصطفى غالب" أن المسخ يكون لمن خرج عن دعوة الإمام، فيقول: (أما المسخ فيعني انتقال روح الإنسان بعد الموت إلى حيوان أو نبات أو معدن من المعادن بحسب اكتساب تلك الروح عندما كانت في عالم الكون والفساد، وهذا يعني بالنسبة لأهل الحق الخروج عن الدعوة إن كان من أبنائها وخالف تعاليم الإمام وحدوده الذين ينوبون عنه في جزائر الأرض المعروفة لدى أهل الحق)[٤].

ويمكن القول إن نظرية الدورات المتعاقبة لهذا العالم، يؤخذ منه قولهم

---

(١) التناسخ هو: (تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر) التعريفات (٩٧) الجرجاني، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) انظر: الذخيرة في الحقيقة (١٢٦). وانظر: ما بعدها. تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم (١٠٠) وما بعدها. وقد اشار الغزالي إلى أنهم يقولون بتناسخ الأرواح. انظر: فضائح الباطنية (٥٠-٥١).

(٣) مثل الدكتور محمد كامل حسين، انظر: طائفة الإسماعيلية (١٧١). والدكتور عبد الرحمن بدوي، انظر: مذاهب الإسلاميين (١٠٥١).

(٤) مفاتيح المعرفة (٢٢٩).

بالتناسخ؛ لأنهم يرون أن الأئمة يظهرون في كل دور بنفس ظهورهم في الدور السابق، والمعنى أنه تفنى أجسادهم وتبقى أرواحهم تنتقل بين الأجساد، وهذا ما ذكره الآغاخان الثالث حيث يقول: إن دور الأنبياء والأئمة الوحيد في هذه الدنيا هو إرشاد المخلوقات إلى دار السلام، وهؤلاء مقربون من السماء، وأن حياتهم كحياة غيرهم من البشر زائلة ولكنهم يظهرون تارة هنا وتارة هناك ويدعي أنه واحد منهم[(١)].

ومما يدل على قولهم بهذه العقيدة رسالة لأحد دعاتهم نشرت حديثاً وملخصها: أن أرواح المؤمنين عندما تفارق الأجساد تمتزج بالهيكل النوراني، ثم تعود إلى الأرض في أجساد أخرى حسب الدورات التي يذكرونها وكل على الحال الذي يناسبه، أما المعاندون فإنهم يصيرون إلى العذاب وسوء العقاب في دركات سبع[(٢)] وكل درك فيه سبعين قميصاً وأول هذه الدركات درك الرجس وهي قمص البشر، وآخرها درك الركس وهو ظهوره في المعدن والحجر[(٣)].

ويقول الدكتور "مصطفى غالب": عن وفاة "الحاكم بأمر الله" (ونحن نؤكد لهم أنها نوع من الغيبة الجسدية، أما الروح الطاهرة فقد

---

(١) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥٩).

(٢) والثانية: قمص الوكس وهم القرود والدب ونحو ذلك، والثالثة: قمص العكس: وهم سباع البر والبحر كالأسود والذئاب ونحوها. والرابعة: قمص الحرس: وهم هوام البر والبحر كالأفاعي والعقارب، والخامسة: قمص النجس، وهم: طير البر والبحر، والسادسة: قمص النكس، وهم: النبات القاتل للحيوان. انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (١١٤-١١٥).

(٣) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (١١٣-١١٥). وقد نقل نصوصا من هذه الرسالة.

سارت في عقبه وستظل تنتقل من واحد إلى آخر حتى نهاية الوجود لأنهم علته)[1].

ويؤكد الدكتور "محمد الجوير" قولهم بتلك العقيدة من خلال جولاته في بعض المناطق التي يسكنها الإسماعيلية فقد التقى ببعض من كان ينتسب لهذه الطائفة فأكدوا له أن هذه العقيدة لا زالت راسخة في عقول الإسماعيلية، حتى إن أحدهم إذا شاهد حيواناً قال: هذا فلان ابن فلان !! وذلك لانتقال روحه فيه وتميزه بالشر، وكذا العكس [2].

ومما يقال في الرد على هذه الضلالة: أن الفكرة في أصلها مأخوذة عن الديانات الوثنية والوضعية، والآراء الفلسفية، وهي فكرة باطلة ينقضها ما تقرره النصوص الشرعية، من البعث، والحساب والجزاء، والجنة والنار، ولهذا لا تجد طائفة قالت بهذه العقيدة إلا أنكرت اليوم الآخر، وأولت النصوص الواردة فيه تأويلا باطلا.

سابعاً: قولهم بالتقية:

إن الإسماعيلية بطوائفها المختلفة تقول بمبدأ التقية فيظهرون إسلامهم، ويبطنون إلحادهم، تحقيقا للمطلوب، ووصولا للغاية، ويذكر الإسماعيلي المعاصر الدكتور "مصطفى غالب" أخذ الإسماعيلية بهذا المبدأ فيقول: (من الثابت علمياً وتاريخيا بأن نظام التقية الذي يقضي بالمحافظة على أسرار الدين العرفانية شيء معروف لدى الشيعة عامة، والإسماعيلية

---

(١) الحركات الباطنية في الإسلام (٢٠٣). مصطفى غالب. من كتاب الإسماعيلية المعاصرة (١٠٤).

(٢) انظر: الإسماعيلية المعاصرة (١٠٤).

بصورة خاصة)[(١)].

ويقول: (وللشيعة أقوال عديدة أخذوها عن الأئمة وأولي الأمر حول نظام التقية، وضرورة المحافظة على سرِ الربوبية وعدم إفشائه، وتنوه بالحرصِ الشديدِ على عدم هتك أستار الألوهية التي يجب أن تظل مخفية عن غير أهلها، وتبقى مودعة عند أهلها.

ومما يروى عن الأئمة من آل البيت قولهم: إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)[(٢)].

وتصور هذا المبدأ كما يذكره أصحابه كاف في بيان بطلانه، وبطلان عقائدهم كلها، فهو إظهار للإسلام، وإبطان للكفر.

ثامناً: موقفهم من المعاد وأمور الغيب

اتفقوا جميعاً على إنكار القيامة، وأولوها وقالوا إنها رمزٌ إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشريعة، المغيّر للأمر، وأما المعادُ فأنكروا ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، فأنكروا الحشر والنشر للأجساد، وقالوا معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله، فالإنسان متركب من العالم الروحاني والجسماني، أما الجسماني منه، وهو جسده، فمتركب من الأخلاط الأربعة: الصفراء والسوداء والبلغم والدم، فينحل الجسد ويعود كل خلط إلى الطبيعة العالية، أما الصفراء فتصير نارا، وتصير السوداء تراباً،

---

(١) دامغ الباطل وحتف المناضل (١١)

(٢) المرجع نفسه من مقدمة المحقق (١١). وانظر: (١٢).

ويصير الدم هواء، ويصير البلغم ماء، وذلك هو معاد الجسم، وأما الروحاني، وهو النفس المدركة العاقلة من الإنسان فإنها إذا صفيت بالمواظبةِ على العباداتِ وترك الشهوات، وغذيت بغذاء العلوم والمعارف التي تتلقى من الأئمةِ الهداة، اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها وتسعد بالعود إلى وطنها الأصلي.

وأما النفوس المنكوسة المغمورة في عالم الطبيعة المعرضة عن رشدها من الأئمة المعصومين فإنها تبقى أبد الدهر في النار على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان، فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام فلا تفارق جسداً إلا ويتلقاها آخر(١).

والإسماعيلية المتقدمون يقولون بهذه الآراء والأفكار(٢)، فمنهم من يرى أن الثواب هو ما يحصل للنفوس من الفوائد العلمية في الدعوة التأويلية، وأما العقاب فهو ما يدخل على النفوس المخالفة للحق من الشكوك والشبهات، وما يحل بها من الألم عند سلوك غير الصواب(٣)، ومنهم من قال: إن الثواب ليس حسيا إنما هو العلم فقط(٤)، ومنهم من يقول: إن الثواب هو معرفة قائم القيامة ومتابعته، والعقاب جهله القائم ومعصيته وعدم معرفته؛ لأنه لم يبعث الأنبياء إلا لكي يبشروا الخلق،

---

(١) انظر: فضائح الباطنية (٤٩ – ٥١). الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤١٩-٤٢٦) وعن القيامة (٤٤٧). وعن الثواب والعقاب والجنة والنار (٤٥٣). وما بعدها.

(٢) انظر: فضائح الباطنية (٤٩ – ٥١).

(٣) انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٥٤- ٤٥٥).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٤٥٦).

ويهدوهم إلى قائم القيامة [١].

وهذه الآراء يقول بها المُحدَثون شأنهم شأن أسلافهم، يقول الدكتور "مصطفى غالب": (إن الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي جسمه إلى ما يجانسه من التراب، وينتقل عنصره الروحي "الروح" إلى الملأ الأعلى، فإن كان الإنسان في حياته مؤمناً بالإمام فهي تحشر في زمرة الصالحين وتصبح ملكا مدبرا، وإن كان شريراً عاصياً لإمامه حشرت مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الإمام)[٢]. كما تابع الإسماعيلية المعاصرون أسلافهم في تأويل هذه العقائد، والسخرية والاستهزاء بها، فقالوا: (إن القول بالبعث مهزأة... وان المؤمن الحقيقي هو من يؤول الوحي الإلهي على طريقتهم، وأما من يتبع الشرائع المنزلة وأحكامها على ظواهرها فليس هو إلا كافراً)[٣].

وتبعاً لهذا فقد أنكر الإسماعيليةُ الثواب والعقاب، وبناء عليه فلا جنة ولا نار، وقد صرح "الآغاخان" الثالث بذلك فقال: (إن الروح والمادة تتعاونان دائما مع النفس ولا يمكن لهذين المبدأين اللذين يؤلفانها أن يصلا بها على ما يسميه شركاؤنا في الاعتقاد "الطبقة الجاهلة منهم" الجنة والتي هي في الحقيقة وفي "رأي العقلاء المدركين" حالة النفس البالغة كمال المعرفة الحقيقية) [٤].

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٤٥٦).

(٢) من مقدمته لكتاب الينابيع (١٦).

(٣) تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام نقلاً من: الإسماعيلية المعاصرة (١٠٠).

(٤) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥٩). التأكد من الإسماعيلية المعاصرة (١٠٢).

ومما يذكر هنا أن كتّاب الإسماعيلية ودعاتها في العصر الحاضر تبع للمتقدمين منهم، فهم إما أن يصرحوا بهذه المعتقدات، وإما أن يسكتوا على كلام المتقدمين بعد إخراجه وتحقيقه، والزعم أنه يمثل الحق الذي تقتضيه النصوص الشرعية.

ومما يقال في رد هذا الكفر والضلال: إن المتتبع للآيات الكريمة يجدها كثيرا ما تقرن بين الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، وما ذلك إلا لأهميته، وعظم شأنه، ولأجل ذلك جاءت الآيات الكريمة متنوعة في طريق الإخبار بوقوع المعاد.

والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، فمن جحده أو كذب به، فهو كافر.

المبحثُ الرابع: موقفُ الآغاخانية من الشريعةِ الإسلاميةِ

إن المتتبعَ لأفكار الإسماعيلية الآغاخانية يجد أنها تنتهجُ نهج أسلافها من الإسماعيليةِ الباطنيةِ، وهذه إطلالةٌ مختصرةٌ على موقفهم من الشريعةِ الإسلاميةِ :

- **زعمهم نسخ الشريعة الإسلامية**

تقوم العقيدة الإسماعيلية على القول إن الشريعةَ الإسلاميةَ منسوخة، وقد أشرتُ إلى قولهم إن محمد بن إسماعيل ناسخٌ لكل الشرائع السابقة، وهذا أمرٌ أقر به المتقدمون والمتأخرون منهم، يقول "السجستاني"[(١)]: (فإذا بلغ الأمر إلى الغايةِ التي لا يحتاج الإمام فيها إلى الكتمان والتواري وأخضع الخلق كلهم وصاروا تحت أمره ونهيه من غير أن يكون له منازع ينازعه في الإمامة والخلافة يجب رفع هذه الشريعة...)[(٢)]. ويقول: (فإذا ظهر القائم سلام الله عليه، وانقاد الخلق له، وقهرهم بالقوة الممنونة عليه، فقد انقطع طمع المخترعين عن إضافة المراتب إلى أنفسهم وادعوا ما ليس من شأنهم، إذ الرئاسة إنما تكون لمن قدرها الله له، وهو القائم سلام الله على ذكره، ويجب أيضا رفع هذه الشريعة) [(٣)].

ويقول الإسماعيلي "عارف تامر" بعد ذكر الآية الكريمة: -﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي

(١) أبو يعقوب إسحاق السجستاني، نسبة إلى سجستان، مقاطعة جنوب خراسان، فيلسوف إسماعيلي، ظهر أثره الفكري في تلميذه أحمد حميد الكرماني، من مؤلفاته: تأويل الشرائع، الافتخار، كشف المحجوب، الينابيع. انظر: مقدمة عارف تامر لكتاب: إثبات النبوات (د–ح).

(٢) إثبات النبوات(١٧٨).

(٣) إثبات النبوات (١٧٩). والكتاب من تحقيق الإسماعيلي المعاصر، عارف تامر.

ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ {الأنبياء: ١٠٤}- (ففي التأويل الإسماعيلي أن السماء هي الشريعة العائدة للناطق وتأويل الآية أنه عند ظهور القائم السابع المنتظر ستطوى جميع الشرائع وعددهم عدد السموات أي ست شرائع وهي لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام كما يطوى السجل ويضيف إليهم الشريعة السابعة التي تلغي جميع ما قبلها وعندئذ يبدأ عهد جديد كما كان قبل بدء الخليقة الطبيعية أي عالم الدين)(١).

وهذا المبدأ عندهم مرتبط بمسألة عدم ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، وسبقت إشارات مختصرة في الرد عليهم، حين الحديث عن موقفهم من النبوة.

- **زعمهم أن أحكام الشريعة لها ظاهر وباطن**

إن المتأملَ في عقائد الآغاخانية لن يجد غرابة في موقفهم من أحكام الشريعة الإسلامية، ولا جرأتهم على التحلل مما تقتضيه النصوص الشرعية؛ لأن ما يبنى على الفاسد فهو فاسدٌ، ولهذا زعموا أن النصوص الشرعية لها ظاهرٌ وباطن، وأن ظاهرها غير مقصود، وأرادوا بذلك تعطيل الشريعة، والانفلات من التكاليف الشرعية، بتأويلات باطنية هدفها الانسلاخ من الدين، ولا أدل على ذلك من أنهم لم يدعو صغيرة ولا كبيرة مما جاءت به النصوص إلا وجعلوا لها تأويلاً باطنياً، وربطوا ذلك بعقيدتهم الإلحادية في الأئمةِ والحجج كما يزعمون، فاسم الله تعالى في التأويل ولي

(١) جامعة الجامعة (٥٨). من مقدمته.

الزمان الذي يعرّف الناس ربهم حق معرفته بما يدلهم عليه[١]، وجعلوا لأركان الإسلام معان تخرج بها عن المعاني المعلومة منها[٢] فالصلوات عندهم لها معان تفسر بها[٣]، ومنها الدخول في دعوة الحق[٤]، ومن تأويلاتهم في الزكاة أن مثلها مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم، وينقلونهم في درجات الفضل بما توجبه أعمالهم، فقولهم لا صلاة إلا بزكاة، أي لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين، والحجج الذين هم أوصياء الأئمة[٥]، والصيام هو الصوم الباطن، وهو الكتمان فمن أخذ عليه عهد أولياء الله وفوتح بالبيان فعليه أن يكتم ما سمعه منه ولا يفاتح أحدا به حتى يؤذن له في ذلك ومثله ما دام كذلك مثل الصائم [٦]، والفطر تأويله إطلاق ذلك الأمر المكتوم لمن أذن له فيه [٧]، وصوم متعة الحج صيام ثلاثة أيام، الستر على إمامه، وحجته، وداعيه، وصيام السبعة الأيام، كتمانه على السبعة الأئمة الذين يتعاقبون الإمامة[٨]، والاعتكاف، ملازمة الدعاة والمواظبة على حضور مجالسهم[١]،

---

(١) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ٦٣).

(٢) انظر: تأويل الدعائم (١/ ٣١). وما بعدها. للقاضي المغربي، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: الرسالة المذهبة ضمن خمس رسائل إسماعيلية (٣٢). وما بعدها.

(٤) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ٦٠).

(٥) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ٦٣).

(٦) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ١٠٩).

(٧) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ١٣٣).

(٨) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ١٤٤).

والقرآن تأويله صاحب الزمان[٢]، والحج إتيان إمام الزمان من كان من نبي أو إمام[٣]، والعمرة إتيان الحجة ولي عهده الذي يقيمه في حياته ويصير إماما من بعده،[٤] والإحرام إيجاب طلب معرفة الإمام والحجة[٥]، إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة، التي تنقضها النصوص الشرعية، وتردها العقول السليمة، وتأباها الفطر السوية.

وقد سبقت الإشارة في بطلان قولهم بالظاهر والباطن، ثم إن القول بهذه العقيدة (يخرج الشريعة عن مقاصدها ويجعلها معطلة، ويصبح كل ما هناك مجموعة من الرموز التي تطلب من أتباعها طهارة الباطن، وتزكية النفوس، ولا يوجد أي معيار نرجع إليه لقياس صحة هذه التأويلات، فطالما الأمر منسوب لأحد الأئمة، فما على الأتباع إلا السمع والطاعة...)[٦].

والمتتبع لأحوال الآغاخانية في هذا العصر يجد أنهم يحرصون كثيراً على مخالفة المسلمين في أداء بعض الشعائر الدينية – لا يعزب عن البال أخذهم بمبدأ التقية- وقد ذكر الدكتور "محمد الجوير" بعض تلك المخالفات من

=

(١) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: تأويل الدعائم (١/ ٣٥٥).

(٣) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ١٥٣).

(٤) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ١٨٥).

(٥) انظر: تأويل الدعائم (٢/ ١٦٩).

(٦) ظاهر الدين وباطنه (١٨٣). محمود المراكبي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م. وانظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٥٦٩).

خلال مشاهداته لهم في بعض الأماكن التي يقطنونها:

١- لا يوافقون جماعة المسلمين في يوم عرفة بل يخالفونهم بيوم.

٢- يزعمون أن من حج ولم يكن برفقة أحد دعاتهم أو من ينيبه فحجه باطل.

٣- أن شهر رمضان ثلاثون يوما دون نقص.

٤- يؤدون صلاة الجمعة أربع ركعات بغير خطبة، زعما منهم أن صلاة الجمعة لا تصلى ركعتين إلا خلف إمام عادل، وهذا الإمام غير موجود، بل هو منتظر.

٥- يجمعون بين صلاة الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، دوما ويؤدونها مثنى مثنى، وعدد ركعات الصلاة ليس لها حصر.

٦- لا يؤدون صلاة الجماعة إلا في حالة وجود شخص حصل على إذن مسبق من الإمام المعتبر لديهم أو من نائبه، وهذا الشخص معروف لديهم بهيئته المميزة المتمثلة بوجود خاتم أسود على الخنصر الأيمن في اليد اليمنى، وذو ذقن مميز، وفي حالة عدم وجوده، فكل واحد يؤدي صلاته بمفرده [١].

- **دعوتهم إلى وحدة الأديان:**

إن من المبادئ الظاهرة لدى الأغاخانية الدعوة إلى وحدة الأديان، وقد

---

(١) انظر: الإسماعيلية المعاصرة (١١٠-١١١).

ظهر ذلك عن طريق إمامهم مباشرة، الذي يعمل للإنسانية جمعاء[١]، فتجد "الآغاخان" الثالث يدعو ويبتهل – كما يقول عن نفسه – (أن تكون الجنة من نصيب المؤمنين بالله إيمانا حقيقيا صادقا، سواء كانوا مسيحيين، أو يهودا، أو بوذيين، أو براهمانيين، والذين يعملون الخير ويبتعدون عن الشر، وأن تشملهم الرحمة والمغفرة والسلام) [٢].

ويزداد ذلك وضوحاً بتتبع بعض خطابات "الآغاخان" الثالث، فمن أقواله:

(إن المصير المشترك لقيم الأديان الإبراهيمية التي توحد المسيحيين واليهود والمسلمين هو مصير محكوم بواجب الرعاية الودودة للمساعدة على رعاية كل حياة تولد كي تملك القدرة الموهوبة من الله تعالى)[٣]. ويقول: (لدينا الكثير لنبني به معاً، لدينا تراث توحيدي إبراهيمي مشترك...)[٤].

ويقول الدكتور "مصطفى غالب" عنه: (ساهم مساهمة فعالة في بناء كثير من المساجد الإسلامية، والكنائس المسيحية، والمعابد الهندوسية في

---

(١) انظر: أعلام الإسماعيلية (٤٥٩، ٤٦٢).

(٢) أعلام الإسماعيلية (٤٦٢).

(٣) من خطاب بمناسبة المأدبة التي أقيمت على شرف الحاكم بيري، في هيوستن، تكساس، بالولايات المتحدة، في ٢٣/ حزيران، ٢٠٠٢م.

(٤) من خطاب له في حفل التخرج من جامعة براون في أمريكا، في شهر أيار من سنة ١٩٩٦م. انظر عن هذه الخطابات وغيرها:

http://iis.ac.uk/view_article.asp?ContentID=١٠٤٥٠٥ معهد الدراسات الإسماعيلية.

العالم)[١].

ويقول الدكتور "مصطفى غالب": (لا نلوم الناس على تمسكهم بدين آبائهم، ومذاهب أسلافهم، فدين الحق الذي ندين به يستغرق المذاهب كلها، ويضم العلوم جميعاً. لذلك لا نحمل حقدا على أحد...)[٢].

ويقول: (الأديان كلها مهما تباينت عقائدها، وتنوعت مذاهبها، تؤدي إلى طريق واحد مستقيم، يوصل الإنسان إلى الكمال المطلق، والهدف الأمثل، لذلك فنحن نجلها ونحترمها ونقدر غاية التقدير العاملين فيها...)[٣]. ويا عجباً!! أهكذا يقال عن الكفر والشرك به جل وعلا، يحترم ويقدر، وغاية التقدير!!! . ومما يدل على حرصهم لتحقيق هذه الدعوة ما تجده في كتابات الإسماعيلية من ثناء على أصحاب الدعوات المطالبة بوحدة الأديان[٤].

وهذه الدعوة في حكم الإسلام دعوة بدعية، ضالة كفرية، دعوة إلى ردة شاملة عن الإسلام؛ لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن العظيم، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة بمحمد ﷺ، فهي نظرية مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً،

---

(١) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٧٦).

(٢) مفاتيح المعرفة (٢٦٣).

(٣) مفاتيح المعرفة (٢٦٣).

(٤) انظر ما ذكره الدكتور مصطفى غالب عن الحلاج، وابن عربي في كتابه: مفاتيح المعرفة (٢٧١-٢٧٢).

بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب، وسنة، وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل، وبرهان[1].

ومما يجب التنبيه عليه أن الآغاخانية وأسلافهم يرون أن الإمام السابع ناسخ للشرائع السابقة، وهنا يدعون إلى وحدة الأديان والقول بصحتها جميعا، وهذا فيه تناقض ظاهر- ولا غرابة فإن هذا كثير في آراء وعقائد الفرق الضالة والخارجة عن دين الإسلام- إلا إن قصد هؤلاء أنها ناسخة لشريعة الإسلام دون غيرها، فقد يرتفع التناقض، وبهذا يكشفون الستار بطريق مباشر عن إلحادهم.

- **دعوتهم لنزع الحجاب**

من المعلوم أن الإسماعيلية دعت إلى الانحلال والتحلل كما هو ظاهر من عقائدها، وموقفها من أحكام الشريعة، وقد سار أتباعهم من الآغاخانية على طريقهم، ومن ذلك دعوتهم بزعامة أئمتهم إلى نزع حجاب المرأة والعمل على إخراجها بحجج واهية، كحال دعاة التبرج والسفور في كل العصور؛ لأنهم يرون أن الحجاب يتعارض مع أفكارهم الباطنية، فهذا آغا خان الثالث، يلج من باب العلم وتثقيف المرأة -كما يزعم -إلى المطالبة بنزع حجابها ومشاركتها للرجل جنباً إلى جنب لمصلحة العقيدة الإسماعيلية، وقد وجه الدكتور الإسماعيلي "مصطفى غالب" سؤالاً له، نصه: (لقد أمرتم بتعليم المرأة وتثقيفها فكيف يتلاءم هذا مع وضع المرأة

---

(١) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (٢٢). العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، دار ألفا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

الإسماعيلية المحجبة، وهل يتفق الحجاب مع العلم؟ [١] فأجاب قائلاً: (إن الحجابَ يتعارض والعقائد الإسماعيلية، وإني أهيب بكل إسماعيليةٍ أن تنزع نقابها وتنزل معترك الحياة لتساهم مساهمة فعالة في بناء الهيكل الاجتماعي والديني للطائفة الإسماعيلية خاصة، وللعالم الإسلامي عامة، وأن تعمل جنبا إلى جنب مع الرجل في مختلف الحياة أسوة بجميع النساء الإسماعيليات في العالم، وآمل في زيارتي القادمة أن لا أرى أثراً للحجاب بين النساء الإسماعيليات، وآمرك أن تبلغ ما سمعت لعموم الإسماعيليات بدون إبطاء)[٢].

وكان للدكتور الإسماعيلي "مصفى غالب" لقاء آخر مع ولي عهد[٣] الإمام آغا خان الثالث ووجه له سؤالا، ونصه: (ما هو رأيكم بالناحية الاجتماعية للطائفة وهل تدعمون المرأة في الحصول على حقوقها الكاملة ؟) فأجاب: (شعرت بتحسن ملموس في جميع النواحي الاجتماعية، وأمرت

---

(١) قلتُ: ويظهر المكر –ولا غرابة– من صيغة السؤال فكأن طلب العلم والبحث عن الثقافة يتعارض مع الحجاب، والحجاب من الدين، وهذه أساليب دعاة الفتنة والتبرج والاختلاط دوما، فتجدهم يتسترون بحقوق المرأة، في تعليمها، وعملها، ومشاركتها للرجل، ويخلطون بين الأمور، ومن المعلوم لكل مسلم أن الإسلام احترم المرأة، وحفظ حقوقها، وصان كرامتها، ولهذا فلا حرج من إعطائها حقوقها التي كفلها لها الإسلام، ولكن هؤلاء المطالبون المتسترون، ومن لف لفيفهم ممن اختلطت عليه الأمور من الرجال والنساء على حد سواء، يرون أن حجاب المرأة، وتمسكها بدينها يشكل عقبة أمام مسيرتها العلمية والعملية، كما يزعمون، وهكذا يمكرون، والله خير الماكرين، تعالى وتقدس.

(٢) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥١).

(٣) هو ابنه علي خان، انظر عن حياته: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٧٨). وما بعدها.

باتخاذ الترتيبات لرفع مستوى هذه الناحية الهامة بأقرب وقت ممكن، وسررت جدا بتقدم المرأة الإسماعيلية، وخاصة بعد أن شرعت أغلب سيدات الطائفة بنزع الحجاب، ونزلن إلى معترك الحياة جنبا إلى جنب مع الرجل) [(١)].

(١) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٨٣-٣٨٤).

المبحثُ الخامس: بعض مظاهر الآغاخانية الدينية والاجتماعية

مما لا ريبَ فيه أن الآغاخانية الباطنية وإن قاموا بأداء بعض الشعائر الدينية من عبادة وغيرها، فإن ذلك لا يعدو أن يكون تقية، أو بسبب مرحلة معينة، حتى لا ينكشف أمرهم، ويخسرون الأتباع المغرر بهم من قبلهم، ولهذا تجد لديهم الكثير من الأسرار التي لا تكشف إلا لمن يرون أنهم قد أحكموا السيطرة عليهم؛ لأنهم ينطلقون في مظاهرهم التعبدية، وعاداتهم الاجتماعية، من خلال عقيدتهم الباطنية، وهذه إشارات مختصرة لبعض هذه المظاهر:

عباداتهم:

يؤدي الآغاخانيون عباداتهم في مركز الجماعة الخفي المسمى "جماعة خانة" حيث تجري فيه عقود الزواج والأمور الدينية الخاصة بهم[1].

وقد أشرتُ إلى التأويل الباطني عندهم لبعض شرائع الإسلام، مما يدل على أنهم لا يؤدون هذه العبادات على وجه الحقيقة، وإن وقع ذلك فبتقية منهم؛ لأنهم لا يرون القيام بالتكاليف الشرعية. يقول "إحسان إلهي ظهير": (الإسماعيلية النزارية اليوم، وهم ورثة الإسماعيلية القدامى الحقيقيون، لا يصلون، ولا يزكون، ولا يصومون، ولا يحجون، ولا يبنون المساجد، ولا يأتون بأي عمل من أعمال التكليف من شريعة محمد ﷺ، وهم

---

(١) انظر: الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية (١٩). محمد حسن الأعظمي، نقلا من كتاب: الإسماعيلية المعاصرة (١٣٦).

المسمون بالآغاخانية)[١].

ويذكر "فهمي هويدي" أنه زار سكان جبال الهونزا في باكستان، وأبدى استغرابه أنه لم يجد مسجداً واحداً في منطقتهم التي يسكن بها عشرات الآلاف منهم[٢].

مزاراتهم وأعيادهم:

من المسلّم به أن الفكر الإسماعيلي يقوم على الغلو في الأئمةِ وتقديسهم، بل إيصالهم إلى درجة الألوهية، ولهذا اتخذوا قبورهم ملجأ لهم يدعونهم ويسألونهم قضاء حوائجهم، وإذا تقرر هذا فإنه قد كثرت مزاراتهم وأعيادهم، سواء عند المتقدمين أو المعاصرين منهم، فعلى سبيل المثال فإن للإسماعيلية الآغاخانية في العراق العديد من الحسينيات التي يلجؤون إليها، في بغداد، والبصرة، وكربلاء، والنجف، كما يوجد لهم العديد من المزارات غربي الهند،[٣] وتتخذ طائفة الآغاخانية من قبر "الآغاخان" الثالث مزارا لها[٤].

ومن أعيادهم الأعياد التي يشتركون فيها مع الطوائف الإمامية من الرافضة وغيرهم، مثل يوم عاشوراء، وعيد الغدير، ومولد عليّ، وفاطمة،

---

(١) الإسماعيلية (٥٦٩).

(٢) من مقدمة لمؤتمر دولي أعدته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت، من ١٣- ١٥/ ربيع الآخر، ١٤٢٦هـ، تحت شعار " الوسطية منهج حياة". المصدر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت www.islam.gov.kw.

(٣) نقلاً من كتاب: الإسماعيلية المعاصرة (١٣٦-١٣٧).

(٤) انظر: أغاخان، لفاروق أباظة، المقدمة (١). نقلا من كتاب الإسماعيلية المعاصرة (١٣٧).

والحسن، والحسين، -رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين- وعيد النوروز، ويشاركون النصارى عيد الميلاد وغيره[١]، بالإضافة إلى الاحتفالات التي تقام بسبب وزن الآغاخان، إما بالذهب، أو الألماس، أو البلاتين، وهم رأس في الاحتفالات الشركية والبدعية.

ومن الإسماعيلية الآغاخانية طائفة يطلق عليها "الهونزا" موجودة شمال الباكستان وأعياد هذه الطائفة تصل إلى ثمانية أعياد منها: الاحتفال بعيد ميلاد "الآغاخان" وعيد الذكرى السنوية للزيارة الأولى التي قام بها آغا خان لـ" الهونزا" و "جلجيت" في ٢٠ أكتوبر من عام ١٩٦٠م[٢].

وكما يظهر فإن أعيادهم إما بدعية، وإما شركية، ومن المعلوم أن المسلمين ليس لهم إلا عيدان، هما عيد الفطر، وعيد الأضحى، وما عدا ذلك فلا دليل عليه، وهو من البدع المحدثة في دين الله تعالى.

الاتجاه المادي عند الآغاخانية:

لم يعد خافيا مقدار ما يتمتع به إمام الآغاخانية من ثراء، يقول الدكتور "مصطفى غالب": (والإمام الآغاخان يعد من أغنى أغنياء العالم إذ يقدر إيراده السنوي بمبلغ يتراوح بين ٦٠٠ ألف و ١٠ ملايين دولار، وقد قدرت الجواهر التي يمتلكها بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار)[٣]. هذا في حين أن

---

(١) انظر: المعز لدين الله (١٩٤).

(٢) انظر: الهونزا مسلمون عند سطح العالم، مجلة العربي، العدد ٢٨٩، عام ١٩٨٢م، ص ١٢٢. نقلا من كتاب الإسماعيلية المعاصرة (١٣٩).

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥٢).

الإمام يطالب الأتباع بأن يفكروا مرتين قبل أن ينفقوا قرشا واحدا من مصاريفهم اليومية(١).

ويظهر هذا الاتجاه جلياً في الاحتفالات التي كانت تقام للآغاخان، ففي عام ١٩٣٦م، وزن بالذهب في مدينة بومباي، وفي عام ١٩٣٧م، وزن بالذهب في نيروبي، وفي سنة ١٩٤٦م، وزن بالألماس في بومباي، وفي دار السلام، أيضا، وفي سنة ١٩٥٤م، تم الاحتفال بالإمام بوزنه بالبلاتين في بورما، وأفريقيا، وفي السنة ذاتها وزن بالبلاتين في مدينة كراتشي بالباكستان وفي سنة ١٩٥٥م، احتفل بيوبيله البلاتيني في القاهرة(٢).

ومما يدل على هذا الاتجاه المادي لدى إمام الآغاخانية قيمة المطالبات التي تقوم بها زوجاته في حالة الرغبة في الانفصال عنه، حيث تقدر تلك المطالب بمئات الملايين من الدولارات(٣)، مما يدل على مدى ما يتمتع به الإمام من ثروة، ويزيد ذلك وضوحاً:

الضرائب عند الآغاخانية:

سعى أئمة الآغاخانية وراء جمع المال بطرق شتى؛ ولأن الأتباع

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥٤).

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٧٦ – ٣٧٨).

(٣) ذكرت صحيفة الرياض السعودية أن زوجة الأمير الأولى وهي عارضة الأزياء الإنجليزية بعد طلاقها حصلت على ٩٤ مليون دولار فقط، وذكرت الصحيفة أن زوجته "غابرييل" قد تحصل على قرابة ٩٣٥ مليون دولار من ثروة زوجها، بعد أن تقدمت بدعوى الطلاق. انظر: صحيفة الرياض نسخة إلكترونية العدد ١٣٤٠٢ الصادر يوم الجمعة ٢٣ محرم ١٤٢٦هـ. الموافق ٤ مارس، ٢٠٠٥م.

يقدسون أئمتهم فإنهم لا يرون بأسا بدفع كل ما يطلب منهم نظير الرضا عنهم، واستغل الأئمة ذلك الجهل من أتباعهم، ففرضوا الضرائب والهبات عليهم، ومن ذلك ما يقوم بدفعه الأتباع للإمام مثل خمس إرثهم، وخمس مواردهم، وإذا ولد لأحدهم ولد يدفع مقابل ذلك ضريبة لبيت المال[١]، ويذكر الدكتور "مصطفى غالب" بعضا من هذه الضرائب المفروضة على الأتباع ومنها:

١- أصول العشر مما يكسبه التاجر والموظف والفلاح والعامل يرسل إلى صندوق الإمام.

٢- أموال النجوى مبلغ مالي يدفعه كل فرد إسماعيلي يرتاد بيوت العبادة لتأدية الصلاة[٢].

٣- أموال المجالس العامة والخاصة وتقام هذه المجالس في مناسبات الأعياد والحفلات.

٤- أموال تركة الأموات من متاع ولباس وممتلكات خاصة، وتباع هذه الأشياء في المساجد عن طريق المزاد العلني.

٥- أموال ثمن ما يتبرع به كل إسماعيلي مما تنتجه أرضه ومطبخه الخاص أو حيواناته ودواجنه.

٦- الأموال التي يتبرع بها الأثرياء لتغطية حفلات الوزن التي تجري

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥٧). طائفة الإسماعيلية (١٢١).

(٢) ولعل من أراد الهروب من هذه الغرامة، هجر بيوت العبادة !!!!.

للإمام، وهذه الأموال تنفق لخدمة الطائفة الإسماعيلية جمعاء [١].

ويقول الدكتور "غالب": (النجاوى والزكاة: تدفع هذه الضرائب من طيب خاطر بين يدي الإمام أو من يمثله في قطره، والإسماعيلية لا يزالون حتى هذا العصر يؤدون هذا الواجب)[٢].

وهذه النجوى تقدر بثلاثة دراهم وثلثا، وبعض الأغنياء يدفع ثلاثة وثلاثين دينارا وثلثي دينار، يأخذ مقابلها رقعة مذيلة بتوقيع الإمام كتب عليها: (بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك) فيحفظها ويفتخر فيها[٣].

بعض العادات والتقاليد عند "الآغاخانية":

من عاداتهم وتقاليدهم أنهم لا يتزوجون من القريب كابنة العم، والمرأة لا تمتلك الأرض ولا ترثها، والزواج لا يتم إلا في الشتاء بين ١٠، ٢٠ ديسمبر، وأمير الطائفة له أتاوة عن كل مناسبة عرس تتضاعف إذا رغبت الأسرتان في عقد القران قبل الموعد المحدد أو بعده، والأتاوة بمثابة عشرة كيلو جرامات من القمح، وكمية من الزبد المخزون إضافة إلى نصف ذبيحة من البقر[٤].

ومما يذكر أن " الآغاخان " الثالث كان يطلب من أتباعه في كل مكان

(١) الحركات الباطنية في الإسلام (١٧٨ – ١٧٩). وانظر: طائفة الإسماعيلية (١٢١). محمد كامل حسين.

(٢) من تعليقاته على كنز الولد (٣٣) هامش رقم (١).

(٣) مفاتيح المعرفة (١٧٢).

(٤) انظر: الهونزا مسلمون عند سطح العالم، مجلة العربي، العدد ٢٨٩، ديسمبر ١٩٨٢م، نقلا من الإسماعيلية المعاصرة (١٤٣).

أن يتابعوا عادات وتقاليد المكان الذي هم به، حتى وإن كان ذلك على حساب دينهم، فيقول لأتباعه في بورما: (وهكذا اقتنعت بأن السياسة الوحيدة العاقلة الصحيحة التي كان يجدر بأتباعي اتباعها هي أن يندمجوا إلى أقصى حد ممكن بالحياة الاجتماعية والسياسية في بورما وأن يتخلوا عن أسمائهم الإسلامية وعن عاداتهم وتقاليدهم، وأن يتخذوا بصورة دائمة وطبيعية أسماء أولئك القوم الذين كانوا يعيشون بينهم وعاداتهم وتقاليدهم والذين كانوا يشاطرونهم مصيرهم)(١).

ويقول: (وفيما يتعلق بطريقة حياتهم فقد حاولت أن أنوع النصيحة التي أسديتها لأتباعي حسب البلد أو الدولة التي يعيشون فيها، ففي مستعمرة بشرق آسيا البريطانية تراني ألح عليهم بأن يجعلوا اللغة الانجليزية لغتهم الأولى، وأن يقيموا حياتهم العائلية والبيتية على الطريقة الانجليزية، وأن يتبنوا عموماً العادات البريطانية والأوروبية) (٢).

نشاط الآغاخانية في الدعوة لعقيدتهم:

تولي الآغاخانية مسألة الدعوة لعقيدتها ونشرها اهتماماً كبيراً، بل إن أئمتها يتزعمون ذلك؛ لأنهم يزعمون أن (المذهب الإسماعيلي مذهب المثالية في العالم، ومن أراد أن يكون مثاليا فليتبع هذا المذهب)(٣). وقد عملت شبكة المؤسسات الآغاخانية على تحقيق الفوائد الكثيرة للآغاخانية،

---

(١) مذكرات الآغاخان (١٩١). نقلا من الإسماعيلية المعاصرة (١٤٣- ١٤٤).

(٢) مذكرات الآغاخان (٥٤). نقلا من الإسماعيلية المعاصرة (١٤٤).

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٥٧).

يقول الدكتور "فرهاد دفتري": (وفي العصور الحديثة حقق الإسماعيليون النزاريون فائدة كبيرة من السياسات التقدمية ومن شبكة المؤسسات التي أقامها أئمتهم الذين اكتسبوا شهرة عالمية بلقبهم الوراثي " آغا خان ")[1].

وهذه المؤسسات متعددة ومنها:

- AKA أكاديميات الآغاخان
- AKAM وكالة الآغاخان للقروض الصغيرة
- AKES خدمات الآغاخان التعليمية
- AKF مؤسسة الآغاخان
- AKFED صندوق الآغاخان للتنمية الاقتصادية
- AKHS خدمات الآغاخان الصحية
- AKPBS خدمات الآغاخان للتخطيط والبناء
- AKTC مؤسسة الآغاخان للثقافة
- AKU جامعة الآغاخان

---

(١) انظر: الإسماعيليون في العصر الوسيط (١٩). مجموعة من المؤلفين، ترجمة: سيف الدين القصير، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا.

- FOCUS مؤسسة فوكاس للمساعدة الإنسانية
- UCA جامعة آسيا الوسطى[(١)].

ومما يدل على هذا النشاط الدعوي لعقيدتهم اهتمامهم بالتخطيط لنشر دعوتهم، يقول الدكتور "مصطفى غالب": (اعتمد الأئمة الإسماعيلية في تنظيم دعوتهم على دعاة محنكين... ذوي مواهب خارقة، استطاعوا أن ينشروا الدعوة والفكرة الإسماعيلية في جميع أنحاء العالم الإسلامي... وبالحقيقة لم توجه دولة من الدول، أو فرقة من الفرق، اهتماما خاصا بالدعاية وتنظيمها، كما اهتمت بها الإسماعيلية، فجعلت منها الوسيلة الرئيسة لتحقيق نجاح الحركة في دور الستر والتخفي، ودور الظهور والبناء معاً... وابتكرت الأساليب المبنية على أسس مكينة مستوحاة من عقيدتها الصميمة)[(٢)].

---

(١) المصدر شبكة الآغاخان للتنمية: http://www.akdn.org/

(٢) تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٦-٢٧).و التنظيمات الدعوية والوظائف الإسماعيلية الآن كما يلي: ١- سيف الدعوة، أو وزير الدعوة، أو وارث، رتبة شرفية تعطى عادة لكبار زعماء الطائفة. ٢- مكي يشرف على تعيين موظفي المساجد، ويراقب جباية الأموال، ويرأس المصلين، وفي أغلب الأحيان يكون صاحب هذه الرتبة لا يتمتع بأي ثقافة دينية، وله في كل "جمعة خانا" وكيلا له. ٣-كاميريا – أو كاماديا- ومهمته المحافظة على خزينة الدعوة والاعتناء بالشئون المالية فقط. ٤- ناظر مراقبة سير الدعوة من الناحية المالية والاجتماعية والدينية. ٥- واعظ: مهمته وعظ الأتباع، وحضور المآتم، ولا يتمتع بأي ثقافة دينية. المجلس الأعلى: مهمة هذا المجلس الأشراف على شئون الإسماعيلية من جميع النواحي ويعين من قبل الإمام، ويتألف من الرئيس، أمين سر، وعدد من الأعضاء. اللجنة الثقافية: ومهمة هذه اللجنة الإشراف على الأمور =

ثم إنه من الملاحظ البيّن أن الإسماعيلية تهتم كثيراً بنشر فكرها، والبحث عن المخطوطات الخاصة بها، وإخراجها على أنها تمثل جانبا مهما من الدعوة الإسلامية، مستغلين جهل بعض المسلمين بحقيقة تلك الدعوة(١).

وهذه الحقيقة – أعني مسألة الاهتمام بالتراث الإسماعيلي وإخراجه- أصبحت ظاهرة بيّنة اشترك فيها جمع كبير من دعاة الإسماعيلية والمستشرقين، فعلى سبيل المثال قام "فلاديمير إيفانوف"(٢) من خلال شبكة من أصدقائه الإسماعيليين في الهند وفي أماكن أخرى بالتعرف على عدد كبير من المصادر الإسماعيلية التي قام بوصفها والتعليق عليها، ووضعها في فهرس نشره عام ١٩٣٣م. كما ساعد إيفانوف في تأسيس جمعية الأبحاث الإسلامية في بومباي سنة ١٩٤٦م، التي أنتجت سلسلة من المنشورات المخصصة للأعمال الإسماعيلية، تحت رعاية الآغاخان الثالث، واقتنى إيفانوف عدداً كبيراً من المخطوطات لمكتبة الجمعية الإسماعيلية، إضافة إلى

=

الثقافية والمدارس، وانتخاب البعثات العلمية، وهناك في العديد من الأقطار الإسماعيلية عدة جمعيات منها الجمعيات الخيرية، والنسائية، والصحية، والرياضية، وقد كان لهذه التنظيمات التي أوجدها الآغاخان الثالث أثرها الفعال في نهضة الإسماعيلية في مختلف المجالات، وفي بعض الدول بلغت الذروة. انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٦-٣٧). ولمزيد، انظر: مفاتيح المعرفة (١٧٨). وما بعدها.

(١) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٤٤٠). الحشاشون (٤٠).

(٢) مستشرق روسي، نشر أكثر من مائة مؤلف، عدا الأبحاث والمقالات التي كتبها في المجلات العلمية. انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٦).

قيامه بنشر العديد من النصوص والرسائل الإسماعيلية في سلسلة مطبوعات الجمعية[١]. يقول الدكتور "فرهاد دفتري": (لقد توفرت لأساطير الإسماعيليين حقاً فسحة جديدة من الحياة على يد الاستشراق)[٢].

ويضاف لذلك ما يقوم به دعاة الإسماعيلية وغيرهم ممن يبحثون ويحققون التراث الإسماعيلي[٣]، ومما يذكر أن الآغاخان الثالث كان (يطلب من المؤلفين أن يضعوا كتبا عن الإسلام باللغات الأوروبية ويكافئ المؤلفين بسخاء...)[٤]. كما أن الآغاخان الرابع اهتم كثيرا بهذا الجانب وذلك عن طريق معهد الدراسات الإسماعيلية الذي تأسس في لندن تحت رعايته[٥].

وقد أشار بعض العلماء إلى أن هؤلاء يتلونون حسب ما يحقق أهدافهم ويخدم أغراضهم، فيميلون إلى كل قوم بسبب يوافقهم، سواء من الرافضة، أم اليهود، أم النصارى، أم غيرهم[٦].

قلتُ وهذا ما يظهر جلياً على الآغاخانية المعاصرة، فهذا إمامهم كثير التنقل، يضرب له مع كل أحد بسهم، فهو مع الاستعمار، ومع اليهود

---

(١) انظر: الإسماعيلية في العصر الوسيط (٢٣).

(٢) الإسماعيلية في العصر الوسيط (٢٢).

(٣) انظر عن ذلك: الإسماعيلية في العصر الوسيط (٢٣). وما بعدها.

(٤) طائفة الإسماعيلية (١٢٠).

(٥) انظر: الإسماعيلية في العصر الوسيط (٢٤).

(٦) انظر: فضائح الباطنية (٣٠ – ٣١). القرامطة (٥١- ٥٤). أصول الإسماعيلية (١٩٤). برنارد لويس، ترجمة: خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، د ار الكتاب العربي، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

والنصارى، والهندوس، والمسلمين، والواقع يشهد بهذا، ولهذا وجد له ولأتباعه من يؤيدهم من المسلمين، ويغض الطرف عن حقيقته وحقيقة طائفته، وهم بهذا حققوا ما يريدون من الخداع والتلبيس على المسلمين، لهذا يجب على المسلم أن يكون فطنا يقظا من تلبيس هؤلاء وخداعهم، وجذب الناس إليهم عن طريق بعض الخدمات التي يقدمونها للمسلمين تحت شعار أن الإسماعيلية تمثل الدين الحق.

أما مواطن انتشارهم فهم ينتشرون الآن في العديد من البلدان، يقول الدكتور "فرهاد دفتري": (ويتبعثر الإسماعيليون النزاريون في الوقت الحاضر في أكثر من خمسة وعشرين بلداً في آسية، وأفريقية وأوربة وشمال أمريكة. وحافظ الإسماعيليون النزاريون... على وحدتهم كجماعة دينية تدين بالولاء لزعيمها الروحي الإمام الحاضر)[1].

أمـا مناطقهم الرئيسة، فيتواجدون في دولة باكستان حيث المركز الرئيسي في مدينة كراتشي ، كمـا يوجدون بكثرة في دولة سوريا في مدينة "سلمية " ويعرفون عند أهل الشام باسم "السمعانيون"، كمـا يتواجدون في قلعة مصياف وفي القدموس ويوجد عدد منهم في مدينة قم بدولـة المجـوس إيـران ، وفي أواسط آسيا يتواجدون في بدخشان وخوقند ، وفي دولة عمان لهم حي خـاص بالقرب من مدينة مسقط، كما يوجدون في زنجبار[2].

(١) انظر: الإسماعيلية في العصر الوسيط (١٩).

(٢) http://www.almeshkat.net/books/archive/books/m_h.zip

الخاتمة:

النتائج:

-أظهرت هذه الدراسة أن الآغاخانية الإسماعيلية من الطوائف الباطنية.

- بينت هذه الدراسة أن عقائد الآغاخانية الإسماعيلية تقوم على الإلحاد والكفر بالله تعالى، وان أتباعها خارجون عن ملة الإسلام.

-بينت هذه الدراسة قول الآغاخانية الإسماعيلية بعقيدة الظاهر والباطن، وأن هدفهم منها الانسلاخ من دين الله تعالى وتعطيل شريعة الإسلام عن طريق تأويلها تأويلاً باطنياً.

-أظهرت هذه الدراسة أن الفكر الآغاخاني الإسماعيلي يردد ذات الأفكار الإسماعيلية الباطنية القديمة، وأنه لا فرق بينهما.

- أظهرت الدراسة أن هذه الطائفة تقوم على الخداع والتدليس ولهذا تظهر الآغاخانية وعن طرق إمامها بعض الأعمال التي يريدون من خلالها ستر حقيقتهم الباطنية وحقدهم على الدين وأهله.

- بيّنت هذه الدراسة أن الآغاخانية بزعامة إمامها تعمل بكل قوة لنشر عقيدتها الباطلة، عن طريق كثير من الخدمات التي تقدمها شبكة الآغاخان.

التوصيات:

- الاهتمام ببيان مذهب هذه الطائفة وكشف الباطل الذي امتلأت به عقائدها، ويتصدى لذلك أهل الاختصاص.

- اهتمام المراكز والجمعيات العلمية بنشر الأبحاث المتعلقة ببيان ضلال هذه الطائفة، وبطلان ما تذهب إليه.

- نشر العقيدة الصحيحة بين أبناء المسلمين في البقاع التي ينتشر فيها أتباع هذه الطائفة.

- إرسال البعثات العلمية المتخصصة، والكتب والأبحاث ذات العلاقة إلى أماكن هؤلاء لمقاومتهم ومنعهم من نشر إلحادهم.

المراجع

١- ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، لسيف الدين القصير، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢- إثبات الإمامة، أحمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣- إثبات النبوات، أحمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، الدكتور سعد الدين السيد صالح، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الزقازيق.

٥- أحكام أهل الذمة، لابن القيم، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٦- أربع كتب حقانية، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

٧- أربعة كتب إسماعيلية، مجهولة المؤلف، تحقيق شتر وطمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

٨- إسلام بلا مذاهب، الدكتور مصطفى الشكعة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

٩- الإسماعيلية المعاصرة، الدكتور محمد الجوير، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، مكتبة الرشد، الرياض.

١٠- الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، دون ذكر لرقم الطبعة.

١١- الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم، مجموعة من المؤلفين، ترجمة سيف الدين القصير، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا.

١٢- الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، الدكتور عثمان عبد الحميد عشري، المكتبة التاريخية، ١٩٨٢م.

١٣- أصول الإسماعيلية سليمان بن عبد الله السلومي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م، دار الفضيلة، الرياض، السعودية.

١٤- أصول الإسماعيلية، برنارد لويس، ترجمة خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، د ار الكتاب العربي، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٥- أعلام الإسماعيلية، مصطفى غالب، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٦٤، دون ذكر لرقم الطبعة.

١٦- آل موت أو إيديولوجيا الإرهاب الفدائي، الدكتورة سميرة بنت عمو، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٧- الإمامة في الإسلام، عارف تامر، دار الكتاب العربي، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٨- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

١٩- البوهرة تاريخها وعقائدها، للدكتور رحمة الله قمر الهدى الأثري، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٢٠- بيان مذهب الباطنية وبطلانه، محمد بن الحسن الديلمي، مكتبة دار ابن قتيبة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٢١- تاريخ الإسماعيلية، عارف تامر، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، رياض الريس للكتب والنشر، لندن.

٢٢- تاريخ الدعوة الإسماعيلية، للدكتور مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لتاريخ الطبعة.

٢٣- تأويل الدعائم، للقاضي المغربي، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٢٤- التبصير في الدين، الإسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت.

٢٥- التدمرية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق الدكتور محمد بن عودة السعوي، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٦- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، لجنة التحقيق بدار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٧- جامعة الجامعة، أخوان الصفا، تحقيق عارف تامر، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، دون ذكر لتاريخها، بيروت، لبنان.

٢٨- الحاكم بأمر الله، عارف تامر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢٩- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، الدكتور محمد أحمد الخطيب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مكتبة الأقصى عمان، الأردن.

٣٠- الحشاشون، برنارد لويس، تعريب محمد العزب موسى، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار المشرق العربي الكبير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٣١- خمس رسائل إسماعيلية، دار الإنصاف للتأليف والطباعة والنشر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٣٢- خمس رسائل إسماعيلية الرسالة المذهبية، للقاضي النعمان، تحقيق عارف تامر، دار الإنصاف للتأليف والطباعة والنشر، ١٣٥٧هـ.

٣٣- دامغ الباطل وحتف المناضل، لداعيتهم المطلق علي بن الوليد، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، بيروت، لبنان.

٣٤- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الدكتور أحمد محمد جلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٣٥- الذخيرة في الحقيقة، الداعي الفاطمي علي بن الوليد، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٣٦- الرسالة الجامعة، أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣٧- سنن ابن ماجه، تحقيق الألباني، الطبعة الأولى، دون ذكر لرقم التاريخ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٨- السهروردي، للدكتور مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٣٩- سير أعلام النبلاء. للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، بيروت، لبنان.

٤٠- شجرة اليقين، الداعي القرمطي عبدان، تحقيق عارف تامر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة.

٤٢- الشيعة المهدي الدروز تاريخ ووثائق، الدكتور عبد المنعم النمر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، الكتاب العالمي.

٤٣- صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، المطبعة المصرية.

٤٤- طائفة الإسماعيلية تاريخها، نظمها، عقائدها، الدكتور محمد كامل حسين، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤٥- طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، الطبعة الثانية، دون ذكر لتاريخها، دار المعارف، مصر.

٤٦- ظاهر الدين وباطنه، محمود المراكبي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤٧- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، لحسن إبراهيم حسن، وطه أحمد شرف، مطبعة النهضة المصرية، دون

ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٤٨- العزيز بالله، عارف تامر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار الجيل، بيروت. عشرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٤٩- العقيدة والشريعة في الإسلام، غولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، منشورات الجمل، بيروت، لبنان.

٥٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ بن حجر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥١- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة.

٥٢- فضائح الباطنية، الغزالي، اعتنى به محمد علي القطب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.

٥٣- القرامطة أصلهم نشأتهم، تاريخهم حروبهم، عارف تامر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥٤- القرامطة لابن الجوزي، تحقيق محمد الصباغ، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٥- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٥٦- كنز الولد، للحامدي، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٥٧- المجالس المؤيدية، المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، تحقيق الدكتور

مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥٨- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد وابنه، مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية.

٥٩- مذاهب الإسلاميين، الدكتور عبد الرحمن بدوي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٦٠- المصابيح في إثبات الإمامة، للكرماني، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار المنتظر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦١- مفاتيح المعرفة، الدكتور مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ م ١٩٨٢م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٦٢- الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٦٣- منتخبات إسماعيلية، تحقيق الدكتور عادل العوا، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٦٤- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٥- الموسوعة الميسرة، إشراف الدكتور مانع الجهني، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض.

٦٦- نشأة الفكر الفلسفي، الدكتور علي سامي النشار، الطبعة السابعة، ١٩٧٧م، دار المعارف، القاهرة.

٦٧- الهمة في آداب اتباع الأئمة، النعمان بن محمد المغربي، تحقيق الدكتور محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٦٨- وفيات الأعيان، لابن خلكان، مكتب التحقيق بإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٩- الينابيع، لأبي يعقوب السجستاني، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات

الآيات الدالة على نزول المسيح عيسى عليه السلام

إعداد الدكتور:

بدر بن مقبل الظفيري

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(١). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا بحث مختصر في ذكر الآيات الدالة على نزول المسيح عليه السلام، وما قاله العلماء في دلالتها على ذلك، والسبب الداعي لهذا البحث، أنه قد أنكر بعض أهل البدع نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان، وكان من جملة حججهم على ذلك أن نزول المسيح عليه السلام لم يذكر في القرآن، وهذه الحجة غير صحيحة، وعلى فرض التسليم بها ليست كافية في إنكار نزول المسيح في آخر الزمان حيث تواتر ذكره في السنة النبوية، والآثار المروية عن الصحابة

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٧٠- ٧١.

والتابعين، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنه، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه... الخ»(١)، وقال رحمه الله: «وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً»(٢).

وممن نص على تواتر أحاديث نزول المسيح عليه السلام الشوكاني في كتابه "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر، والدجال، والمسيح"، وكذلك الكتاني رحمه الله في كتابه: "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، وصديق حسن خان في كتابه "الإذاعة لما كان، وما يكون بين يدي الساعة"، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري في كتابه "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، والألباني رحمه الله في كتابه "قصة المسيح الدجال، ونزول عيسى عليه السلام"، وغيرهم من العلماء.

وهذه الكتب مطبوعة متداولة، ولله الحمد والمنة، أضف إلى ذلك أنه ما من كتاب من كتب السنة أو التفسير أو التي بيّنت معتقد أهل السنة والجماعة إلا وقد نصَّ مؤلفوها في الغالب على نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، واستشهدوا لذلك بما تواتر من النصوص المعصومة، مما جعل الإيمان بنزول عيسى من الأصول العقدية المتفق عليها بين أهل السنة

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٤).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٢٣٦).

والجماعة، وكان من جملة النصوص التي استُدل بها على نزول المسيح ﷺ بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن عيسى ﷺ ونزوله في آخر الزمان؛ فأحببت أن أجمع هذه الآيات وأذكر كلام أهل العلم على دلالتها على موضوعنا.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع فيما يلي.

١- جمع الآيات الدالة على نزول المسيح ﷺ، والجمع من مقاصد التأليف، وغالب من تحدث عن نزول المسيح سواء في الكتب المؤلفة في أشراط الساعة، أو التي أفردت موضوع نزول المسيح بمؤلف اقتصرت على ذكر آيتين أو ثلاثة، كما أنها لم تتوسع في توضيح دلالة الآيات على نزوله [(١)].

٢- التوسع في بيان دلالة الآيات الواردة في نزول المسيح مما يزيد الموضوع قوة وتأكيدا.

٣- ذكر الأحاديث المروية المتواترة في نزول عيسى ﷺ التي فسرت هذه الآيات الكريمة، مما يساعد على فهم وإيضاح كثير من المسائل المتعلقة بعيسى ﷺ.

٤- بيان أن القرآن الكريم قد نص على نزول المسيح آخر الزمان، بخلاف ما زعمه بعض المشككين، حيث إنهم قد زعموا أن القرآن لم ينص

---

(١) انظر مثلا: البداية والنهاية (٢/ ١١٨)، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص٨٦-٨٩)، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة (٣/ ٩٣)، والمسيح ﷺ في القرآن والسنة (ص١١٤).

على هذه المسألة، وكان جل بحثهم في الآيتين آية سورة النساء، وآية سورة الزخرف، ولم يتطرق كثير منهم إلى الآيات التي سنذكرها، ودلالتها على نزول المسيح(١).

٥- في الآيات الدالة على نزول المسيح مباحث لطيفة مثل تعريف الكهل، وعُمر المسيح عليه السلام عند رفعه ونزوله وظهور الإسلام على الملل كلها عند نزول عيسى عليه السلام.

خطة البحث:

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة.

فأما المقدمة فاشتملت على أهمية البحث، ومنهج البحث.

المبحث الأول: **آية سورة النساء**: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تفسير الآية، وأقوال العلماء في دلالتها.

المطلب الثاني: الترجيح بين الأقوال في تفسير الآية.

المبحث الثاني: **آية سورة الزخرف**: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أقوال العلماء في تفسير الآية.

المطلب الثاني: الترجيح بين الأقوال.

---

(١) انظر: الفتاوى لمحمود شلتوت (ص٦٨).

المبحث الثالث: **آية سورة آل عمران:** ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير الآية وأقوال العلماء في دلالتها.

المطلب الثاني: تحقيق القول في تفسير الآية.

المبحث الرابع: **آية سورة الصف:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تفسير الآية، وأقوال العلماء في دلالتها.

المطلب الثاني: الترجيح بين الأقوال في تفسير الآية.

المبحث الخامس: **آية سورة محمد:** ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾.

المبحث السادس: **آية سورة الأنفال:** ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

الخاتمة، وفيها ذكر أبرز نتائج البحث.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التالي:

١- أذكر الآيات المستدل بها على نزول المسيح، ولا أراعي ترتيب المصحف الشريف لأن بعض الآيات أقوى وأصرح في الدلالة.

٢- أذكر أقوال العلماء في استدلالهم بها على نزول المسيح عليه السلام.

٣- أذكر الراجح من أقوال العلماء في دلالة الآيات على نزول المسيح، وسبب الترجيح.

٤- أشير إلى بعض ما استشكل في دلالة الآيات على المراد جمعه، وما أجيب به عن ذلك.

٥- أعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم.

٦- أخرّج الأحاديث والآثار من مصادرها.

المبحث الأول: آية سورة النساء: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[(١)].

المطلب الأول: تفسير الآية، وأقوال العلماء فيها:

اختلف المفسرون في معنى الآية، وذلك لاختلافهم في مرجع الضمير الهاء في قوله تعالى: (لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ) هل يعود إلى عيسى عليه السلام، أو إلى غيره؟ وكذلك لاختلافهم في مرجع الضمير الهاء في قوله (قَبْلَ مَوْتِهِۦ) هل يعود إلى موت عيسى عليه السلام، أو موت أهل الكتاب، واختلافهم هذا إنما هو في دلالة الآية على نزول المسيح ليس إلا، وأما ما يتعلق بنزول المسيح آخر الزمان فكلهم مجمعون على نزوله كما استفاضت وتواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وملخص الأقوال في تفسير الآية أربعة:

القول الأول: إن مرجع الضمير الهاء في قوله تعالى: (لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ)، وكذا مرجع الضمير الهاء في (قَبْلَ مَوْتِهِۦ) يرجع إلى عيسى عليه السلام، والمعنى أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى، وتصير الأديان كلها حينئذ ديناً واحداً، وهو دين الإسلام، وهذا القول يروى عن أبي هريرة[(٢)]، وابن عباس رضي الله عنه في الرواية الأصح عنه[(٣)]، والحسن البصري[(٤)]،

---

(١) سورة النساء، آية: ١٥٩.

(٢) صحيح البخاري ك. التفسير باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٤/ ١٦٨ ح٣٤٤٨)

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٠)، وفتح الباري (٦/ ٤٩٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٠)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٣).

وقتادة[١]، وهو قول الأكثرين من أهل العلم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [٢] والحافظ ابن حجر رحمه الله[٣]، واختار هذا القول ابن جرير[٤]، وابن تيمية[٥]، وابن كثير[٦]، والشوكاني[٧]، وغيرهم من أهل العلم.

ومن الآثار في تفسير الآية على هذا المعنى ما رواه البخاري[٨] ومسلم[٩] عن حنظلة[١٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا، وما فيها ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[١١].

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨١)

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٣٣٧)، (٤/ ٣٤).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/ ٤٩٢)

(٤) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٨٨).

(٥) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٣٣٧).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٤).

(٧) انظر: تفسير الشوكاني (١/ ٨٠٧).

(٨) صحيح البخاري ك التفسير باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٤/ ١٦٨ ح٣٤٤٨).

(٩) مسلم في صحيحه ك الإيمان باب نزول عيسى بن مريم (١/ ١٣٥ح١٥٥).

(١٠) هو: حنظلة بن علي بن الأسقع الأسلمي المدني ثقة. انظر: تقريب التهذيب (١/ ١٨٤).

(١١) سورة النساء، آية: ١٥٩.

وفي زيادة عند الإمام أحمد في المسند[1] قال حنظلة: إن أبا هريرة قال: (يؤمن به قبل موت عيسى عليه السلام فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة).

وروى ابن جرير بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾؛ قال: (قبل موت عيسى ابن مريم) [2].

وروى الحاكم في المستدرك[3] عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾؛ قال: (خروج عيسى ابن مريم صلوات الله عليه). قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في "تلخيصه".

وروى أبو بكر الآجري في "كتاب الشريعة" عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ يعني: (أنه سيدركه أناس من أهل الكتاب حين يبعث عيسى بن مريم عليه السلام فيؤمنوا به ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾) [4].

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد (١٣/ ٢٨٠)، وقال الألباني رحمه الله: (وإسناده صحيح على شرط مسلم). انظر: قصة المسيح الدجال (ص/ ٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٨٠). والأثر عن ابن عباس رضي الله عنه صححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٩٢)، والشيخ حمود التويجري رحمه الله في إتحاف الجماعة (٣/ ٩٣).

(٣) مستدرك الحاكم (٤/ ٥٤٤).

(٤) الشريعة (٣/ ١٣٢٦).

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن الحسن البصري: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال: (قبل موت عيسى، والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون) [(١)].

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أيضا أن رجلا سأله عن قوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال: (قبل موت عيسى، وإن الله رفع إليه عيسى، وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر) [(٢)].

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد[(٣)] قال: «إذا نزل عيسى عليه السلام فقتل الدجال لم يبق يهودي في الأرض إلا آمن به فذلك حين لا ينفعهم الإيمان)[(٤)].

القول الثاني: إن مرجع الضمير في قوله: (لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ) يعود على عيسى عليه السلام، ومرجع الضمير في قوله تعالى: (قَبْلَ مَوْتِهِۦ) يعود على أهل الكتاب، والمعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلاّ آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي، ولكن يكون ذلك الإيمان عند الحشرجة والاحتضار حين لا ينفعه إيمانه، ومن أبرز ما يؤيد هذا القول قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه (لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٨٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٣).

(٣) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٤٩).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٣٨١).

قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ) قرأ قبل موتهم[١]، وهذا القول نسبه النووي إلى الجمهور[٢]، رواية عن ابن عباس[٣] وعكرمة[٤] ومجاهد[٥] ومحمد بن سيرين[٦] وغيرهم، ورجحه ابن عطية[٧] والنووي رحمهم الله[٨]. ومن الآثار في تفسير الآية على هذا المعنى ما جاء عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ قال: (لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى)[٩]. وعن مجاهد في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾: (كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته -قبل موت صاحب الكتاب-وقال ابن عباس: (لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى) [١٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٣).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٤).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٤).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٥٨). وابن عطية هو: العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، من مؤلفاته المحرر الوجيز، توفي سنة ٥٤١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٧).

(٨) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٩١).

(٩) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٨٢)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٣). ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فيها انقطاع.

(١٠) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٣).

وعن ابن عباس قال: (لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، ولو عجل عليه بالسلاح) [(١)]، **وعنه:** ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ **قال:** (**هي في قراءة أبي:** (**قبل موتهم**) ليس يهودي يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى. قيل لابن عباس: أرأيت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي. فقيل: أرأيت إن ضربت عنق أحد منهم؟ قال: يلجلج بها لسانه) [(٢)].

القول الثالث: إن مرجع الضمير الهاء في (لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ) يعود إلى محمدﷺ، وفي الثاني موته يعود إلى الكتابي، والمعنى: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي.

وهذا القول جاء عن عكرمة رحمه الله حيث روى عنه ابن جرير[(٣)] قوله في تفسير الآية: (لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ).

القول الرابع: أن الضمير في الأول يرجع إلى الله سبحانه وتعالى، والثاني يرجع إلى أهل الكتاب، والمعنى: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن بالله عز وجل، قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه إيمانه، وهذا القول ذكره بعض أهل التفسير من غير نسبة لأحد[(٤)].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٣). وقد صحح ابن كثير رحمه الله بعض هذه الروايات عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٣٨٦).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٠٨)، وتفسير القرطبي (٦/ ١١).

المطلب الثاني: الترجيح بين الأقوال:

لعل القول الأول، وهو حمل الآية على إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام عند نزوله هو الراجح، وهو القول الذي ثبت عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنه، كما اختاره ابن جرير(١)، وابن تيمية(٢)، وابن كثير(٣)، والشنقيطي(٤)، والشيخ حمود التويجري(٥) رحمهم الله وغيرهم، وقد ذكر من ذهب إلى هذا القول مرجحات قوية تقوي القول الأول، وتجعله أولى الأقوال بالقبول، ومن هذه المرجحات:

١- إن هذا القول هو ظاهر القرآن المتبادر منه، وهو الذي يفيده سياق ومقصود الكلام، وقد **ألمح الإمام أحمد رحمه الله إلى هذا الوجه** فقد سأله ابنه عبد الله عن هذه الآية ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ فقال: ابن عباس وغيره قالوا: عيسى ثم تلا ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ قال: فهذا يدل على أنه عيسى ليس هو محمد ﷺ، وإنما هو عيسى)(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٦).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ٣٣٧)، (٤/ ٣٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٤).

(٤) انظر: أضواء البيان (٧/ ١٢٧).

(٥) انظر: إقامة البرهان في الرد على من أنكر أحاديث المهدي للتويجري (ص٥).

(٦) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (٣/ ١٣٢٣).

وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله وهو العالم الكبير في العربية(١): «والظاهر أن الضميرين في: به، وموته، عائدان على عيسى، وهو سياق الكلام، والمعنى: من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله».

ويقول العلامة ابن كثير رحمه الله عن القول الأول: «وهو الصحيح؛ لأنه المقصود من **سياق الآية** في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه، وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، ...فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية -يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف- فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أي: قبل موت عيسى، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب» (٢).

وفي فتاوى اللجنة الدائمة: «فإن الكلام سيق لبيان موقف اليهود من عيسى وصنيعهم معه عليه الصلاة والسلام، ولبيان سنة الله في إنجازه وكيد

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٠٨) وأبو حيان هو: أثير الدين أبو حيان محمد بن حيان الأندلسي مؤلف كتاب البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٥هـ. انظر: شذرات الذهب (٦ / ١٤٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٤).

أعدائه ، فيتعين رجوع الضميرين المجرورين إلى عيسى ﷺ؛ **رعاية لسياق الكلام ، وتوحيدا لمرجع الضميرين»** [١].

٢- إن هذا القول تنسجم معه الضمائر المذكورة مع بعض، وتتوافق ولا تتنافر، وتكون متلائمة مع السياق والمعنى؛ **ويوضح العلامة الشنقيطي رحمه الله هذا الوجه فيقول:** «وإيضاح هذا أن الله تعالى قال في أول الآيات: وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، ثم قال تعالى: وما قتلوه، أي: عيسى، وما صلبوه أي: عيسى، ولكن شبه لهم أي: عيسى، وإن الذين اختلفوا فيه أي عيسى، لفي شك منه أي: عيسى، ما لهم به من علم أي عيسى، وما قتلوه يقينا أي: عيسى، بل رفعه الله أي: عيسى، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به أي: عيسى، قبل موته أي عيسى، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي: يكون هو -أي عيسى- عليهم شهيدا؛ **فهذا السياق القرآني الذي ترى - ظاهر ظهورا لا ينبغي العدول عنه، في أن الضمير في قوله: (قبل موته) راجع إلى عيسى»** [٢].

٣- من مرجحات هذا القول أن مفسر الضمير ملفوظ مصرح به في قوله تعالى: وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وأما على القول الآخر فمفسر الضمير ليس مذكورا في الآية أصلا، بل هو مقدر تقديره: ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته، أي موت أحد

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣ / ٣٠٠) فتوى رقم (٢٦٢).

(٢) انظر: أضواء البيان (٧/ ١٣٠).

أهل الكتاب المقدر، ومما لا شك فيه أن ما لا يحتاج إلى تقدير أرجح وأولى مما يحتاج إلى تقدير[١].

٤- إن هذا القول الصحيح تشهد له السنة النبوية المتواترة؛ لأن النبيﷺ قد تواترت عنه الأحاديث بأن عيسى حي الآن، وأنه سينزل في آخر الزمان حكما مقسطا، ولا ينكر تواتر السنة بذلك إلا مكابر، وأما القول بأن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى الكتاب - فهو خلاف ظاهر القرآن، ولم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة، بل رواية الإمام أحمد رحمه الله في حديث أبي هريرة السابق، وقول حنظلة الأخير فيهما احتمال أن يكون التفسير عن أبي هريرة مرفوعا، وفيه التصريح بترجيح هذا القول حيث فيه يؤمن به قبل موت عيسى.

٥- إن القول الأول واضح لا إشكال فيه، ولا يحتاج إلى تأويل، ولا تخصيص، بخلاف القول الآخر، فهو مشكل لا يكاد يَصدُق إلا مع تخصيص؛ لأنه على القول بأن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى، فلا إشكال ولا خفاء، ولا حاجة إلى تأويل، ولا إلى تخصيص. وأما على القول بأنه راجع إلى الكتابي فإنه مشكل جدا بالنسبة لكل من فاجأه الموت من أهل الكتاب، كالذي يسقط من عال إلى أسفل، والذي يقطع رأسه بالسيف، وهو غافل، والذي يموت في نومه، ونحو ذلك، فلا يصدق هذا العموم المذكور في الآية على هذا النوع من أهل الكتاب، إلا إذا ادعى

(١) المرجع السابق.

إخراجهم منه بمخصص، ولا سبيل إلى تخصيص عمومات القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه من المخصصات المتصلة أو المنفصلة [(١)].

وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من حمل ذلك على موت أهل الكتاب، وأن ذلك يدل عليه قراءة أبي بن كعب **فالجواب**: أن ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه من استدلاله بقراءة أبي بن كعب فضعيف لأن في إسناده خصيف[(٢)]، وهو كما يقول الحافظ ابن حجر فيه ضعف [(٣)]، بل ذكر الشنقيطي أن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه في غاية البعد والسقوط [(٤)]، وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه خلافه من رواية محمد بن بشار عن ابن مهدي عن الثوري عن أبي حصين عن ابن جبير عن ابن عباس، وهذا إسناد صحيح أصح من الروايات الأخرى المنقولة عنه، والمتعارضة مع ما ورد عنه من حمل الآية على عيسى عليه السلام، وهي أصح من تلك الروايات، وكذلك متعارضة مع ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، والأوجه المذكورة تقوي وترجح قول أبي هريرة رضي الله عنه.

بل ذكر الشيخ حمود التويجري رحمه الله إنه لا معارضة بين القولين المرويين عن ابن عباس رضي الله عنه حيث يقول: «وأما قول من قال من المفسرين:

---

(١) انظر: أضواء البيان (٧/ ١٣٠).

(٢) خصيف بالصاد المهملة مصغر بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون صدوق سيء الحفظ خلط بأخرة، ورمي بالإرجاء من الخامسة، مات سنة مائة وسبع وثلاثين، وقيل غير ذلك. انظر: تقريب التهذيب (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/ ٤٩٢)

(٤) انظر: أضواء البيان (٧/ ١٣١).

إن الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعود إلى الكتابي. **فليس فيه معارضة لما تقدم** فقد يؤمن كل كتابي عند احتضاره بأن عيسى عبد الله ورسوله، ولكن لا ينفعه إيمانه في هذه الحالة، وأما الذين يؤمنون به بعد نزوله في آخر الزمان فإن إيمانهم به ينفعهم، والله أعلم» (١).

وقد يقال: إن الآثار المروية عنه من حمل الآية على موت أهل الكتاب لا موت عيسى عليه السلام مطلقة غير مقيدة بزمن، وهي بهذا الإطلاق لا تتنافى مع حمل الآية على موت عيسى عليه السلام عند نزوله، يقول العلامة الشوكاني رحمه الله بعد ذكر الرواية عن ابن عباس الدالة على حمل الآية على موت أهل الكتاب: «وذهب كثير من التابعين فمن بعدهم إلى أن المراد قبل موت عيسى كما روي عن ابن عباس قبل هذا **وقيده كثير** منهم بأنه يؤمن به من أدركه عند نزوله إلى الأرض» (٢).

٦- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: «وقد قيل قبل موت اليهودي، وهو ضعيف كما قيل أنه قبل موت محمد، وهو أضعف؛ فإنه لو آمن به قبل الموت لنفعه إيمانه به فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، وإن قيل المراد به الإيمان الذي يكون بعد الغرغرة لم يكن في هذا فائدة فإن كل أحد بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده فلا اختصاص للمسيح به» (٣).

---

(١) إقامة البرهان (ص٥).

(٢) تفسير الشوكاني (١/ ٨٠٧).

(٣) الجواب الصحيح (٤/ ٣٤-٣٥).

٧- «ولأنه قال: قبل موته، ولم يقل بعد موته، ولأنه لا فرق بين إيمانه بالمسيح وبمحمد صلوات الله عليهما وسلامه، واليهودي الذي يموت على اليهودية يموت كافرا بمحمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام»[(١)].

٨- «ولأنه قال: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، وقوله ليؤمنن به فعل مقسم عليه، وهذا إنما يكون في المستقبل؛ فدل ذلك على أن هذا الإيمان بعد إخبار الله بهذا، ولو أريد به قبل موت الكتابي لقال وإن من أهل الكتاب إلا من يؤمن به لم يقل ليؤمنن به»[(٢)].

٩-«وأيضا فإنه قال: وإن من أهل الكتاب، وهذا يعم اليهود والنصارى؛ فدل ذلك على أن جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح، وذلك إذا نزل آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله ليس كاذبا كما تقول اليهود، ولا هو الله كما تقوله النصارى، والمحافظة على هذا العموم أولى من أن يدعى أن كل كتابي ليؤمنن به قبل أن يموت الكتابي فإن هذا يستلزم إيمان كل يهودي ونصراني، وهذا خلاف الواقع، وهو لما قال: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته؛ دل على أن المراد بإيمانهم قبل أن يموت هو علم أنه أريد بالعموم عموم من كان موجودا حين نزوله أي: لا يتخلف منهم أحد عن الإيمان به لا إيمان من كان منهم ميتا، وهذا كما يقال: إنه لا يبقى بلد إلا دخله الدجال إلا مكة والمدينة أي: من المدائن الموجودة حينئذ، وسبب إيمان أهل الكتاب به حينئذ

(١) المصدر السابق (٤/ ٣٥).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٣٥).

ظاهر فإنه يظهر لكل أحد أنه رسول مؤيد ليس بكذاب، ولا هو رب العالمين»[(١)].

وأما ما يتعلق بحجج القول الثاني، والتي تتلخص فيما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه من حمل ذلك على موت أهل الكتاب، وأن ذلك يدل عليه قراءة أبي بن كعب فالجواب عنه سبق بيانه وبيان تعارضها مع الصحيح الثابت عنه، ويمكن التوفيق بينها، وبين الرواية الصحيحة عنه.

وأما من حمل الآية على الإيمان بالله عز وجل أو الإيمان بمحمد ﷺ فأكثر المفسرين ردّوا ذلك، وجعلوا هذين القولين ضعيفين؛ لأنه لم يجر ذكر لهما في الآية، يقول الطبري رحمه الله: «وأما الذي قال: عنى بقوله: ليؤمنن به قبل موته ليؤمنن بمحمد ﷺ قبلَ موت الكتابي - فمما لا وجه له مفهوم، لأنه مع فساده من الوجه الذي دَللنا على فساد قول من قال: عنى به: ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي يزيده فسادًا أنه لم يجر لمحمد ﷺ في الآيات التي قبلَ ذلك ذكر، فيجوز صرف الهاء التي في قوله: ليؤمنن به، إلى أنها من ذكره. وإنما قوله: ليؤمنن به، في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود؛ فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة؛ فأما الدَّعاوى، فلا تتعذر على أحد»[(٢)].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٣٥-٣٦).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٨٩).

ويقول السمعاني[1] **رحمه الله**: «قال عكرمة: هذا في محمد ما من كتابي إلا ويؤمن به قبل الموت، وهذا قول ضعيف؛ لأنه لم يجر ذكر محمد في الآية»[2].

ويقول الآلوسي رحمه الله[3]: «وقيل: الضمير الأول لله تعالى، ولا يخفى بعده، وأبعد من ذلك أنه لمحمد ﷺ، وروى هذا عن عكرمة، ويضعفه أنه لم يجر له عليه الصلاة و السلام ذكر هنا ولا ضرورة توجب رد الكناية إليه لا أنه كما زعم الطبري لو كان صحيحا لما جاز إجراء أحكام الكفار على أهل الكتاب بعد موتهم؛ لأن ذلك الإيمان إنما هو في حال زوال التكليف فلا يعتد به، ويوم القيامة يكون أي عيسى عليه السلام عليهم أي أهل الكتاب شهيدا»[4].

وبهذا كله يتبين صحة الاستدلال بالآية على نزول المسيح عليه الصلاة والسلام.

---

(١) هو: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، شيخ الشافعية من كبار علماء السنة، توفي سنة ٤٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩ / ١١٤).

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٥٠٠).

(٣) هو: محمود بن عبد الله الحسينى الالوسى، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من كتبه روح المعاني والأجوبة العراقية وغيرها، توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦).

(٤) تفسير الآلوسي (٦ / ١٣).

المبحث الثاني: آية سورة الزخرف ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[١].

المطلب الأول: أقوال العلماء في تفسير الآية.

وهذه الآية كالآية السابقة اختلف في مرجع الضمير "الهاء" في قوله (وَإِنَّهُۥ) هل يعود على عيسى عليه السلام أو إلى غيره على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الضمير يرجع إلى عيسى عليه السلام، والمعنى: أن خروج عيسى عليه السلام علامة وشرط من أشراط الساعة، وقد تكاثرت الروايات في الدلالة على هذا القول **بل ثبت عن النبي ﷺ تفسير الآية**، وأن المراد بها نزول المسيح عليه السلام فقد روى الإمام أحمد[٢] وغيره عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير -وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد-؛ فقالوا: يا محمد! ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً؟! فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما يقولون قال: فأنزل الله عزوجل: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) قال: قلت: ما (يصدون)؟ قال: يضجُّون. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة).

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٦١.

(٢) كما في المسند (٥ / ٨٦)، ورواه ابن حبان مختصرا (رقم ٦٨١٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣ / ١٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (رقم ٣٢٠٨).

وروى الإمام أحمد(١)، والطبري(٢)، وابن أبي حاتم(٣)، والحاكم في المستدرك(٤)، عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾؛ قال: (هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة) قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وروى ابن جرير(٥) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ ؛ قال: نزول عيسى.

وروى عبد بن حميد(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾؛ قال: (خروج عيسى، يمكث في الأرض أربعين سنة، تكون تلك الأربعون كأربع سنين؛ يحج ويعتمر).

وروى عبد بن حميد أيضا(٧)، وابن جرير(٨)، عن مجاهد: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾: (خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة).

---

(١) مسند أحمد (٥ / ٨٦).

(٢) تفسير الطبري (٢١ / ٦٣١).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٨٥).

(٤) المستدرك (٢ / ٢٥٥).

(٥) كما في تفسيره (٢١ / ٦٣٢)، قال البوصيري رحمه الله: (رواته ثقات)، إتحاف الخيرة المهرة (٨ / ١٤١).

(٦) انظر: الدر المنثور (١٣ / ٢٢٣). قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: (وهذا الأثر له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف). إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣ / ١٢٤).

(٧) انظر: الدر المنثور (١٣ / ٢٢٣).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٢١ / ٦٣٢).

وروى عبد بن حميد [(١)]، وابن جرير أيضا [(٢)] عن الحسن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ قال: (نزول عيسى).

وروى عبد الرزاق [(٣)] وعبد بن حميد [(٤)] وابن جرير [(٥)] عن قتادة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ قال: (نزول عيسى علم للساعة).

وهكذا روي عن أبي العالية [(٦)] وأبي مالك [(٧)] وعكرمة [(٨)] والضحاك [(٩)] وغيرهم.

القول الثاني: إن مرجع الضمير يعود إلى القرآن، لأنه يدل على قرب مجيء الساعة، أو به تعلم الساعة وأهوالها وأحوالها، ونقل هذا عن الحسن

---

(١) انظر: الدر المنثور (١٣ / ٢٢٣).

(٢) انظر: الدر المنثور (١٣ / ٢٢٣)، وتفسير الطبري (٢١ / ٦٣٢).

(٣) انظر: الدر المنثور (١٣ / ٢٢٣).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) كما في تفسيره (٢١ / ٦٣٢) وسنده صحيح.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٧ / ٢٣٦) وأبو العالية هو رفيع بالتصغير بن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الإرسال من الثانية مات سنة تسعين، وقيل غير ذلك. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٢١٠).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦)، وأبو مالك هو: غزوان الغفاري أبو مالك الكوفي مشهور بكنيته ثقة. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٤٤٢).

(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦).

(٩) انظر: تفسير الطبري (٢١ / ٦٣٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧ / ٢٣٦). والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير)، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨).

البصري[١]، وسعيد بن جبير [٢].

القول الثالث: إن مرجع الضمير يعود إلى محمد ﷺ قال القرطبي: «ويحتمل أن يكون المعنى (وإنه) وإن محمدا ﷺ لعلم للساعة، بدليل قوله ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، وضم السبابة والوسطى، خرجه البخاري[٣] ومسلم[٤]. وقال الحسن: أول أشراطها محمد ﷺ» [٥].

المطلب الثاني: الترجيح بين الأقوال:

الصحيح من الأقوال الثلاثة هو القول الأول، وذلك لعدة وجوه:

١ـ تفسير النبي ﷺ للآية، وهو مثال لتفسير القرآن بالسنة الصحيحة والحديث في ذلك صريح وواضح.

٢ـ دلالة القرآن الكريم على هذا القول كما في الآية الأولى.

٣ـ القراءة الأخرى للآية (لعلم) بفتح العين واللام أي أمارة وعلامة قال ابن كثير رحمه الله: «ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة»[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١ / ٦٣٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦ / ١٠٥)، وتفسير ابن كثير (٧ / ٢٣٦).

(٣) صحيح البخاري ك الأدب باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين (٨ / ٦٥٠٣ح٦٥٠٣).

(٤) صحيح مسلم ك الفتن وأشراط الساعة باب فضل العبادة في الهرج (٤ / ٢٢٦٨ح٢٩٥٠).

(٥) تفسير القرطبي (١٦ / ١٠٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٧ / ٢٣٦).

٤ـ دلالة الأحاديث المتواترة في نزول المسيح عليه السلام[(١)]، وأنه شرط من أشراط الساعة على هذا القول.

٥ـ ما جاء عن الصحابة والتابعين في تفسير الآية.

٦ـ سياق الآية وانسجام الضمائر بعضها مع بعض يقوي ويعضد هذا القول فالآية في ذكر عيسى عليه السلام، **يقول أبو حيان رحمه الله**: «والظاهر أن الضمير في: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعود على عيسى، إذ الظاهر في الضمائر السابقة أنها عائدة عليه»[(٢)].

ويقول الشنقيطي رحمه الله: «ومعنى قوله: لعلم للساعة على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة – هو أن نزول عيسى في آخر الزمان حيا علم للساعة، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها»[(٣)].

ويقول الألباني رحمه الله: «واعلم أن الحديث صريح الدلالة على أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعود إلى عيسى عليه السلام، وليس إلى القرآن كما روي عن بعضهم، ولذلك قال الحافظ ابن كثير[(٤)]: «بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام؛ فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تعالى: (وإن من أهل الكتاب

---

(١) انظر: المرجع السابق (٧ / ٢٣٦).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٢٦).

(٣) أضواء البيان (٧ / ١٢٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٧ / ٢٣٦).

إلا ليؤمنن به قبل موته) أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً»[١].

---

(١) السلسة الصحيحة (١٣ / ١١).

المبحث الثالث: آية سورة آل عمران: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١]

المطلب الأول: أقوال العلماء في تفسير الآية:

روى الطبري[٢] عن ابن زيد قوله في تفسير الآية: «ويكلم الناس في المهد وكهلا، قال: قد كلمهم عيسى في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهلٌ»، وقال مقاتل بن سليمان: «يعني إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء»[٣]، وقال الحسين بن الفضل[٤]: (كهلاً) بعد نزوله من السماء[٥].

ووجه الاستدلال بالآية على نزول المسيح أن الآية وقعت ضمن الحديث عن آيات وخصائص المسيح عليه الصلاة والسلام من بداية البشارة به وظهوره وكلامه في المهد، وما خصه الله به من الدلائل والبراهين، ومن ضمن ما ذكر في هذه الخصائص كلامه للناس، وهو كهل قال المستدلون بالآية على النزول: والكلام في سن الكهولة يشترك فيه كل الناس ليس خاصا بعيسى عليه السلام، ولذا لا بد من حمل هذا الكلام على نزوله في آخر الزمان حتى يكون ذلك آية وخاصا بعيسى عليه السلام يقول العلامة أحمد بن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٤٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦ / ٤٢٠)، وتفسير الثعلبي (٣ / ٩٣)، وتفسير البغوي (٢ / ٣٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) هو الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم بن كيسان البجلي، المفسر: إمام عصره في معاني القرآن توفي سنة ٢٨٢هـ انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤١٤).

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (٣ / ٩٣)، وتفسير البغوي (٢ / ٣٨).

يحيى المشهور بثعلب[١]: «ذكر الله جل وعز لعيسى آيتين: إحداهما: تكليمه الناس في المهد، فهذه معجزة. والأخرى: نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد، فهذه الآية الثانية» [٢].

المطلب الثاني: تحقيق القول في الآية.

الاستدلال بالآية على نزول المسيح لا يتم إلا بمعرفة ثلاثة أمور: الأول سن الكهولة، والثاني: كم كان سنه يوم رفع؟، والثالث: معرفة ما الفائدة من ذكر كلامه في سن الكهولة مع وقوع ذلك من كل الناس.

أما الأمر الأول: سن الكهولة .

فالأصل في الكهل في اللغة: ما اجتمعت قوته، وكمل شبابه، وهو مأخوذ من قول العرب اكتهل النبات إذا قوي وتم، وجمهور أهل اللغة على أن سن الكهولة يبدأ من سن الأربعين، وقيل ثلاث وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وقيل: يبدأ من ثلاثين جاء في لسان العرب في مادة كهل[٣]: «الكهل الرجل إذا وخطه الشيب، ورأيت له بجالة، وفي الصحاح: الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب، وفي فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنه هذان سيدا كهول الجنة، وفي رواية كهول الأولين والآخرين، قال ابن الأثير: الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل:

---

(١) هو: العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي، صاحب الفصيح والتصانيف توفي سنة ٢٩١هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٤).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢ / ٢٤٥)، ولسان العرب (١١ / ٦٠٠).

(٣) لسان العرب (١١ / ٦٠٠).

هو من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين، وقد اكتهل الرجل، وكاهل إذا بلغ الكهولة فصار كهلا، وقيل: أراد بالكهل ههنا الحليم العاقل أي: أن الله يدخل أهل الجنة الجنة حلماء عقلاء، وفي المحكم: وقيل: هو من أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين....»، وقال أبو جعفر النحاس رحمه الله: «وإنما الكهل عندهم من ناهز الأربعين أو قاربها، وقيل من جاوز الثلاثين، وقيل: بن ثلاث وثلاثين..»(١).

وعلى هذا الخلاف فإن الكهولة تبدأ على أقل تقدير من سن ثلاثين أو ثلاث وثلاثون، وهل عيسى عليه السلام قبل أن يرفع اكتهل، وبلغ سن الكهولة أم لا؟ هذا ما سأذكره في الأمر الثاني.

الأمر الثاني: كم كان سن عيسى عليه السلام حين رفع؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «واختلف في عمره حين رفع فقيل ابن ثلاث وثلاثين، وقيل مائة وعشرين»(٢).

وأكثر العلماء على أنه رفع وعمره ثلاث وثلاثون سنة قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح»(٣)، وقال ابن حجر رحمه الله في الإصابة: «واختلف في عمره في الدنيا منذ ولد إلى أن رفع فقيل ثلاث وثلاثون سنة، وهذا أشهر، وقيل أربع وثلاثون»(٤).

---

(١) معاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٢)، ولسان العرب (١١/ ٦٠٠)، وانظر: فتح الباري (٦ / ٤٧٢).

(٢) فتح الباري (٦ / ٤٩٣).

(٣)تفسير ابن كثير (٢ / ٤٦٦).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر تحقيق عبد الله التركي (٧ / ٥٩٦)، وفي طبعة البجاوي =

وهناك بعض الأدلة التي استدل بها على أنه رفع وعمره ثلاث وثلاثون.

منها: ما ورد من مدة مكثه عليه السلام بعد نزوله، وأنه يمكث أربعين سنة كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها المرفوع (فينزل عيسى عليه السلام، فيقتل الدجال، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماماً عدلاً، وحكماً مقسطاً)[(١)]، وورد في رواية أخرى (أنه إنما يمكث سبع سنين)[(٢)] فجمع بعضهم أن عيسى عليه السلام حين رفع كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة، ويمكث بعد نزوله سبع سنين فهذه أربعون سنة قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد قوله عليه الصلاة والسلام: (أن عيسى، عليه السلام، يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة...) قال: «وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: أنه يمكث سبع سنين، فيحتمل -والله أعلم-أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة، مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله، فإنه رفع، وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح» [(٣)].

=

(٤ / ٧٦٦)، وقع تصحيف في سنين الرفع من ثلاث وثلاثون إلى ثلاث وثمانون، ومن أربع وثلاثون إلى أربع وثمانون)، والصواب ما في طبعة الدكتور التركي كما هو موجود في الروايات عن ابن المسيب رحمه الله.

(١) رواه أحمد في المسند (٤١ / ١٥)، وابن حبان في صحيحه (١٥ / ٢٣٤)، قال الهيثمي رحمه الله: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة) انظر: مجمع الزوائد (٧/ ٦٥١)، وصححه الألباني في قصة المسيح (ص١٤٨).

(٢) سيأتي تحقيق هذه الرواية قريبا.

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٦٦).

وقد تعقب السفاريني رحمه الله هذا الجمع، وهذا القول فقال رحمه الله: «وهذا والله أعلم ليس بشيء لما مر من حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره: (فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة)[(١)]، وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، قال: واستمريت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الإمام الحافظ البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعون سنة معتمدا ما أفاده الإمام أحمد في روايته بلفظ: (ثم يمكث ابن مريم في الأرض بعد قتل الدجال أربعين سنة)، وهذا هو المرجع لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر، ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم، ولأنه مثبت، والمثبت مقدم» انتهى[(٢)].

وما ذكره الحافظ ابن كثير أنه ورد في صحيح مسلم أنه يمكث سبع سنين فيه نظر، وذلك لأن رواية مسلم في الصحيح لا تؤيد ما ذهب إليه، وذلك لأن لفظ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ في صحيح مسلم هكذا[(٣)] (**فيبعث الله عيسى ابن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين، وليس بين اثنين عداوة**) فالمعنى على هذه الرواية أن عيسى ﵇ لما يهلك المسيح الدجال يمكث **الناس** بعد موت عيسى ﵇ سبع سنين فالضمير في بعده يعود على عيسى ﵇، وقد حقق الحافظ الكبير البيهقي في

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لوامع الأنوار (٢ / ٩٩) وما نقله السفاريني عن السيوطي لم أقف عليه من كتبه.

(٣)صحيح مسلم ك الفتن باب في الدجال (٤ / ٢٢٥٨ح ٢٩٣٩).

كتاب (البعث والنشور) القول في الروايات التي فيها أربعين سنة وبين السبع السنين مما لا مزيد عليه فقال: «هكذا في هذا الحديث على أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة، وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو في قصة الدجال (فيبعث الله عيسى ابن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين، وليس بين اثنين عداوة) فيحتمل أن قوله (ثم يلبث الناس بعده) أي بعد موته، وعليه لا يكون مخالفا لما قبله، **وهذا أرجح لأمور:**

أحدها: أن هذا الحديث ليس نصا في الإخبار عن مدة لبث عيسى، وذاك نص فيها.

الثاني: أن (ثم) يؤيد هذا التأويل لأنها للتراخي.

الثالث: قوله: فيلبث الناس بعده، لأن المتجه أن الضمير فيه لعيسى لأنه أقرب مذكور.

الرابع: أنه لم يرد في ذلك إلا هذا الحديث المحتمل، ولا ثاني له، وورد مكث عيسى أربعين سنة في عدة أحاديث من طرق مختلفة، منها الحديث المذكور وهو صحيح.

ومنها ما أخرجه الطبراني[1] من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين.... ومنها ما أخرجه أحمد

(١) كما في المعجم الأوسط (٥ / ٣٣١) قال الهيثمي رحمه الله: (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات) مجمع الزوائد (٨ / ٣٧٧) وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٩٣)،وقال الألباني: =

في مسنده عن عائشة مرفوعا في حديث الدجال (فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماما عادلا وحكما مقسطا)[(١)].

وورد أيضا من حديث ابن مسعود عند الطبراني، فهذه الأحاديث المتعددة الصريحة أولى من ذلك الواحد المحتمل»[(٢)].

ويقول العلامة الألباني رحمه الله: «وأما قول الحافظ ابن كثير: «وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سبع سنين فهذ مع هذا مشكل...»، ونحوه قول الحافظ في الفتح[(٣)]: «وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين» أقول: فكل هذا لا أصل له في مسلم، وإنما فيه من حديث ابن عمرو، وليس ابن عمر... ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا، فالذي يلبث هم الناس، وليس عيسى فلا إشكال والحمد لله»[(٤)].

وبهذا يتبين ضعف هذا الاستدلال على عُمر عيسى عليه السلام حين رفعه.

ومن الأدلة المستدل بها على أن عُمر عيسى عند رفعه ثلاث وثلاثون ما ذكره ابن كثير رحمه الله حيث يقول: «وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل

=

إسناده جيد. سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢ / ٧٨١).

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي (٢ / ٥٤٢).

(٣) انظر: فتح الباري (٦ / ٤٩٣).

(٤) قصة المسيح (ص/ ١٤٥).

الجنة: أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة) وهذا الحديث رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة[(١)] من حديث رواد بن الجراح العسقلاني، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم عليه السلام ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف على ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحلون)، وروى أبو نعيم[(٢)] من حديث جعفر بن جسر بن فرقد القصاب عن أبيه، عن أبي رجاء، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أهل الجنة شباب مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة، لا يبولون، ولا يتغوطون، وإنما هو جشاء، ورشح كرشح مسك، يخرج من جلودهم، على ميلاد عيسى عليه السلام).

وحديث أنس حديث ضعيف لأن في إسناده رواد بن الجراح العسقلاني، وقد ضعفه أكثر أهل العلم[(٣)]، وفي سماع هارون بن رئاب من أنس بن مالك رضي الله عنه اختلاف[(٤)]، وأما ما رواه أبو نعيم فضعيف جدا؛ لأنه من رواية جعفر بن جسر بن فرقد أبو سليمان القصاب البصري عن أبيه، وجعفر قال ابن عدي فيه: «أحاديثه مناكير»[(٥)]، وقال الأزدي: «يتكلمون

(١) انظر: صفة الجنة لابن أبي الدنيا (ص ٢٢٤)

(٢) انظر: صفة الجنة لأبي نعيم (ص ٣٢٣)

(٣) انظر: الجرح والتعديل للرازي (٣ / ٥٢٤)، والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (١ / ٢٨٦)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٦ / ٤٦).

(٤) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٣٠ / ٨٣)، وجامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي (ص٢٩٢).

(٥) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٢ / ١٥٠).

فيه»[١]، وقال العقيلي: «حفظه فيه اضطراب شديد كان يذهب إلى القدر، وحدث بمناكير»[٢].

وأما أبوه جسر فقال يحيى بن معين: «ليس بشيء، ولا يكتب حديثه»[٣] وقال النسائي[٤] والدارقطني[٥]: «ضعيف»، وقال ابن حبان: «خرج من حد العدالة»[٦]، وقال ابن عدي: «عامة أحاديثه غير محفوظة»[٧]، وعليه يكون الحديث شديد الضعف.

وقد وجدت متابعات وشواهد تشهد لأعمار أهل الجنة، وأن أعمارهم ثلاث وثلاثون، لكن ليس فيها إشارة وذكر لعيسى عليه السلام فلا تصلح أن تكون شاهدة لعمر المسيح عند رفعه[٨]. ومن الأدلة المستدل بها على عُمر عيسى عليه السلام عند رفعه، وأنه ثلاث وثلاثون ما رواه الطبراني في الأوسط[٩] من طريق ابن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: (حتى إذا بلغ أشده) قال: (ثلاث وثلاثون، وهو الذي رفع عليه عيسى بن مريم عليه السلام) قال الهيثمي رحمه الله عن أثر ابن عباس هذا: «رواه الطبراني في

---

(١) انظر: الضعفاء والمتركون لابن الجوزي (١ / ١٧٠).

(٢) انظر: الضعفاء للعقيلي (١ / ١٨٧).

(٣) انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١ / ١٦٩)، لسان الميزان لابن حجر (٢ / ١٠٤).

(٤) انظر: الضعفاء للنسائي(ص١٦٤).

(٥) انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ١٦٩).

(٦) انظر: المجروحين (١/ ٢١٧).

(٧) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ١٦٩).

(٨) انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٤٦).

(٩) كما في المعجم الأوسط (٧ / ٥٣).

الأوسط، وفيه صدقة بن يزيد وثقه أبو زرعة، وأبو حاتم، وضعفه أحمد وجماعة، وبقية رجاله ثقات»[١]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذا الأثر: «وأخرجه ابن مردويه من طريق ابن خيثمة لكن قال عن مجاهد بدل سعيد، وقال: بضعا وثلاثين، ولم يذكر عيسى ابن مريم على نبينا وعليه أفضل السلام»[٢].

وأخرج ابن سعد[٣]، والحاكم[٤] عن سعيد بن المسيب قال: (رفع عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة)، وأخرج ابن عساكر عن وهب مثله[٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عن قول سعيد بن المسيب: «من رواية علي بن زيد عنه وهو ضعيف»[٦]، وقال الصالحي رحمه الله عن قول وهب ابن منبه: «في سنده عبد المنعم بن إدريس كذبوه، ولو صح سنده فإنه عن النصارى كما ترى»[٧].

---

(١) مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٤).

(٢) الدراية في تخريج أحاديث الهداية (ص/ ١٩٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٣ / ٥٩٠).

(٤) المستدرك (٣ / ٢٦٩).

(٥) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي (٢ / ٢٢٦).

(٦) الإصابة (٧ / ٥٩٦).

(٧) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢ / ٢٢٦).

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق[١] عن الحسن البصري أن عيسى عليه السلام رفع وهو ابن أربع وثلاثون. قال الصالحي رحمه الله عن هذا الأثر: «رواه ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر وهو كذاب يضع»[٢].

وقد ورد أن عيسى عليه السلام عاش مائة وعشرين سنة، فقد روى الطبراني[٣] وغيره عن فاطمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أخبرها أن عيسى عاش مائة وعشرين سنة، وأنه ما بعث نبي إلا عاش ما عاش النبي قبله. لكنه حديث لا يصح. قال عنه ابن كثير: «غريب»[٤]، وقال الهيثمي رحمه الله: «رواه الطبراني بإسناد ضعيف، وروى البزار بعضه، وفي رجاله ضعف»[٥]، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله[٦].

وروي أن عيسى عليه السلام عاش أربعين سنة فعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: إن عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة، قال الهيثمي رحمه الله: «رواه أبو يعلى[٧] عن الحسين بن علي ابن

---

(١) تاريخ دمشق (٤٧ / ٤٧٠).

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢ / ٢٢).

(٣) المعجم الكبير (٢٢ / ٤١٨).

(٤) البداية والنهاية (٢ / ١١٣).

(٥) مجمع الزوائد (٨ / ٥٩٢).

(٦) انظر: السلسة الضعيفة (٩ / ٤٢٥ رقم ٤٤٣٤).

(٧) كما في مسنده (١٢ / ١١٢).

الأسود؛ وقد ضعفه الأزدي، ووثقه ابن حبان، ويحيى بن جعدة لم يدرك فاطمة»[(١)].

وقال الدارقطني: «المحفوظ أنه مرسل من حديث يحيى بن جعدة عن النبي ﷺ مرسلا»[(٢)] كما أعله ابن كثير بالانقطاع[(٣)].

هذا ملخص ما قيل في عمره عليه السلام حين رفع، وما استدل له من السنة والآثار، وقد قال الحافظ ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: «وأما ما يذكر عن المسيح أنه رُفعَ إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير إليه»[(٤)].

ولعل ما قاله العلامة ابن القيم هو الصحيح والعلم عند الله، وعليه لا يعلم هل رفع قبل أن يكتهل أم لا.

وأما الأمر الثالث: ما الفائدة من ذكر كلامه في سن الكهولة مع حصوله من كل الناس؟ قيل:

ويكلم الناس طفلاً وكهلاً ، ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء، من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويتنبأ فيها الأنبياء[(٥)].

---

(١) مجمع الزوائد (٨ / ٣٧٨).

(٢) العلل (١٥ / ١٧٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٢ / ١١٣).

(٤) زاد المعاد (١ / ٨٤).

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري (١ / ٣٦٤)، وتفسير البحر المحيط (٢ / ٤٨٣).

وقيل: إنه إخبار من الله لمريم وقومها أنه سيعيش إلى سن الكهولة فخرج الكلام مخرج البشارة ، وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه لأنه كان في العادة أن من يتكلم في المهد أنه لا يعيش ولا يتمادى به العمر فجعل الاحتراس بقوله: وكهلا[(١)].

وقيل: إن تكليمه بالمهد معجزة، وتكليمه بسن الكهولة دعوة ونبوة[(٢)].

وقيل: كلامه في الكهولة إخباره عن الأشياء المعجزة[(٣)].

وقيل: إنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلى حال ولو كان إلها لم يدخل عليه هذا التغير **قال ابن جرير رحمه الله:** «وإنما أخبر الله عز وجل عبادَه بذلك من أمر المسيح، وأنه كذلك كان، وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولا وشيوخًا احتجاجًا به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى الباطلَ، وأنه كان منذ أنشأه مولودًا طفلا ثم كهلا يتقلب في الأحداث، ويتغير بمرُور الأزمنة عليه والأيام، من صِغر إلى كبر، ومن حال إلى حال، وأنه لو كان، كما قال الملحدون فيه، كان ذلك غيرَ جائز عليه. فكذّب بذلك ما قاله الوفدُ من أهل نجران الذين حاجُّوا رسول الله ﷺ فيه، واحتج به عليهم»[(٤)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١ / ٤٧٧)، وتفسير البحر المحيط (٢ / ٤٨٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢ / ٥٨).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢ / ٣٨)، وتفسير السمعاني (١ / ٣٢٠).

(٤) تفسير الطبري (٦ / ٤١٨)، وانظر: زاد المسير (١ / ٣٩٠).

وهذه الأمور الثلاثة المذكورة تجعل الآية ليست صريحة في الدلالة على نزول المسيح عليه السلام بل محتملة، والله أعلم.

المبحث الرابع: آية سورة الصف: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[(١)].

المطلب الأول: أقوال العلماء في تفسير الآية.

ذكر الطبري رحمه الله في تفسيره في معنى الآية قولان:

القول الأول: إن إظهار الدين يكون عند نزول عيسى عليه السلام عندما تصير الملل كلها واحدة، ومن الآثار في هذا المعنى ما رواه سعيد بن منصور[(٢)] في سننه عن جابر بن عبدالله في قوله عز وجل: (ليظهره على الدين كله) قال: (خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام).

وأخرج الطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله: ليظهره على الدين كله ! قال: (خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام) [(٣)].

وروى الطبري في تفسيره عن أبي جعفر (ليظهره على الدين كله)، قال: (إذا خرج عيسى عليه السلام، اتبعه أهل كل دين) [(٤)].

---

(١) سورة الصف، آية: ٩.

(٢) انظر: سنن سعيد بن منصور (٥ /٢٤٦)، ورواه البيهقي من طريق سعيد بن منصور (٩ / ١٨٠) وقد ضعفه محقق سنن سعيد بن منصور لشدة ضعف عمرو بن ثابت أحد رواة الأثر، والاختلاف الحاصل في إسناده.

(٣) كما في تفسيره (٢٣ / ٣٦١) من رواية ثابت بن هرمز عن أبي هريرة رضي الله عنه وثابت لم يسمع من أبي هريرة وفي موضع آخر: رواه عن ثابت عن شيخ عن أبي هريرة (١٤ / ٢١٥).

(٤) كما في تفسير الطبري (١٤ /٢١٥)، وفي إسناده سفيان بن وكيع شيخ الطبري متروك، وفي إسناده أيضا مبهم لا يعرف.

وروى البيهقي في السنن الكبرى عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) قال: (إذا نزل عيسى ابن مريم لم يكن في الأرض إلا الإسلام ليظهره على الدين كله) [(١)].

القول الثاني: معنى الآية أي ليعلمه شرائعَ الدين كلها، فيطلعه عليها.

قال ابن عباس: قوله: (ليظهره على الدين كله) قال: (ليظهر الله نبيّه على أمر الدين كله، فيعطيه إيّاه كله، ولا يخفى عليه منه شيء، وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك) [(٢)].

المطلب الثاني: تحقيق القول في تفسير الآية.

ولا منافاة بين القولين فما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فهو من علو الإسلام، وظهور حججه وبراهينه، وعلى القول الثاني في تفسير الآية كذلك تفيد أن الله تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان، وتمام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى عليه السلام حين تصير الملة كلها واحدة، ومما يدل على هذا المعنى ما جاء عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى). قلت: يا رسول الله إن كنت لأظن أن الله حين أنزل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أن ذلك تام قال: (**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله** ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا

---

(١) السنن الكبرى (٩ / ١٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ٢١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ١٨١) من وراية علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه.

خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم). أخرجه مسلم في الصحيح[١]، ففي هذا الحديث إشارة إلى علو الإسلام في آخر الزمان، **قال ابن جرير رحمه الله:** (قوله: ليظهره على الدين كله) يقول: «ليظهر دينه الحق الذي أرسل به رسوله على كل دين سواه، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم، وحين تصير الملة واحدة، فلا يكون دين غير الإسلام ثم ساق حديث مسلم السابق»[٢].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: «فقد أظهر الله جل ثناؤه دينه الذي بعث به رسول الله ﷺ على الأديان، بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق، وما خالفه من الأديان باطل، وأظهره بأن جماع الشرك دينان دين أهل الكتاب، ودين الأميين، فقهر رسول الله ﷺ الأميين حتى دانوا بالإسلام طوعاً وكرهاً، وقتل من أهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالإسلام، وأعطى بعض الجزية صاغرين، جرى عليهم حكمه ﷺ، وهذا ظهوره على الدين كله... وقد يقال: ليظهرن الله دينه على الأديان، حتى لا يدان الله إلا به، وذلك متى شاء الله»[٣].

ويقول السمعاني رحمه الله في شرح الآية: «أي: على جميع الأديان شرقا وغربا، ومصداق هذه الآية على الكمال إنما يكون عند نزول عيسى ابن مريم حيث لا يبقى إلا دين الإسلام»[٤].

---

(١) صحيح مسلم ك الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٤ / ٢٢٣٠ ح٢٩٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣ / ٣٦١).

(٣) انظر: السنن الصغرى (٨ / ١٢٥).

(٤)تفسير السمعاني (٥ / ٤٢٧).

ويقول العلامة الألباني رحمه الله في الآية الكريمة: «تبشّرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالـذي تحـقق إنما هـو جزء من هذا الوعد الصادق ، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ ثم ذكر حديث عائشة السابق، وقال: وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره، بحيث لا يدع مجالا للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه...، ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على ظهور الإسلام آخر الزمان»[1].

(١) السلسة الصحيحة (٦ / ١).

المبحث الخامس: آية سورة محمد: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(١).

وهذه الآية كالآية السابقة فقد ذهب بعض أهل العلم أن المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ أي حتى لا يبقى دين إلا دين الإسلام، ويكون ذلك عند نزول المسيح عليه السلام قال البغوي رحمه الله: «معنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر، حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام»(٢)، وممن حمل الآية على نزول المسيح الإمام مجاهد رحمه الله فقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره(٣)، والبيهقي في سننه(٤) عن مجاهد رحمه الله قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ قال: (حتى يخرج عيسى بن مريم عليه السلام فيسلم كل يهودي ونصراني، وصاحب ملة، وتأمن الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جرابا، وتذهب العداوة من الناس كلها ذلك ظهور الإسلام على الدين كله)، وكذلك روي عن سعيد بن جبير فقد

---

(١) سورة محمد، آية: ٤.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٧ / ٢٧٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢ / ١٥٧)

(٤) انظر: السنن الكبرى (٩ / ١٨٠).

أخرج علي بن الجعد[(١)] وعبد بن حميد[(٢)] عنه: قال: (خروج عيسى بن مريم عليه السلام).

وقال الإمام البيهقي رحمه الله في ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: «يعني -والله أعلم- حتى ينزل عيسى بن مريم، هكذا قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وروي عن عائشة، وأبي هريرة ما دل على ذلك»[(٣)].

ويقصد البيهقي رحمه الله بما روي عن أبي هريرة وعائشة ما يدل على تفسير الآية على قول مجاهد ما رواه الإمام أحمد[(٤)] وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: (يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إماما مهديا وحكما عدل؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها)، وما رواه الإمام مسلم[(٥)] عن عائشة رضي الله عنها: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى). قلت: يا رسول الله إن كنت لأظن أن الله حين أنزل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أن ذلك تام قال: (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم).

(١) مسند علي بن الجعد (٢ / ٨٣٠) وسنده صحيح.

(٢) انظر: الدر المنثور (١٣ / ٣٥٥).

(٣) السنن الصغرى (٧ / ٥٢١).

(٤) مسند أحمد (١٨٧/ ١٥) قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين. قصة المسيح (ص٩٩).

(٥) صحيح مسلم ك الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٤ / ٢٢٣٠ ح٢٩٠٦).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله مستدلا لقول مجاهد رحمه الله: «وكأنه أخذه من قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال) ثم ذكر رحمه الله ما رواه الإمام أحمد[١] عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه أخبرهم: أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: إني سيبت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، وقلت: «لا قتال»، فقال له النبي ﷺ: (الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم: ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)» [٢].

ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «بل إذا نزل عيسى عليه السلام، ولم يبق حينئذ ملة إلا ملة الإسلام فحينئذ تضع الحرب أوزارها»[٣].

---

(١) مسند أحمد (٢٨ / ١٤٦) قال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم السلسلة الصحيحة (٤ / ٤٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧ / ٣٠٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٤٦).

المبحث السادس: الآية السادسة: قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

وهذه الآية كالآية السابقة والتي قبلها، وقيل في تفسيرها: إن القتال ممتد إلى نزول عيسى عليه السلام عندما يظهر الله دين الإسلام على جميع الأديان وتضع الحرب أوزارها ويكون الدين كله لله.

قال العلامة ابن العربي رحمه الله: «وذلك باق متماد إلى يوم القيامة، ممتد إلى غاية هي قوله ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم). وقيل: غايته نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وهو موافق للحديث الذي قبله، لأن نزوله من أشراط الساعة»[2].

---

(١) سورة الأنفال، آية ٣٩.

(٢) أحكام القرآن (١ / ١٩٥)، وانظر: تفسير القرطبي(٢ / ٣٥٠).

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذا البحث فله الحمد والمنة أولا وأخرا، وقد ظهر لي من خلال كتابة هذا البحث بعض الأمور الهامة منها.

١. أن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ذكر في القرآن في عدة آيات، ولم أر أحدا من أهل العلم المعتبرين نفى ذلك.

٢. دلالة الآيات على نزول المسيح عليه السلام قد تكون صريحة لاسيما إذا انضم إليها ما نقل عن الصحابة والتابعين في تفسيرها.

٣. دلالة القرآن على نزول المسيح قد تكون من باب الإشارة الواضحة التي يمكن استنباط نزول المسيح عليه السلام منها.

٤. كثرة الوجوه المستنبطة من الآيات المذكورة على نزول المسيح عليه السلام.

٥. كثير من الأحاديث المروية في نزول المسيح عليه السلام هي شرح للآيات المذكورة في البحث.

٦. لم يصح شيء في عُمر المسيح حين رفعه، ولا عند نزوله.

هذا آخر ما أحببت كتابته، وصلى الله وسلم على رسوله وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

❖ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الناشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

❖ إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود بن عبد الله التويجري.

❖ الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي.

❖ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

❖ إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان للشيخ حمود التويجري.

❖ تفسير ابن أبى حاتم للحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي دار النشر: المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

❖ تفسير ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

❖ تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة: الأولى تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

❖ تفسير البغوي: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

❖ تفسير الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الطبعة: الأولى تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

❖ تفسير الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

❖ تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

❖ تفسير السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم الناشر دار الوطن – الرياض سنة النشر ١٤١٨هـ.

❖ تفسير الشوكاني المسمى فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير المؤلف: محمد بن علي الشوكاني دار الكتب العلمية.

❖ تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

❖ تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

❖ تقريب التهذيب أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي تحقيق محمد عوامة الناشر دار الرشيد سنة النشر ١٤٠٦ - ١٩٨٦مكان النشر سوريا.

❖ جامع التحصيل في أحكام المراسيل: أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

❖ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس.

❖ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

❖ الدراية في تخريج أحاديث الهداية: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المحقق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني الناشر: دار المعرفة – بيروت.

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي أبو الفضل الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

❖ زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

❖ سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

❖ سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الارنؤوط مؤسسة الرسالة.

❖ شرح السنة ـ للإمام البغوى الحسين بن مسعود البغوي دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ - الطبعة: الثانية تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش.

❖ شرح النووي على صحيح مسلم المسمى منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

❖ شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م الطبعة: الثانية تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

❖ شرح مشكل الآثار جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي تحقيق شعيب الأرنؤوط الناشر مؤسسة الرسالة سنة النشر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م مكان النشر لبنان/ بيروت.

❖ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

❖ صحيح البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ

❖ الضعفاء والمتروكين: أحمد بن على بن شعيب النسائي تحقيق: محمود ابراهيم زايد دار المعرفة بيروت - لبنان طبعة جديدة ومنقحة الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

❖ الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج تحقيق عبد الله القاضي الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤٠٦ مكان النشر: بيروت.

❖ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري الناشر: دار صادر – بيروت.

❖ فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

❖ الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي: زين الدين محمد المدعو بعبد لرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي تحقيق أحمد مجتبى الناشر: دار العاصمة – الرياض.

❖ الكامل في ضعفاء الرجال عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني تحقيق يحيى مختار غزاوي الناشر دار الفكر سنة النشر ١٤٠٩ - ١٩٨٨مكان النشر بيروت.

❖ لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

❖ لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند.

❖ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

❖ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين محمد بن حبان ابن أبي حاتم التميمى البستى تحقيق: محمود ابراهيم زايد.

❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.

❖ مجموع الفتاوى أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني لعبد الرحمن ابن قاسم الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة.

❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

❖ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

❖ مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي الناشر: مؤسسة نادر – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ - ١٩٩٠تحقيق: عامر أحمد حيدر.

❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة.

فهرس الموضوعات

المنهج النقدي العقدي عند الحافظ ابن عبد البر المالكي

(ت٤٦٣هـ)

من خلال كتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

إعداد الدكتور/ عارف بن مزيد السحيمي

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[٣]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[٤].

أما بعد:

فإن دين الله تعالى قائم على دعائم متينة منها النصيحة لعموم المسلمين كما جاء في حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين**

---

(١) خطبة الحاجة كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، كما يعلمهم التشهد في الصلاة، أخرجها ابن ماجه في سننه (١/ ٦٠٩)، وانظر: صحيح مسلم (١/ ٣٣٦).

(٢) سورة آل عمران، (١٠٢).

(٣) سورة النساء، (١).

(٤) سورة الأحزاب، (٧٠-٧١).

وعامتهم)[(١)].

ومن وسائل أداء النصيحة سلوك المنهج النقدي في الرد على المخالفين في مسائل الاعتقاد، وقد قام العلماء بواجبهم، وسلكوا هذا المنهج في قمع أصول الباطل، فأدوا واجب النصيحة وقاموا به خير قيام.

وممن تميز من العلماء بسلوك منهج النقد للآراء العقدية المخالفة للعقيدة السلفية حافظ المغرب الإمام ابن عبد البر المالكي القرطبي ت (٤٦٣هـ) رحمه الله، وظهر صنيعه جلياً في ثنايا كتابه الماتع: {التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد}، والذي يعدّ موسوعة علمية شاملة في الحديث وأصوله والفقه وأصوله، وأنموذجا فذا في أسلوبه ومنهجه. رتبه المصنف بطريقة الإسناد على أسماء شيوخ الإمام مالك الذين روى عنهم ما في الموطأ من الأحاديث فذكر ما له عن كل شيخ مرتبا على حروف المعجم.

وقد اقتصر المؤلف فيه على ما ورد عن الرسول ﷺ من الحديث متصِلاً أو منقطعاً أو موقوفاً أو مرسلاً دون ما في الموطأ من الآراء والآثار، فقد أفردها في كتابه {الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار في ما نظمه الموطأ من معاني الرأي والآثار}.

ومع ما شمله من أحكام كثيرة ففيه أيضاً الحديث عن الآداب الشرعية والمسائل الأصولية ونقد ما يستحق النقد منها. ومن أهم ما قرره في كتابه عند شرحه أحاديث الموطأ إيضاح عقيدة السلف الصالح والرد على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة ح(٥٥).

المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة في أمور المعتقد[١]، فهو بحق كتاب مهم لطلاب العلم في سائر العلوم الشرعية ولا غنى لأحد عنه.

وقد قضى -رحمه الله- في تأليف كتاب التمهيد أكثر من ثلاثين سنة[٢] يديم النظر ويعيد حتى خرج بهذا الشكل المرتضى. وهذا ما يدل على أهمية الكتاب وقيمته العلمية، لذا توجهت الهمة إلى دراسة منهجه النقدي للآراء العقدية المخالفة وللمخالفين في مسائل الاعتقاد من خلال كتابه التمهيد.

وهذا المنهج الذي سلكه ابن عبد البر منهج عتيق لم يخترعه رحمه الله، بل منشؤه في عهد النبوة والصحابة والتابعين وسار عليه أئمة الإسلام إلى عصرنا الحاضر.

فقد بدأ النقد في عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. ومثاله ما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: **(ما أظن فلانا وفلانا يعرفان ديننا الذي نحن عليه)**[٣].

وكان هذا العمل في نطاق ضيق لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الضبط والإتقان.

وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم توسع ميدان النقد بقصد الحيطة والحذر والحفاظ على السنة النبوية المطهرة ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) انظر على سبيل المثال: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٧/ ١٥٧، ١٥٨، ١٨/ ١٥، ١٩/ ١٤.

(٢) انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٨٠٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب، باب ما يجوز من الظن ح(٦٠٦٨).

قول الحافظ الذهبي عن أبي بكر الصديق ﵁: «وكان أول من احتاط في قبول الأخبار»[(١)].

وقال عنه أيضا: «وإليه المنتهى في التحري وفي القول وفي القبول»[(٢)].

وقال في ترجمة عمر ﵁: «وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل»[(٣)].

وقال ابن حبان: «إن عمر وعليا كانا أول من فتشا عن الرجال وبحثا عن النقل في الأخبار»[(٤)].

ولا تعارض بين كلام الذهبي عن أبي بكر الصديق ﵁ وكلام ابن حبان هنا، فإن أوليّة أبي بكر﵁ ثابتة في ميدان النقد ،أمّا التوسع في هذا الباب فقد وجد في عهد عمر وعلي رضي الله عنهما[(٥)].

أما التابعون فإنهم ساروا على منوال الصحابة ﵃ في نقد ما يحتاج إلى نقد:

قال ابن حبان: «ثم أخذ مسلكهم – أي الصحابة – واستن بسنتهم واهتدى بهديهم فيما استنوا من التيقظ في الروايات جماعة من أهل المدينة من

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي ١/ ٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٦، ٧.

(٤) المجروحين، لابن حبان ١/ ٣٦، ٣٧.

(٥) أصول منهج النقد عند أهل الحديث للبشير ص ١١.

سادات التابعين منهم سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد[١] بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر[٢]... فجدوا في حفظ السنن والرحلة فيها والتفتيش عنها والتفقه فيها ولزوم الدين ودعوة المسلمين»[٣].

ولأهمية ما سبق فقد توجهت الهمة إلى دراسة منهج ابن عبد البر في النقد العقدي فيما يراه مخالفا لمنهج السلف من خلال كتابه التمهيد معتمداً على الطبعة التي عنيت وزارة الأوقاف المغربية بمشروع تحقيقها وتقع في ست وعشرين مجلدا.

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي وكذا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على التتبع وينتهي باستخلاص النتائج والأحكام.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخلاصة للبحث، على النحو التالي:

التمهيد، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

---

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة قال أيوب: ما رأيت أفضل منه من كبار الثالثة مات سنة ست ومائة على الصحيح. تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٧٩٤.

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عمر أو أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة. وكان ثبتاً عابداً فاضلا كان يشبه بأبيه في الهدي والسمت من كبار الثالثة مات في آخر سنة ست على الصحيح. التقريب، لابن حجر ص ٣٦٠.

(٣) المجروحين، لابن حبان ١/ ٢٨.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث. وتحته أربعة فروع:

الفرع الأول: تعريف المنهج.

الفرع الثاني: تعريف النقد.

الفرع الثالث: تعريف العقيدة.

الفرع الرابع: المراد بالنقد العقدي.

المطلب الثاني: لمحة عن حياة ابن عبد البر. وتحته سبعة فروع:

الفرع الأول: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه.

الفرع الثاني: مولده ونشأته.

الفرع الثالث: صفاته الخلقية.

الفرع الرابع: عقيدته.

الفرع الخامس: شيوخه وتلاميذه.

الفرع السادس: مؤلفاته.

الفرع السابع: وفاته.

المطلب الثالث: كتاب التمهيد. وتحته ثلاثة فروع:

الفرع الأول: موضوع الكتاب.

الفرع الثاني: سبب تأليفه.

الفرع الثالث: أهمية الكتاب.

المبحث الأول: منهج ابن عبد البر فيما يتعلق بأدب الخلاف. وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحري الحقيقة العلمية. وتحته عشرة فروع:

الفرع الأول: يقرر أنه عند الاختلاف يجب الرد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الفرع الثاني: من جوانب تحري الحقيقة العلمية الاحتجاج بآراء السلف وعدم تجاوز ما كانوا عليه.

الفرع الثالث: من أدب العالم إذا لم تتبين عنده حجة المخالف أن يذكر عدم تبينها له.

الفرع الرابع: الحث على المبادرة إلى قبول الحق إذا عرفه الشخص. أخذا من فعل الصحابة ﷺ.

الفرع الخامس: ليس كل خلاف يعد مخالفا للحقائق العلمية، فقد يذكر الراد ما ظاهره الخلاف، ثم يبين أن الخلاف خلاف تنوع لا تضاد، ثم يجمع بين الأقوال.

الفرع السادس: قد يشتد على من خالف أمرا واضحا لا ينبغي الخلاف فيه.

الفرع السابع: ينبغي قبول العلم ممن جاء به، فالعالم قد يخفى عليه العلم ويعلمه غيره ممن هو أقل منه علما.

الفرع الثامن: القول المخالف للإجماع لا يعد من أقاويل أهل العلم

التي يعتمد عليها.

الفرع التاسع: عند الخلاف في النوازل والأحكام لا بأس من وجود المناظرة والمجادلة بين أهل العلم في تلك النازلة أو المسألة وأخذ الحق ممن جاء به.

الفرع العاشر: استخدم العبارات التي لا شدة فيها إذا كان الخلاف في غير أصول الدين أو في غير الآراء الشاذة أو المخالفة للإجماع.

المطلب الثاني: الاعتراف بالأسبقية والفضل للعلماء. وتحته ستة فروع:

الفرع الأول: يعترف للصحابة ﭫ بالعلم ويعتذر لما وجد من مخالفة عند بعضهم بأن الحق قد يخفى عليه.

الفرع الثاني: الاعتراف لأهل العلم بالعلم مع عدم ادعاء عصمتهم.

الفرع الثالث: يذكر ما كان عليه السلف من حرصهم على العلم وسؤال الكبير للصغير عن العلم.

الفرع الرابع: إذا كان لا بد من التقليد فيتبع الأعلم الأفهم الأفضل.

الفرع الخامس: من التأدب مع أهل العلم لزوم ما عليه الفتوى.

الفرع السادس: إذا تحومل على إمام دافع عنه وذكر أقاويل أهل العلم في الثناء عليه.

المطلب الثالث: لزوم الأدب مع المخالف. وتحته خمسة فروع:

الفرع الأول: اتسامه بالرزانة والتعقل والأدب والتواضع مع العلماء

أثناء انتقاده للمخالفين.

الفرع الثاني: تجنب الألفاظ النابية والشتم والسب واستعمال الألفاظ الحسنة في النقد.

الفرع الثالث: مما يكفّر به المخالف استحلاله لأمر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة.

الفرع الرابع: لا يحكم على المخالف بأنه مبتدع بمجرد الوقوع على زلة له ولو كان الفعل بدعة.

الفرع الخامس: يقرر أن المسألة إذا كان سبيلها الاجتهاد ووقع فيها الاختلاف، لم يجز لأحد القائلين فيها عيب مخالفه.

المبحث الثاني: منهج ابن عبد البر في نقد الآراء المتعلقة بالمباحث العقدية. وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج الاستدلال عنده. وتحته ستة فروع:

الفرع الأول: الاستدلال في النقد بنصوص القرآن الكريم.

الفرع الثاني: الاستدلال في النقد بنصوص السنة النبوية المطهرة.

الفرع الثالث: الاستدلال في النقد بأقاويل الصحابة ﷺ.

الفرع الرابع: الاستدلال في النقد بالآثار الواردة عن السلف رحمهم الله.

الفرع الخامس: الاستدلال بالإجماع في نقد المخالفات العقدية.

الفرع السادس: الاستدلال في النقد بمقتضى قواعد اللغة العربية.

المطلب الثاني: ضوابط التعامل مع المخالفين في الأصل العقدي. وتحته سبعة فروع:

الفرع الأول: أحيانا يصرح باسم الفرقة المخالفة ويذكر شيئا مما تعتقده مما هو مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة.

الفرع الثاني: أحيانا يورد شيئا من عقائد فرقةٍ ما ويعرف بها ولا يقتصر على مجرد الرد.

الفرع الثالث: استخدامه أسلوب المناقشة العلمية في الرد على أهل الأهواء والبدع.

الفرع الرابع: إلزامه الخصوم بلوازم توقعهم في أمور عظيمة أثناء نقده الفرق.

الفرع الخامس: يقرر أن بعض أهل البدع حقهم الزجر بالهجر وأن هذا فعل السلف.

الفرع السادس: من أساليبه في المناقشة العلمية بيان فساد مسلك أهل البدع في فهم الروايات بعقولهم لا بفهم السلف الصالح.

الفرع السابع: من أساليبه في المناقشة العلمية إيراد مناظرة وردت في الرد على المخالف.

المطلب الثالث: ضوابط الالتزام العقدي. وتحته فرعان:

الفـرع الأول: تقريـر أنّ ثمّـة مسـائل لا يسـع أحـد جهلهـا في أبـواب الاعتقاد وأنّ ثمّة مسائل قد يقع فيها الجهل فيعذر المخالف بالجهل بها.

الفرع الثاني: التفصيل في انتقاد المخالفات العقدية أدعى لضبط المسائل المنتقدة.

الخاتمة.

فهارس البحث.

أسال الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل صالحًا، ولوجهه خالصًا، وألا يجعل لأحد فيه شيئًا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

قبل الدخول في صلب البحث يحسن ذكر تمهيد يعرف بمصطلحات البحث وبابن عبد البر وكتابه ضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث. وتحته أربعة فروع:

الفرع الأول: تعريف المنهج:

المنهج لغة: من نَهَج. وقد جاء في معجم مقاييس اللغة(١): «النون والهاء والجيم »أصلان متباينان.

الأول: (النَهَج) وهو البهر وتتابع النفس وانقطاعه.

الثاني: (النهج) الطريق الواضح المستقيم المستمر، يقال: نَهَج لي الأمر: أي: أوضحه وبينه وأقامه، وكذلك المنهج والمنهاج. ويقال: نمهج الطريق. ونهجته: إذا أبنته وأوضحته وسلكته. وفلان يستنهج سبيل فلان: أي يسلك مسلكه.

فمما مضى يتبين أن المنهج في اللغة يأتي ويراد به الطريق البين الواضح.

والمنهج في الاصطلاح العام: هو النظام والخطة العلمية السليمة المرسومة للشيء(٢).

وقد سلك ابن عبد البر منهجاً علمياً سليماً سار عليه في نقده

---

(١) (٥/ ٦١).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٩٥٧)، والمناهج المعاصرة د.الدمرداش سرحان (ص١٥).

للمخالفات العقدية يتضح بيانه لاحقاً.

الفرع الثاني: تعريف النقد.

النقد لغة: النقد والتنقاد: «تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها ونقدت الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الزيف[(١)] وأنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة   نفي الدنانير تنقاد الصياريف»[(٢)]

ونقد الكلام: ناقشه، وهو من نقدت الشعر، ونقاده، وانتقد الشعر على قائله[(٣)]، وقد ناقش حافظ المغرب أقوال الناس في مسائل الاعتقاد وبين الزائف منها كما يتضح من صنعه في ثنايا البحث.

فالنقد بالمفهوم العام لجميع العلوم يراد به مناقشة ما يرد عليه مناقشة من الكلام وتبيين الحق بالحجة الظاهرة.

الفرع الثالث: تعريف العقيدة.

العقيدة في اللغة: من (العَقْد) نقيض الحلّ وهو الربط والشَّدُّ بقوة ومنه: الإحكام والإبرام والإلزام والتمسك والمراصَّة والإثبات والتوثق والعهد وتأكيد اليمين.

يقال: اعتقد فلان الأمر: صدَّقه وعقد عليه قلبه وضميره.

---

(١) لسان العرب ١٤/ ٢٥٤، تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي تحقيق عبد الستار أحمد فراج. ٢/ ٥١٦، ٥١٧.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) تاج العروس، للزبيدي ٢/ ٥١٧.

والعقيدة أو المعتقد: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[(١)].

ويقصد بالعقيدة الإسلامية اصطلاحا: الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح[(٢)].

الفرع الرابع: المراد بالمنهج النقدي العقدي.

يراد به الطريقة التي يتبعها الحافظ ابن عبد البر ويسير عليها في مناقشة ما يرد عليه مناقشة من كلام المخالفين في مسائل الاعتقاد والرد على المخالفات العقدية وتبيين الحق بالحجة الظاهرة.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور مادة (عقد) ٣/ ٩٦٥، القاموس المحيط، للفيروز آبادي ٣٨٣، المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وآخرون ص ٦١٤.

(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة. ناصر العقل ص ٩ باختصار.

المطلب الثاني: لمحة عن حياة ابن عبد البر

ابن عبد البر علم من أعلام المسلمين، وآثاره العلمية ظاهرة تردد صداها في المشرق والمغرب، ولما كان هذا البحث متوجهاً لبيان منهجه في نقد الآراء المتعلقة بالمباحث العقدية ناسب أن تُذكر نبذة يسيرة عن حياته رحمه الله موزعة على ثمانية فروع كالآتي:

الفرع الأول: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه.

أولاً: اسمه:

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. وهذا باتفاق عامة المصادر[1].

---

(١) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق الدكتور عبد السلام هارون، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي (ص ٣٦٧-٣٦٩)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، (٨/ ١٢٧)، الصلة لابن بشكوال (٢/ ٦٧٧)، فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص ٢١٤)، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، (٢/ ١٨٧-١٨٨)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، (ص ٤٨٩-٤٩١)، تذكرة الحفاظ، للذهبي (٣/ ١١٢٨)، سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٨/ ١٥٣)، العبر في خبر من غبر، للذهبي، (٣/ ٢٥٥)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، (ط١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). (٣/ ٣١٤)، البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٠٤)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م) (٢/ ٥٥٠-٥٥١)، طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص ٤٣١-٤٣٢)، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني، (ص ١٥)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين للزركلي، (٩/ ٣١٦)، معجم المؤلفين لرضا كحالة، (١٣/ ٣١٥)، نفح الطيب من غصن الأندلس، =

ثانيا: كنيته ولقبه:

إن مما اتفقت عليه جميع كتب التراجم تكنيته [بأبي عمر][1] .

وأما لقبه فالمشهور والمتداول بين العلماء أنه [الحافظ]، وكل من أراد أن يترجم له يفتتح الترجمة بهذا اللقب[2] .

ثالثا: نسبه:

للحافظ ابن عبد البر ثلاث نسب:

(النمريّ – الأندلسيّ – القرطبيّ)[3] .

الفرع الثاني: مولده ونشأته:

أولا: مولده:

ولد ابن عبد البر رحمه الله بقرطبة في يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة على الصحيح[4] .

=

للمقري (٢/ ١١٦-١٢٣)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (١/ ٣٨٤، ٢/ ١٥٤)، مادة [نمر] و[البر]، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف، تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، (٦/ ٢٦٠-٢٦٤).

(١) تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان (٦/ ٢٦٠-٢٦٤).

(٢) انظر: تدريب المدارك (٨/ ١٢٧)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١١٢٨)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٣/ ٣١٤).

(٣) الإنباه على قبائل الرواة، لابن عبد البر، (ص ٩٧) وانظر مختلف القبائل ومؤتلفها، لمحمد بن حبيب، (ص ١٩). معجم البلدان، لياقوت الحموي، (١/ ٢٦٢).

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (٨/ ١٣٠)، تذكرة

=

ثانيا: نشأته:

نشأ ابن عبد البر في بلدة قرطبة في بيت علم وديانة وصلاح، وأسرته تحتل مكانة بارزة في العلوم الشرعية كافة، خاصة والده وجده اللذان كانا من فقهاء قرطبة وعلمائها.

فجده هو محمد بن عبد البر النمري من أهل قرطبة[١]، «كان من العلماء العاملين ومن الزهاد المنقطعين إلى الله»[٢] أما والده: فهو أبو محمد[٣] عبدالله ابن محمد بن عبد البر القرطبي[٤] من فقهاء قرطبة وعلمائها نشأ وترعرع في أجوائها العلمية في كنف والده الذي كانت صلته بأهل العلم قوية مما مكن لعبد الله من الاتصال بهم والأخذ عن كبارهم فأثنى عليه ابن حيان بقوله: «من الأعلام هضاب راسية وبحار من العلم زاخرة وأعلام قولهم مسموع وبرهم مشروع وأثرهم متبوع مثل: عبد الله بن محمد بن عبد البر والد أبي عمر ابن عبد البر» [٥].

=

الحفاظ للذهبي، (٣/ ١١٢٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، (٦/ ٦٩)، معجم المؤلفين، لرضا كحالة (١٣/ ٣١٥).

(١) التكملة لابن الأبار، لعبدالله القضاعي، تحقيق: عزت العطار الحسيني وعبد الغني عبد الخالق (١/ ٣٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (٤/ ٥٥٠).

(٤) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي (ص ٢٥٦)، وانظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (٤/ ٥٥٦).

(٥) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، لسان الدين بن الخطيب، القسم الثاني تحقيق: ليفر بروفنسال، (٢/ ٤٨).

توفي والد ابن عبد البر سنة ثمانين وثلاثمائة هجرية(١)، في السنة نفسها التي توفي فيها جده(٢).

هذه النشأة الصالحة المباركة في تلك الأسرة المرموقة أثرت في حياة ابن عبد البر فمهدت له وسائل الثقافة العميقة والتربية الصحيحة وولدت فيه عوامل الطموح والنبوغ المبكرين.

الفرع الثالث: صفاته الخلقية:

تميز ابن عبد البر رحمه الله بصفات العلماء الربانيين فقد كان ثقة(٣)، أمينا(٤)، حكيما، يميل إلى الدعة والهدوء والرزانة والتعقل وطيبة القلب وحسن المعاشرة(٥)، كما كان يتصف بالصبر والجلد(٦)، ولا أدل على ذلك من المدة الطويلة التي قضاها في تأليفه لكتابه (التمهيد) وهي تربو على ثلاثين سنة كما أشار هو إلى ذلك بقوله:

سمير فؤادي من ثلاثين حجة   وصاقل ذهني والمفرج عن همي(٧)

وكان يحب العدل والإنصاف والشجاعة والتجرد للحق حيث كان.

---

(١) التكملة لابن الأبار، لعبدالله القضاعي (١/ ٣٧١)، وانظر الديباج لابن فرحون (٢/ ٣٦٩).

(٢) التكملة لابن الأبار، لعبدالله القضاعي ١/ ٣٧١.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس، للمقري ٤/ ٢٩-٣٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ٢/ ١٨٦.

(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتيريني القسم الأول ١/ ١٣٤.

(٦) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر، (٢/ ٢٠).

(٧) المدارك ٤/ ٨٠٩.

وهو ما يسمى في علم مناهج البحث بالموضوعية، ومن هنا كان يرد أقوال كثير من الفقهاء والعلماء إن علم مخالفتها للدليل كما سيأتي في ثنايا البحث.

وكان يدعو إلى ترك الدعوى والفخر والعجب والرياسة[١]، وإلى الصدق في الأقوال والأفعال.

وكان رحمه الله دمث الخلق حسن المعاشرة من أشد الناس عِزَّة وأنفة وترفعا وكرامة لا يرضى بإذلال نفسه أبدا، ولذا لما رحل من أشبيلية أنشأ أبياتا في ذلك تدل على تقرير ما مضى بيانه. فقال رحمه الله:

وقائلـــة مـــا لي أراك مـــرحلا ... فقلـت لهـا صـه أقـول مجمـلا

تنكـــر مـــن كنـــا نسر بقربـــه ... وعاد رقاعا بعد ما كان سلسلا [٢]

وحـــق لجـــار لم يوافقـــه جـــاره ... ولا لاءمتـه الـدار أن يتحـولا

بليـــت بحمـــص والمقـــام ببلـــدة ... طويلا لعمري مخلق يورث البلا

إذا هـــان حـــر عنـــد قـــوم أتـــاهم ... ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا

ولم تضـرب الأمثـــال إلا لعـــالم ... وما عوتب الإنسان إلا ليعقلا[٣]

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، لابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي. (١/ ٢٤٣-٢٤٤).

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس، للمقري ٤/ ٣٠.

ومن هذه الأمثلة المختصرة تظهر شخصية ابن عبد البر الأخلاقية بكل وضوح وجلاء.

الفرع الرابع: عقيدته.

ابن عبد البر رحمه الله إمام من أئمة ا لمسلمين الذين ينهلون أمور معتقدهم وغيره من المنبع الصافي - كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام – وقد كان رحمه الله «إماما دينا ثقة متقنا علامة متبحرا صاحب سنة واتباع » كما وصفه بذلك الحافظ الذهبي رحمه الله(١).

وقال عنه أيضا: «وكان في أصول الديانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله»(٢).

وقال عنه العلامة ابن القيم رحمه الله: «إمام السنة في زمانه»(٣).

ومع جلالة قدره رحمه الله إلا أنه وجدت له بعض الاجتهادات التي لا يوافق عليها، والله يغفر له ويتجاوز عنه، فمنها على سبيل الإجمال:

١- القول بجواز الصلاة في المقبرة(٤).

٢- القول بجواز التبرك بآثار الصالحين(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٨/ ١٥٧.

(٢) المصدر السابق ١٨/ ١٦١.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، ص ٧٦.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية ٥/ ٢١٧-٢٢٠.

(٥) المصدر السابق ١٣/ ٦٧.

٣- اجتهاده في بعض الصفات الخبرية كالضحك فأولها على غير ظاهرها(١).

وهذه الاجتهادات لا تخرجه عن أهل السنة ولا تجعله في أهل البدعة، وأهل السنة والجماعة لا يعتقد فيهم العصمة، بل كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

الفرع الخامس: شيوخه وتلاميذه.

عاش ابن عبد البر زمنا قارب المائة سنة وكان طوال حياته شغوفا بالعلم تلقيا وتعليما وتأليفا، ولذا فإن الحديث في هذا الفرع سيتناول الكلام عن أمرين:

الأمر الأول: ذكر أشهر شيوخ ابن عبد البر الذين أخذ عنهم.

الأمر الثاني: ذكر أبرز التلاميذ الذين تلقوا العلم عنه.

أولا: ذكر أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم.

تتبع بعض الباحثين شيوخ ابن عبد البر فتحصل لديهم أكثر من مائة شيخ سواء ممن تلقى عنهم العلم مشافهة أو مكاتبة، ومنهم من أوصلهم قرابة السبعين شيخا(٢).

وقد اشتملت أسانيد ابن عبد البر الواردة في كتابه التمهيد على عدد

---

(١) المصدر السابق ١٨/ ٣٤٥.

(٢) انظر: ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ، لليث سعود جاسم (ص ٤٩٥-٥٠٧)، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر حياته، آثاره ومنهجه في فقه السنة، لمحمد بن يعيش (ص ٧٦-١٠٢).

كثير منهم.

وسأقتصر على ذكر أبرز الشيوخ الذين لازمهم ابن عبد البر وتأثر بهم، ومنهم:

١- أحمد بن عبد الله بن محمد الباجي[(١)].

٢- أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي[(٢)].

٣- أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب الأموي[(٣)].

٤- خلف بن القاسم بن سهل الأزدي[(٤)].

٥- عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المشهور بابن الفرضي[(٥)].

---

(١) الفهرست لابن خير الإشبيلي (١٣٥-٢١١).

(٢) الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار لابن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ٢/ ١٢٤، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ص ١٢٨، الصلة لابن بشكوال ص ١١، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ٤/ ٦٣٥-٦٤١.

(٣) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ص ٩٩- ١٠٠، الصلة لابن بشكوال ١/ ٢٩-٣٠، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٥٤-١٥٥، العبر في خبر من غبر، للذهبي ٣/ ٧٥، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٣/ ١٦١.

(٤) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي ١/ ١٣٦، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ٢٠٩.

(٥) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ٢، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ١، الصلة لابن بشكوال ص١، التكملة لكتاب =

٦- عبد الوارث بن سفيان بن جبرون [١].

هؤلاء الشيوخ يعدون من أبرز من تلقى عنهم ابن عبد البر وكان لهم دور عظيم في بروزه وانتشار علمه.

ثانيا: ذكر أبرز التلاميذ الذين تلقوا العلم عنه:

لقد أدرك ابن عبد البر كبار العلماء وطال عمره وعلا سنده حتى صار أحفظ أهل المغرب وأعلم من بالأندلس في السنن والآثار واختلاف علماء الأمصار[٢].

ونتيجة لذلك، فإن من المألوف لمن كان هذا شأنه أن يتكاثر عليه الطلاب، وهذا ما حصل لابن عبد البر رحمه الله.

وقد تتبع الباحث ليث سعود جاسم تلاميذ ابن عبد البر من خلال كتب التراجم فوصل عددهم أكثر من تسعين تلميذا [٣].

وسأكتفي بذكر أشهر التلاميذ الذين أخذوا عن حافظ المغرب:

١- أحمد بن محمد بن رزق الأموي[٤].

=

الموصول والصلة لابن بشكوال ١/ ٧.

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ص ٩٥، ٢٩٦، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ٤٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٨/ ١٥٤-١٦٠.

(٣) انظر: ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ، لليث سعود جاسم ص ٥٠٨-٥١٩.

(٤) الصلة لابن بشكوال ١/ ٦٨-٦٩، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ١٦٧، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي ١/ ١٨٢ شجرة النور الزكية في
=

٢- حسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني[١].

٣- سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان الأسدي[٢].

٤- طاهر بن مفوَّز بن أحمد المعافري[٣].

٥- عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن[٤].

٦- ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي[٥].

٧- محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي المشهور بالحميدي[٦].

الفرع السادس: مؤلفاته

كان ابن عبد البر موسوعة علمية في شتى فنون العلم، وهذا إنما أوتيه بعد فضل الله بملازمته للعلم تلقيا عن أكابر علماء بلده وانشغالا بالتدريس فمن المألوف أن يؤثر هذا في مؤلفاته قوة وبراعة، وقد كان رحمه الله في

=

طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ص ١٢١.

(١) الصلة لابن بشكوال ١٤٢، ١٤٣.

(٢) الصلة لابن بشكوال ٢٣٠-٢٣١، الغنية ص ٢٠٥-٢٠٦، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٣) الصلة لابن بشكوال ٢/ ٦٤٢، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٦/ ٦٩.

(٤) الغنية، فهرست شيوخ القاضي عياض. تحقيق: ماهر زهير جرار – دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان (ط١/ ١٤٠٢هـ) ص ١٦٢، الصلة لابن بشكوال ١/ ٣٣٢-٣٣٣، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ٣٥٧، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي ١/ ٤٧٩.

(٥) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ٤/ ٨٠٩.

(٦) مقدمة جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ١/ ٢.

جانب التأليف «موفقا فيه معانا عليه» [١].

وشهد له بالبراعة في التأليف معاصره وتلميذه ابن حزم الأندلسي حيث قال: « ولصاحبنا ابن عبد البر كتب لا مثيل لها » [٢].

ومن أشهر تآليفه ما يلي:

١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

٢- الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والرأي والآثار[٣].

٣- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله [٤].

٤- الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة[٥].

٥- الإنباه على قبائل الرواة[٦].

٦- الاستيعاب في طبقات الأصحاب[٧].

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٨/ ١٥٨.

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس، للمقري ٣/ ١٦٩-١٧٠.

(٣) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ص ٣٤٥.

(٤) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ص ٣٦٨، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ٤٩٠.

(٥) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ص ٣٤٥- بغية الوعاة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ٣٧٥.

(٦) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر ١/ ٢٦.

(٧) فهرست ابن خير ص ٢١٤-٢١٥.

٧- بهجة المجالس وأنس المجالس[١].

الفرع السابع: وفاته.

اتفقت الأخبار على أنه توفي بشاطبة يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وصلى عليه تلميذه وصاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوز المعافري، وكانت وفاته هو والخطيب البغدادي حافظ المشرق في يوم واحد وفي سنة واحدة[٢].

فرحم الله حافظ المغرب وجزاه عن الإسلام وأهله وطلاب العلم خاصة خير الجزاء وأسكنه أعالي الجنان وأعاذه من دار الذل والهوان إنه هو الرحيم الرحمن.

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ص ٣٤٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ص ٤٧٥، المدارك ٤/ ٨٠٩، فهرست ابن خير ص ٣٢٧.

(٢) الصلة لابن بشكوال ٢/ ٦١٨، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٧/ ٧١.

المطلب الثالث: كتاب التمهيد

والكلام عنه في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: موضوع الكتاب:

كتاب التمهيد موسوعة علمية تناولت عدة علوم، حوت الحديث وما يتعلق به من علوم كمصطلح الحديث، والجرح والتعديل، وأحوال الرواة، وأنسابهم وتواريخهم والفقه وما يتعلق به من أحكام مع نقل مذاهب الأئمة وخيار سلف الأمة، واللغة وقواعدها وآدابها.

وقد جمع فيه مؤلفه ما تضمنه موطأ الإمام مالك رحمه الله من حديث رسول الله ﷺ، وما هو خارج عنه وأقوال العلماء ومذاهبهم[1]، وهو من الكتب القلائل التي ربطت بين الفقه والحديث. ولذا قال ابن حزم رحمه الله: «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه»[2]. فالكتاب شرح مستفيض لما في الموطأ من أحاديث جلب أقوال العلماء على ذلك في تأويلها وناسخها ومنسوخها وأحكامها ومعانيها ما يشتفي منه الطالب القارئ ويبصره، وينبه العالم ويذكره[3].

فهو بحق كتاب مهم لطلاب العلم في سائر العلوم الشرعية ولا غنى لأحد عنه.

---

(١) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١/ ٩.

(٢) الصلة ص ٦٧٨، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي ص ٤٩٠.

(٣) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١/ ٩.

الفرع الثاني: سبب تأليفه:

هناك أسباب عديدة حملت ابن عبد البر على تأليفه التمهيد ولعل من أهمها ما يأتي:

١- شرح ما تضمنه موطأ مالك بن أنس برواية يحيى بن يحيى الليثي من الأحاديث المسندة والمقطوعة والمرسلة، وما يمكن إضافته إلى ذلك من الأحاديث غير الموجودة في موطأ الإمام مالك[١].

٢- وصل كل مقطوع أو مرسل جاء متصلا من غير رواية مالك، وكل مرسل جاء مسندا من غير طريقه رحمه الله[٢].

٣- إبراز موقع الموطأ وآثاره من الشهرة والصحة ومكانتها من كتب الحديث[٣].

٤- حاول أن يستوفي معاني الآثار وأحكامها المقصودة بظاهر الخطاب، وجلب أقوال العلماء في تأويلها وناسخها ومنسوخها، وأحكامها ومعانيها معززا ذلك بالشواهد والأدلة، مما أخصب الكتاب وجعله ثروة هائلة من علوم الحديث والفقه[٤].

٥- شرح ما استجمع من ألفاظ حديث الموطأ وآثارها مؤيدا بأقوال

---

(١) المصدر السابق ١/ ٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه.

أهل اللغة وشعر الشعراء[١].

٦- ترجمة الرواة الذين وردوا في رواية مالك في الموطأ ذاكرا بعض أحوالهم وأنسابهم ومنازلهم[٢].

٧- استخراج ما في كلام الرسول ﷺ من الأحكام والآداب الشرعية[٣].

الفرع الثالث: أهمية الكتاب:

تكمن أهمية كتاب التمهيد في جانبين:

الجانب الأول: في قيمته العلمية.

الجانب الثاني: في ثناء أهل العلم المعتبرين عليه واهتمامهم به.

أولاً: قيمته العلمية:

إن مما يدل على أهمية الكتاب القيمة العلمية له -وهذا ما وجد في التمهيد- فهو دائرة المعارف الكبرى في الحديث والفقه والتراجم والجرح والتعديل ومصطلح الحديث واللغة والشعر.

فهو في الفقه جمع كثيرا من المذاهب الفقهية منذ عصر الصحابة.

وفي الحديث مسند عام وشامل لا يقف عند كتب الحديث الستة أو

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) يراجع: الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر حياته، آثاره ومنهجه في فقه السنة لمحمد بن يعيش ص ١٥٩-١٦٠.

العشرة فهو ديوان وسجل جمع فيه من المصنفات والأسانيد وكتب الأجزاء العتيقة منها والحديثة في عصره.

وفي الجرح والتعديل والتاريخ والسير وتاريخ الرواة وأحوالهم تكاد تقطع أنه رحمه الله قرأ كل ما كتب في هذا الميدان في الشرق والغرب.

وفي مصطلح الحديث لا يكتفي بالقاعدة المجردة بل يصحبها بتطبيق عملي، يجعلك تدرك موطن الداء في الأسانيد العليلة والأحاديث السقيمة، وكم من أسانيد ردها وأحاديث أعلها أغفلها بعض الأئمة.

وهو في هذا وذاك يعطي مما عنده فيختار ويرجح وينتقد ويصحح ويرمي الزائف عرض الحائط، ثم إن هناك روايات انفرد بها وأحاديث أسندها بطرقه الخاصة، يمكن تسميتها: (مسند ابن عبد البر)، وثمة آراء واختيارات في الفقه والتشريع يصح أن تدعى: (فقه ابن عبد البر أو مذهبه في الفقه).

وفي اللغة قاموس تجد فيه من الشروح والمفردات والتراكيب ما لا تجده في كثير من القواميس، بجانب هذا يتضمن مختارات قرآنية وأحاديث نبوية ونتفا من الشعر منثورة هنا وهناك.

وبالجملة فهو الموسوعة الكبرى في فقه السنة، أو في الفقه المقارن وهي مزية لا يكاد يشاركه فيها أي كتاب سواه(١)، والله الموفق لمن شاء من عباده

---

(١) انظر: الإمام أبو عمر يوسف ابن عبد البر حياته، آثاره ومنهجه في فقه السنة للأستاذ محمد بن يعيش ص ١٧٨-١٧٩.

لما يشاء سبحانه.

ثانياً: ثناء أهل العلم على التمهيد واهتمامهم به:

قال ابن عبد البر في وصفه:

سمير فؤادي من ثلاثين حجة ... وصاقل ذهني والمفرج عن همي

بسطت لهم فيه كلام نبيهم ... لما في معانيه من الفقه والعلم

وفيه من الآداب ما يهتدي به ... إلى البر والتقوى وينبئ عن العلم[١].

وقال عنه الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم: «إنه كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه» [٢].

وقال فيه القاضي عياض: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وهو عشرون مجلدا وهو كتاب لم يضع أحد مثله»[٣].

وقال فيه ابن فرحون: «وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله»[٤].

وقال فيه الحافظ الذهبي: «قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان أحد المجتهدين: ما رأيت في كتب الإسلام من العلم مثل (المحلى) لابن حزم، وكتاب (المغني) للشيخ موفق الدين. قلت: لقد صدق الشيخ عز

---

(١) المدارك ٤/ ٨٠٩.

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس، للمقري ٣/ ١٦٩-١٧٠.

(٣) المدارك ٤/ ٨٠٨.

(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي ص ٣٥٧-٣٥٨.

الدين، وثالثهما (السنن الكبير) للبيهقي ورابعها (التمهيد) لابن عبد البر، فمن حصل على هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيهم فهو العالم حقا »[١].

فمما سبق من نقولات يسيرة عن بعض جهابذة العلماء المبرزين ندرك منـزلة التمهيد وقيمته لدى العلماء، وأنه يعد من المصادر العلمية المفيدة ومن الأمهات المهمة في الفقه والحديث.

هذا وقد اهتم العلماء بكتاب التمهيد أيما اهتمام، ومن صور ذلك ما يلي:

أولاً: اختصار التمهيد لتيسيره على المبتدئين من طلبة العلم[٢].

ثانياً: نظمه شعرا ليسهل حفظه وضبطه[٣] كما قيل:

لكن حفظ النثر ليس يخلو   من نوع عسر والنظام يحلو[٤]

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٨/ ١٩٣.

(٢) اختصره (محمد بن أحمد بن فرج ا القرطبي ت ٧٦١هـ) في مجلدات لطيفة (بروكلمان ٣/ ٢٧٦).

(٣) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي ٢/ ١٤٩، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٤٢.

(٤) الزهر اللطيف في مسالك التأليف، لقاسم القبسي، ص ٢٣.

ثالثاً: إزالة بعض الإشكالات في عبارة الكتاب والاستدراك على ما فات ابن عبد البر[(١)].

رابعاً: الجمع بينه وبين كتاب الاستذكار لابن عبد البر إتماما للفائدة[(٢)].

خامساً: ترتيبه على الأبواب ليسهل وصول القارئ إلى مبتغاه بالسرعة المطلوبة[(٣)].

---

(١) شرحه (أبو عبد الله الأنصاري في القرن الخامس) بعنوان (التقريب لكتاب التمهيد) (بروكلمان ٣/ ٢٧٦).

(٢) جمع بينهما: (هشام بن أحمد ا لمعروف بابن العود الفقيه القرطبي المؤرخ ولم يتمه لوفاته سنة ٥٠٩هـ) انظر: الغنية للقاضي عياض ص ١٢٦-١٢٨.

(٣) رتبه الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله في كتاب أسماه: (هداية المستفيد من كتاب التمهيد) يقع في [١٢] مجلدا، طبع ونشر مكتبة الأوس بالمدينة المنورة، والشيخ الدكتور محمد بن عبد الرحمن المغراوي في كتاب أسماه: (فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر) يقع أيضا في[١٢] مجلدا، طبع ونشر مجموعة التحف النفائس الدولية بالرياض.

المبحث الأول: منهج ابن عبد البر فيما يتعلق بأدب الخلاف.

من المعلوم عند أهل العلم أن الخلاف ينقسم إلى قسمين:

الأول: خلاف في الأصول.

الثاني: خلاف في الفروع.

وقد تحرى ابن عبد البر رحمه الله في الأمرين جميعا الحقيقة العلمية مع اعترافه للعلماء بالفضل والأسبقية ولزوم الأدب مع المخالف.

ويمكن توضيح ما مضى في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: تحري الحقيقة العلمية.

من الآداب التي ينبغي اتصاف الرادّ بها مراعاة آداب الخلاف ومعرفة التعامل مع من خالف مخالفة ظاهرة؛ كمن خالف إجماعا، أو تابع في مسألة الخلاف فيها من قبيل الوقوع في الرأي الشاذ، أو وقع في مسألة مخالفة لأصل من أصول أهل السنة والجماعة.

وقد سار ابن عبد البر في كتابه التمهيد سيراً حسناً في تقرير تحري الرادّ للحقيقة العلمية، فجمع بين تأصيل ذلك نظرياً وتطبيقه عملياً ويمكن إبراز منهجه في هذا الباب في الفروع الآتية:

الفرع الأول: يقرر أنه عند الاختلاف يجب الرد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد ورد تقرير هذا الأمر الذي خالفت فيه جميع الطوائف من أهل الكلام وغيرهم من أهل البدع في مواطن عدة من التمهيد، منها قوله رحمه الله: «...وعند الاختلاف يجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله...»[١].

الفرع الثاني: من جوانب تحري الحقيقة العلمية الاحتجاج بآراء السلف وعدم تجاوز ما كانوا عليه.

مثال ذلك قوله رحمه الله: «والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ١١/ ٥١.

فيه لأمته»[١].

الفرع الثالث: من أدب العالم إذا لم تتبين عنده حجة المخالف أن يذكر عدم تبينها له.

يبين هذا الأمر ابن عبد البر رحمه الله فيقول: «لا تبين عندي حجة من كره الاستخلاف استدلالا بحديث هذا الباب[٢] لأن رسول الله ﷺ ليس في الاستخلاف كغيره، ولا يجوز أن يتقدم أحد بين يديه إلا بإذنه...»[٣].

الفرع الرابع: الحث على المبادرة إلى قبول الحق إذا عرفه الشخص. أخذا من فعل الصحابة ﷺ.

مثال ذلك: أورد المؤلف رحمه الله خبر عمر بن الخطاب ﷺ حين خرج إلى الشام، فأخبر أن الوباء قد وقع فيه فاستشار الصحابة – وفيه- فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان غائباً في بعض حاجاته فقال: إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض لا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، فحمد الله، ثم انصرف»[٤].

قال ابن عبد البر تعليقاً على هذا الحديث[٥]: «...فيه دليل على استعمال

(١) المصدر السابق ١٩/ ٦٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٧٣.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٨٧.

(٤) رواه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (٧/ ٢٠-٢١)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام ح (٩٨) (٤/ ١٧٤٠-١٧٤١).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٨/ ٣٧٠/ ٣٧١.

خبر الواحد وقبوله، وإيجاب العمل به، وهذا هو أوضح وأقوى ما نرى من جهة الآثار في قبول خبر الواحد؛ لأن ذلك كان في جماعة الصحابة وبمحضرهم في أمر قد أشكل عليهم، فلم يقل لعبدالرحمن بن عوف أنت واحد والواحد لا يجب قبول خبره، إنما يجب قبول خبر الكافة...» اهـ.

فمما مضى يتضح أن عمر ﷺ لما اتضح له الحق الذي كان قد خفي عليه بادر إلى قبوله. والله أعلم.

الفرع الخامس: ليس كل خلاف يعد مخالفا للحقائق العلمية، فقد يذكر الراد ما ظاهره الخلاف، ثم يبين أن الخلاف خلاف تنوع لا تضاد ثم يجمع بين الأقوال.

مثال ذلك: قوله رحمه الله: «اختلاف آثار هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا من النبوة ليس ذلك عندي باختلاف تضاد وتدافع والله أعلم، لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على ستة وأربعين جزءا أو خمسة وأربعين جزءا أو أربعة وأربعين جزءا أو خمسين جزءا أو سبعين جزءا على حسب ما يكون الذي يراها من صدق الحديث وأداء الأمانة والدين المتين وحسن اليقين، فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد والله أعلم...»[١].

الفرع السادس: قد يشتد على من خالف أمرا واضحا لا ينبغي الخلاف فيه.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٨٣.

مثال ذلك: قوله رحمه الله بعد إيراده لقصة هجر النبي ﷺ لكعب وصاحبيه: «... وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهجرته وقطع الكلام معه»[(١)].

الفرع السابع: ينبغي قبول العلم ممن جاء به، فالعالم قد يخفى عليه العلم ويعلمه غيره ممن هو أقل منه علما.

مثاله: أورد ابن عبد البر أثر عطاء بن عبيد بن عمير[(٢)] أن أبا موسى[(٣)] استأذن على عمر ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ قالوا: بلى، قال: فاطلبوه، قال: فدعي، قال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت كما كنا نؤمر بهذا فقال: لتأتين عليه بالبينة أو لأفعلن، فأتى مجلس أو مسجد الأنصار فقالوا لا يشهد لك إلا أصغرنا فقام أبو سعيد فشهد له فقال عمر: خفي علي هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق بالأسواق...»[(٤)].

ثم قال رحمه الله: «وفيه أن الرجل العالم الحبر قد يوجد عند من هو دونه في العلم ما ليس عنده من العلم إذا كان طريق ذلك العلم السمع،

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٨٧. وانظر: ٦/ ١١٨.

(٢) عطاء بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة النبي ﷺ وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة وقيل توفي سنة ٧٤هـ، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٤/ ١٥٦، ١٥٧.

(٣) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار أبو موسى الأشعري صحابي مشهور مات سنة خمسين وقيل: بعدها. تقريب التهذيب، لابن حجر ص٥٣٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الاستئذان ٣/ ١٦٩٥. ح(٢١٥٣).

وإذا جاز مثل هذا على عمر على موضعه في العلم فما ظنك بغيره بعده»[١].

الفرع الثامن: القول المخالف للإجماع لا يعد من أقاويل أهل العلم التي يعتمد عليها.

مثال ذلك قوله رحمه الله تعليقا على ما قاله أبو بكر بن عبد الرحمن[٢]: «كل شيء من المرأة عورة حتى ظفرها»، قال: «قول أبي بكر هذا خارج عن أقاويل أهل العلم لإجماع العلماء على أن المرأة تصلي المكتوبة ويداها ووجهها مكشوف ذلك كله منها...»[٣].

الفرع التاسع: عند الخلاف في النوازل والأحكام لا بأس من وجود المناظرة والمجادلة بين أهل العلم في تلك النازلة أو المسألة وأخذ الحق ممن جاء به.

مثال ذلك: لما ذكر المؤلف قصة طاعون عمواس قال مبينا شيئا من فوائد الحديث: «...وفيه دليل على أن الإمام أو الحاكم إذا نزلت نازلة لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة كان عليه أن يجمع العلماء وذوي الرأي ويشاورهم، فإن لم يأت واحد منهم بدليل كتاب ولا سنة غير اجتهاده كان عليه الميل إلى الأصلح والأخذ بما يراه، وفيه دليل على أن الاختلاف لا يوجب حكما وأن الإجماع يوجب الحكم والعمل، وفيه دليل على إثبات المناظرة والمجادلة عند الخلاف في النوازل والأحكام،... وفيه دليل على أن

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٣/ ١٩٨.

(٢) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي المدني، ثقة فقيه عابد من الثالثة مات قبل المائة سنة أربع وتسعين وقيل: غير ذلك، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ١١١٧.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٦/ ٣٦٥.

الاختلاف إذا نزل وقام الحجاج فالحجة والفلج بيد من أدلى بالسنة إذا لم يكن من الكتاب نص لا يختلف في تأويله. وبهذا أمر الله عباده عند التنازع أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه، فمن كان عنده من ذلك علم وجب الانقياد إليه... وفيه أن العالم قد يوجد عند من هو في العلم دونه ما لا يوجد منه عنده... وفيه أن القاضي والإمام والحاكم لا ينفذ قضاء ولا يفصله إلا عن مشورة من بحضرته ويصل إليه ويقدر عليه من علماء موضعه وهذا مشهور من مذهب عمر رضي الله عنه... وفيه دليل على عظم ما كان عليه القوم من الإنصاف للعلم والانقياد إليه وكيف لا يكون كذلك وهم خير الأمم رضي الله عنهم»[١].

الفرع العاشر: استخدم العبارات التي لا شدة فيها إذا كان الخلاف في غير أصول الدين أو في غير الآراء الشاذة أو المخالفة للإجماع.

ومن أمثلة ذلك قوله رحمه الله: «فسقط كل ما خالف هذا القول»[٢]، «شرذمة لا تعد خلافا»[٣]، «وهذا وهم منه»[٤]، «غلط ومنسوخ»[٥]، «لا وجه لقوله»[٦]، «فليس قولهم مما يشتغل به»[٧].

---

(١) المصدر السابق ٨/ ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٠٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣١٩.

(٥) المصدر السابق ١/ ١٣٤.

(٦) المصدر السابق ١/ ١٤٣.

(٧) المصدر السابق ٨/ ١٦١.

المطلب الثاني: الاعتراف بالأسبقية والفضل للعلماء.

مما تدعو الحاجة إليه في النقد إبراز ما عند أهل العلم من ملحوظات علمية كما أن على الراد أن يعترف لأهل الفضل بالفضل وهو أدب مهم يدل على تحلي الراد بلزوم أدب الخلاف، وقد كان منهج ابن عبد البر رحمه الله في هذا الأمر متميزا يمكن إبرازه في الفروع الآتية:

الفرع الأول: يعترف للصحابة ﭬ بالعلم ويعتذر لما وجد من مخالفة عند بعضهم بأن الحق قد يخفى عليه.

مثاله: قوله رحمه الله: «...فغير نكير أن يخفى على معاوية ما خفي على ابن عباس، وقد روينا عن معاوية...أنه كان يذهب إلى أن الربا في المضروب دون غيره، وهو شيء لا وجه له عند أحد من أهل العلم...وإذا كان ابن عباس وعمر قبله وأبو بكر قبلهما يخفى عليهم ما يوجد عند غيرهم ممن هو دونهم فمعاوية أحرى أن يوجد عليه مثل ذلك مع أبي الدرداء[(١)]...»[(٢)].

الفرع الثاني: الاعتراف لأهل العلم بالعلم مع عدم ادعاء عصمتهم.

مثاله قوله رحمه الله: «لا أعلم أحدا من أهل العلم والحديث المنصفين فيه عوّل على حديث ابن شهاب في قصة ذي اليدين لاضطرابه فيه وإنه لم يتم له إسنادا ولا متنا وإن كان إماما عظيما في هذا الشأن، فالغلط لا يسلم

---

(١) عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبو الدرداء مختلف في اسم أبيه وأما هو فمشهور بكنيته صحابي جليل أول مشاهده أحد وكان عابدا مات في أواخر خلافة عثمان وقيل: عاش بعد ذلك تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٧٥٩.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٤/ ٧٥.

منه أحد، والكمال ليس لمخلوق، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا النبيﷺ...»[(١)].

الفرع الثالث: يذكر ما كان عليه السلف من حرصهم على العلم وسؤال الكبير للصغير عن العلم.

مثاله: لما ساق المؤلف قول ابن محيريز[(٢)]: دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل، فقال أبو سعيد الخدري: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبيا من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا الفداء فأردنا أن نعزل فقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال: «ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة»[(٣)].

قال ابن عبد البر: «ورواية ربيعة[(٤)] لهذا الحديث عن محمد بن يحي بن حبان[(٥)] تدخل في رواية النظير عن النظير والكبير عن الصغير، وفي هذا ما

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ١/ ٣٦٦.

(٢) عبد الله بن محيريز الجمحي المكي ثقة عابد من الثالثة مات دون المائة سنة تسع وتسعين وقيل: قبلها، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٥٤٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع وجامع وفدى ح(٢٤٠٤، ومسلم في صحيحه باب حكم العزل؛ (١٤٣٨).

(٤) ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي مولاهم أبو عثمان المدني المعروف بربيعة الرأي ثقة فقيه مشهور من الخامسة مات سنة ست وثلاثين على الصحيح، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٣٢٢.

(٥) محمد بن يحي بن حبان بن منقذ الأنصاري المدني ثقة فقيه، من الرابعة مات سنة إحدى وعشرين وهو ابن أربع وسبعين سنة، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٩٠٦.

يدلك على ما كان القوم عليه من البحث عن العلم واستدامة طلبه العمر كله عند كل من طمع به عنده»[(١)].

الفرع الرابع: إذا كان لا بد من التقليد فيتبع الأعلم الأفهم الأفضل.

وهذا ما قرّره ابن عبد البر من باب الاعتراف بالأسبقية للأعلم حيث قال: «ولا يشك عاقل منصف في أن ابن عيينة [(٢)] فوق ابن نافع[(٣)] في الفهم والفضل والعلم، وأنه إذا لم يكن بد من التقليد فتقليده أولى من تقليد ابن نافع»[(٤)].

وقال أيضا: «...فهذا عمر وعلي وابن مسعود وأبو الدرداء وابن عمر وجابر يفضلون مكة ومسجدها وهم أولى بالتقليد ممن بعدهم»[(٥)].

الفرع الخامس: من التأدب مع أهل العلم لزوم ما عليه الفتوى.

مثاله: قوله رحمه الله مقررا أن خطبة العيدين بعد الصلاة: «...وجماعة المسلمين على العمل بهذا والقول به والفتوى ولا يجوز عند جميعهم تقديم

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٣/ ١٣١.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ابو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخره وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة مات في رجب سنة ثمان وتسعين وله إحدى وتسعون سنة، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٣٩٥.

(٣) عبد الله بن نافع المخزومي مولاهم أبو محمد المدني ثقة صحح الكتاب في حفظه لين من كبار العاشرة مات سنة ٢٠٦هـ وقيل بعدها، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٥٥٢.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٦/ ٣٥.

(٥) المصدر السابق ٦/ ٣٤.

الخطبة قبل الصلاة في العيدين فلا وجه للكلام في هذا...»[(١)].

الفرع السادس: إذا تحومل على إمام دافع عنه وذكر أقاويل أهل العلم في الثناء عليه.

مثال ذلك: لما قرّر قول ابن حبيب [(٢)] ومن وافقه وهو أن السنة التبكير للجمعة مع طلوع الفجر وإنكاره قول مالك، وأن قوله تأويل للحديث الوارد في التبكير قال بعد ذلك: «هذا منه تحامل على مالك فهو الذي قال القول الذي أنكره ابن حبيب وجعله خلفا من القول وتحريفا من التأويل والذي قاله مالك هو الذي تشهد له الآثار الصحاح الثابتة من رواية الفقهاء الأئمة مع ما صحبه عنده من عمل العلماء ببلده، لأن مثل هذا يصح فيه الاحتجاج بالعمل، لأن مالكا كان مجالسا لعلماء المدينة ومشاهدا لوقت حركتهم وخروجهم إلى الجمعة، وكان أشد الفقهاء إتباعا لسلفه ولو رآهم يبكرون إلى الجمعة ويخرجون إليها مع طلوع الشمس ما أنكر ذلك مع حرصه على اتباعهم. قال أحمد بن حنبل: مالك عندي أتبع من سفيان – يريد أشد اتباعا لسلفه – والله أعلم»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق ١٢/ ٨.

(٢) عبدالملك بن حبيب الأندلسي الفقيه المشهور صاحب كتاب "الواضحة" وغيره ت٢٣٩هـ.سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ١٠٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٢٢/ ٢١، ٢٢.

المطلب الثالث: لزوم الأدب مع المخالف

إن تحلي الرادّ بالأخلاق الحميدة مع المخالف له تأثير عظيم على رجوع المخالف للحق، وفيه تربية لطلبة العلم على هذا المنهج، فإن القصد إيضاح الصواب للناس بغض النظر عن التعلق بالأشخاص، فإذا حصل تجاوز في هذا المقصد إلى الانتقال من نيل ذوات المخالفين أدى ذلك إلى اتساع هوة الخلاف وإشعال نار الفرقة، وهذه ليست من صفات أهل العلم في شيء.

ولذا كان أهل العلم ينبهون صغار الطلبة على عدم القراءة في الكتب التي فيها تشنيع على المخالف حتى لا تكون عند الطالب المبتدئ حدة تؤثر في حياته العلمية.

يقول العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله لما سئل عن بعض المبتدئين وأنهم يقرأون في كتاب المحلى لابن حزم بحجة التمرن على المناظرة: «مناظرة ابن حزم رحمه الله مناظرة صعبة يشدّد على خصمه، ويحصل منه أحيانا سب لمخالفه فهو رحمه الله كان شديدا جدا، وأخشى أن يكون طالب العلم الصغير إذا تعوّد على مثل ما كان عليه ابن حزم أخشى عليه من المماراة، فلو أنه سلك مسلكا سهلا لكان أحسن وإذا حصل على قدر كبير من العلم إن شاء الله وعرف كيف يستفيد من ابن حزم فليطالع في كتابه، لذلك لا أنصح بمطالعته للطالب المبتدئ...»[1].

وقد بيّن ابن عبد البر هذا الأدب بتطبيقه العملي له والحث عليه وبيان

---

(١) كتاب العلم للشيخ ابن عثيمين. إعداد فهد بن ناصر السليمان ص ٢٠٢، ٢٠٣.

منهجه في هذا الباب في الفروع الآتية:

الفرع الأول: اتسامه بالرزانة والتعقل والأدب والتواضع مع العلماء أثناء انتقاده للمخالفين.

مثال ذلك: قوله رحمه الله: «.... وذكر الدارقطني حديثا غريبا... ولو كان هذا صحيحا عند مالك والليث لم يخالفاه في الفتوى والله أعلم»[١].

مثال آخر: قوله رحمه الله: «قد روي عن بعض السلف أنه كان يتختم بالذهب، وهذا غير صحيح عنهم ولو صح عن أحدهم كان معلوما أنه لم يبلغه النهي عنه والله أعلم»[٢].

الفرع الثاني: تجنب الألفاظ النابية والشتم والسب واستعمال الألفاظ الحسنة في النقد.

مثال ذلك: قوله مثلا: «غلط»[٣]، «وغيره يخالفه»[٤]، ونحوها من الألفاظ الحسنة.

الفرع الثالث: مما يكفّر به المخالف استحلاله لأمر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة.

مثاله: قوله رحمه الله: «فإن قال قائل: إن الحمر الأهلية وذا الناب من

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٦/ ١٤٩.

(٢) المصدر السابق ٢٤/ ٣٣٨.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٣٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ٩٢.

السباع لو كان أكلها حراما لكفر مستحلها كما يكفر مستحلّ الميتة ولحم الخنزير. فالجواب عن ذلك أن المحرّم بآية مجمع على تأويلها أو سنة مجمع على القول بها يكفر مستحله لأنه جاء مجيئا يقطع العذر ولا يسوغ فيه التأويل وما جاء مجيئا يوجب العمل ولا يقطع العذر وساغ فيه التأويل لم يكفر مستحله وإن كان مخطئا...»[١].

الفرع الرابع: لا يحكم على المخالف بأنه مبتدع بمجرد الوقوع على زلة له ولو كان الفعل بدعة.

فإنه قد يقع فيها عن شبهة أو نوع تأويل أو غير ذلك من الأعذار، فلابد من إقامة الحجة عليه وانتفاء الشبهة عنه حتى يحكم ببدعته.

مثاله: نقله رد بعض أهل العلم على من يقول: لا تتحدثوا إلا بما في القرآن بقوله: «... ولم يكن الرجل الذي قال هذا صاحب بدعة ولكنه كانت زلة منه»[٢].

الفرع الخامس: يقرّر أن المسألة إذا كان سبيلها الاجتهاد ووقع فيها الاختلاف لم يجز لأحد القائلين فيها عيب مخالفه.

مثال ذلك: لما ذكر قصة طاعون عمواس قال رحمه الله: «وفيه دليل على أن المسألة إذا كان سبيلها الاجتهاد ووقع فيها الاختلاف لم يجز لأحد القائلين فيها عيب مخالفه ولا الطعن عليه لأنهم اختلفوا – يعني الصحابة –

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٤٧-١٤٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٥٢.

وهم القدوة فلم يعب أحد منهم على صاحبه اجتهاده ولا وجد عليه في نفسه إلى الله الشكوى وهو المستعان على أمة نحن بين أظهرها تستحل الأعراض والدماء إذا خولفت فيما تجيء به من الخطأ»[1].

(١)المصدر السابق ٨/ ٣٦٧- ٣٦٨.

المبحث الثاني: منهج ابن عبد البر في نقد الآراء المتعلقة بالمباحث العقدية.

يعد شرح ابن عبد البر للموطأ بيانا لمعاني كلام رسول الله ﷺ ولا يعد كتابا متخصصا في بيان العقيدة وتقرير مسائلها.

ومع هذا فإن ابن عبد البر قد تكلم على بعض مسائل الاعتقاد التي وردت بها أحاديث رسول الله ﷺ المذكورة في الموطأ.

وسأتناول في هذا المطلب ما يتعلق بمنهج الاستدلال عنده وضوابط التعامل مع المخالفين في الأصل العقدي وضوابط الالتزام العقدي مع ذكر الفوائد المستنبطة من هذه الأمور، وبيان ذلك في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: منهج الاستدلال عنده، وتحته ستة فروع:

من المعلوم أن منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة قائم على الوحيين الشريفين وفق فهم السلف، فهو بذلك مخالف لمنهج أهل البدع والأهواء في تقرير مسائل الاعتقاد.

وتقرير هذه المسألة من خلال النصوص التالية:

١- قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[1].

٢- قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

٣- قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

٤- قول النبي ﷺ: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم) رواه مسلم.

والناظر في منهج الاستدلال عند ابن عبد البر يلحظ اعتماده على الأمور التالية:

---

(١) سورة المائدة، (٣).

(٢) سورة النساء، (٥٩).

(٣) سورة النساء، (٦٥).

الفرع الأول: الاستدلال في النقد بنصوص القرآن الكريم.

مثال ذلك: حديث عبد الله بن عَبَّاسٍ ﭬ في قصة طاعون عمواس وفيه: فَجَاءَ عبد الرحمن بن عَوْفٍ وكان مُتَغَيِّبًا في بَعْضِ حَاجَتِهِ فقال إِنَّ عِنْدِي في هذا عِلْمًا سمعت رَسُولَ اللهَّ ﷺ يقول: (**إذا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه وإذا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بها فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه قال فَحَمِدَ اللهَّ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ**)[1].

قال ابن عبد البر رحمه الله معلقاً على هذا الحديث «وفيه دليل على عظيم ما كان عليه القوم من الإنصاف للعلم والانقياد إليه وكيف لا يكون كذلك وهم خير الأمم ﭫ، وفيه دليل على استعمال خبر الواحد وقبوله وإيجاب العمل به، وهذا هو أوضح وأقوى ما نرى من جهة الآثار في قبول خبر الواحد، لأن ذلك كان في جماعة الصحابة وبمحضرهم في أمر قد أشكل عليهم فلم يقل لعبدالرحمن بن عوف أنت واحد والواحد لا يجب قبول خبره إنما يجب قبول خبر الكافة، ما أعظم ضلال من قال بهذا والله عز وجل يقول: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[2] وقرئت فتثبتوا فلو كان العدل إذا جاء بنبأ يتثبت في خبره ولم ينفذ لاستوى الفاسق والعدل وهذا خلاف القرآن قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[3] والقول

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، بَاب ما يُذْكَرُ في الطَّاعُونِ ح (٥٣٩٦) ومسلم في صحيحه، كتاب السلام ، ح(٢٢١٩).

(٢) سورة الحجرات، (٦).

(٣) سورة ص، (٢٨).

في خبر العدل من جهة النظر له موضع غير هذا وما التوفيق إلا بالله»[١].

مثال آخر: قوله رحمه الله مقرراً معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة من عدم الطعن فيهم أو النيل منهم: «طعن قوم من الملحدين على عمر رضي الله عنه في هذه القصة ونسبوه إلى قلة الفهم فأوضحوا جهلهم وكشفوا قلة فهمهم وسرحوا عن بدعتهم، وقد عرف المسلمون موضع فطنة عمر وفهمه وذكائه حتى لقد كان يسبق التنزيل بفطنته فينزل القرآن على ظنه ومراده وهذا محفوظ معلوم عنه في غير ما قصة منها نزول آية الحجاب[٢]. وآية فداء الأسرى[٣] وآية: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٤] وآية تحريم الخمر[٥] وغير ذلك مما يطول ذكره ولا يجهل فضائله وموضعه من العلم إلا من سفه نفسه...»[٦].

الفرع الثاني: الاستدلال في النقد بنصوص السنة النبوية المطهرة.

لقد سلك ابن عبد البر في النقد مسلك الاستدلال بنصوص السنة

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٨/ ٣٧٠-٣٧١.

(٢) وهي قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

(٣) وهي قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

(٤) روى أحمد في مسنده ١/ ٢٤ عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

(٥) يريد قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...﴾ انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٥/ ١٩٢-١٩٣.

النبوية المطهرة، ومن ذلك رده على تأويل مجاهد[١] قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[٢] وقوله: «حسنة». ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر الثواب». قال ابن عبد البر[٣]: «ولكن قول مجاهد مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ وأقاويل الصحابة وجمهور السلف وهو قول عند أهل السنة مهجور والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ...».

الفرع الثالث: الاستدلال في النقد بأقاويل الصحابة ﷺ.

ومما يقرر استدلال ابن عبد البر في النقد بأقاويل الصحابة ﷺ: ما ذكر في المثال السابق من أوجه الرد على تأويل مجاهد لنصوص الرؤية.

مثال آخر: قوله رحمه الله: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به اذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو أجماع على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا الا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافا»[٤].

---

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٩٢١.

(٢) سورة القيامة الآية: ٢٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٧/ ١٥٧-١٥٨.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢.

الفرع الرابع: الاستدلال في النقد بالآثار الواردة عن السلف رحمهم الله.

مثاله: قول عبد الرحمن بن مهدي(١) عن القدر: «كل شيء بقدر والطاعة بقدر والمعصية بقدر... وقد أعظم الفرية من قال: إن المعاصي ليست بقدر...»(٢).

الفرع الخامس: الاستدلال بالإجماع في نقد المخالفات العقدية.

مثال ذلك: قوله رحمه الله: «أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لا يجوز الحلف بها لأحد..»(٣).

الفرع السادس: الاستدلال في النقد بمقتضى قواعد اللغة العربية.

العمل بظواهر النصوص وفهمها وفق قواعد لغة العرب هو المتعيّن وذلك لأن الله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين، ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي.

قال ابن عبد البر رحمه الله في سياق رده على من أول الاستواء بالاستيلاء: «...وقد ذكر النضر بن شميل(٤) وكان ثقة مأمونا جليلا في علم

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري أبو سعيد البصري ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٦١٠.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٦/ ٦٧.

(٣) المصدر السابق ١٤/ ٣٦٧.

(٤) النضر بن شميل المازني أبو الحسن النحوي البصري، نزيل مرو، ثقة ثبت من كبار التاسعة مات سنة أربع ومائتين وله اثنتان وثمانون، تقريب التهذيب، لابن حجر ص ١٠٠١-١٠٠٢.

الديانة واللغة قال: حدثني الخليل[1] وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال؟ قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، قال الخليل: هو من قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[2] فصعدنا إليه...»[3].

أما القياس فإنه لا مدخل له في باب العقائد.

قال ابن عبد البر[4]: «وأما قول الله عز وجل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[5] فمعناه: بخير منها لنا لا في نفسها والكلام في صفة الباري كلام يستبشعه أهل السنة وقد سكت عنه الأئمة، فما أشكل علينا من مثل هذا الباب وشبهه أمررناه كما جاء وآمنا به كما نصنع بمتشابه القرآن ولم نناظر عليه، لأن المناظرة إنما تسوغ وتجوز فيما تحته عمل ويصحبه قياس والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى لأنه ليس كمثله شيء».

---

(١) الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري اللغوي صاحب العروض والنحو صدوق عالم عابد من السابعة مات بعد الستين وقيل سنة سبعين أو بعدها. تقريب التهذيب، لابن حجر ص ١٩٥.

(٢) سورة فصلت الآية: ١١.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٧/ ١٣٢.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ١٩/ ٢٣١-٢٣٢.

(٥) سورة البقرة: ١٦١.

المطلب الثاني: ضوابط التعامل مع المخالفين في الأصل العقدي.

من خلال تأمل صنيع ابن عبد البر في كتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد يظهر أن المخالف في الأصل العقدي عنده لا يخلو من حالين:

١- إما أن يكون من أهل السنة والجماعة فتعد هذه زلة من زلاته لا يتابع عليها ويبين خطؤه، ويعتذر له ما أمكن.

٢- وإما أن يكون ممن ينتسب إلى الفرق الضالة ويناضل عن معتقداتها الفاسدة، فهذا يرد عليه لمخالفته وخروجه عن منهج أهل السنة والجماعة.

ويمكن إبراز منهج ابن عبد البر في الأمرين السابقين فيما يلي:

أولا: من وقع من أهل السنة في مخالفة عقدية فيما يظهر له اعتذر له وأثنى عليه ثم ردّ على ما أخطأ فيه.

مثال ذلك: ردّه على مجاهد في تفسيره المقام المحمود بأنه يوسع له على العرش فيجلس معه حيث قال: «... ومجاهد وإن كان من أحد المتقدمين في العلم بتأويل القرآن فإن له قولين في تأويل اثنين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما... فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة»(١).

ثانيا: تعامله مع أهل الأهواء والبدع وله في ذلك عدة مناهج يمكن

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٧/ ١٥٧-١٥٨. تنبيه: لم ينفرد مجاهد بهذا القول بل تابعه كثير من السلف عليه. انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام٤/ ٣٧٤.

إبرازها في العناصر السبعة الآتية:

أولاً: أحيانا يصرح باسم الفرقة المخالفة ويذكر شيئا مما تعتقده مما هو مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة.

مثال ذلك: أورد رحمه الله أثر عمر بن الخطاب ﷺ: (يا أيها الناس إن الرجم حق فلا تخدعنّ عنه وآية ذلك: أن رسول الله ﷺ قد رجم وأبا بكر ورجمنا بعدهما، وإنه سيكون أناس يكذّبون بالرجم، ويكذّبون باللعان، ويكذّبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذّبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتُحشوا) [(١)].

قال ابن عبد البر: «كل هذا يكذّب به جميع طوائف أهل البدع الخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر الفرق المبتدعة، وأما أهل السنة أئمة الفقه والأثر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه، وهم أهل الحق والله المستعان»[(٢)] ثم سرد شيئا من الأدلة في سياق الرد عليهم.

مثال ثان: قوله رحمه الله: «الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة. وأهل الحق

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي و الآثار ٧/ ٤٨٠ (باب ما جاء في الرجم) وفي التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، في أربعة مواطن ٩/ ٨٣، ١٩/ ٦٩، ٧٠، ٢٣/ ٩٨. وهو في مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ٢/ ٧٥٥ باب فيما يكذّب به القدرية.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ١٩/ ٧٠.

على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ»[١]، ثم أورد ثلاثة عشر حديثا في إثبات الإيمان بالحوض.

ثانياً: أحيانا يورد شيئا من عقائد فرقة ما ويعرّف بها ولا يقتصر على مجرد الرد.

مثاله: قوله رحمه الله في الخوارج: «وفي فضل الجماعة في الصلاة أحاديث متواترة عن النبي ﷺ أجمع العلماء على صحة مجيئها وعلى اعتقادها والقول بها، وفي ذلك ما يوضح بدعة الخوارج ومخالفتهم لجماعة المسلمين في إنكارهم الصلاة في جماعة وكراهيتهم لأن يأتم أحد بأحد في صلاته إلا أن يكون نبيا أو صدّيقا أجارنا الله من الضلال برحمته وعصمنا بفضله لا إله إلا هو»[٢]. وقد ذكر ذلك في مواطن متفرقة من كتابه[٣].

ثالثاً: استخدامه أسلوب المناقشة العلمية في الرد على أهل الأهواء والبدع.

مثاله: رده على نفاة العلو بذكر أدلتهم وبيان وجه شبهتهم ويناقشهم في ذلك، وقد يورد اعتراضا لهم ويرد عليه. وقد يسهب في الرد في بعض المواطن، فالمسألة السابقة تحدث عنها في نحو ست صفحات[٤].

رابعاً: إلزامه الخصوم بلوازم توقعهم في أمور عظيمة أثناء نقده الفرق.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٩١.

(٢) المصدر السابق ١٤/ ١٤٠.

(٣) انظر على سبيل المثال: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢/ ٢٩١، ٣٠٩، ٣/ ٢١٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٧/ ١٣٤، ١٣٩.

مثال ذلك: رده على من أشهر أدلة نفاة الرؤية وأنه يلزم من قوله لوازم فيها تكفير لبعض الأنبياء [١] .

خامساً: يقرر أن بعض أهل البدع حقهم الزجر بالهجر وأن هذا فعل السلف[٢]. وقد ورد هذا في أكثر من موطن في التمهيد[٣].

بل يرى أن بعض أهل البدع حقه القتال كالبغاة منهم[٤].

سادساً: من أساليبه في المناقشة العلمية بيان فساد مسلك أهل البدع في فهم الروايات بعقولهم لا بفهم السلف الصالح.

مثال ذلك: لما ردّ على من أوّل صفة النزول على غير ظاهرها بذكر اسمه ونسبته إلى مذهبه ذكر أنه خالفهم غيرهم مع سياقه الأدلة على ذلك ثم وجّه بعض الروايات التي يفهم منها تأويل صفة النزول [٥].

سابعاً: من أساليبه في المناقشة العلمية إيراد مناظرة وردت في الرد على المخالف.

مثال ذلك: رد على المرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب وأن المعاصي لا تنقص الإيمان، فأورد عدة أدلة من الكتاب والسنة على زيادة

---

(١) المصدر السابق ٧/ ١٥٥.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٨٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ٤/ ٨٧- ٦/ ١١٨.

(٤) المصدر السابق ١٩/ ١٤.

(٥) المصدر السابق ٧/ ١٤٣.

الإيمان ونقصانه [١]، ثم أورد مناظرة في الرد عليهم [٢].

(١) المصدر السابق ٩/ ٢٤٤- ٢٥٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

المطلب الثالث: ضوابط الالتزام العقدي.

يؤكد ابن عبد البر رحمه الله ضرورة انضباط المرء بالأصول العقدية أثناء النقد العلمي للمخالفات العقدية ويمكن إيضاح ذلك في العنصرين الآتيين:

أولاً: تقرير أنّ ثمّة مسائل لا يسع أحد جهلها في أبواب الاعتقاد وأنّ ثمّة مسائل قد يقع فيها الجهل فيعذر المخالف بالجهل بها. فهذا التقرير يسلم به الراد من الولوج في التكفير بلا حق.

فابن عبد البر قرّر هذا الضابط وذكر أمثلة عليه.

مثال ذلك: قوله رحمه الله: «ألا ترى أن عمر بن الخطاب وعمران بن حصين وجماعة من الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن القدر، ومعلوم أنهم سألوه عن ذلك وهم جاهلون به، وغير جائز عند أحد من المسلمين أن يكونوا بسؤالهم عن ذلك كافرين أو يكونوا في حين سؤالهم عنه غير مؤمنين... فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ وهم العلماء الفضلاء سألوا عن القدر سؤال متعلم جاهل لا سؤال متعنت معاند، فعلّمهم رسول الله ﷺ ما جهلوا من ذلك ولم يضرهم جهلهم به قبل أن يعلموه، ولو كان لا يسعهم جهله وقتا من الأوقات لعلمهم ذلك مع الشهادة بالإيمان، وأخذ ذلك عليهم في حين إسلامهم، ولجعله عمودا سادسا للإسلام فتدبر واستعن بالله...»[1].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ١٨/ ٤٦، ٤٧.

ثانياً: التفصيل في انتقاد المخالفات العقدية أدعى لضبط المسائل المنتقدة. ومما سلكه ابن عبد البر في تقرير هذا الأمر ما يلي:

١- نقده للتطير وأنه موقع في الإثم لمنافاته التوكل ولأن الأشياء المتطير بها لا تصنع شيئا(١)، ويرد على وجه الدلالة من الأحاديث التي ظاهرها إفادة جواز التطير(٢).

٢- يرى جواز الرقية بشروط وأنها لا تجوز في حالات ويدعم ذلك بأقاويل وأفعال السلف الصالح (٣).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) المصدر السابق ٩/ ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق ٩/ ٢٢٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٦٩، ٢٨٧، ٢٧٩.

خلاصة البحث

بعد ما منّ الله به من إتمام هذا البحث أحمد الله حمداً كثيراً على تيسيره إظهار منهج الحافظ ابن عبد البر في النقد العقدي من خلال كتابه التمهيد.

وهذا ملخص لما ورد في البحث أبرزه فيما يلي:

١- تنبيه الراد على المخالفين إلى العودة في تقرير المسائل الشرعية إلى نصوص الوحي المطهّر ولزوم السير على منهج الصحابة ﭫ عند التنازع والاختلاف.

٢- من آداب طالب العلم قبول الحق ممن جاء به ولو كان دونه في العلم بدرجات.

٣- ينبغي للراد أن يظهر الجوانب التي تدل على تحريه للحقيقة العلمية بشتى الجوانب المبرزة لهذا الأمر.

٤- المجادلة والمناظرة بين أهل العلم من أسباب إظهار الحق إذا توفرت الشروط اللازمة للحوار النقدي.

٥- ينبغي للراد أن يدافع عن أهل العلم وأن يدعم رأيه بالحجة والبيان، فإن في ذلك ذبّا عن حرمة أهل العلم، وهو طريقة سلكها أهل العلم وقرروها في كتبهم.

٦- أن يعرف الراد قدر نفسه مهما علا في العلم، فإن الإحاطة بجميع جوانب العلم لا تكون لأحد، فهاهم أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام أشد الناس حرصا على العلم قد خفي عليهم ما خفي من العلوم فليلزم

الراد التواضع وليبذل وسعه في التحري عن المسائل التي يريد بحثها وليستعن بأهل العلم في السؤال والمشاورة حتى يتفطن إلى المسائل ويصل إلى الحق.

٧- من الإنصاف مع المخالفين لزوم الأدب معهم وعدم التجني عليهم بسب أو شتم أو خروج عن المقصد الرئيس وهو بيان الحق بدليله.

٨- قد يقع المرء في زلة ويعذر لتأويل أو شبهة أو جهل عنده فينبغي للراد مراعاة هذا الأدب وعدم الاستعجال في الحكم على الأشخاص ما لم يقم الحجة ويزيل الشبهة، وإلا فليكتف ببيان الحق والرد على المخالفين دون تعرض لذوات الأشخاص.

٩- تأصيل منهج أدب الحوار من واقع الوقوف على طرائق الصحابة رضي الله تعالى عنهم في هذا الجانب ولزوم هديهم لسابقتهم في الإسلام ومعرفتهم بالهدي النبوي الشريف.

١٠- مفارقة ابن عبد البر لمنهج أهل البدع والأهواء في الاستدلال.

١١- الرجوع في كل فن إلى أهله يثري ويقوي الرد العلمي.

١٢- لا يحسن الخوض في أمور سكت عنها أئمة أهل السنة وليسع المرء ما وسع العلماء قبله.

١٣- الناقد لابد أن يتحلى بشروط من أهمها سعة العلم والاطلاع والإلمام بمذاهب من أراد الرد عليه ومعرفة الأساليب في المناظرات، وكل هذه الصفات تحلى بها الحافظ ابن عبد البر رحمه الله.

١٤- أن معالجة الأخطاء يقدرها العلماء، فإن أهل البدع والأهواء ليسوا على درجة سواء، فمنهم المستحق للزجر وآخرون للهجر فعلى الرادّ أن يراعي ذلك عند نقده الأخطاء.

١٥- أن منهج المتقدمين في النقد في غالب الأحوال العناية بالرد على المخالف عن طريق التدوين والتأليف لا المناظرات الشفهية خوفا على أنفسهم وزجرا لمخالفهم، بخلاف ما عليه بعض المعاصرين من التصدر لميدان النقد قبل التأهل والتوسع في عقد المناظرات مع كبار أهل البدع، فهذا مخالف لفعل السلف عليهم رحمة الله.

١٦- على الراد عند نقده الآراء أن يعرف حال المردود عليه فيرد على الخطأ ولا يحكم على المخالف ببدعة أو تكفير ما لم تتوفر الشروط وتنتفي الموانع.

١٧- تحذير الناس من المخالفات العقدية ونشر ذلك أمر درج عليه علماء أهل السنة قديما وحديثا نصحا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فيؤخذ من هذا أن على من اعتنى بالرد أن يراعي المناسبة في ذلك فيؤلف فيما يحتاجه الناس في حياتهم العملية ومن أولى ما ينبغي العناية به تصحيح ما وقع فيه الناس من مخالفات شركية أو بدعية.

هذا والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وأسأله الإخلاص في القول والعمل إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة مصادر ومراجع البحث

- القرآن الكريم.

١- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير. دمشق - بيروت (ط١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٢- ابن حجر، تقريب التهذيب مع التوضيح والإضافة من كلام الحافظين المزي وابن حجر من مآخذهما. حققه وعلق عليه ووضحه وأضاف إليه أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني. تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض. النشرة الأولى ١٤١٦هـ.

٣- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م).

٤- ابن عبد البر الأندلسي، الإنباه على قبائل الرواة. مطبعة القدسي، القاهرة (١٣٥٠هـ).

٥- ابن عبد البر القرطبي، الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار. تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. دار قتيبة. دمشق. دار حلب – القاهرة (ط ١/ ١٤١٤هـ).

٦- ابن عبد البر القرطبي ،التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية.

٧- ابن عبد البر القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس. تحقيق: محمد مرسي الخولي. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.

٨- ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

٩- ابن فرحون المالكي، برهان الدين إبراهيم بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب. دار التراث للطبع والنشر.

١٠- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

١١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب. دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي. بيروت - لبنان (ط٢/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

١٢- أبو الحسن علي بن بسام الشنتيريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: د/ إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

١٣- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم. دار ابن حزم. بيروت - لبنان (ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

١٤- أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

١٥- أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، فهرسة ابن خير الاشبيلي، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد فؤاد منصور.

١٦- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (ت ٤٨٨هـ) القاهرة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

١٧- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري. دار ابن حزم بيروت – لبنان (ط١/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

١٨- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه. مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

١٩- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر - بيروت - ١٣٨٨هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.

٢٠- أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. مطبعة السعادة مصر (١٣٦٧هـ).

٢١- أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس دار الكتاب العربي عام (١٩٦٧م).

٢٢- إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

٢٣- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر (٦/ ٢٦٠-٢٦٤).

٢٤- البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث. مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع. (ط٢/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٢٥- التلمساني: أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس. تحقيق: د. إحسان عباس. دار صادر بيروت - (ط١/ ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م).

٢٦- الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧- الذهبي، العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان (١٤٠٥هـ) (٣/ ٢٥٥).

٢٨- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة (ط٩/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

٢٩- رضا كحالة، معجم المؤلفين مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٠- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. راجعته لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء. مطبعة حكومة الكويت (١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م).

٣١- الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة.

٣٢- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى الحلبي وشركاه (ط١/ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

٣٣- السيوطي، طبقات الحفاظ، تحقيق محمد عمر أحمد، مكتبة وهبة - القاهرة الطبعة الأولى.

٣٤- شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية - لبنان (ط ١/ ١٤٠٤هـ).

٣٥- شمس الدين محمد بن علي الداوودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

٣٦- عبدالمجيد سرحان الدمرداش، المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٥، ١٤٠٥هـ.

٣٧- علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

٣٨- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة بيروت- لبنان.

٣٩- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، طبعة دار الريان للتراث – القاهرة (ط١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٦٦م).

٤٠- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة – دار الريان للتراث (ط٢/ ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م).

٤١- قاسم **القبسي**، الزهر اللطيف في مسالك التأليف. مطبعة الصباح – بغداد (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م).

٤٢- القاضي عياض اليحصبي، الغنية، فهرست شيوخ القاضي عياض. تحقيق: ماهر زهير جرار – دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان (ط١/ ١٤٠٢هـ).

٤٣- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: سعيد أحمد أعراب. طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب عام (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٤٤- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام. القسم الثاني، تحقيق: ليفر بروفنسال.

٤٥- ليث سعود جاسم، ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ. دار الوفاء – المنصورة (ط ٢/ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م).

٤٦- محمد الصالح العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. خرج أحاديثه وعلق عليه أبو محمد أشرف بن عبد المقصود. أضواء السلف. أصداء المجتمع (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م).

٤٧- محمد بن أحمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٨- محمد بن جعفر الكناني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة دار الكتب العلمية – بيروت (ط٢/ ١٤٠٠هـ).

٤٩- محمد بن حبان البستي، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. تحقيق: محمود إبراهيم زايد. توزيع دار الباز بمكة المكرمة.

٥٠- محمد بن حبيب، مختلف القبائل ومؤتلفها. اعتنى **بنشره** المستشرق فريديناند فستنفيلد مكتبة المثنى ببغداد مصورة عن الطبعة الأولى ١٨٥٠م.

٥١- محمد بن خير الأموي الإشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه في الدواوين والمصنفات في ضروب العلم وأنواع المعارف ابن خير: تحقيق: كوديرا وروبيرا – مكتبة الخانجي بالقاهرة والمثنى ببغداد – (ط ٢/ ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م).

٥٢- محمد بن صالح العثيمين، كتاب العلم. إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. دار الثريا **للنشر** – الرياض (ط١/ ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م).

٥٣- محمد بن عبد الرحمن المغراوي، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، طبع ونشر مجموعة التحف النفائس الدولية بالرياض.

٥٤- محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة لابن الأبار. تحقيق: عزت العطار الحسيني وعبد الغني عبد الخالق. القاهرة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م).

٥٥- محمد بن محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي. بيروت – لبنان (١/ ١١٩).

٥٦- محمد بن يعيش، الإمام أبو عمر يوسف ابن عبد البر حياته، آثاره، ومنهجه في فقه السنة. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية. ط ١٤١٠هـ.

٥٧- محمد بن يعيش، مدرسة الإمام الحافظ أبي عمر ابن عبد البر في الحديث والفقه وآثارها في تدعيم المذهب المالكي بالمغرب. ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).

٥٨- ناصر العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة. دار الوطن الرياض. الطبعة الأولى.

٥٩- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ. عنيت بنشره مكتبة القدسي. القاهرة سنة ١٣٥٣هـ.

٦٠- ياقوت بن عبد الله المحمدي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، بدون تأريخ.

فهرس الموضوعات

غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين

للحافظ:

تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي رحمه الله

(ت ٧٥٦هـ)

تحقيق ودراسة:

د. سعيد بن محمد بن حسين بن معلوي

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العزيز الجبار، الكريم المتعال، المتفرد بالوحدانية، المتصف بالصفات العلية، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً ورحمة، محمد بن عبدالله خير البشرية، وأكرمها عند ربها، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أولي المناقب المحمودة، والأفعال الرضية.

وبعد: فلاشك في أن للصحابة مكانة وهبهم الله إياها ليست لأحد من الأمة سواهم؛ لذا «فإن حب الصحابة فرض وواجب وهو من الموالاة الواجبة للصحابة، وهذا الحب يقتضي أشياء:

الأول: قيام المودة في القلب لهم.

الثاني: الثناء عليهم بكل موضع يذكرون فيه والترضي عنهم.

الثالث: أن لا تحمل أفعالهم إلا على الخير فكلهم يريد وجه الله عز وجل.

الرابع: أن يذب عنهم؛ لأن من مقتضى المحبة والولاية؛ بل من معنى المحبة والولاية النصرة، أن ينصرهم إذا ذكروا بغير الخير أو انتقص منهم منتقص، أو شكك في صدقهم أو عدالتهم أحد، فإنه واجب أن ينتصر لهم رضي الله عنهم»[1].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: ٢/ ٣٨٢-٣٨٣.

ومن هذا الباب كان إخراج هذه الرسالة المباركة، أسأل الله أن ينفع بها، ويغفر لمصنفها، ومن سعى في إخراجها.

أهمية الرسالة وأسباب اختيار الموضوع:

١- ضرورة الدفاع عن الصحابة الكرام ﵃، خصوصاً في هذا العصر الذي كثر فيه التطاول عليهم، وهو ما لم نعهده فيما مضى. «فالدفاع عن الصحابة والتأليف في ذلك من الجهاد، وخاصة في الأزمنة التي يكثر فيها أو يوجد فيها من يقدح في الصحابة أو في بعضهم، فإن من مقتضى الولاية أن ينصر الصحابة بالتآليف وبالرد وبالذب عنهم وببغض من يبغضهم»[١].

٢- ظهور التنقص للصحابة من المحسوبين على أهل السنة[٢].

٣- قيمة الرسالة العلمية، حيث ظهرت في عصر كان للرفض فيه صولة وجولة[٣]، فهبَّ العلماء للدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم؛ وكان من أبرزهم الحافظ السبكي رحمه الله.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: ٢/ ٣٩٤.

(٢) مثل حسن المالكي، وعدنان إبراهيم، وأحمد الكبيسي، وقبلهم طه حسين، ومحمود أبو رية، وغيرهم.

(٣) كان ملك المغول في ذلك العصر هو "خدابنده" اعتنق الرفض وقرَّب أهله، وعلى رأسهم الحلي، صاحب كتاب "منهاج الكرامة" الذي طعن فيه في الصحابة ﵃، وردَّ عليه الشيخ الإمام ابن تيمية في كتابه العظيم "منهاج السنة". ينظر منهاج السنة النبوية: ٨/ ٣٠١.

٤-رد زعم من يقول إن ابن تيمية وأتباعه الوهابية هم الذين يقفون ضد الروافض في هذا الموضوع وغيره، إذ أن صاحب المخطوط من الأشاعرة الذين وقفوا من السلفية موقف العداء.

٥-عدم خدمة هذه الرسالة سابقاً، فلم تطبع استقلالاً، بل طبعت ضمن مجمع فتاوى السبكي مع تصحيفات كثيرة، ونقص في مواضع عدة.

٦-وجود سقط في المطبوع قد يصل إلى سطر، وأحياناً إلى أكثر، وقد بين ذلك في مواضعه من الرسالة.

٧-وجود بعض الكلمات في النسخة المطبوعة أدَّت إلى تغيير في الحكم وفي المعنى.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة وقسمين:

المقدمة: فيها أهمية الرسالة وأسباب اختيارها، وخطة البحث، والمنهج المتبع في التحقيق.

والقسم الأول: قسم الدراسة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة المصنف.

المبحث الثاني: دراسة الرسالة المحققة. (اسم الكتاب ونسبته للمؤلف -منهج المؤلف في الرسالة- وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق).

القسم الثاني: النص المحقق.

فهرس المصادر والمراجع وفهرس المحتويات.

المنهج المتبع في التحقيق:

١-قمت بمقابلة النسختين الخطيّتين، والنسخة المطبوعة على الأصل، واستدركت ما فيها من نقص، وأثبت ما فيها من زيادة، وعدلت ما فيها من تصحيف وتحريف، وأشرت في الحاشية إلى كل ذلك في موضعه من هذه الرسالة.

٢-قمت بعزو الآيات وتخريج الأحاديث، والآثار التي اهتديت إليها.

٣-أحلت أغلب النصوص التي أوردها المصنف رحمه الله إلى مصادرها.

٤-إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منه، وإن لم يكن في الصحيحين خرَّجته من كتب السنة الأربعة ومن المسند.

٥-ترجمت لغير المشهورين من الأعلام الذين ذكرهم المصنف، أما المشهورون كالأنبياء، والخلفاء الراشدين، والأئمة الأربعة، فلم أترجم لهم لشهرتهم.

٦-عرفت بالفرق التي ذكرها المصنف.

٧-لم أذكر الفروق بين المخطوطات فيما يأتي:

أ- في بعض الألفاظ المتعارف على ذكرها مثل ذكر لفظ الجلالة، حيث ترد إضافة كلمة "تعالى" إلى لفظ الجلالة في بعض المواطن تارة، في بعض النسخ دون بعضها.

ب- أثبت الصلاة على النبي ﷺ، والسلام على الأنبياء عليهم السلام، ولو لم يكن إلا في نسخة واحدة.

ج- في نسخة "ف" يعقب بعد ذكر النبي ﷺ بعبارة "عليه السلام" بعكس النسخ الأخرى، فاعتمدت ما في الأصل وما في المطبوع من ذكر لفظ "ﷺ" لأنه الأكمل في الصلاة عليه ﷺ.

د- أثبت الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولو لم يكن إلا في نسخة واحدة.

هـ- لم أذكر الاختلاف في الرسم الإملائي، مثل "ادعى" يكتبها الناسخ: "ادعا". ومثل "هارون"، يكتبها: هرون، و"معاوية" يكتبها الناسخ: معوية. أو مثل: "رمى: يكتبها: رما. أو مثل: هؤلاء، يكتبها: هاولا...

و- لم أذكر زيادة حرف أو نقص حرف في كلمة إذا لم يتغير معناها؛ فإن ترتب عليه تغيير في المعنى فإني أذكره.

ز- الاختصار في عبارات المحدثين مثل: "ثنا" و"حدثنا".

ح- الترحم على بعض الأعلام فإنه يوجد في نسخ ولا يوجد في أخرى.

ط- لا أشير إلى تكرار العبارة من الناسخ.

القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول: ترجمة المؤلف(*)

اسمه ونسبه:

هو أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى ابن تمام الخزرجي الأنصاري السبكي.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد السبكي في قرية تسمى بـ "سبك العبيد"(١) في مصر، وذلك في أول شهر صفر سنة (٦٨٣هـ)، فقرأ القرآن الكريم، وتتلمذ وتفقه على والده عبد الكافي بن علي السبكي، ثم دخل القاهرة وتفقه على مشايخها، ورحل إلى الإسكندرية، والشام والحجاز، وسمع من خلق كثير. وكتب بخطه، وقرأ الكثير من الكتب على يد الشيوخ من الأجزاء والمسانيد، وخرّج وانتقى على كثير من شيوخه، وحدّث في القاهرة، والشام، وسمع منه الحفّاظ وخرّج له الحفاظ.

(*) مصادر ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى لابنه تاج الدين السبكي: ١٠/ ١٣٩، والمعجم المختص للحافظ الذهبي: ص١٦٦، والوافي بالوفيات للصفدي: ٢١/ ١٦٦، وأعيان العصر للصفدي: ٣/ ٤١٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٣/ ٣٧، البداية والنهاية لابن كثير: ص٢٢٢٢، والذيل التام على دول الإسلام، للسخاوي: ٣/ ١٤٥، وحسن المحاضرة، للسيوطي: ١/ ٣٢١، وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٨٠، والأعلام للزركلي: ٤/ ٣٠٢، وغيرها.

(١) سبك العبيد: من أعمال المنوفية بمصر، وذكر الفيروز آبادي، والزبيدي أن سبك العبيد قرية من المنوفية، وهي تعرف الآن بسبك الأحد، وبسبك العويضات. ينظر القاموس المحيط مع شرحه تاج العروس للزبيدي: ٢٧/ ١٩٢.

عقيدته ومذهبه الفقهي:

كان عفا الله عنه في الأصول أشعرياً جلداً مؤولاً للصفات على طريقة متأخري الأشاعرة، ومتصوفاً يرى التوسُّل بالأموات، وشدّ الرحال إلى القبور، وغيرها من بدع الصوفية[1]. أما في الفروع فكان من مجتهدي المذهب الشافعي.

شيوخه:

للسبكي رحمه الله شيوخ كثر، من أبرزهم: شيخ الشافعية في **عصره** نجم الدين ابن الرفعة، أخذ عنه الفقه. وأخذ الحديث عن الحافظ شرف الدين الدمياطي ولازمه كثيراً إلى أن توفي. وقرأ العقيدة وعلم الكلام على علاء الدين الباجي، وشمس الدين الجزري، والقراءات على التقي ابن الصائغ، والتفسير على علم الدين العراقي، وأخذ النحو عن أبي حيان النحوي، وصحبَ في التصوف ابن عطاء الله السكندري المرشد الكبير وتتلمذ عليه.

تلاميذه:

تتلمذ للسبكي جم غفير، من أشهرهم: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، وسراج الدين عمر بن رسْلان البُلقيني (ت٨٠٥هـ)، ومجد الدين الفَيْروز آبادي (ت٨١٧هـ)، الإمام اللغوي صاحب المعجم العربي الكبير والمعروف بـ (القاموس المحيط). والحافظ عبد الرحيم العراقي، (ت ٨٠٦ هـ)، والقاضي صلاح الدين الصّفدي

---

(١) ينظر آراء أبي الحسن السبكي الاعتقادية، عجلان بن محمد العجلان. نشر كنوز إشبيليا، الرياض.

(ت٧٤٦هـ) وغيرهم.

أقوال العلماء فيه:

قال الحافظ الذهبي في ترجمته: «القاضي، الإمام، العلاّمة، الفقيه، المحدّث، الحافظ، فخر العلماء تقي الدين أبو الحسن السُّبكي... كان صادقًا، متثبّتاً، خيّرًا، ديّناً، متواضعاً، حسن السّمت، من أوعيةِ العلم، يدري الفقهَ ويُقررهُ، وعَلِمَ الحديثَ ويُحرّرهُ، والأصولَ ويُقرئُها، والعربيةَ ويحققُها...وصنَّفَ التصانيف المتقنة، وقد بقيَ في زمانه الملحوظ إليه بالتحقيق والفضل، سمعتُ منه وسمع مني، وحكم بالشام وحُمِدَتْ أحكامُه، والله يؤيّدُه ويسدّده»[(١)]. ووصفه الصفدي بأنه «أوحد المجتهدين»[(٢)]، وقال عنه السخاوي: «مجتهد الوقت»[(٣)]، ووصفه السيوطي: بـ«بقية المجتهدين المجتهد المطلق»[(٤)].

مؤلفاته:

بلغت مؤلفات الشيخ تقي الدين السبكي العشرات في كل فنٍ من علوم الشريعة، منه المطبوع ومنه المخطوط، حتى أنها بلغت ٢١١ مؤلفًا، ومن مؤلفاته المطبوعة:

- إبراز الحكم من حديث رفع القلم. طبعت بتحقيق كيلاني محمد خليفة.

---

(١) المعجم المختص، الحافظ الذهبي: ١/ ١٦٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢١/ ١٦٦.

(٣) الذيل التام على دول الإسلام، للسخاوي: ٣/ ١٤٥.

(٤) حسن المحاضرة: ١/ ٣٢١.

• السيف المسلول على من سبّ الرسول: طبع بتحقيق: إياد بـن أحمـد الغوج، ثم طبع بتحقيق: سليم بن عيد الهلالي.

• أحاديث رفع اليدين. طبعت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

• الدرة المضية في الرد على ابن تيمية في مسألة الطلاق.

• المسائل الحلبية، ويسمى: "قضاء الأرب في أسـئلة حلـب". تحقيـق محمد عالم الأفغاني.

• معنى قول الإمام المطلبي: "إذا صح الحديث فهو مـذهبي"، تحقيـق علي بن نايف بقاعي.

• فتاوى السبكي وتشتمل على فتاوى ورسائل في فنون متعـددة. ولـه مؤلفات أخرى يطول ذكرها(١).

وفاته:

بدأ المرض في السّبكي وهو في دمشق سنة ٧٥٥ هـ، ومكث في دمشق عدة شهور ثم سافر إلى مصر، فوصلها وأقام بها دون عشرين يومًا، ثم توفي رحمه الله في ليلة الاثنين الثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ عن عمر ٧٣ سنة، ودفن بالمقبرة خارج باب النصر.

---

(١) ينظر آراء أبي الحسن السبكي الاعتقادية: ص٧٠-١٠٢. ومقدمة إياد أحمد الغوج محقق كتاب السيف المسلول على ساب الرسول: ص٦٧-٧٨، ومقدمة محمد عالم عبد المجيد محقق كتاب قضاء الأرب في أسئلة حلب: ص٦٨-٨١.

المبحث الثاني: دراسة الرسالة المحققة

موضوع الرسالة وسبب تأليفها:

موضوع الرسالة يتعلق ببيان عقيدة الأمة في الصحابة الكرام، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بحكم سبهم والتنقص منهم والطعن فيهم.

أما سبب تأليف الرسالة: فهو أن حادثة وقعت في زمن السبكي رحمه الله تتلخص في أن رجلاً لعن وسب أبا بكر ﷺ، وسب عمر وعثمان ومعاوية ﷺ، فرفع للقضاء، فحكم عليه السبكي بأن يُغل ويسجن، ثم حكم عليه قاضي المالكية بأن يقتل، فقتل. فانشرح صدر السبكي للقول بكفره وقتله، وأبطل قول من قال من معاصريه بأنه قتل بغير حق.

اسم الرسالة:

أ- جاء على طرة المخطوط الأصل: "غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين". وأثبتها بهذا الاسم السيوطي في "الحبل الوثيق في نصرة الصديق" المطبوع ضمن الحاوي للفتاوى: (١/ ٥١٠) وفي "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة": ١/ ٣٢٣، وفي "إلقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما" مخطوط.

ب-وأثبتها السيوطي في تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد المطبوع ضمن الحاوي للفتاوى: ٢/ ٢٤٥ بـ"غيرة الإيمان الجلي".

ج- وأثبتها ابن المصنف في طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٣١٤)، والصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر (٣/ ٤٣٤)، والبغدادي صاحب هدية العارفين (١/ ٧٢٢) ضمن ترجمة السبكي بـ "غيرة الإيمان لأبي بكر وعمر وعثمان".

وقد أثبتُّ الاسم الذي جاء في الأصل لأنه من المرجح أن تكون تسمية المؤلف، والله أعلم.

تاريخ تأليف الرسالة:

جاء في خاتمة نسخة الأصل ما يلي: «قال مصنفه علي السبكي رحمه الله في نسخته التي جمعها بخطه ونقلت منها هذه: أنه فرغ من تأليفها بكرة نهار الأحد الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة بطامه دمشق سقا الله ثراه وجعل الجنة مأواه... كتبه أفقر عبيد الله وأحوجهم إلى رحمة الله: أبو بكر محمد بن فهد بن الحسن الأنصاري السيوطي، بجامع طولون بالقاهرة صانها الله من الآفات».

فالمؤلف رحمه الله كتبها قبل وفاته بعام تقريباً حيث توفي رحمه الله في ليلة الاثنين الثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ. فهي من أواخر مؤلفاته رحمه الله.

إثبات نسب المخطوط إلى السبكي:

١- ذكر السبكي في رسالته هذه كتابه: "السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ".

٢- نقل الحافظ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٣هـ) في الصواعق المحرقة (١/ ١٢٨-١٥١)، كلام السبكي بنصه (١/ ١٢٨-١٢٩) ونسبه إليه من قول الأخير: «كنت بالجامع الأموي ظهر يوم الاثنين...» إلى قوله: «وهو منزع لم أجد غيري سبقني إليه إلا ما سيأتي في كلام الشيخ محي الدين النووي»، ثم ذكر باقي كلام السبكي (١/ ١٢٩-١٥١) ملخصاً مع زيادة عليه.

٣- كما نقل عنه ابنُ حجر الهيتمي أيضاً ونسبه إليه في الإعلام بقواطع الإسلام (ضمن كتاب "الجامع في ألفاظ الكفر"): ص٢٠٧-٢٠٨، ٢٧٦.

٤- نقل منه المقريزي في إمتاع الأسماع، ونسبه إليه: ٩/ ٢١٤-٢٢١[1].

٥- نقل منه ملخصاً شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) في نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض: ٦/ ٤٣١-٤٣٢.

٦-نقل عنه أبو الهدى عيسى صفاء الدين البندنيجي (ت١٢٨٣هـ) في "الأجوبة البندنيجية على الأسئلة اللاهورية": ص٧٨-٧٩.

٧- نقل منه أبو بكر عثمان بن محمد شطا الدمياطي البكري (ت: بعد ١٣٠٢هـ) في حاشيته على "حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين" الموسومة بـ "إعانة الطالبين": ٤/ ٢٢٣.

---

(١) على أن بداية نقل المقريزي لكلام السبكي: ٩/ ٢٠٩، إلا أنه أدرج كلامه في كلام السبكي، أما من ص٢١٤، فنقله دون أن يتصرف في النص بزيادة أو نقصان.

٨-أن بعض نسخ الرسالة كانت ضمن مجاميع لرسائل وفتاوى للسبكي.

٩-من ترجم للسبكي من العلماء من معاصريه وغيرهم ذكر هذه الرسالة، وفي مقدمهم ابنه عبدالوهاب السبكي.

١٠- من ألف في المؤلفين وكتبهم نسبها إليه، منهم البغدادي في هدية العارفين: ١/ ٧٢١.

وهذا كله يثبت نسبة الرسالة إلى السبكي دون أدنى شك.

منهج المؤلف في الرسالة:

نهج المؤلف رحمه الله في معالجة المسألة التي يدور حولها الكتاب- وهي حكم الساب للصحابة وعقوبته- منهجاً يقوم على ذكر أقوال العلماء في المسألة، وتحرير المنقول عنهم، وذكر مواطن الإجماع التي أجمعوا عليها، والتنبيه على الخلاف بينهم، مع ذكر أدلتهم وموارد الاستدلال من كلامهم. ثم يستعرض الأدلة في المسألة ويفيض في مناقشتها، فيذكر القول وينسبه إلى قائله، ثم يعقب عليه بما يرى أنه الحق. وقد كشف السبكي -في هذه الرسالة- عن إحاطته الواسعة بأقوال المذهب الشافعي وبقية المذاهب، وبأقوال العلماء المتأخرين والمتقدمين، فنقل نصوصهم، وأبان عن مواضع النقد فيها.

مصادر السبكي في الرسالة:

أولاً: كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، وقد نقل عنه كثيرًا. فالمؤلف في أول المخطوط ينقل من كتاب ابن حزم الفصل في الملل

والأهواء والنحل في أكثر من موضع من هذه الرسالة، وقد ينسب السبكي ما نقله عن ابن حزم في مواضع ويغفل في غيرها. وينقل السبكي من ابن حزم من غير ترتيب، ومع تقديم وتأخير وتلخيص، وقد ينقل العبارة بكاملها. ينظر الفصل: الكلام في الإمامة والمفاضلة: ٤/ ١٥٤-١٧٩، والكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة: ٤/ ١٨٠-٢٣٢، وأثبتنا المواضع التي نقل منها السبكي في الحواشي.

ثانياً: كتاب المحلى لابن حزم أيضاً، ونقله عنه قليل، وأثبتنا المواضع التي نقل منها السبكي في الحواشي.

ثالثاً: الشفا للقاضي عياض، وقد أكثر النقل منه ونسبه إليه، وأثبتنا المواضع التي نقل منها السبكي في الحواشي.

رابعاً: كتاب المصنف "السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ". حيث أحال المؤلف عليه في مسألة سب النبي ﷺ، حيث أشار إليها في هذه الرسالة. كما يتضح أنه نقل من كتابه السيف المسلول باختصار في بعض المواطن في هذه الرسالة[1].

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق:

أولاً: المخطوطة الأصل ورمزت لها بالحرف "ل"، وهي من محفوظات مكتبة برلين، ورقمها (٣٨٠٧) وعدد أوراقها (١٣) ورقة، في كل ورقة

---

(١) يقارن بين ما جاء في هذه الرسالة، وبين ما ذكره المصنف في كتابه السيف المسلول: ص١١٩-٢١٢، ٤١٧-٤٢٦.

(٢١) سطراً، وهي غير منقوطة، وخطها واضح، كما أنها ناقصة قرابة ثلاثة أوراق من منتصفها. وأما أسباب اختياري لها أصلاً مع نقصها فهو لما يلي:

١- أنها المخطوطة الوحيدة التي كتب عليها عنوان الرسالة.

٢- أنها المخطوطة الوحيدة المذيلة ببيانات النسخ وتاريخه.

٣- أنها منقولة مباشرة من نسخة المؤلف رحمه الله، فهي بهذا تكون من أقدم النسخ.

٤- فيها بيان لتاريخ تأليفها، وهو سنة (٧٥٥هـ).

٥- أن الموجود منها هو فيها أكمل من غيرها من النسخ.

أما النقص الذي وقع فيها فتلافيته بالمقارنة بين النسخ الثلاث المتبقية، وأثبت ما رأيت صوابه، بتوفيق الله تعالى.

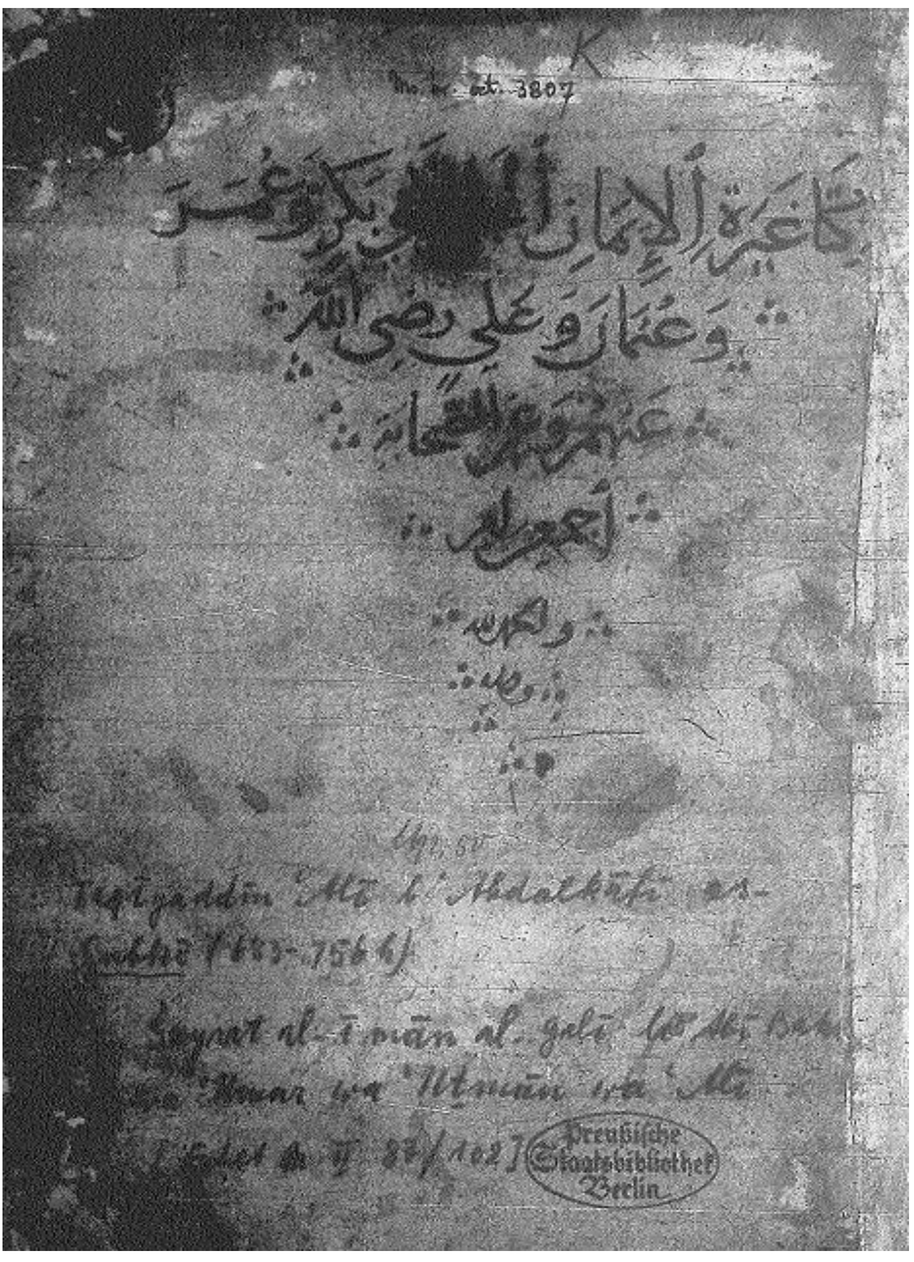
ثانياً: المخطوطة التي ضمن فتاوى السبكي المخطوطة الموجودة في مركز الملك فيصل، ورقمها (٨٤٦)، وعدد أوراقها (١٠) ورقات تقريباً، في كل ورقة (٣٢) سطراً، كتبت بخط واضح، صغير الحجم. وقد تم نسخ هذه الفتاوى كما هو مذكور في آخر المخطوط: "كان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان الكرم سنة أربعة وسبعين وثمانمائة" ورمزت لهذه النسخة بالحرف "**ف**" وهي مخطوطة كاملة؛ إلا أنها لا تخلو من سقط في بعض المواضع.

ثالثاً: نسخة ضمن فتاوى السبكي المخطوطة الموجودة في الظاهرية، ورقمها (٢٣٢٢) وعدد أوراقها (١٠) ورقات تقريباً، في كل ورقة (٢٩)

سطراً، كتبت بخط جميل، صغير الحجم، وهي نسخة كاملة؛ إلا أنها لا تخلو من سقط في بعض المواضع. وقد تم نسخ هذه الفتاوى كما هو مذكور في آخر المخطوط: "نهار الاثنين صحوة نهار مستهل شهر ربيع الأول من شهور سنة ثمان وسبعين وثمانمائة (٨٧٨هـ)" ورمزت لهذه النسخة بالحرف "ك" وهذه النسخة هي أقرب النسخ إلى الأصل المطبوع، فالذي يظهر أنها نسخت هي والمطبوع من أصل واحد، فتاريخ نسخهما واحد، ولكن ليست هي نفس المطبوع؛ لوجود سقط فيها - يصل إلى سطر كامل في بعض المواضع - لا يوجد في المطبوع، والعكس صحيح، فضلاً عن اختلاف بينها وبين المطبوع في مواطن عدة.

رابعاً: النسخة المطبوعة ضمن فتاوى السبكي المطبوعة وقد تم نسخ هذه الفتاوى كما هو مذكور في آخر المطبوع: "نهار الاثنين صحوة نهار مستهل شهر ربيع الأول من شهور سنة ثمان وسبعين وثمانمائة (٨٧٨هـ)"، ورمزت لها بالحرف "ط".

صور من المخطوطات المعتمدة في التحقيق


Mo. or. oct. 3807

كتاب غيرة الإيمان ال[illegible] بكر وعمر
وعثمان وعلي رضي الله
عنهم وعن بقية الصحابة
أجمعين
والحمد لله
وحده

Taqiyaddin 'Ali b. 'Abdalkafi as-Subki (683-756)

Gayrat al-īmān al-ǧalī li-Abi Bakr wa 'Umar wa 'Utmān wa 'Ali

الورقة الأولى من الأصل "ل"

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

قوله تعالى وورث سليمان داود معناه ورث العلم والنبوة وليس معناه انه ورث المال
لقوله صلى الله عليه وسلم إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة وكان الرواة وحملة الأخبار
وجميع التواريخ الدينية وجميع طوائف بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم ان داود
عليه السلام كان له بنون ذكور جماعة غير سليمان ولم يذكر الله انه ورثه غير سليمان فصح انه انما
ورث النبوة وكلهم مجمعون على انه وُلّي مكان ابيه عليه السلام وعمره اثنا عشر عاما حين ولي داود
عليه السلام اربعة وعشرون ابنا ذكورا كبارا وصغارا قوله تعالى واني خفت الموالي من ورائي
وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب ذكر الله عن زكريا عليه السلام
انه سأل ان يهب له ولدا يرثه النبوة والعلم كما ورث سليمان داود والدليل على ذلك من الاية نفسها قوله تعالى
ويرث من آل يعقوب ولكل سبط من اسباط يعقوب عصبات عظام ولا يرث يحيى منهم مالا
فصح انه انما رغب في ولد يرث عنه وعن آل يعقوب النبوة فقط ولا يظن بزكريا عليه السلام
رغب الى الله في ولد يحجب عصبته من ميراثه وهو عليه السلام وسائر الانبياء عليهم السلام قد
زهدهم الله عن الرغبة في المال والدنيا فهذا مستحيل في حقه وحق امثاله ومن الدليل على ذلك
انه عليه السلام انما طلب الولد حين رأى ما اعطاه الله لمريم التي كانت في كفالته من الخوارق
قال تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من
عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية
طيبة انك سميع الدعاء وعلى هذا المعنى دعا ايضا فقال هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من
آل يعقوب واجعله رب رضيا ومما يدل على ذلك ان الله وهبه ولدا حصورا لا يقرب النساء
قال الله تعالى وحصورا ونبيا من الصالحين فلو كان المقصود وراثة المال كان اعطاه ولدا
يكون له عقب ليصل اليهم ميراثه المالي لو كان يورث عنه المال ولا يجوز ان يكون قوله خفت
الموالي من ورائي معناه خوفهم على ارث ماله لانه لا ولد له لانه عليه السلام لم يكن في ولده
عصابه

بداية النسخة الأصل "ل"

شعائر الدين فهذا ما أردنا كتابته في هذه الواقعة وهذان الوجهان

ذكرناهما زيادة في تحرير المقصود والعمدة على ما تقدم والله أعلم

قال ... مصنفه علي السبكي رحمه الله في نسخته

التي جمعها بخطه ونقلت منها هذه أنه فرغ من

تأليفها بكرة نهار الأحد الثاني والعشرين من جمادى

الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة بظاهر دمشق

سقى الله ثراه وجعل الجنة مأواه والحمد لله وحده

يا الله يا مستفيداً من فوائده لا تبخل بأن تدعو الكاتبه

[illegible]

نهاية النسخة الأصل "ل"

[illegible]

بداية النسخة "ف" عند السطر الثالث عشر، ق١٧٣أ

بهذه الواقعة وكانت لعنتنا لا نوفيهم لو صح عنهم وقد قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة أن التعزير
يجوز بالقتل وإذا كان في ذلك الصحيح فلا يوجد في قبيله سبب أعظم من التجري لهذا المقام في حق
الصديق والخلفاء الراشدين [illegible] ثم إن لعنة الصديق وأمثاله معصية
قطعا يجب التوبة عنها قطعا فيطلب من اللاعن التوبة ويعاقب على الامتناع منها وإن انتهى
إلى القتل لأن ما يجب لا يؤدي عنه غيره وهذا ما خطا له فيه قبل تارك الصلاة لأنه أمر
لا يؤدى عنه غيره فإذا جعل الله في الامتناع من الصلاة يجوز القتل فالامتناع من
هذه التوبة المعلوم وجوبها من الدين بالضرورة كذلك موجب للقتل كالصلاة ولا فرق
بينهما وتعظيم الصحابة من شعائر الدين كما أن الصلاة من شعائر الدين فهذا ما أدركنا
كتابته في هذه الواقعة وهو أن الوجه أن نذكرنا كان رأيك في تحرير المقصود والمعول
على ما تقدم والله تعالى أعلم هذه أسولة من طرابلس الشام وردت
على الشيخ الإمام وهو بالشام في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة السؤال الأول
هل ذهب من العلماء المحققين إلى وجوب الإيمان بأن نبينا محمدا عليه السلام مبعوثا
إلى الإنس والجن كافة وأن رسالته شاملة إلى الثقلين وهو سؤال مبسوط قال رحمه الله
أرى أن لا أذكر السؤال كله مستوفى لكن أقطعه وأذكر كل قطعة منه وجوابها ليحصل بذلك
استيعاب كلام السائل وجوابه فأقول وبالله التوفيق كونه عليه السلام مبعوثا
إلى الإنس والجن كافة وأن رسالته شاملة للثقلين فلا أعلم فيه خلافا وقد نقل جماعة الإجماع
عليه وكونه قطعيا أو ظنيا سيأتي عند ذكر السائل الأدلة له ذلك ما نتعرض لها عند طلب
السائل الدليل وأما وجوب الإيمان بذلك فصحيح بمعنى تصديق ما جاء به الأخبار عنه
من الأدلة الواردة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة بعد الإحاطة بها ولمعرفة معناه. أنه
يجب ويشترط في الإيمان اعتقاد ذلك ولا يكون مؤمنا إلا به حتى يجب عليه تحصيل سببه
فإن العامي لو أقام دهره لا يعتقد ذلك ولم يخطر بباله ولا عرف شيئا من الأدلة الدالة
عليه غير أنه يعلم أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله كان مؤمنا وليس يتعاصى ما أخر تعلمه لذلك
أو تركه إذا قام غيره وقول من قال من المحققين بوجوب الإيمان بذلك يحمل على ما قلناه
فإن الشريعة كلها وجميع ما ورد فيها يجب الإيمان به إجمالا وأما تفصيلا ففيه ما يجب على كل
أحد وهو ما لا يصير العبد مؤمنا إلا به وما يعم وجوبه لجميع المكلفين كالصلاة ونحوها
ومنه ما ليس كذلك ولا يجب إلا على من احتاج إليه أو علم بدليله وهذا منه وسيأتي زيادة
بيان في ذلك قال السائل [illegible] ما الدليل على ذلك أقول
الدليل عليه من الإجماع الكتاب والسنة أما الكتاب فآيات منها قوله تعالى ليكون
للعالمين نذيرا وقد أجمع المفسرون على دخول الجن في ذلك وفي هذه الآية ومع ذلك
مدلول لفظها ولا يخرج عنه إلا بدليل وإن قال إن الملائكة خارجون من ذلك فلا [illegible]
العام المخصوص حجة في الباقي والتدبر هو المحضر بما بعض الخوف وإخباره إنما هو عن الله
وذلك يقتضي كونه رسولا إليهم عنه ولو أن الغير ليكون للفرقان بعيد بل يتعين أن يكون

نهاية النسخة "ف" عند السطر العاشر، ق١٨٣ب

بلاد العجم ما تقول لشيخ الاسلام السبكي امتع الله ببقايه في الرجل الذي هو اخر اهل الجنة دخولًا اليها
اذا تراءت له الشجرة فيقول اي رب لو ادنيتني من هذه الشجرة فاستظل بظلها الحديث من اي
شي يستظل وقد قرئ اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت
واذا الوحوش حشرت **اجاب** الحمد لله قال الله تعالى وظل ممدود وقال تعالى هم وازواجهم
في ظلال وغير ذلك من الايات والاثار التي تدل على ظل الجنة فلا يلزم من تكوير الشمس وانكدار النجوم
وتسيير الجبال وتعطيل العشار عدم الظل والاستظلال ولا عدم الاحتياج اليه وقد يحصل الظل
من غير شمس ويحتاج معه الى الظل وقال تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وانما الناس الفوا ان
الاحتياج الى الظل من اجل الشمس وان الظل لم تات عليه الشمس مما يلي اتيانها عليه وهذا بالعادة
ولا ينحصر وربما في اذهان بعض الناس ان الظل عدم الشمس وليس كذلك بل الظل مخلوق لله تعالى
وليس بعدم بل هو امر وجودي له نفع باذن الله تعالى في الابدان وغيرها فتلك المنة تحصل من
تلك الشجرة التي يراها ذلك الرجل وليس هو في مكانه الذي يكون فيه ذلك الوقت فيطلبه ليحصل له
به روح وراحة والله اعلم انتهى **قال** الشيخ الامام تغمده الله برحمته قوله تعالى وورث
سليمان داود معناه ورث العلم والنبوة وليس معناه انه ورث المال لقوله صلى الله عليه وسلم انا معاشر
الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة ولان الرواة وحملة الاخبار وجميع التواريخ المقتدى بها وجميع طوايف
بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم ان داود عليه السلام كان له بنون ذكور جماعة
غير سليمان ولم يذكر الله تعالى انه ورثه غير سليمان فصح انه انما ورث النبوة وكلهم مجمعون على انه ولي
مكان ابيه عليهما السلام وعمره اثنا عشر عامًا ولداود عليه السلام اربعة وعشرون ابنًا ذكورًا
كبارًا وصغارًا فقوله تعالى واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا
يرثني ويرث من آل يعقوب ذكر ذلك عن زكريا عليه السلام فوهب الله يحيى وورث منه النبوة والعلم
كما ورث سليمان داود والدليل على ذلك من الاية نفسها قوله ويرث من آل يعقوب ولكل سبط من
اسباط يعقوب عصبات عظيمات ولا يرث يحيى منهم مالًا فصح انه انما رغب في ولد يرث عنه وعن
آل يعقوب النبوة فقط وكيف يتصور ان زكريا عليه السلام يرغب الى الله تعالى في ولد يحجب عصبته
عن ميراثه وهو عليه السلام وساير الانبيا عليهم السلام قد نزههم الله تعالى عن الرغبة في المال
والدنيا فهذا مستحيل في حقه وحق امثاله ومن الدليل على ذلك انه عليه السلام انما طلب الولد حين
راى ما اعطاه الله تعالى لمريم التي كانت في كفالته من الخوارق قال الله تعالى كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء وعلى
هذا المعنى دعا حينئذ ايضًا فقال هب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله
رب رضيًّا ومما يدل على ذلك ان الله وهبه ولدًا حصورًا لا يقرب النسا قال الله تعالى وحصورًا

بداية النسخة "ك" عند السطر الثاني عشر، ق٣٨٤ب

كان لا دني منهم بل معناه اقرب الينا وكان واجبه الجلد فكم بينه وبين مرتبة الصديق رضي الله عنه مراتب كل مرتبة تزيد حتى تنتهي الى مرتبة الصديق فكم يكون واجبها وكان الواجب بمجرد حق الصحبة وهو الواجب فاذا انضاف الى الصحبة غيره مما يقتضي الاحترام لنصر الدين وحماية المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك كل واحد منها يقتضي مزيد حق لاجله زيادة عقوبة بالاجترا عليه فيزيد اد الواجب وليس ذلك لمجرد حكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم شرع احكاما واناطها باسباب فنحن نتبع تلك الاسباب ونرتب على كل سبب منها حكمه وكان الصديق في حياة النبي صلى الله عليه وسلم له حق السبق الى الاسلام والتصديق والقيام في الله والمحبة والانفاق والنصح وغير ذلك من كل خصلة جميلة ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم من خلافته اياه وما حصل على يده من الخير يزداد حقه وحرمته واستحقاق كل من اجترا عليه زيادة النكال فلا يبعد ان يكون لضرر سب الدين بهذا الحد ان يكون سابه طاعنا في الدين فيستحق القتل ولقد قتل الله بسبب يحيى بن زكريا عليه السلام خمسة وخمسين الفا وقال بعض العلما ان ذلك ديه كل نبي وقال ان الله تعالى اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين الفا ولاقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين الفا وسبعين الفا فاذا قتلنا بهذه الواقعة عشرين نفسا لابي بكر الصديق رضي الله عنه لم يكن كثيرا ولا تعتقد بجهلك ان هذا الكلام جهل من جنس فعل العرب الجهال وما كانت الجهال تفعله من قتلهم بالشريف جماعة وذلك خطا حيث كان اخذا بغير جرم الا الجرم الاول وهذا انما ياخذهم الله بذنوبهم كل واحد يقتل بذنبه ولكن السبب في ذلك من جهة الله تعالى الاجترا العظيم الاول تعظيما لحرمته وهكذا الصديق رضي الله عنه يظهر الله تعالى حرمته وحقه باجترا كثير من الروافض لعنهم الله الذين جروا بهذه الواقعة وكانت تشتال انوفهم لو صفح عنه وقد قال ابو يوسف صاحب ابي حنيفة ان التعزير بالقتل وان كان ذلك صحيحا فلا يوجد في قتله سبب اعظم من التجري لهذا المقام في حق الصديق والخلفا الراشدين رضي الله عنهم اجمعين الامر السابع ان لعنة الصديق واضرابه قطعا يجب التوبة عنها قطعا فيطلب منه لا عن التوبة ويعاقب على الامتناع منها وان انتهى الى القتل لانه واجب لا يؤدي عنه غيره وهذا ما اخذ الشافعي في قتل تارك الصلاة انه لامر لا يؤديه عنه غيره فاذا جعل الشافعي الامتناع من الصلاة مجوزا للقتل فالامتناع من هذه التوبة المعلوم وجودها من الدين بالضرورة كذلك موجبه للقتل كالصلاة ولا فرق بينهما وتعظيم الصحابة من شعائر الدين فهذا ما ادركنا كتابته في هذه الواقعة وهذان الوجهان ذكرناهما زيادة في تقرير المقصود والعمدة على ما تقدم والله تعالى اعلم انتهى هذه اسولة من طرابلس الشام وردت على الشيخ الامام رحمه الله وهو بالقاهرة في سنة ثمان وثلثين وسبع مايه السوال ـــــ الاول فيمن ذهب من العلما المحققين الى وجوب الايمان بكون نبينا صلى

نهاية النسخة "ك" عند السطر الثالث من أسفل، ق٣٩٣ب

القسم الثاني: النص المحقق:

غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي

رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين

للحافظ

تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي رحمه الله

(ت ٧٥٦هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

[اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وسلم][(١)]، [قال الشيخ الإمام تغمده الله برحمته][(٢)]: قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:١٦] معناه: ورث العلم والنبوة. وليس معناه أنه ورث المال؛ لقوله ﷺ: (**إنّا معاشر**[(٣)] **الأنبياء لا نورث [وما]**[(٤)] **تركناه صدقة**)[(٥)]؛ ولأن الرواة، وحملة الأخبار، وجميع التواريخ القديمة، وجميع طوائف بني إسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلاً يُوجب العلم أن داود عليه السلام كان له بنون ذكور جماعة غير سليمان، ولم يَذكر الله تعالى أنه ورثه غير سليمان، فصحّ أنه إنما ورث النبوة، وكلهم مجمعون على أنه وُلّي مكان أبيه عليه السلام وعمره اثنا عشر عاماً [حين ولي][(٦)]، ولداود عليه السلام أربعة وعشرون ابناً ذكوراً كباراً وصغاراً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٥-٦]، ذكر ذلك عن زكريا عليه السلام فوهبه الله يحيى [وورثه][(٧)] النبوة والعلم، كما ورث

(١) لا توجد في "ف" ولا في "ط".

(٢) سقطت من الأصل "ل".

(٣) في "ط": إن معشر.

(٤) في "ف" وفي "ك": ما.

(٥) رواه البخاري: كتاب المغازي، رقم (٤٢٤٠-٤٢٤١)، ومسلم: كتاب الجهاد، رقم (٤٥٨٠) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٦) سقطت من بقية النسخ.

(٧) في "ك": وورث منه.

سليمان داود، والدليل على ذلك من الآية نفسها قوله تعالى: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ولكل سبطٍ من أسباط يعقوب عصبات عظيمات، ولا يرث يحيى منهم مالاً؛ فصح أنه إنما رغب في ولدٍ يرث عنه وعن آل يعقوب النبوة فقط، وكيف يُتصور أن زكريا عليه السلام يرغب إلى الله في ولد يحجب [عصبته][(١)] عن ميراثه، وهو عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام قد نزّههم الله تعالى عن الرغبة في المال والدنيا؟ فهذا [يستحيل][(٢)] في حقه عليه السلام وحق أمثاله.

ومن الدليل على ذلك أنه عليه السلام [إنما][(٣)] طلب الولد حين رأى ما أعطاه أعطاه الله تعالى لمريم التي كانت في كفالته من الخوارق، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران:٣٧-٣٨]. وعلى هذا المعنى دعا [حينئذ][(٤)] أيضًا فقال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم:٥-٦][(٥)].

---

(١) في "ل" و"ط": عصبة، والتصحيح من "ف" ومن "ك".

(٢) في "ك": مستحيل.

(٣) في "ف": أنه إنما.

(٤) سقطت من "ف".

(٥) قال القرطبي في تفسيره (١٣/ ٤١٠-٤١١): «قالت طائفة: إنما كان مواليه مهملين للدين؛ فخاف بموته أن يضيع الدين، فطلب ولياً يقوم بالدين بعده؛ حكى هذا القول الزجاج، وعليه: فلم يسل من يرث ماله؛ لأن الأنبياء لا تورث. وهذا هو الصحيح» إلى أن قال: «سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده؛ وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب؛ هكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن». وينظر منهاج السنة، لابن تيمية: ٤/ ٢٢٢-٢٢٥.

ومما يدل على ذلك أن الله وهبه ولداً حصوراً لا يقرب النساء، قال الله تعالى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩]، فلو كان المقصود وراثة المال كان أعطاه ولداً يكون له عقب يصل إليهم [ميراثه المالي](١) لو كان يورث عنه المال.

ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ معناه: خوفهم على إرث ماله لكونه لا ولد له؛ لأنه عليه السلام لم يكن مولى وله [٢ب] عصبات وهم أسباط بني إسرائيل، فمن أين يتوهم وراثة المال للموالي؟ فبطل [القول](٢) بالتعلق بهاتين الآيتين في وراثة المال، وكذلك التعلق بهما أيضا في وراثة الخلافة كما ادعته الروندية(٣)، وهم طائفة زعموا أنه لا يجوز الخلافة إلا في ولد العباس بن عبد المطلب؛ ولعلهم قالوا ذلك تقرباً لبني العباس. على أن بني العباس لم يرتضوا بهذه المقالة ولا ادّعاها أحد منهم، والعباس رضي الله عنه(٤) كان حياً عندما مات النبي ﷺ ولا ادعى لنفسه شيئاً من

---

(١) في "ف": ميراث المال.

(٢) سقطت من بقية النسخ.

(٣) في "ك"، وفي "ط": الدويديه، وهو وهم. وفي "ف": الراوندية. والروندية: من فرقة الكيسانية من الشيعة، أتباع أبي هريرة الروندي، عبدالله بن الخرب الكنادي الكوفي الروندي، المتوفى سنة ٢٩٨هـ. ينظر المقالات والفرق للقمي: ص٦٤-٦٥، ٦٩، وفرق الشيعة للنوبختي: ص٣٣، ٤٧، ومقالات الإسلاميين للأشعري: ص٢١، مناقب الأئمة الأربعة للباقلاني: ص٣٩٣-٢٩٤، ٤٤٥، ٤٥٠-٤٥٨، والفصل لابن حزم: ٤/ ١٥٤، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي: ص٧٩، ومنهاج السنة لابن تيمية: ١/ ٥٠٠-٥٠٣، ٥٤٦.

(٤) أبو الفضل، العباس بن عبد المطلب بن هاشم، الصحابي عم النبي ﷺ وجد الخلفاء العباسيين، كانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وشهد حنيناً وفتح مكة، توفي رضي الله عنه =

ذلك، ولا من وراثة المال. ولو كان المال مما يورث عن النبي ﷺ [لجاد][(١)] له منه الربع والثمن، ولم ينقل قط أنه وقع منه كلام في شي من ذلك ولا توهمته نفسه[(*)].

وذهبت طائفة إلى أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد علي [بن أبي طالب][(٢)] رضي الله عنه. فهاتان الطائفتان حصرتها في بني هاشم.

*وذهبت طائفة إلا أنها لا تجوز إلا في ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أخي علي رضي الله عنه، ثم قصروها على عبد الله[(٣)] بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب[(٤)].

وقال بعض بني الحارث بن عبد المطلب [لا تجوز الخلافة][(٥)] إلا لبني عبد المطلب خاصة، ويراها في جميع ولد عبد المطلب، وهم أربعة فقط لم

سنة (٣٢هـ) عن (٨٦) سنة. ينظر الاستيعاب، لابن عبد البر: ص٤٠٥.

(١) في بقية النسخ: لكان.

(*) يقارن كلام المؤلف من بداية الرسالة إلى هذا الموضع بالفصل لابن حزم: ٤/ ١٥٥-١٥٦.

(٢) زيادة من "ف".

(٣) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، خرج بالكوفة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٢٧هـ، ثم قدم المدائن متغلباً عليها، وفي سنة (١٢٩هـ) هرب إلى خرسان، فسجنه أبو مسلم إلى أن مات مسجوناً سنة (١٣١هـ) وقيل: قتله أبو مسلم خنقاً. قال ابن حزم: «كان عبدالله هذا رديّ الدين معطلاً مستصحباً للدهرية». ينظر فرق الشيعة: ص٣٢-٣٦، والأعلام: ٤/ ١٣٩.

(٤) في "ف": عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وفي "ط": عبدالله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب، والتصويب من "ل" ومن "ك".

(٥) سقطت من "ك" ومن "ط".

يعقب [لعبد][(١)] المطلب غيرهم، وهم: العباس، والحارث[(٢)]، وأبو طالب[(٣)]، وأبو لهب[(٤)].

وذهب رجل من [أهل][(٥)] طبرية الأردن إلى أنه لا تجوز الخلافة إلا في بني أمية بن عبد شمس، وله في ذلك تأليف مجموع، ولعله عمل ذلك تقرّبًا إلى بني أمية[(*)].

وذكر ابن حزم[(٦)] أنه رأى كتاباً مؤلفاً لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه [بأن][(٧)] الخلافة لا تجوز إلا في ولد أبي بكر وعمر فقط[(٨)].

---

(١) في "ك": عبد.

(٢) الحارث عم النبي ﷺ، وأكبر أبناء عبد المطلب وبه كان يكنى، ساعد أباه في حفر بئر زمزم، مات في حياة أبيه، ومن أولاده وبناته من يعد في الصحابة، ينظر الروض الأنف: ١/ ٢٠٧، ٢٦٢.

(٣) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ، نشأ النبي في بيته، ووقف أبو طالب مدافعاً عن النبي ﷺ ومناصراً له، وما نالت قريش من الرسول ﷺ شيئاً يكرهه إلا بعد وفاه أبي طالب، مات قبل الهجرة، ولم يسلم. ينظر الأعلام: ٤/ ١٦٦.

(٤) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، كان شديد العداوة للنبي ﷺ، وللمسلمين، مات قبل غزوة بدر ولم يشهدها، وسُمي أبو لهب لحمرة في وجهه. ينظر الأعلام: ٤/ ١٢.

(٥) سقطت من "ف".

(*) يقارن ما بين النجمتين بالفصل لابن حزم: ٤/ ١٥٤.

(٦) علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ولد سنة (٣٨٤هـ)، انصرف لطلب العلم وترك ما كان عليه من الوزارة، تبع مذهب داود الظاهري، فنبذه علماء عصره، توفي سنة (٤٥٦هـ)، ينظر سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٨٤.

(٧) في جميع النسخ: لأن، وفي الفصل لابن حزم: بأن، وهو ما أثبته.

(٨) ينظر الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/ ١٥٤.

وهذه كلّها مقالات باطلة، * والصواب أنها لا تكون إلا في قريش ولا يختص بطائفة منهم لقوله ﷺ: **(الأئمة من قريش)**[١]، ولا تجوز في حليف لهم، ولا مولى، ولا [فيمن][٢] أبـوه غير قرشي وأمه قرشية، هذا مذهب أهل السنة، والشيعة، وجمهـور المرجئة،[٣] وبعض المعتزلة[٤].

وذهبت الخوارج[٥] كلها، وبعض المرجئة، وبعض المعتزلة إلى أنها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة، قرشياً كان أو عربياً أو عجمياً أو ابن زنجية بغية.

وقال ضرار بن عمرو الغطفاني[٦]: «إذا اجتمع قرشي وحبشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة فإنّ الواجب تقديم الحبشي؛ لأنه أسهل لخلعه إذا حاد

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أنس ابن مالك ﷺ: ١٩/ ٣١٨، رقم (١٢٣٠٧)، ٢٠/ ٢٤٩، رقم (١٢٩٠٠)، وصححه الأرنؤوط بمجموع طرقه. ومن حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ: ٣٣/ ٢١، رقم (١٩٧٧٧)، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) المرجئة قوم يؤخرون العمل عن النية والعقد. وهم على درجات، وغلاتهم يقولون: لا تضر مع مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. ينظر الملل والنحل: ١/ ١٣٩.

(٤) فرقة كلامية جمعت بدعاً عدة، منها: القول بخلق القرآن، وتعطيل الصفات، وأن العباد خالقون خالقون لأفعالهم، وأن الفاسق في منزلة بين منزلتين، وغيرها. ينظر الملل والنحل: ١/ ٤٣.

(٥) الخوارج: فرقة كان أول ظهورها في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تتشابه مع المعتزلة في أغلب عقائدها: فقالت بتكفير مرتكب الكبيرة، وبخلق القرآن، ونفي صفات الله تعالى، ينظر الملل والنحل: ١/ ١١٤.

(٦) ضرار بن عمرو الغطفاني، رأس الفرقة الضرارية: معتزلي جلد له مقالات خبيثة، وقاض من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده، فلم يدركها، فخالفهم، فكفروه وطردوه. توفي سنة (١٩٠هـ). ينظر لسان الميزان لابن حجر: ٤/ ٣٤١.

عن الطريقة»[١].

وهذه كلها مذاهب باطلة إلا القول [٣أ] بأنها في قريش كلها كما اقتضاه نص النبي ﷺ [*].

*واختلف القائلون باختصاصها بولد علي رضي الله عنه فطائفة قالوا: إن رسول الله ﷺ نصَّ على علي، وأن الصحابة رضي الله عنهم [بعد موته عليه السلام][٢] اتفقوا على ظلم علي رضي الله عنه، وكتمان ذلك النص وهؤلاء هم الروافض[٣].

وطائفة قالوا: لم ينص على علي؛ لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة، وهؤلاء هم الزيدية[٤]، نُسبوا إلى زيد بن علي بن

---

(١) ينظر الفصل لابن حزم: ٤/ ١٥٢.

(*) يقارن ما بين النجمتين بالفصل لابن حزم: ٤/ ١٥٢.

(٢) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٣) سموا بذلك لرفضهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل لرفضهم زيد بن علي رحمه الله لما تولى أبا بكر وعمر وقال بإمامتهم، ومن أسمائهم: الإمامية، قالوا إن الإمامة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي اثني عشر من عقبه، وأن الأئمة معصومون لا يجوز عليهم الغلط، وكفروا معظم الصحابة، وقالوا إن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي رضي الله عنه. وأكثرهم يزعم أن الله لا يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقالوا برجعة الأموات في الدنيا، وزعم بعضهم أن القرآن منقوص فيه، وبتفضيل علي بن أبي طالب على جميع الأنبياء. ينظر مقالات الإسلاميين: ١/ ١٦-٦٤، والبرهان في عقائد أهل الأديان: ص٦٥.

(٤) الزيدية، نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، قالوا بأفضلية علي بن أبي طالب على الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبأحقيته بالخلافة؛ ولكنهم لم يتبرأوا من الشيخين، وهم في مجمل اعتقاداتهم معتزلة، ومنهم غلاة رافضة وهم الجارودية، ينظر مقالات الإسلاميين: ١/ ٦٥-٧٥.

الحسين بن علي ﷺ[(١)].

ثم اختلف الزيدية: ففرقة [قالت][(٢)]: إن الصحابة ظلموه فكفروا.

وفرقة [قالت][(٣)]: لم يظلموه لكن طابت نفسه بتسليم حقه إلى أبي بكر وعمر [رضي الله عنهما][(٤)]، وأنهما إماما هدى.

ووقف بعضهم في عثمان ﷺ وتولاه بعضهم. وقيل: إنه قول الحسن بن صالح بن حي[(٥)]، وهو خطأ؛ لأن [هشام][(٦)] بن [الحكم][(٧)] عميد الرافضة الرافضة قال في كتابه المعروف بالميزان- وقد ذكر [الحسن][(٨)] بن حي- أن مذهبه كان أن الإمامة كانت في جميع ولد فهر بن مالك[(٩)]، وفهر بن مالك

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي ﷺ، إليه تنسب الزيدية. عاش: نيفا وأربعين سنة، وقتل في صفر سنة ١٢٢هـ رحمه الله، قال الذهبي: «خرج متأولاً، وقتل شهيدًا، وليته لم يخرج»، ينظر سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٨٩.

(٢) في بقية النسخ: قالوا. والمقصود بهذه الفرقة هي الجارودية، ينظر الفصل: ٤/ ١٥٧.

(٣) في بقية النسخ: قالوا.

(٤) في "ل"، وفي "ط": رضي الله عنهم.

(٥) الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري (١٠٠-١٩٩هـ)، ثقة فقيه عابد، رمي بالتشيع. ينظر مقالات الإسلاميين: ص٦٨-٦٩، وتقريب التهذيب: ص٢٣٩.

(٦) في "ك": الهشام.

(٧) في "ط": عبد الحكم، وهو خطأ. والتصويب من "ل"، ومن "ف"، ومن "ك". وهشام هو ابن ابن الحكم الكوفي الشيباني بالولاء، رافضي مشبه، شيخ الإمامية في عصره، توفي سنة (١٩٠هـ)، ينظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٤٤.

(٨) في "ط": ابن الحسن، وهو خطأ، والتصويب من "ل"، ومن "ف"، ومن "ك".

(٩) فهر بن مالك بن النضر، من كنانة، من عدنان: جد جاهلي، ممن يتصل بهم النسب النبوي، كان رئيس الناس بمكة، وهو جماع قريش في قول هشام. وكانت منازل بنيه حول مكة، قال ابن =

هو قريشي. وكل من قال [بأنه][(١)] من قريش قال هم [من][(٢)] ولد فهر بن مالك. وهشام بن الحكم أدرك الحسن بن حي، وشاهده، وكان جاره بالكوفة. فهو من أعرف الناس به وأعلم به ممن [نسب إليه][(٣)] غير ذلك.

قال ابن حزم[(٤)]: والحسن بن صالح رحمه الله يحتج في كثير من مسائله بمعاوية وبابن الزبير ﷺ[(٥)]. هذا مشهور عنه بروايات الثقات عنه، وجميع الزيدية لا يختلفون في أن الإمامة في جميع بني علي من خرج منهم يدعو إلى الكتاب والسنة وجب حمل السيف معه.

وقالت الروافض بانتقالها من علي إلى الحسن[(٦)]، ثم الحسين[(٧)]، ثم زين

=

حزم: لا قريش غيرهم، ولا يكون قرشي إلا منهم، وهم بطون كثيرة جدا. ينظر الأعلام للزركلي: ٥/ ١٥٧.

(١) في "ف"، وفي "ك": أنه.

(٢) زيادة من "ف".

(٣) في بقية النسخ: نسبه إلى.

(٤) في الفصل: ٤/ ١٥٧.

(٥) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ ونشبت بينه وبين بني أمية حروب انتهت بمقتله ﷺ في مكة سنة (٧٣هـ) وهو في عشر الثمانين. ينظر الاستيعاب لابن عبد البر: ص٤٥٢.

(٦) الحسن بن علي بن أبي طالب، الصحابي، حفيد النبي ﷺ وريحانته، وهو وأخوه الحسين، سيدا شباب أهل الجنة. ولد الحسن سنة ثلاث للهجرة، ولي الخلافة بعد أبيه ثم تنازل عنها لمعاوية حتى يصلح بين المسلمين، فتحققت فيه نبوة المصطفى، توفي ﷺ سنة (٥٠هـ)، وقيل غير ذلك. ينظر الاستيعاب: ص٢١٦.

(٧) الحسين بن علي بن أبي طالب، الصحابي، حفيد النبي ﷺ وريحانته الأخرى. ولد سنة خمس للهجرة، ومات ﷺ شهيداً في العاشر من محرم سنة (٦١هـ) بعد أن خذله أهل الكوفة. ينظر

=

العابدين(١)، ثم الباقر(٢)، ثم الصادق(٣)، وهذا مذهب جميع متكلميهم [هشام](٤) بن الحكم، وهشام الجواليقي(٥)، وداود الحواري(٦)، وداود الرقي، وعلي بن منصور(٧)، وعلي بن [ميثم](٨)، ومحمد بن جعفر المعروف

=

الاستيعاب لابن عبد البر: ص٢٢١.

(١) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٣٨-٩٤هـ)، كان مع أبيه الحسين يوم كربلاء، وكان مريضاً، فلم يقاتل، ولا تعرضوا له، كان رحمه الله ثقة، مأموناً. ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٦.

(٢) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٥٦-١١٤هـ) سيد، إمام، فقيه، وشهر أبو جعفر رحمه الله: بالباقر، من: بقر العلم، أي: شقه، فعرف أصله وخفيه، ينظر السير: ٤/ ٤٠١، ١٣/ ١٢٠.

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠-١٤٨هـ) الملقب عند الرافضة: بالصادق، شيخ بني هاشم، من أئمة العلم، كان رحمه الله يتبرأ من الرافضة ويمقتهم. ينظر السير: ٦/ ٢٥٥، ١٣/ ١٢٠.

(٤) في "ك": كهشام.

(٥) هشام بن سالم الجواليقي، شيخ الهشامية، وهو من متكلمي الشيعة القائلين بالتجسيم، والتشبيه. (ينظر، الملل والنحل: ١/ ١٨٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص٨٣).

(٦) داود الحواري، وفي بعض كتب الفرق: الجواربي، من متكلمي الرافضة ومن المشبهة، وإليه تنسب فرقة الحوارية من فرق المشبهة، ينظر التبصير في الدين للاسفرائيني: ص١٢٠، واعتقادات فرق المسلمين: ص٨٤.

(٧) داود الرقي، وعلي بن منصور، لم أجد لهما ترجمة.

(٨) لم تتضح لي قراءته في "ل"، أما في "ف"، وفي "ك"، وفي "ط" فهو: "سم"، وفي الفصل:٤/ ١٥٨، والفرق بين الفرق للبغدادي: ص٦٩: "هيثم". وما أثبته هو من مقالات الإسلاميين: ١/ ٥٤. وعلي بن ميثم ممن جمع بين الرفض والاعتزال، وهو علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم الأسدي الكوفي التمار، شيخ الشيعة في وقته ومتكلمهم، من أصحاب علي بن موسى الرضا، له مجالس مع هشام بن الحكم، توفي ما بين سنتي (٢١١-٢٢٠هـ) وقيل بعد ذلك. ينظر تاريخ الإسلام للذهبي: ٥/ ٤٠٨.، وهدية العارفين: ١/ ٦٦٩.

بشيطان الطاق[١]، وأبي علي [السكاك][٢] تلميذ هشام بن الحكم، وأبي مالك الحضرمي[٣] وغيرهم.

وبعد الصادق [قالت][٤] طائفة: إسماعيل[٥]، وقيل: محمد بن جعفر، وقيل: جعفر [حي][٦]، وقال جمهورهم: موسى بن جعفر[٧]، [ثم][٨] علي

(١) محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة الكوفي، من متكلمي الروافض، وإليه تنسب فرقة من فرق المعتزلة يقال لها (الشيطانية)، كان صيرفيا، له دكان في "طاق المحامل" من أسواق الكوفة، لقبه الناس "بشيطان الطاق" لأنهم شكوا في درهم فعرضوه عليه، فقال: ستوق (أي زائف) فقالوا: ما هو إلا شيطان الطاق! توفي سنة (١٦٠هـ) تقريباً. (ينظر التبصير في الدين، للاسفرائيني: ص٤٠-٤١، والأعلام للزركلي: (٦/ ٢٧١).

(٢) في "ف": المكالي، وفي "ط":البكال، وهو خطأ. والتصويب من "ل"، ومن "ك"، ومن الفصل: الفصل: ٤/ ١٥٨. وأبو علي السكاك، أو الصكاك تلميذ هشام بن الحكم، لم أجد له ترجمة وافية، ينظر السير: ١٠/ ٥٤٤.

(٣) لم أجد ترجمته.

(٤) سقطت من بقية النسخ.

(٥) إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب،: ومات شابا في حياة أبيه، أبيه، سنة ثمان وثلاثين ومائة للهجرة، وخلف: محمدا، وعليا، وفاطمة. ينظر سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٦٩.

(٦) في "ط": بن حي، وهو خطأ، والتصويب من "ل"، ومن "ف"، ومن "ك"، ومن الفصل: ٤/ ١٥٨.

(٧) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٢٨-١٨٣هـ) الملقب عند عند الرافضة: بالكاظم، قال أبو حاتم: "ثقة، صدوق، إمام من أئمة المسلمين" رحمه الله. ينظر السير: ٦/ ٢٧٠.

(٨) زيادة من بقية النسخ، ومن الفصل: ٤/ ١٥٨.

علي ابن موسى[(١)]، [ثم][(٢)] محمد بن علي بن موسى[(٣)]، [ثم علي بن محمد بن علي ابن موسى][(٤)] ثم الحسن بن محمد[(٥)]، ثم مات الحسن عن غير عقب. فقال جمهورهم: ولد له ولد أخفاه[(٦)]، وقيل: ولد بعد موته من جارية اسمها صقيل، وقيل: اسمها نرجس، وقيل: [اسمها][(٧)] سوسن وكان [٣ب] موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين بسر من رأى، ولم يثبت

(١) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٤٨-٢٠٣هـ)، الملقب عند الرافضة: بالرضى، له علم وبيان، ووقع في النفوس. صيره المأمون ولي عهده، فلم تطل أيامه، وتوفي رحمه الله. ينظر السير: ٩/ ٣٨٧.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٩٥-٢٢٠هـ) الملقب عند الرافضة: بالجواد، من سادة قومه، لم يبلغ رتبة آبائه في العلم والفقه. ينظر السير: ١٣/ ١٢١.

(٤) سقط من جميع النسخ، اسم الإمام العاشر عند الرافضة، وهو "علي بن محمد بن علي بن موسى" موسى" (٢١٢-٢٥٤هـ) الملقب عند الرافضة: بالهادي، وما أثبته هو من الفصل: ٤/ ١٥٨ لابن حزم.

(٥) الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (٢٣٢-٢٦٠هـ). الملقب عند الرافضة: بالعسكري ينظر الكامل في التاريخ: ص١٠٣٩.

(٦) اسمه في زعم الرافضة: محمد، وفي زعمهم أيضاً أنه الحجة صاحب الزمان، وأنه صاحب السرداب بسامراء، وأنه حي لا يموت حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت ظلما وجورا، قال الذهبي: «نعوذ بالله من زوال العقل، فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر، فمن الذي رآه؟ ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الذي نص لنا على عصمته، وأنه يعلم كل شيء؟ هذا هوس بين، إن سلطناه على العقول ضلت وتحيرت، بل جوزت كل باطل. أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال والكذب، أو رد الحق الصحيح كما هو ديدن الإمامية» ينظر سير أعلام النبلاء: ١٣/ ١٢٠-١٢٢.

(٧) سقطت من بقية النسخ.

له ولد بعد أن تعصب لكل من الجانبين قوم، وأخذ ميراثه أخوه جعفر[(١)].

والذين [قالوا إسماعيل][(٢)] قالوا: بعده إلى ابنه محمد[(٣)]، وأنه صاحب الزمان وإليه تنسب الإسماعيلية على ما [ذكر][(٤)] القاضي أبو بكر[(٥)].

وطائفة قالوا: إنها بعد الحسن بن علي [بن أبي طالب][(٦)] إلى أخيه محمد محمد بن الحنفية[(٧)].

---

(١) جعفر بن علي بن محمد، أخو الحسن العسكري، سليل النسب الشريف، اتهمته بعض فرق الرافضة بأشنع التهم؛ لأنه لم يوافقهم حيث قال: أخي مات وليس له ولد. فاتهموه، وطعنوا فيه، ولقبوه: بجعفر الكذاب؛ لأنه- بزعمهم- ادعى الإمامة بعد وفاة أخية الحسن، وهو لا يصلح لها؛ إذ أنه ظاهر المجانة والفسق، معلن للمعاصي، منتهك للمحرمات. قال ابن حجر عن هذه التهم: «لا أصل لها لأنهم لا يوثق بنقلهم». بينما ترى فرق أخرى من الرافضة أن الإمامة انتقلت إليه بعد وفاة الحسن العسكري. توفي جعفر في سامراء سنة (٢٧١هـ) وله خمس وأربعون سنة. ينظر المقالات والفرق: ص١٠٩-١١٦، ٢٥٠، ولسان الميزان لابن حجر: ٢/ ٤٦٠.

(٢) سقطت من "ك"، وفي "ف": إسمعيل.

(٣) محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (١٣١-١٩٨هـ)، تدعي فرقة المباركية من فرق الإسماعيلية أنه صاحب الزمان، وترى أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه، أو اختفائه، وأنه كان يكنى عنه "بالمكتوم" حذراً عليه من بطش العباسيين والمباركية نسبة إلى "المبارك" مولى إسماعيل بن جعفر، ومنها أخذت القرامطة القول بإمامة محمد بن إسماعيل. ينظر المقالات والفرق: ص٨٠-٨١، ٨٣، ١٠٣، والأعلام: ٦/ ٣٤

(٤) في "ك": ذكره.

(٥) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني، الفقيه المالكي، والمتكلم الأشعري، المتوفى سنة (٤٠٣هـ)، ينظر سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٩٠.

(٦) سقطت من "ف".

(٧) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب (١٣-٨١هـ) روى- رحمه الله- عن جماعة من الصحابة، الصحابة، وكانت الشيعة في زمانه تتغالى فيه، وتدعي إمامته، ولقبوه: بالمهدي، ويزعمون أنه لم =

ومن هذه الطائفة السيد الحميري[(١)]، وكثير عزة[(٢)]، وكانوا يقولون: إن ابن الحنفية حي بجبل رضوى. وهذه الطائفة أصلهم المختار بن أبي عبيد[(٣)]، وكل هذه تخاليط.

وقوله ﷺ لعلي: **(أنت مني بمنـزلة هارون من موسى)**[(٤)] يعني في القرابة والاستخلاف في تلك السفرة، وأما بعد الموت فالذي خلف موسى عليه السلام فتاه يوشع، كما أن النبي ﷺ خلفه صاحبه في الغار، كما صَاحَبَ موسى فتاه في طلب الخضر عليه السلام[(٥)]، فسفر موسى في طلب الخضر كسفر

=

يمت. ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ١١٠.

(١) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري (١٠٥-١٧٣هـ)، من فحول الشعراء؛ لكنه رافضي جلد، وكان يرى رأي الكيسانية في رجعة ابن الحنفية إلى الدنيا، وكان يقول بتناسخ الأرواح. قيل: إنه اجتمع بجعفر الصادق، فبين له ضلالته، فتاب. ينظر سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٥، والأعلام: ١/ ٣٢٢.

(٢) كثير عزة بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي، كان شيعياً، يقول بتناسخ الأرواح، ويؤمن بالرجعة، وعزة المنسوب إليها: امرأة كان متيماً بها، توفي سنة (١٠٧هـ) ينظر سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٥٢.

(٣) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي الكذاب، كان يزعم أن جبريل ينزل عليه بالوحي، وأخذ يدعو لمحمد بن الحنفية، ويسميه المهدي، قتل سنة (٦٧هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ٣/ ٥٣٨.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٧٠٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم (٦٢٢٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) اختلف في اسم الخضر عليه السلام، وفي اسم أبيه، وفي نسبه. كما اختلف في نبوته. أما القول بحياته فضعيف؛ يرده قول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وقول النبي ﷺ: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» [رواه البخاري: كتاب العلم، رقم١١٦]. ولم يأتِ في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه [ينظر فتح الباري:٦/ ٤٩٩-٥٠٢]. أما سبب تسميته بالخضر فقد روى البخاري (في كتاب
=

النبي ﷺ إلى المدينة.

وقد استخلف النبي ﷺ [على المدينة][(١)] في سفر آخر جماعة. وقد تأخر علي رضي الله عنه عن بيعة أبي بكر رضي الله عنهما ستة أشهر، وما أكرهه أبو بكر، ثم بايعه طائعاً مختاراً[(٢)]، ثم بايع عمر رضي الله عنه طائعاً مختاراً، وأنكحه ابنته من فاطمة[(٣)]، ثم قبل إدخاله في الشورى. فلو اعتقد في [عمر][(٤)] ضلالاً [أو][(٥)] كفراً ما فعل ذلك.

وهذا أمر أدى أبا كامل[(٦)] -وهو من أئمة الروافض- إلى تكفير علي رضي الله عنه؛ لأنه زعم أنه أعان الكفار على كفرهم، وأيدهم على كتمان الديانة، وعلى ستر ما لا يتم الدين إلا به. وهذه الطائفة مع قبحهم وجرأتهم

=

أحاديث الأنبياء، رقم٣٤٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

(١) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٢) لم يتأخر علي عن مبايعة أبي بكر رضي الله عنهما كما ذكر المؤلف، بل بايع رضي الله عنه مع العامة كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة: ٤/ ٣٨٨.

(٣) فاطمة بنت النبي ﷺ (١٨ق.هـ-١١هـ)، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد، تزوجها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. ينظر الاستيعاب: ص٩٠٩.

(٤) في "ل"، وفي "ك"، وفي "ط": غيره. والتصويب من "ف".

(٥) في "ف": و.

(٦) تنسب إليه فرقة الكاملية من فرق الشيعة، وهؤلاء كفروا الصحابة بتركهم بيعة علي، وكفروا علياً بتركه طلب الحق وإظهاره، ويقولون بالتناسخ، وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى على هذا المذهب، ينظر المقالات والفرق، للقمي: ص١٤، والفرق بين الفرق: ص٥٤.

جاهلون بحال علي رضي الله عنه، وكيف يظن به أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الأسد شجاعة(*).

فصل[١]

*قال هشام بن عمار[٢]: سمعت مالكاً يقول: من سب أبا بكر وعمر جُلد، ومن سب عائشة [رضي الله عنها][٣] قُتل؛ لأن الله تعالى يقول فيها: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور:١٧]، فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل، قال ابن حزم: هذا قول صحيح(*).

*قال محمد بن سهل[٤]: سمعت علي بن المديني[٥] يقول: دخلت على على أمير المؤمنين[٦] فقال لي: أتعرف حديثاً مسنداً فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم

(*) يقارن ما بين النجمتين بالفصل لابن حزم: ٤/ ١٥٦-١٦٢، والسيف المسلول للمصنف: ص٤١٧.

(١) سقطت من "ل"، ومن "ك"، ومن "ط".

(٢) هشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي، صدوق مقرئ، كبر فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح. مات سنة (٢٤٥هـ) وله اثنتان وتسعون سنة. ينظر تقريب التهذيب: ص١٠٢٢.

(٣) سقطت من "ف".

(*) ما بين النجمتين عبارة ابن حزم في المحلى: ١١/ ٤١٥، وينظر الفصل له أيضا: ٣/ ٣٠٠.

(٤) قال ابن حجر: «محمد بن سهل ما عرفته» الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٦٠٧.

(٥) علي بن عبدالله بن جعفر، أبو الحسن ابن المديني، بصري ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله. مات سنة (٢٣٤هـ) ينظر تقريب التهذيب: ص٦٩٩.

(٦) هو الخليفة العباسي عبدالله المأمون المتوفى سنة (٢١٨هـ) ينظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٦٠٧.

فيُقتل؟ قلت: نعم. فذكرت له حديث عبدالرزاق[١] [٤أ] عن معمر[٢] عن سماك بن الفضل[٣] عن عروة بن محمد[٤] عن رجل من بلقين، قال: كان رجل [سب][٥] النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: (**من يكفني عدواً لي**) فقال خالد بن الوليد[٦]: أنا، فبعثه إليه فقتله. فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مسنداً هو عن رجل. فقلت: يا أمير المؤمنين! بهذا يعرف هذا الرجل، وقد بايع النبي ﷺ [هو][٧] معروف. فأمر لي بألف دينار(*)[٨].

---

(١) عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، ثقة حافظ مصنف شهير، عمي في آخر عمره فتغير. مات عام (٢١١هـ) عن خمس وثمانين سنة. ينظر تقريب التهذيب: ص٦٠٧.

(٢) معمر بن راشد الأزدي، نزيل اليمن. ثقة ثبت فاضل، مات سنة (١٥٤هـ) وهو ابن ثمان وخمسين سنة. ينظر تقريب التهذيب: ص٩٦١.

(٣) سماك بن الفضل الخولاني اليماني ثقة. ينظر تقريب التهذيب: ص٤١٥.

(٤) عروة بن محمد بن عطية السعدي، عامل عمر بن عبدالعزيز على اليمن، مقبول. مات بعد سنة (١٢٠هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٦٧٥.

(٥) في بقية النسخ: شتم.

(٦) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، هاجر مسلمًا في صفر سنة ثمان، فشهد غزوة مؤتة، فسماه النبي ﷺ، سيف الله، وشهد الفتح وحنيناً، وحارب أهل الردة، وغزا العراق، وشهد حروب الشام. توفي ﷺ بحمص سنة (٢١هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١/ ٣٦٦.

(٧) في "ف"، وفي "ك": وهو.

(*) ما بين النجمتين عبارة ابن حزم في المحلى: ١١/ ٤١٣.

(٨) قال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٦٠٧): «رجل من بلقين: رجل صحابي لم يسم، ادّعى ابن حزم أن هذه اللفظة علم عليه سماه بها أهله، فقال: "صحابي معروف". ذكر ذلك في أواخر المحلى في باب من سب الله ورسوله، واعتمد على ما رواه من طريق محمد بن عبد الملك بن أيمن عن حبيب البخاري صاحب أبي ثور عن محمد بن سهل: سمعت علي بن المديني =

[قال](١) ابن حزم: هذا صحيح ندين به كفر من سب [الرسول](٢) ﷺ(٣).

قال ابن حزم: كل كفر شرك وكل شرك كفر، وهما اسمان شرعيان أوقعهما الله على معنى واحد ونقلهما [عن موضوعهما](٤) في اللغة [إلى كل](٥) من أنكر شيئًا من دين الإسلام يكون بإنكاره معانداً للرسول ﷺ بعد بلوغ النذارة [إليه](٦).

=

يقول- فذكر قصة له مع المأمون فيمن سب النبي ﷺ، وذكر فيها حديث رجل من بلقين- قال علي: "بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه وقد وفد على النبي ﷺ وبايعه". قلت: محمد بن سهل ما عرفته، وفي طبقته محمد بن سهل العطار: رماه الدارقطني بالوضع، وقال: ناقض ابن حزم فذكر في الجهاد حديث عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين قال: "قلت يا رسول الله! هل أحد أحق بشيء من المقيم من أحد؟ قال: لا..." الحديث. قال ابن حزم هذا عن رجل مجهول لا ندري أصدق في دعواه الصحبة أم لا».

(١) في "ف": وقال.

(٢) في "ف"، وفي المحلى (١١/ ٤١٣): النبي.

(٣) ينظر المحلى لابن حزم: ١١/ ٤١٣.

(٤) سقطت من "ف".

(٥) سقطت من "ف".

(٦) سقطت من "ك"، ومن "ط". أما كلام ابن حزم فينظر الفصل: ٣/ ٢٧٠-٢٧١. وقول ابن حزم: كل كفر شرك، وكل شرك كفر، وقصره لهما على من أنكر شيئاً من دين الإسلام، فيه نظر من جهتين: الأولى قوله أن كل كفر شرك، وهذا لا يسلم له؛ لأن الكفر أعم من الشرك فيدخل فيه المشرك، والملحد، والمرتد، والمكذب..، والثانية قوله إن الكفر والشرك لا يطلقان إلا على من أنكر شيئاً من دين الإسلام، وهذا غير صحيح فقد يكون العبد مقراً بالإسلام؛ لكنه وقع في الكفر إما جحوداً أو استكباراً أو تكذيباً ونحو ذلك، ينظر منهاج السنة لابن تيمية: ٥/ ٢٥١- ٢٥٢. والتكفير وضوابطه، أ. د. إبراهيم الرحيلي: ص٨٩-١٢٤.

فصل[١]

احتج المكفِّرون للشيعة والخوارج: بتكفيرهم لأعلام الصحابة ﷺ وتكذيب النبي ﷺ في قطعه لهم بالجنة[٢].

وهذا عندي احتجاج صحيح فيمن ثبت [عنه][٣] تكفير أولئك.

وأجاب الآمدي[٤] بأنه إنما يلزم أن لو كان المكفر يعلم بتزكية من كفره كفره قطعاً على الإطلاق إلى مماته [وليس كذلك[٥]. وفي هذا الجواب "نظر"[٦]؛ لأنا نحن نعلم بتزكية من كفره قطعاً على الإطلاق إلى مماته][٧]؛ مماته][٧]؛ [لقوله][٨] ﷺ: **(أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة)**[٩] إلى آخرهم، وإن كان هذا الخبر ليس متواتراً؛ لكنه مشهور

---

(١) سقطت من "ط".

(٢) ينظر أبكار الأفكار للآمدي: ٥/ ٩٩.

(٣) في "ف"، وفي "ك": عليه.

(٤) علي بن أبي علي بن محمد الآمدي (٥٥١-٦٣١هـ) أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فنسبوه إلى مذهب الفلاسفة، فخرج إلى "حماة" ومنها إلى دمشق فتوفي بها. ينظر سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٣٦٤.

(٥) ينظر أبكار الأفكار للآمدي: ٥/ ١٠٢.

(٦) كلمة غير واضحة في "ل"، ولعلها: نظر، ويشهد لهذا قول المؤلف بعد ذلك بأسطر: «فهو محل النظر الذي أشرنا إليه».

(٧) سقطت من بقية النسخ.

(٨) في بقية النسخ: بقوله.

(٩) رواه من حديث سعيد بن زيد ﷺ: الإمام أحمد في المسند: ٣/ ١٧٤، رقم (١٦٢٩)، وأبو داود: داود: كتاب السنة، رقم (٤٦٤٩)، والترمذي: كتاب المناقب، رقم (٣٧٤٨)، وابن ماجه: في =

مشهور مستفيض، وعضده إجماع الأمة على إمامتهم، وعلو قدرهم، وتواتر مناقبهم أعظم التواتر الذي يفيد تزكيتهم. فبذلك نقطع بتزكيتهم على الإطلاق إلى مماتهم لا يختلجنا شك في ذلك.

وأما اشتراط علم المكفر نفسه بذلك فهو محل النظر الذي أشرنا إليه. يحتمل أن يقال إنه لا بد منه [ليلزم منه][(١)] [تكذيبه][(٢)] الأخبار بأنهم في الجنة، وهذا هو الذي بنى عليه الأصوليون، وهو عمدة القول في التكفير.

لكن عندي في هذه المسألة الخاصة شيء آخر، وهو قوله ﷺ الثابت عنه في صحيح مسلم: **(من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما)**[(٣)]، **(ومن رمى رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)**[(٤)]. فهؤلاء الذين [نتحقق][(٥)] منهم أنهم يرمون أبا بكر [بالكفر][(٦)]، أو أنه عدو

=

المقدمة، رقم (١٣٣). ورواه من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ: الإمام أحمد في المسند: ٣/ ٢٠٩، رقم (١٦٧٥)، والترمذي: كتاب المناقب، رقم (٣٧٤٧) والحديثان فيهما ذكر لبقية العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد صححهما الألباني في المواضع نفسها من كتب السنن، وصححهما الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(١) سقطت من بقية النسخ.

(٢) في "ف": لتكذيبه.

(٣) رواه البخاري: كتاب الأدب، رقم (٦١٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢١٦)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري: كتاب المناقب، رقم (٣٥٠٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢١٧)، من حديث أبي ذر ﷺ.

(٥) في "ك": يتحقق.

(٦) في "ك": في الكفر.

الله: كفار [٤ب] بمقتضى هذا الحديث، وإن كان تكفيرهم أبا بكر وحده لم يلزم منه تكذيبهم في أنفسهم للشارع؛ [ولكنا](١) نحن نحكم عليهم بالكفر بمقتضى إخبار [الشارع](٢)، [وهذا يشبه](٣) ما قاله الأصحاب من المتكلمين لما فسروا الكفر بأنه الجحود(٤). وكفروا بأشياء ليس فيها جحود كالسجود للصنم ونحوه، وأجابوا بقيام الإجماع [بالحكم](٥) على فاعل ذلك بالكفر، [وكذلك](٦) أقول هنا: هذا الحديث الصحيح الذي ذكرته قائم على الحكم [على](٧) مكفر هؤلاء المؤمنين بالكفر وإن كان المكفر معتقدا كاعتقاد الساجد للصنم أو ملقي المصحف في القاذورات ونحوه [لا](٨) ينجيه اعتقاده للإسلام [من الحكم](٩) بكفره. فالجواب الذي ذكره ذكره الآمدي وغيره هم معذورون فيه؛ لأنهم نظروا إلى حقيقة الكفر

---

(١) في "ط": ولكن.

(٢) في "ف": الشرع.

(٣) في "ك"، وفي "ط": وهذه تشبه.

(٤) ينظر مفاتيح الغيب للرازي: ١٨/ ١٤، وشرح المقاصد، للتفتازاني: ٥/ ٢٢٤، وتعقب ابنُ حجر حجر الهيتمي (في الصواعق المحرقة: ١/ ١٣٢) السبكي في قصره الكفر على الجحود، فقال: «التكفير حكم شرعي سببه جحد ذلك، أو قول أو فعل حَكَم الشارع بأنه كفر، وإن لم يكن جحداً»، وينظر منهاج السنة لابن تيمية: ٥/ ٢٥١-٢٥٢. وينظر بقية أنوع الكفر في كتاب "التكفير وضوابطه" أ. د. إبراهيم الرحيلي: ص٨٩-١٢٤.

(٥) في "ل"، وفي "ك"، وفي "ط": على الحكم.

(٦) في "ك": فلذلك، وفي "ط": فكذلك.

(٧) سقطت من "ك".

(٨) في "ك": ولا.

(٩) في "ل": ويحكم.

والتكذيب وأنه لم يوجد في المكفر، وفاتهم هذا الحديث الذي استدللت أنا به والمأخذ الذي أبديته والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

واعلم أن سبب [استخراجي لهذا الاستدلال واقعة هي سبب][(١)] كتابتي [لهذه][(٢)] [الكراسة وهي][(٣)] [أني][(٤)] كنت بالجامع الأموي ظهر يوم يوم الاثنين سادس عشر [جماد الأول][(٥)] سنة خمس وخمسين [وسبعمائة][(٦)]، [وسبعمائة][(٦)]، فأحضر إلي شخص شق [بين][(٧)] صفوف المسلمين في الجامع، وهم يصلون الظهر ولم يصل، وهو يقول: لعن الله من ظلم آل محمد [وهو][(٨)] يكرر ذلك، فسألته: من هو؟ فقال: أبو بكر. قلت: أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، ويزيد[(٩)]، ومعاوية[(١٠)]. فأمرت

---

(١) سقطت من بقية النسخ.

(٢) في بقية النسخ: لهذا.

(٣) سقطت من من بقية النسخ.

(٤) في بقية النسخ: أنني.

(٥) في "ف"، وفي "ك": جمادى الأولى، وفي "ط": جماد الأولى.

(٦) في "ل": سبع مائة.

(٧) سقطت من بقية النسخ.

(٨) سقطت من "ف"، ومن "ك".

(٩) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية القرشي له على هناته حسنة، وهي غزو القسطنطينية، بويع له بعد أبيه، فكانت دولته أقل من أربع سنين؛ قال الذهبي: «ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شر منه» . ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٦.

(١٠) أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية أبو عبد الرحمن الصحابي القرشي، أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، ولكن ما أظهر إسلامه إلا يوم الفتح. كان يكتب الوحي لرسول =

بسجنه، وجعل غل في عنقه، ثم أخذه القاضي المالكي فضربه، وهو مصر على ذلك وزاد، فقال: إن [أبا بكر](١) عدو الله. [وشهد](٢) عندي عليه بذلك شاهدان. وقال: إنه مات على غير الحق، وإنه ظلم فاطمة ميراثها، وإنه- يعني- أبا بكر كذب النبي ﷺ في منعه ميراثها. وكرر عليه [المالكي الضرب](٣) يوم الاثنين المذكور، ويوم الأربعاء ثامن عشر الشهر المذكور، وهو مصر على ذلك، ثم [أحضروه](٤) يوم الخميس تاسع عشر الشهر [المذكور](٥) بدار العدل وشهد عليه في وجهه فلم ينكر، ولم [يقر](٦)؛ ولكن صار كلما سئل يقول: إن كنت قلت فقد علم الله تعالى، وكرر السؤال عليه مرات وهو [يكرر](٧) هذا الجواب، ثم أعذر إليه فلم يبد دافعاً، ثم قيل له: تب. فقال: تبت عن ذنوبي [٥أ] وكرر عليه الاستتابة وهو لا يزيد في الجواب على ذلك.

[وجرى](٨) البحث في [ذلك](٩) المجلس [في](١) كفره وفي قبول توبته

=

الله ﷺ، واشتهر رضي الله عنه بحلمه، توفي سنة (٦٠هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٦.

(١) في "ف" وفي "ط": فلاناً، وفي "ك": فلان.

(٢) في "ك": شهد.

(٣) في "ل": الضرب المالكي.

(٤) في "ل"، وفي "ف": أحضره.

(٥) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٦) في "ف": يعرف. وفي "ك"، وفي "ط": يقل.

(٧) في بقية النسخ: يقول.

(٨) سقطت من "ك"، ومن "ط". وفي "ف": فكان.

(٩) سقطت من بقية النسخ.

[ببعض ما][2] تضمنته هذه الكراسة فحكم [نائب][3] القاضي المالكي بقتله فقتل.

وسهل عندي قتله ما ذكرته من هذا الاستدلال، فهو الذي انشرح [صدري][4] لكفره بسبه، ولقتله بعدم توبته. وهو منزع لم أجد غيري سبقني إليه إلا ما سيأتي في كلام الشيخ محي الدين النووي[5] رحمه الله في الوجه الثالث من الكلام على هذا الحديث، ونقله عن مالك أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وإن كان النووي قال إنه ضعيف، وأن الصحيح أن الخوارج لا يكفرون[6]؛ لكني أنا لا أوافق النووي على ذلك؛ بل من ثبت عليه منهم أنه يكفِّر من شهد له النبي ﷺ بالجنة [من العشرة وغيرهم فهو كافر][7]، ولا يلزمني طرد ذلك فيمن لم يشهد له النبي ﷺ من

=

(١) في "ف": على.

(٢) في "ف": بما.

(٣) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٤) سقطت من "ك".

(٥) يحيى بن شرف بن حسن النووي الشافعي (٦٣١-٦٧٦هـ) ، ولد في نوى من قرى حوران بسوريا، وبها توفي، وله (٤٥) سنة، وصنف الكتب المختلفة والتي تدل على اجتهاده وتبحره. ينظر الأعلام: ٨/ ١٤٩.

(٦) ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: ص١٣٥، وينظر الإعلام بقواطع الإسلام للهيتمي: ص٢٧٦.

(٧) في "ل" وفي "ف"، وفي "ك": "فهو كافر من العشرة وغيرهم" وهو تقديم وتأخير يضر بالمعنى، والتصحيح من "ط".

أعلام [الأمة][(١)]، الذين قام الإجماع على إمامتهم كعمر ابن عبدالعزيز[(٢)]، والشافعي، ومالك، وأضرابهم؛ وإن كان القلب يميل إلى إلحاقهم [بهم][(٣)] لاشك عندنا في إيمانهم، فمن كفرهم رجع عليه [تكفيره][(٤)]؛ لكن [بحمد][(٥)] الله لم نعلم أحداً كفرهم، وإنما ذكرناهم على سبيل المثال للحاجة إلى بيان الحكم، [وهم][(٦)] أجل في أعيننا وأوقر عندنا من [ذكرهم][(٧)] إلا على [سبيل][(٨)] التعظيم، والصحابة أعظم منهم، والمشهود لهم بالجنة منهم أعظم وأعظم [وأعظم][(٩)]، ولا أستبعد أن أقول [إن][(١٠)] الطعن في هؤلاء طعن في الدين- أعني الشافعي ومالكاً وأضرابهما، فضلاً عن الصحابة ﷺ- فهؤلاء إجماع الناس عليهم يلحقهم بمن ورد الحديث فيهم.

---

(١) في "ف": الأئمة.

(٢) أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، أشج بني أمية، كان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين توفي رحمه الله سنة (١٠١هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ٥/ ١١٤.

(٣) في "ل": به.

(٤) في "ط": تكفيرهم.

(٥) في "ط": نحمد.

(٦) في "ك"، وفي "ط": وهو.

(٧) في "ك"، وفي "ط": كفرهم.

(٨) سقطت من "ف".

(٩) سقطت من "ك".

(١٠) سقطت من "ك"، ومن "ط".

وأما سائر المؤمنين ممن [حكم][(١)] لهم بالإيمان فلا يلزمني تكفير من يرمي واحداً منهم بالكفر؛ لعدم القطع بإيمانه الباطن الذي أشير إليه [في الحديث][(٢)] بقوله: (**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**)[(٣)]، [فإنما يقطع][(٤)] بكونه ليس كما قال فيمن شهد له النبي ﷺ ومن أجمع [عليه المسلمون][(٥)]، فهذا هو المأخذ الذي ظهر لي في قتل هذا الرافضي، وإن كنت لم أتقلده لا فتوى ولا حكماً، وضممت إليه [أيضاً][(٦)] قوله ﷺ: (**ولعن المؤمن كقتله**)[(٧)] مع تحققنا إيمان أبي بكر رضي الله عنه. وإن كان اللعن لا يوجب قصاصاً؛ لكن القتل أعم من القصاص؛ لكن هذا لا ينهض في الحجة كالحديث [٥ب] الأول وسنتكلم عن معنى التشبيه فيه.

وانضم إلى احتجاجي بالحديث المتقدم مجموع [الصورة][(٨)] الحاصلة من هذا الرافضي من إظهاره ذلك في ملأ من الناس، ومجاهرته وإصراره عليه. ونعلم أن النبي ﷺ لو كان حياً لآذاه ذلك، وما فيه من إعلاء البدعة وأهلها، [وغمص][(٩)] السنة وأهلها، وهذا المجموع في غاية البشاعة.

---

(١) في "ف"، وفي "ك": يحكم.

(٢) في "ك"، وفي "ط": بالحديث.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في "ف"، وفي "ك": وإنما يقطع". وفي ط": وإنما نقطع.

(٥) في "ف": المسلمون عليه.

(٦) سقطت من "ل"، ومن "ط".

(٧) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٣٠٣) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٨) سقطت من "ف".

(٩) في "ف"، وفي "ك": غمض.

وقد يحصل [بمجموع][(١)] أمور حكم لا يحصل لكل واحد [منها][(٢)]، وهذا معنى قول مالك: "تحدث للناس أحكام بقدر ما يحدث لهم من الفجور"[(٣)]. فلا نقول إن الأحكام تتغير بتغير الزمان، بل باختلاف باختلاف [الصورة][(٤)] الحادثة، فإذا حدثت صورة على صفة خاصة علينا أن ننظر فيها، فقد يكون مجموعها يقتضي الشرع له حكما [خاصاً][(٥)]، ومجموع هذه الصورة يشهد له قوله تعالى: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾. [التوبة:١٢]، فهذا [نهاية][(٦)] ما انشرح صدري له بقتل هذا الرجل.

وأما السبُّ وحده ففيه ما قدمته وما سأذكره، وإيذاء النبي ﷺ أمر عظيم؛ إلا أنه ينبغي ضابط فيه، فإنه قد يقال: [إن][(٧)] فعل المعاصي كلها [يؤذي][(٨)] النبي ﷺ، وقد قال ﷺ: **(إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها)**[(٩)].

وأيضا فلو سبَّ واحدٌ من الأعراب الصحابة الذين أسلموا بعد الفتح

(١) في "ك": لمجموع.

(٢) في "ط": منهما.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في "ل": الصور.

(٥) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٦) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٧) في "ك": إنه.

(٨) في "ل": تؤذي.

(٩) رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٧١٤)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم (٦٣٠٧)، من حديث المسور بن مخرمة ﷺ.

لأمر خاص دنيوي بينه وبينه، يبعد دخوله في ذلك.

فليس كل [سب][(١)] لأي صحابي كان أذىً [للنبي][(٢)] ﷺ، ولم أجد في في كلام أحد من العلماء أن سب الصحابي يوجب القتل؛ إلا ما حكيناه من إطلاق الكفر من بعض أصحابنا، وأصحاب أبي حنيفة، ولم يصرحوا بالقتل، ومما حكي عن بعض الكوفيين وغيرهم في القتل على خلاف ما قاله ابن المنذر[(٣)] وإلا ما يقوله بعض الحنابلة [رواية][(٤)] عن أحمد. وعندي أنهم أنهم غلطوا [عليه فيها][(٥)] لأنهم أخذوها من قوله: «شتم عثمان زندقة»[(٦)]. زندقة»[(٦)].

وعندي أنه لم يرد بذلك كفر الشاتم [بشتمه][(٧)] لعثمان، ولو كان كذلك لم [يقل][(٨)] زندقة؛ لأنه [أظهره ولم يبطنه][(٩)]، وإنما أراد

---

(١) في بقية النسخ: من سب.

(٢) في "ك"، وفي "ط": النبي.

(٣) الإمام الحافظ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة، وعداده في الفقهاء الشافعية، إلا أن له اختيارًا فلا يتقيد في الاختيار بمذهب بعينه، بل يدور مع ظهور الدليل، توفي رحمه الله سنة (٣١٩هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤٩٠، وينظر قول ابن المنذر في كتابه الإشراف على مذاهب العلماء: ٨/ ٦٠-٦١.

(٤) في "ل": برواية.

(٥) في "ف": فيه.

(٦) السنة، للخلال: ٣/ ٤٩٣، رقم (٧٨١).

(٧) في "ل": بياض بمقدار كلمة، وفي "ف": لشتمه عثمان، وما أثبته من "ك"، ومن "ط".

(٨) في "ف": يكن.

(٩) في "ف": أظهرها ولم يبطنها.

أراد أحمد ما روي عنه في موضع آخر أنه قال: «من طعن في خلافة عثمان فقد طعن في المهاجرين والأنصار»(١)، يعني أنّ عبد الرحمن ابن عوف(٢) أقام ثلاثة أيام [٦أ] [ليلا ونهارا](٣) [يطوف على المهاجرين والأنصار](٤)، ويخلو بكل واحد منهم [رجالهم ونسائهم](٥)، ويستشيره فيمن يكون خليفة، حتى أجمعوا على عثمان عثمان فحينئذ [بايعه](٦).

فمعنى قول أحمد أنه من شتم [عثمان](٧) فظاهر [قوله](٨) شتم لعثمان وباطنه تخطئة لجميع [الصحابة](٩) المهاجرين والأنصار، وتخطئتهم جميعهم كفر؛ فيكون زندقة بهذا الاعتبار، فلا يؤخذ منه أن شتم أبي بكر وعمر كفر، هذا لم ينقل عن أحمد أصلاً [ولا تقدم](١٠).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري، أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام، وأحد السابقين البدريين، وأحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى، توفي ﷺ سنة (٣٢هـ). ينظر سير أعلام النبلاء:١/ ٦٨.

(٣) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٤) سقطت من "ف".

(٥) زيادة من بقية النسخ.

(٦) في "ط": تابعه.

(٧) سقطت من بقية النسخ.

(٨) سقطت من "ك".

(٩) سقطت من بقية النسخ.

(١٠) في "ك"، وفي "ط": ولا نقل. وسقطت من "ف".

[ولا نقول أيضاً][(١)]: إن أحمد بهذا يقدم على قتل ساب عثمان، فالذي خرج عن أحمد من أصحابه رواية في ساب أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، لم يصنع شيئاً، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقد ذكرت في كتابي المسمى "بالسيف المسلول"[(٢)] أن الضابط إنما قصد به أذى النبي ﷺ فهو موجب للقتل؛ [كعبد الله بن أبي[(٣)]][(٤)]. وما لم يقصد به أذى النبي ﷺ لا يوجب القتل؛ كمسطح[(٥)] وحمنة[(٦)].

فصل[(٧)]

---

(١) في "ل"، وفي "ك"، وفي "ط": أيضا نقول. والتصويب من "ف".

(٢) ينظر السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ، للمؤلف: ص١٣٥.

(٣) عبدالله بن أبي بن مالك الأنصاري، وسلول الخزاعية: هي والدة أبي المذكور، عزم أهل المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ على أن يملكوه عليهم، فانحل أمره، ولا حصل دنيا ولا آخرة. مات سنة تسع للهجرة، فألبسه النبي ﷺ قميصه، وصلى عليه، واستغفر له إكراماً لولده. ينظر سير أعلام النبلاء: ١/ ٣٢٢.

(٤) سقطت من "ف".

(٥) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، المهاجري، البدري، المذكور في قصة قصة الإفك. عاش ستا وخمسين سنة وتوفي سنة أربع وثلاثين، ﷺ. ينظر سير أعلام النبلاء: ١/ ١٨٨.

(٦) حمنة بنت جحش الأسدية، أخت أم المؤمنين زينب زوج النبي ﷺ. كانت زوج مُصعب بن عُمَير، فقتل عنها يوم أُحُد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، وهي المذكورة في قصة الإفك، كانت من المبايعات وشهدت أحداً فكانت تسقي العطشى، وتحمل الجرحى وتداويهم رضي الله عنها. ينظر الاستيعاب: ص٨٧٢.

(٧) سقطت من "ط".

[أما سب النبي ﷺ][(١)] فالإجماع منعقد على أنه كفر، والاستهزاء به كفر، قال الله تعالى: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] [بل][(٢)] [ولو][(٣)] لم تستهزؤوا.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام[(٤)] فيمن حفظ [شطر بيت][(٥)] مما هُجي به النبي ﷺ فهو كفر[(٦)].

وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع: إجماع المسلمين على تحريم [رواية][(٧)] ما هُجي به النبي ﷺ، وكتابته، وقراءته، وتركه متى وجد دون محوه.

فصل[(٨)]

قال ابن المنذر: «لا أعلم أحداً يوجب القتل لمن سب من بعد

---

(١) سقطت من "ف".

(٢) زيادة من بقية النسخ.

(٣) في "ف"، وفي "ك"، وفي "ط": لو.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله (١٥٧-٢٢٤هـ)، الإمام الحافظ، جمع بين النحو والحديث والحديث والقراءات وغيرها، ولي قضاء طرطوس، مات بمكة وله (٦٧) عاماً رحمه الله. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٩١.

(٥) في "ف": بيتٌ شطر.

(٦) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام: ١/ ٣٦.

(٧) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٨) سقطت من "ط".

النبي ﷺ»[١].

فصل[٢]

[روى][٣] الترمذي[٤] رحمه الله في جامعه كما قرأته على الشيخ أبي بكر عبد الله بن علي الصنهاجي[٥]، قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد القسطلاني[٦]، القسطلاني[٦]، [أخبرنا][٧] أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن البناء[٨]، [أخبرنا][٩] عبد الملك الكروخي[١٠]، [أنا][١] أبو عامر محمود

(١) الإشراف على مذاهب العلماء، لابن المنذر: ٨/ ٦١.

(٢) سقطت من "ط".

(٣) في "ل": رواه.

(٤) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢١٠-٢٧٩هـ) ، صاحب السنن وعلل الحديث وغيرها، رحل في طلب العلم، وسمع من الكثير، أضر في آخر عمره ، توفي رحمه الله بترمذ. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٢٧١.

(٥) عبد الله بن علي بن عمر، نجم الدين أبو بكر الصنهاجي الشافعي الصوفي (٦٥٨-٧٢٤هـ)، الشيخ الصالح المحدث، حدث بالكثير، ومن جملة ما حدث به الكتب الستة. توفي بقرافة مصر الصغرى، ودفن بها. أعيان العصر للصفدي: ٢/ ٧٠٧.

(٦) محمد بن أحمد القسطلاني، شيخ دار الحديث الكاملية، مات سنة (٦٨٦هـ)، ينظر طبقات المفسرين، للداوودي: ٢/ ٢٢٠ الحاشية.

(٧) في "ف": ثنا، وفي "ك"، وفي "ط": أنا.

(٨) علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك بن أبي السيد بن محمد، الخلال ابن البناء. راوي جامع الترمذي عن عبد الملك الكروخي، حدث بجامع الترمذي بمكة، والإسكندرية، ومصر، ودمياط، وقوص. مات بمكة، سنة (٦٢٢هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٤٩.

(٩) في "ف": ثنا، وفي "ك"، وفي "ط": أنا.

(١٠) عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل بن أبي القاسم بن أبي منصور، أبو الفتح الكروخي (٤٦٢-٥٤٨هـ)، الإمام الثقة. ولد بهراة، وقدم بغداد سنة (٥٠٩هـ) وأقام بها مدة في تجارة، وحدث =

بن القاسم الأزدي(٢)، وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي(٣)، [أنا](٤) أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي(٥)، أنا أبو العباس محمد بن أحمد [المحبوبي](٦)، [أنا](٧) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله تعالى، قال: فيمن يسب أصحاب النبي ﷺ، حدثنا محمود بن [غيلان(٨)](٩)، ثنا أبو داود(١)، ثنا شعبة(٢)، [٦ب] عن

=

بها، وتوفي بمكة، كان فيه تصوف. ينظر سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٢٧٤.

(١) في "ف": ثنا.

(٢) الإمام المسند القاضي محمود بن القاسم بن محمد بن محمد الزاهد الأزدي الهروي الشافعي (٤٠٠-٤٨٧هـ)، من أولاد المهلب بن أبي صُفرة، راوي سنن الترمذي. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٣.

(٣) أبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي، الشيخ الجليل الثقة، راوي سنن الترمذي، توفي بهراة سنة (٤٨١هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٧.

(٤) في "ف": ثنا.

(٥) عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراحي المروزي (٣٣١-٤١٢هـ) الشيخ الصالح الثقة، ولد بمرو، وقدم هراة سنة (٤٤٩هـ)؛ فحدث بها بجامع الترمذي، فحمل الكتاب عنه خلق. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٥٨.

(٦) في "ط": المحيوي، وهو تصحيف، والتصويب من "ل" ومن "ك". والمحبوبي هو: الإمام المحدث، محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبي، المروزي، راوي جامع الترمذي عنه. كانت رحلته إلى ترمذ للقي أبي عيسى في سنة (٢٦٥هـ)، وهو ابن (١٦) سنة، وسماعه صحيح ومضبوط. توفي سنة (٣٤٦هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٥٣٧.

(٧) في "ف": ثنا.

(٨) محمود بن غيلان العدوي مولاهم أبو أحمد المروزي، نزيل بغداد. ثقة، مات سنة (٢٣٩هـ) وقيل بعد ذلك. ينظر تقريب التهذيب: ص٩٢٥.

(٩) في "ط": عيلان.

الأعمش[٣] قال: سمعت ذكوان [أبا][٤] صالح[٥]، عن أبي سعيد الخدري[٦] قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)**. قال الترمذي: هذا حديث [حسن][٧] صحيح[٨].

وبالإسناد إلى الترمذي [ثنا][٩] الحسن بن علي[١٠] ثنا أبو معاوية[١] عن

=

(١) سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي البصري، ثقة حافظ، غلط في أحاديث، مات سنة (٢٠٤هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٤٠٦.

(٢) شعبة ابن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم أبو بسطام البصري. ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: "هو أمير المؤمنين في الحديث". وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنة، وكان عابداً، مات سنة (١٦٠هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٤٣٦.

(٣) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الأعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع؛ لكنه يدلس مات سنة (١٤٧هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٤١٤.

(٤) في "ط" : أنا، وهو تصحيف.

(٥) ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، ثقة ثبت وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، مات سنة (١٠١هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٣١٣.

(٦) سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، مشهور بكنيته، من سادات الأنصار، استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، مات بالمدينة سنة (٧٤هـ) ودفن ؓ بالبقيع. ينظر الاستيعاب: ص٣١٥.

(٧) سقطت من "ف".

(٨) سنن الترمذي، كتاب المناقب، رقم (٣٨٦١) وصححه الألباني. قال الترمذي في الموضع نفسه: «ومعنى قوله: نصيفه؛ يعني نصف المد».

(٩) في "ف" وفي "ط": أنبا.

(١٠) الحسن بن علي بن محمد الهذلي أبو علي الخلال الحلواني بضم المهملة نزيل مكة ثقة حافظ، مات سنة (٢٤٢هـ). تقريب التهذيب: ص٢٤٠.

عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نحوه.

وبه إلى الترمذي [ثنا محمد بن يحيى(٢)](٣) ثنا يعقوب بن إبراهيم بن [سعد(٤)](٥).

ثنا عبيدة بن أبي رائطة(٦) عن عبد الرحمن بن زياد(٧) عن عبد الله بن مغفل(٨) قال: قال رسول الله ﷺ: **(الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه).**

=

(١) محمد بن خازم، أبو معاوية الضرير الكوفي، عمي وهو صغير، ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في حديث غيره، وقد رمي بالإرجاء. مات سنة (١٩٥هـ) وله (٨٢) سنة. ينظر تقريب التهذيب: ص٨٤٠.

(٢) محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري [الزهري] ثقة حافظ جليل من الحادية عشرة مات سنة (٢٥٨هـ) على الصحيح، وله (٨٦) سنة. تقريب التهذيب: ص٩٠٧.

(٣) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٤) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، أبو يوسف المدني، نزيل بغداد، ثقة فاضل، مات سنة (٢٠٨هـ). تقريب التهذيب: ص١٠٨٧.

(٥) في "ف": سعيد، وهو تصحيف.

(٦) عَبيدة ابن أبي رائطة المجاشعي الكوفي الحذاء، صدوق. تقريب التهذيب: ص٦٥٤.

(٧) عبدالرحمن بن زياد. وقيل: عبدالله بن عبدالرحمن، أو العكس، وقيل: عبدالملك. مقبول. تقريب التهذيب: ص٥٧٨.

(٨) عبدالله بن مغفل بن عبد غنم المزني، الصحابي، من النقباء، وأصحاب الشجرة، سكن ﵁ البصرة، وتوفي بها سنة (٦٠هـ). ينظر الاستيعاب: ص٤٨٧.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه(١).

قلت: وقد رواه عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد: محمد بن سعد العوفي(٢)، كما رواه محمد بن يحيى الذهلي. وعبد الرحمن بن زياد، [ذكره](٣) [ذكره](٣) ابن حبان في الثقات(٤). [وعبيدة بن أبي رائطة بفتح العين، وثقه ابن معين(٥) وذكره ابن حبان في الثقات(٦)](٧). فرواة الحديث المذكور كلهم كلهم ثقات فيحسن الاحتجاج به.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، رقم (٣٨٦٢) وضعفه الألباني في الموضع نفسه، وأخرجه الإمام أحمد: ٢٧/ ٢٥٧، رقم (١٦٨٠٣)، وضعفه الأرنؤوط في تعليقه على المسند. وغرضًا، أي: هَدفاً لسِهام مَلامهم وأقوالهم. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ص٨٥٥.

(٢) أخرجه عن طريق "محمد بن سعد العوفي": المزي في "تهذيب الكمال":١٧/ ١١٢، وابن عساكر عساكر في "معجم الشيوخ": ١/ ٤٦. ومحمد بن سعد العوفي كان لين الحديث، وقال الدارقطني: "لا بأس به". توفي سنة (٢٧٦هـ) ينظر لسان الميزان: ٧/ ١٥٠.

(٣) في "ل": بياض بمقدار كلمة، والتصويب من بقية النسخ.

(٤) قال ابن حبان: «عبد الله بن عبد الرحمن الرومي: عداده في البصريين، يروى عن عبد الله بن مغفل، وابن عمر، وأبي هريرة. روى عنه: حماد بن زيد. مات قبل أيوب السختياني، وقد روى عنه عبيده بن أبي رائطة» الثقات لابن حبان: ٥/ ١٧، رقم (٣٦١٥)، وينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: ٦/ ٤٤٣، رقم (٢٩٠١).

(٥) يحيى بن معين ابن عون الغطفاني، مولاهم أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل. مات سنة (٢٣٣هـ) بالمدينة النبوية وله بضع وسبعون سنة. تقريب التهذيب: ص١٠٦٧.

(٦) قال ابن حبان: «عبيدة بن أبى رائطة: من أهل الكوفة قدم البصرة وحدثهم بها يروى عن الكوفيين وعاصم بن بهدلة، روى عنه إبراهيم بن سعد» الثقات لابن حبان: ٧/ ١٦٢، رقم (٩٤٧٨).

(٧) سقطت من "ف".

وقوله فيه- وفي الذي قبله-: (**أصحابي**)، الظاهر أن المراد بهم من أسلم قبل الفتح، وأنه خطاب لمن أسلم بعد الفتح.

ويرشد إليه [قوله][(١)]: (**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**) مع قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾، [ولا][(٢)] بد لنا من تأويل بهذا أو بغيره؛ [ليكون][(٣)] المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم، [فهم][(٤)] كبار الأصحاب وإن شمل اسم الصحبة للجميع، ويشير إليه الحديث الآخر: (**هل أنتم تاركو لي صاحبي**)[(٥)]: يعني [أبا بكر][(٦)].

فاسم الصحبة يعم كل من رأى النبي ﷺ [مسلماً][(٧)]، وكبارهم الذين تقدموا قبل الفتح، فأُمر [المتأخرون بالتأدب][(٨)] معهم.

وسمعت شيخنا الشيخ أبا العباس أحمد بن عطاء[(٩)] يذكر في مجلسه في

(١) زيادة من بقية النسخ.

(٢) في بقية النسخ: فلا.

(٣) في بقية النسخ: وليكون.

(٤) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٥) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٦) في "ك"، وفي "ط": أبو بكر وعمر. والحديث في أبي بكر خاصة رضي الله عنهم أجمعين

(٧) سقطت من "ك"، وفي "ط": تسليماً.

(٨) في "ك"، وفي "ط": المتأخرين التأدب، وفي "ف": المهاجرين بالتأدب، وهو تصحيف.

(٩) أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله، السكندري، نسبة إلى الإسكندرية حيث ولد وعاش. وعاش. انتقل إلى القاهرة سنة (٦٨٦هـ) من شيوخ الطريقة الشاذلية. توفي بالقاهرة سنة =

الوعظ تأويلا آخر، يقول: إن النبي ﷺ له تجليات يرى فيها من بعده؛ فيكون هذا [٧أ] الكلام منه ﷺ في تلك التجليات خطاباً لمن بعده، في حق جميع الصحابة الذين قبل الفتح وبعده(١). وهذه طريقة صوفية وهو كان متكلم الصوفية على طريقة الشاذلية(٢).

فإن ثبت ما قاله: فالحديث شامل لجميع الصحابة، وإلا فهو في حق المتقدمين قبل الفتح، ويدخل من بعدهم في حكمهم، فإنهم بالنسبة إلى من بعدهم كالذين من قبلهم بالنسبة إليهم، وعلى كلا التقديرين فالظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم.

ويحتمل على بعد أن يقال: إنما يثبت ذلك لمجموعهم لأجل صيغة الجمع، واستغراق العموم. [وينبني](٣) على هذا البحث سب بعض الصحابة، فإن سب الجميع لا شك أنه كفر، وهكذا إذا سب واحداً من

=

(٧٠٩هـ). ينظر الموسوعة الصوفية، د. عبدالمنعم الحفني: ص٢٩٥.

(١) هذه من عبارات الصوفية الموهمة؛ فإن كان المقصود أن الرسول ﷺ يعلم الغيب؛ فهذا غلو، ولا يعلم الغيب إلا الله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]. وإن كان المراد أن هذا يدخل فيما أخبر الله به نبيه؛ مثله مثل أشراط الساعة وأحاديث الفتن وغيرها؛ فهذا حق؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

(٢) طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي (٥٩٣-٦٥٦هـ)، نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها قادماً من غمارة في المغرب، ومات في صحراء عِذاب بصعيد مصر، في طريقه إلى الحج. انتشرت طريقته في مصر، واليمن، وشمال إفريقيا وغربها. ينظر الموسوعة الصوفية: ص٢٢٩.

(٣) في "ف": ينبغي، وهو تصحيف.

الصحابة [من][(١)] حيث هو صحابي؛ لأن ذلك استخفاف بحق الصحبة، ففيه تعرض إلى النبي ﷺ، فلا شك في كفر الساب [على هذه الصفة][(٢)].

وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوي[(٣)]: «وبغضهم كفر»[(٤)]، فإن بغض الصحابة بجملتهم لا شك أنه كفر، وأما إذا سب صحابياً [معيناً][(٥)]، لا من حيث كونه صحابياً؛ بل لأمر خاص به، وكان ذلك الصحابي مثلاً ممن أسلم [من][(٦)] قبل الفتح، ونحن نتحقق فضيلته، كالروافض الذين يسبون الشيخين [فيمن يتحقق حرمة الشيخين][(٧)]، وإنهما أفضل الصحابة، وإنهما السمع والبصر من النبي ﷺ كما [جاء][(٨)] في الحديث الذي رواه الترمذي روينا في كتابه بالإسناد المتقدم إليه قال ثنا قتيبة[(٩)] ثنا ابن أبي فديك[(١٠)] عن عبد العزيز ابن

---

(١) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٢) سقطت من بقية النسخ.

(٣) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي. ولد في طحا في صعيد مصر سنة (٢٣٩هـ)، ونشأ في بيت علم، وخاله هو المزني تلميذ الشافعي المشهور. كان شافعي المذهب، ثم تحول حنفياً. توفي بالقاهرة سنة (٣٢١هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٢٨.

(٤) في عقيدته المشهورة والتي سميت باسمه، ينظر شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٣١٠.

(٥) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٦) سقطت من "ك".

(٧) سقطت من بقية النسخ.

(٨) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٩) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، أبو رجاء البَغْلاني، يقال: اسمه يحيى، وقيل: علي. ثقة ثقة ثبت مات سنة (٢٤٠هـ) عن تسعين سنة. تقريب التهذيب: ص٧٩٩.

(١٠) محمد ابن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك الديلي، مولاهم المدني أبو إسماعيل [وقد ينسب إلى =

المطلب[١] عن أبيه[٢] عن جده [عبد الله][٣] بن حنطب[٤] أن النبي ﷺ رأى أبا بكر وعمر، فقال: (**هذان السمع والبصر**)[٥].

فقد ذكر القاضي [الحسين[٦]][٧] في كفر من سب الشيخين وجهين، ووجه التردد ما قدمناه، فإنّ سب الشخص المعين قد يكون لأمر خاص به،

=

جد أبيه] صدوق، مات سنة مائتين على الصحيح. تقريب التهذيب: ص٨٢٦.

(١) عبدالعزيز بن المطلب بن عبدالله بن حنطب المخزومي، أبو طالب المدني، صدوق، مات في خلافة المنصور. تقريب التهذيب: ص٦١٦.

(٢) المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، صدوق كثير التدليس والإرسال. تقريب التهذيب: ص٩٤٩.

(٣) في "ل": "عن جده عن عبدالله"، وهو خطأ، والتصحيح من "ف"، ومن "ك"، ومن "ط"، ومن سنن الترمذي، وربما أنها في بعض نسخ الترمذي التي وقعت للسبكي، قال المزي: «وقع في روايته-أي الترمذي-: "عن عبد العزيز بن المطلب، عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن حنطب"، وذلك وهم، والصواب عن جده عبد الله بن حنطب». ينظر تهذيب الكمال: ١٤/ ٤٣٥.

(٤) عبدالله بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم المخزومي، عداده في الصحابة، قال ابن أبي حاتم: له صحبة. وكذا قال ابن عبد البر، وذكره ابن حبان في الصحابة. ينظر الإصابة: ٦/ ١٠٧.

(٥) رواه الترمذي كتاب المناقب، رقم (٣٦٧١)، وقال: «هذا مرسل وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ» وتعقبه ابن حجر فقال: «قلت: قد أخرجه ابن منده من طريق موسى بن أيوب، عن ابن فديك فقال فيه "كنت جالسا عند النبي ﷺ" فهذا يقتضي ثبوت صحبته»، ينظر الإصابة: ٦/ ١٠٧. والحديث صححه الشيخ الألباني في الموضع نفسه من سنن الترمذي.

(٦) القاضي حسين بن محمد بن أحمد المروذي، شيخ الشافعية بخراسان، وهو من أصحاب الوجوه في المذهب. وكان من أوعية العلم، وكان يلقب بحبر الأمة. مات بمرو الروذ سنة (٤٦٢هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٦١.

(٧) في، "ك"، وفي "ط": حسين.

وقد يبغض الشخصُ الشخصَ لأمر دنيوي، وما أشبه ذلك: فهذا لا يقتضي [مكفراً](١)، ولا شك أنه لو أبغض واحداً منهما؛ لأجل صحبته فهو كفر؛ بل من دونهما في الصحبة، إذا أبغضه لصحبته كان كافراً قطعاً.

بقي لنا هذه المسألة:

بغض [الرافضي](٢) لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليس لأمر دنيوي، من معاملة أو مشاركة [ونحوها](٣). [ولا](٤) كان فيهما ما **يقتضي** ذلك؛ ولكن من جهة الرفض وتقديمه علياً [٧ب] واعتقاده بجهله أنهما ظلماه، وهما مبرآن عن ذلك. فهو يعتقد بجهله [أنه](٥) **ينتصر** لعلي ﷺ لقرابته للنبي للنبي ﷺ، فلفظ الحديث لم يقتض كل فرد، [والمعنى](٦) المعلل به لم يقتض كل فرد، فهذا وجه التردد.

والحديث الذي يروى: **(من سب صحابيا فاجلدوه)**(٧) إن صح فهو

---

(١) في بقية النسخ: تكفيراً.

(٢) في "ك": الروافض.

(٣) في بقية النسخ: أو نحوها.

(٤) في "ك"، وفي "ط": وإلا.

(٥) في بقية النسخ: أن.

(٦) سقطت من "ف".

(٧) صدر الحديث: «من سب نبياً فاقتلوه..» أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: ١/ ٣٩٣، رقم (٦٥٩)، وفي وفي الأوسط: ٥/ ٣٥، رقم (٤٦٠٢)، وتمام في فوائده: ١/ ٢٩٥، رقم (٧٤٠، ٧٤١). قال ابن حجر: «كلهم ثقات إلا العمري»، وقال السبكي في السيف المسلول ص١٤٩: «في هذا الحديث نظر من جهة الراوي (يقصد العمري) عن أهل البيت فيه». والعمري هو: عبيد الله بن محمد العمري، متهم بالكذب. ينظر لسان الميزان: ٥/ ٣٤١. وسلسلة الأحاديث الضعيفة: ١/ ٣٧٢، رقم ٢٠٦.

[نص][(١)] في الواحد من الصحابة. والجلد لا شك فيه، كبيراً كان ذلك الصحابي أو صغيراً، وإن كان سبه لعينه وأمر خاص به لا يعود منه على الدين بنقص.

وأما الرافضي [فإنما][(٢)] يبغض أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لما استقر في ذهنه [بجهله][(٣)]، وما نشأ عليه من الفساد عن اعتقاده ظلمهما لعلي وليس كذلك، ولا علي يعتقد ذلك. فاعتقاد الرافضي ذلك يعود [منه][(٤)] على الدين بنقص؛ لأن أبا بكر، وعمر، رضي الله عنهما هما أصل [الدين][(٥)] [الدين][(٥)] بعد النبي ﷺ. فهذا مأخذ التكفير ببغض الرافضة لهما وسبهم لهما، وقد رأيت في الفتاوى البديعية من كتب الحنفية قسّم الرافضة إلى كفار وغيرهم، وذكر الخلاف في بعض طوائفهم، وفيمن أنكر إمامة أبي بكر وعمر أن الصحيح أنه يكفر، ولا شك [أن إنكارهم][(٦)] الإمامة دون السب.

ورأيت في [المحيط من][(٧)] كتب الحنفية عن محمد[(٨)]: لا تجوز الصلاة

---

(١) سقطت من "ف".

(٢) في "ط": فإنه.

(٣) في "ف": لجهله.

(٤) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٥) سقطت من بقية النسخ.

(٦) في "ف"، وفي "ك": أن إنكار، وفي "ط": أنه إنكار.

(٧) زيادة من بقية النسخ.

(٨) محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبدالله الشيباني، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وأخذ الفقه عن أبي حنيفة والقاضي أبي يوسف، وسمع الحديث من مالك، وأخذ عنه الشافعي، ولي القضاء للرشيد =

خلف الرافضة. ثم قال: "[لأنهم][(١)] أنكروا خلافة أبي بكر وقد أجمعت الصحابة على خلافته"[(٢)].

وفي الخلاصة من كتبهم في الأصل ثم قال: "وإن أنكر خلافة الصديق فهو كافر"[(٣)].

وفي تتمة الفتاوى: "والرافضي الغالي [يعني][(٤)] الذي ينكر خلافة أبي بكر". [يعني][(٥)]: لا تجوز [الصلاة][(٦)] خلفه[(٧)].

وفي الغاية للسروجي[(٨)] [رحمه الله تعالى][(٩)]، وفي

=

بعد شيخه أبي يوسف. توفي رحمه الله سنة (١٨٩هـ) وهو ابن ثمان وخمسين سنة. ينظر سير أعلام النبلاء: ٩/ ١٣٤.

(١) في "ك": لأن، ثم بياض بمقدار كلمتين، والذي يظهر أن الكلام متصل كما في النسخ الأخرى.

(٢) ينظر المحيط البرهاني، لبرهان الدين بن مازة الحنفي: ١/ ٤٠٦.

(٣) إن المقصود بالخلاصة هو "خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل" لحسام الدين علي بن مكي الرازي الحنفي (ت٥٨٩هـ) فإنني لم أجد هذا النص فيه، وكذلك لم أجده في كتاب الأصل لمحمد بن الحسن الشيباني، ولكنه في الفتاوى البزازية: ٣/ ٣١٨.

(٤) زيادة من "ف".

(٥) سقطت من "ف".

(٦) سقطت من بقية النسخ.

(٧) تتمة الفتاوى لبرهان الدين بن مازة الحنفي لا يزال مخطوطاً، وهذا النص موجود في وينظر أقوال الحنفية السابقة فيمن أنكر خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في تبيين الحقائق للزيلعي: ١/ ١٣٥، وشرح فتح القدير لابن الهمام: ١/ ٣٥٠، والبحر الرائق لابن نجيم: ١/ ٣٧٠، ٥/ ١٣١.

(٨) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي (٦٣٧-٧١٠هـ)، ولي القضاء بالديار المصرية وصنف وأفتى، ووضع شرحاً على كتاب الهداية سماه الغاية، لا أعلمه مطبوعاً. توفي بالقاهرة. ينظر تاج التراجم: ص١٠٧.

(٩) سقطت من "ف".

المرغيناني[١]: وتكره الصلاة خلف صاحب هوى وبدعة، ولا تجوز خلف الرافضي، ثم قال: وحاصله إن كان هوى يكفر به لا تجوز، وإلا تجوز وتكره[٢].

وفي شرح المختار لابن بلدجي[٣] من الحنفية: وسب أحد من الصحابة الصحابة وبغضه لا يكون كفراً لكن يضلل، فإن علياً ﷺ لم يكفر شاتمه حتى [لم][٤] يقتله[٥].

وقال جلال الدين [الخبازي][٦] في عمر ﷺ: من ظن أنه كان يغصب الحق أهله، ويستولي على ما كان غيره أحق به ظلماً منه وعتواً، وتزوج ابنته

(١) علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني، صاحب "الهداية"، وكتاب "البداية"، مات سنة (٥٩٣هـ). ينظر تاج التراجم: ص٢٠٦.

(٢) لم أجد في كتاب الهداية للميرغناني ما نقله المؤلف عنه هنا؛ لكنني وجدت قريباً منه منسوباً إلى الهداية في كتاب مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لشيخي زاده: ١/ ١٦٣، وهو من كتب متأخري الحنفية.

(٣) عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود، مجد الدين، أبو الفضل الموصلي (٥٩٩-٦٨٣هـ). ولد بالموصل، ولي القضاء بالكوفة ثم عزل، ورجع إلى بغداد، ودرَّس بمشهد الإمام أبي حنيفة حتى وفاته، له كتاب "المختار للفتوى" وكتاب "الاختيار لتعليل المختار". ينظر الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٣٤٩.

(٤) سقطت من "ف"، ومن "ك".

(٥) الاختيار لتعليل المختار: ٤/ ١٦٠.

(٦) في "ط": الخياري، وهو تصحيف. والخبازي، هو: عمر بن محمد بن عمر، الشيخ، جلال الدين الدين الخبازي، له حواشي على "الهداية" وكتاب "المغني" في أصول الفقه. كان فقيهًا عابِدًا، مات سنة (٦٩١هـ) عن (٦٢) سنة. ينظر تاج التراجم: ص٢٢٠.

[قهراً][(١)] [شاء أو أبى][(٢)]؛ [فصلاحه][(٣)] بالقتل إذ لا داء أعظم من العناد. وفي الفتاوى البديعية من كتب الحنفية [٨أ]: من أنكر إمامة أبي بكر [الصديق][(٤)] ﷺ فهو كافر. وقال بعضهم: هو مبتدع [وليس بكافر][(٥)]، والصحيح أنه كافر. [وكذلك من أنكر خلافة عمر ﷺ في أصح الأقوال، ولم يتعرض أكثرهم للكلام في ذلك][(٦)].

وأما أصحابنا، فقد قال القاضي حسين في تعليقه في باب اختلاف نية الإمام والمأموم: ومن سب النبي ﷺ يكفر [بذلك][(٧)] ومن سب صحابياً فسق، وأما من سب الشيخين أو الحسين ففيه وجهان:

أحدهما يكفر؛ لأن الأمة [أجمعت][(٨)] على إمامتهم، والثاني: يفسق ولا يكفر[(٩)].

---

(١) سقطت من "ف".

(٢) في بقية النسخ: أبى أو شاء.

(٣) في "ط": فقد أصر، ولم تتضح لي قراءتها في "ف"، وفي "ك".

(٤) سقطت من "ف".

(٥) سقطت من بقية النسخ.

(٦) سقطت من "ك"، ومن "ط". وكتاب جلال الدين الخبازي، والفتاوى البديعية لم أقف عليهما. عليهما. وينظر قريباً من هذه الأقوال فيمن أنكر خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في تبيين الحقائق للزيلعي: ١/ ١٣٥، والفتاوى البزازية: ٣/ ٣١٨-٣١٩، وشرح فتح القدير لابن الهمام: ١/ ٣٥٠، والبحر الرائق لابن نجيم: ١/ ٣٧٠، ٥/ ١٣١، ١٣٦، ٧/ ٩٢.

(٧) سقطت من "ف".

(٨) في "ط": اجتمعت.

(٩) من قول المؤلف: "ورأيت في المحيط" إلى هذا الموضع نقله البندنيجي في "الأجوبة البندنيجية =

ولا خلاف أن من لا يحكم بكفره من أهل الأهواء لا يقطع بتخليدهم في النار، وهل يقطع بدخولهم [في][(١)] النار؟ [فيه][(٢)] وجهان.

قال القاضي إسماعيل المالكي[(٣)]: إنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع: «يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا»[(٤)]؛ لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب، وفساد المحارب في مصالح الدنيا وإن كان يدخل في [أمر][(٥)] الدين من سبل الحج والجهاد، وفساد أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة ، واختلف قول مالك [وقول][(٦)] الأشعري[(٧)] في التكفير والأكثر على ترك التكفير.

=

على الأسئلة اللاهورية": ص٧٨-٧٩، باختصار. ولم أقف على قول القاضي حسين، وينظر أقوال الشافعية في الحاوي للماوردي: ٢/ ٣٢٩، وروضة الطالبين للنووي: ١١/ ٢٤٠، وكفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، لأبي بكر الحصيني: ١/ ٥٦٧.

(١) سقطت من بقية النسخ.

(٢) سقطت من بقية النسخ.

(٣) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد البغدادي (١٩٩-٢٨٢هـ)، استوطن بغداد، وولي قضاءها إلى أن توفي. وتقدم حتى صار علماً، ونشر مذهب مالك بالعراق. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٣٤٠.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: ٤/ ٧٧٦.

(٥) في بقية النسخ: أمور.

(٦) سقطت من "ط".

(٧) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ)، ولد في البصرة، ونشأ في كنف زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، وأخذ عنه مذهب الاعتزال، ولما برع في مذهب المعتزلة، وعرف حقيقته، ولوازمه، أعلن توبته المشهورة على منبر البصرة، وله من العمر أربعون سنة، وكان رجوعه قبل وفاة شيخه الجبائي. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٨٦.

قال القاضي [عياض[١]][٢]: [فإن][٣] الكفر خصلة واحدة، وهو الجهل الجهل بوجود البارئ تعالى[٤].

قال: [وسمته][٥] الرافضة [بالشرك][٦]، وإطلاقه اللعنة عليهم، وكذلك [في الخوارج وغيرهم][٧] من أهل الأهواء. فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفر على طريق التغليظ، وكفر دون كفر، وإشراك دون إشراك، وقوله في الخوارج: **(اقتلوهم [قتل][٨] عاد)**[٩] [يقتضي الكفر][١٠]، والآخر [يقول][١١] إنه حد لا كفر [لخروجهم][١٢] على المسلمين وبغيهم عليهم،

---

(١) عياض بن موسى اليحصبي المالكي، الحافظ الإمام، (٤٧٦-٥٤٤هـ). يعتبر من أئمة المذهب المالكي المبرزين ، ومن أئمة الحديث المعتبرين. ينظر سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٢١٣.

(٢) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٣) في "ط": بأن.

(٤) الشفا: ٢/ ١٠٨٠.

(٥) في "ف": وتسميه.

(٦) في "ف": المشرك.

(٧) في "ك"، وفي "ط": الخوارج وغيرهم، وفي "ف": الخوارج.

(٨) سقطت من "ط".

(٩) رواه البخاري: كتاب الأنبياء، رقم (٣٣٤٤)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (٢٤٥١) من حديث حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(١٠) في "ف": يقتضي الآخر، وهو خطأ.

(١١) زيادة من "ك"، ومن "ط".

(١٢) في "ف": لخروج.

وذكر [عاد][(١)] [تشبيه للقتل وحله][(٢)] لا للمقتول.

قال جهم[(٣)] ومحمد بن [شبيب[(٤)]][(٥)]: الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد أحد بغير ذلك[(٦)].

وقال أبو الهذيل[(٧)]: كلّ متأول كان تأويله تشبيهًا لله بخلقه، وتجويراً له له في فعله، وتكذيباً بخبره فهو كافر، وكل من أثبت شيئًا قديماً لا يقال له: الله. فهو كافر[(٨)].

---

(١) في "ط": عام.

(٢) في "ك"، وفي "ط": وسببه القتل وحكمه. والصواب كما في "ل" وفي "ف" وفي الشفا للقاضي عياض: ٢/ ١٠٦٠.

(٣) الجهم بن صفوان، أبو مُحرز الراسبي السمرقندي، الكاتب المتكلم، أسُّ الضلالة، ورأس الجهمية. كان صاحب ذكاء، وجدال. كان يكتب للأمير حارث بن سُريع التميمي، وخرج معه على بني أمية، فقتل سنة (١٢٨هـ) على يد مسلم بن أحوز المازني. ينظر الملل والنحل: ١/ ٨٦.

(٤) محمد بن شبيب من شيوخ المعتزلة من أصحاب النظام إلا أنه خالفه في الوعيد وفي المنزلة بين المنزلتين، وكان ممن يقول أن الإيمان هو المعرفة فقط. ينظر الملل والنحل: ١/ ٥٢، والفرق بين الفرق: ص٢٠٧.

(٥) في "ف": سيرين، وهو تصحيف. وينظر الشفا: ٢/ ١٠٦٢.

(٦) ينظر الشفا للقاضي: ٢/ ١٠٥٩-١٠٦٢.

(٧) رأس المعتزلة؛ أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري، العلاف، الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، وأنكر الصفات المقدسة، وقال: إن لما يقدر الله عليه نهاية وآخرا، وأن للقدرة نهاية لو خرجت إلى الفعل، فإن خرجت، لم تقدر على خلق ذرة أصلا، قال الذهبي: «وهذا كفر وإلحاد». توفي سنة (٢٢٧هـ)، وقد جاوز التسعين. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٤٢.

(٨) ينظر مقالات الإسلاميين: ص٤٧٧، والشفا: ٢/ ١٠٦٢.

وقول بعض المتكلمين إن كان [ممن][(١)] عرف الأصل وبنى عليه [٨ب] / وكان فيما هو من أوصاف الله فهو كافر، وإن لم يكن من هذا الباب [ففاسق][(٢)] إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر.

ووقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو [خطأ][(٣)] حديثاً حديثاً مجمعاً على نقله مقطوعاً به مجمعاً على [حمله على][(٤)] ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم.

وكذلك [نقطع][(٥)] بتكفير كل قائل [قال][(٦)] قولاً يتوصل به إلى تضليل تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة، كقول الكاملية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ؛ لأنهم أبطلوا الشريعة بانقطاع نقلها، وإلى هذا -والله أعلم- أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة، أما من أنكر ما عرف بالتواتر ولا يرجع إلى إنكار قاعدة من الدين، كإنكار غزوة تبوك، أو مؤتة، أو وجود أبي بكر وعمر، وقتل عثمان، وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في إنكاره جحد [شريعة][(٧)] فلا سبيل إلى تكفيره بجحد

---

(١) في "ك"، وفي "ط": مما.

(٢) في بقية النسخ: فهو فاسق.

(٣) هكذا في جميع النسخ. وفي الشفا (٢/ ١٠٧١): خص.

(٤) سقطت ومن "ك"، ومن "ط". وفي "ف": حمله من دون حرف الجر "على".

(٥) في "ك" بياض بمقدار كلمة.

(٦) سقطت من "ف".

(٧) في بقية النسخ: شريعته.

ذلك إذ ليس فيه أكثر من المباهتة كإنكار هشام[(١)] وعباد[(٢)] وقعة الجمل[(٣)] ومحاربة علي من خالفه فإن ضعف ذلك من جهة تهمة الناقلين وهم المسلمون أجمع؛ فتكفيره لسريانه إلى إبطال الشريعة[(٤)].

قال القاضي أبو بكر[(٥)]: الكفر بالله [هو][(٦)] الجهل بوجوده، ولا يكفر يكفر بقول ولا رأي إلا إذا أجمع المسلمون [على][(٧)] أنه لا يوجد إلا من كافر [أو][(٨)] يقوم دليل على ذلك فيكفر ليس لقوله أو فعله؛ لكن لما يقارنه من الكفر.

فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور: الجهل بالله تعالى. الثاني: أن يأتي بما لا يكون إلا من كافر؛ كالسجود للصنم، والمشي إلى الكنائس

---

(١) هشام بن عمرو الفوطي الكوفي، من شيوخ المعتزلة، ورأس الهشامية من فرق المعتزلة، ينظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٤٧.

(٢) عباد بن سليمان من شيوخ المعتزلة، تلميذ هشام الفوطي، وإليه تنسب فرقة العبادية من فرق المعتزلة. وأنكر حدوث قتال بين طلحة والزبير وعلي. ينظر مقالات الإسلاميين: ص٤٥٨، وسير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٥١.

(٣) معركة وقعت بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم، سنة (٣٦هـ) وسميت بالجمل نسبة إلى الجمل الذي كانت تركبه عائشة رضي الله عنها. ينظر الاكتفاء في أخبار الخلفاء، للكردبوس: ١/ ٥٢٥-٥٣٢.

(٤) ينظر الشفا: ٢/ ١٠٧٨.

(٥) هو الباقلاني وقد سبقت ترجمته، وينظر التمهيد للباقلاني: ص٣٩٤.

(٦) سقطت من بقية النسخ.

(٧) زيادة من "ف".

(٨) في بقية النسخ: و.

[بالزنار مع أصحابها في أعيادهم][(١)]، أو [يكون][(٢)] ذلك القول لا يمكن معه العلم بالله. ومن ادعى الإلهية، أو الرسالة، أو النبوة، أو أنكر أن يكون الله خالقه أو ربه، فلا خلاف في كفره، وإذا تاب تقبل توبته[(٣)].

قال القاضي عياض[(٤)]: لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا [يرده][(٥)] عن شديد العقاب ليكون [ذلك][(٦)] زجراً لمثله، والسكران كالصاحي.

وأما المجنون والمعتوه [مما علم أنه قاله][(٧)] في غمرته وذهاب [ميزه][(٨)] بالكلية [لا][(٩)] نظر فيه، وما فعله في حال ميزه- وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه- أدب على ذلك لينزجر عنه، كما يؤدب على قبائح [٩أ] الأفعال، [ويوالى أدبه على ذلك][(١٠)] حتى ينكف عنه، كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض.

---

(١) في "ك": بالزنار مع أهلها وفي اعتقادهم.، وفي "ط": بالزنار مع أهلها أو في اعتقادهم. وفي "ف": بالنهار مع أهلها في اعتقادهم.

(٢) في بقية النسخ: تكرر.

(٣) ينظر الشفا: ٢/ ١٠٨٠.

(٤) ينظر الشفا: ٢/ ١٠٨٩-١٠٩٠.

(٥) في "ط": يرقه.

(٦) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٧) في بقية النسخ: فما أعلم أنه قال.

(٨) في "ل"، ، وفي "ط": تميزه، وهي غير واضحة في "ف": ميزته والمثبت من "ك".

(٩) في "ط": ولا.

(١٠) سقطت من "ك"، ومن "ط".

عن عون بن عبد الله[١]: ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء. شيء. وكان بعض المشايخ قلما يذكر اسم الله إلا فيما يتصل بطاعته، ويقول: جزيت خيراً. وقلما يقول: جزاك الله؛ إعظاماً لاسم الله أن يمتهن في غير قربة.

وكان الإمام [أبو بكر][٢] الشاشي[٣] يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى، وفي صفاته، إجلالاً لاسمه تعالى، ويقول: هؤلاء يتمندلون بالله [جل وعز][٤].

وينزل [الكلام في هذا][٥] الباب تنزيله في باب ساب النبي ﷺ. يعني: ما جعل سباً هناك فهو سب هنا أيضاً.

[وقال][٦] القاضي عياض في سب الصحابة[٧]: [قد][٨] اختلف العلماء

---

(١) هو عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الكوفي، حدث عن أبي هريرة وعبدالله بن عمر وابن عباس ﭬ، من الثقات، توفي سنة بضع عشرة ومائة. ينظر سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٠٣.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي(٢٩١-٣٦٦هـ). قال الحاكم: «كان أعلم أهل أهل ما وراء النهر بالأصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث». ينظر سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٢٨٣.

(٤) في "ف": عز وجل.

(٥) في "ف": في هذا الكلام.

(٦) في بقية النسخ: قال.

(٧) ينظر الشفا: ٢/ ١١٠٨.

(٨) سقطت من "ف".

العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في [ذلك](١): الاجتهاد والأدب الموجع.

قال مالك رحمه الله: [من](٢) شتم النبي ﷺ قتل. [ومن شتم](٣) أصحابه أُدِّب.

وقال [القاضي](٤) أيضاً: من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر، بكر، أو عمر، أو عثمان، أو معاوية، أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال [وكفر](٥): قتل. وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس: نكل نكالاً شديداً.

قلت: قوله ومن [سب](٦) أصحابه أدب. قد بينا ثبوت ذلك في حق الواحد منهم ومحله [إذا كان الأمر خاصًّا به](٧).

وقوله: في "القتل" إذا نسبهم إلى ضلال وكفر حسن، أنا أوافقه عليه إذا نسبهم إلى الكفر؛ لأن النبي ﷺ شهد لكل منهم بالجنة، وإن نسبهم إلى الظلم دون الكفر- كما يزعمه بعض الرافضة- فهذا محل التردد؛ لأن القطع

---

(١) في بقية النسخ: هذا.

(٢) في "ك": فيمن، وفي "ط": في من.

(٣) في "ف"، وفي "ك": وإن شتم، وفي "ط": ومن سبَّ.

(٤) زيادة من "ط". والمقصود به القاضي عياض رحمه الله.

(٥) في "ك"، وفي "ط": أو كفر.

(٦) زيادة من "ط". وفي "ف": شتم.

(٧) في "ل": إذا كان خاص به.

[بالكفر][(١)] إذا كان من جهة النبي ﷺ، أو من جهة نصرتهم الدين، أو نحو ذلك [لا شك فيه][(٢)]؛ لأنه من جهة الدين وعموم المسلمين، وهذا [بزعم][(٣)] الرافضة لبعض دون بعض؛ لأمر يتعلق بخصوص ذلك البعض، ويرون أن ذلك من الدين لا [تنقيص][(٤)] فيه.

ولا شك [أنهم- أعني الروافض- منكرون][(٥)] ما علم بالضرورة، ومفترون على من علمنا بالضرورة براءتهم مما افتروا عليهم به؛ ولكن السر في تكفير منكر ما علم بالضرورة تضمنه لتكذيب النبي ﷺ.

والروافض هنا لا يقولون [ذلك][(٦)]، ولا هو مضمون قولهم؛ ولكنهم يدّعون أن [الذين][(٧)] [يقولونه][(٨)] هم هو [٩ب] الذي أتى به النبي ﷺ، ونحن نكذبهم في ذلك، ونعلم مباهتهم؛ ولكن التكفير فوق ذلك، فلم نتحقق إلى الآن [من كلام مالك][(٩)] ما يقتضي قتله.

وقال ابن حبيب[(١٠)]: من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه

---

(١) سقطت من "ف".

(٢) سقطت من بقية النسخ.

(٣) في بقية النسخ: زعم.

(٤) في "ك"، وفي "ط": تنقيصاً، وفي "ف": لاستقامته.

(٥) في بقية النسخ: أن الروافض ينكرون.

(٦) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٧) هكذا في الأصل، وبقية النسخ: "الذين"، ولعل الصواب: الذي.

(٨) في بقية النسخ: يقولون.

(٩) سقطت من "ف"، وفي "ك"، وفي "ط": من مالك.

(١٠) عبد الملك بن حبيب بن سليمان الأندلسي، ولد في حياة الإمام مالك، ارتحل وحج وحمل الفقه =

أدب أدباً شديداً، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر، فالعقوبة عليه أشد، [ويكرر ضربه، ويطال سجنه](١) حتى يموت، ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ.

وقال سحنون(٢): من [كفر](٣) أحداً من أصحاب النبي ﷺ علياً أو عثمان أو غيرهما يوجع ضرباً. وحكى ابن أبي زيد(٤) عن سحنون: من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر: قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا: نكل النكال الشديد(٥).

قلت: قتل من كفَّر الأربعة ظاهر؛ لأنه خلاف إجماع الأمة؛ إلا الغلاة من الروافض، فلو كفر الثلاثة ولم يكفر علياً لم يصرح سحنون فيه [بشيء](٦)، فكلام مالك المتقدم أصرح فيه.

= عن عدة من أصحاب مالك والليث، ورجع إلى قرطبة وتوفي بها سنة (٢٣٨هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٢/ ١٠٢.

(١) في "ف": ويكرر سجنه ويطال ضربه.

(٢) عبدالسلام بن حبيب بن حسان التنوخي (١٦٠-٢٤٠هـ)، قاضي القيروان، وعمدة المذهب المالكي، صاحب المدونة، ارتحل في طلب العلم، ولقي الكثير من أصحاب مالك وغيرهم. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٦٣.

(٣) في بقية النسخ: كذب.

(٤) عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، ويقال له: مالك الصغير، قال الذهبي: «كان رحمه الله على طريقة السلف في الأصول، لا يدري الكلام، ولا يتأول» توفي سنة (٣٨٦هـ).ينظر سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٠.

(٥) ينظر الشفا: ٢/ ١١٠٨-١١٠٩.

(٦) زيادة من "ف"، وفي "ط": بكلام.

وروي عن مالك رضي الله عنه: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل(١).

وقال أحمد بن حنبل- فيمن سب الصحابة-: أما القتل فأجبن عنه؛ ولكن أضربه ضرباً نكالاً(٢).

وقال أبو يعلى الحنبلي(٣): الذي عليه [القدماء](٤) في سب الصحابة إن كان مستحلاً لذلك: كفر، وإن لم يكن مستحلاً: فسق ولم يكفر. قال: وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة، وكفر الرافضة.

وقال محمد بن يوسف الفريابي(٥)- وسئل عن من شتم أبا بكر- قال: كافر. قيل: يصلى عليه؟ قال: لا(٦).

وممن كفر الرافضة: أحمد(٧) بن يونس، وأبو بكر بن هانئ(١)، وقالا:

---

(١) ينظر الشفا: ٢/ ١١٠٩.

(٢) ينظر الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، للمرداوي: ١٠/ ٢٤٤.

(٣) محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (٣٨٠-٤٥٨هـ)، شيخ الحنابلة، برع في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه، ولي القضاء، وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٨٩.

(٤) في "ك"، وفي "ط": الفقهاء.

(٥) محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفريابي(١٢٠-٢١٢هـ)، الإمام الحافظ الورع، روى عن سفيان الثوري وطبقته، وروى عنه أحمد بن حنبل والبخاري وغيرهما. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١١٤.

(٦) السنة للخلال: ٣/ ٤٩٩، رقم ٧٩٤، والشرح والإبانة: ص٩٨، رقم (١٩٦).

(٧) أحمد بن يونس التميمي اليربوعي الكوفي (١٣٢-٢٢٧هـ). كان ثقة متقناً، حدث عنه البخاري =

[لا][٢] تؤكل ذبائحهم؛ لأنهم مرتدون[٣]. [وكذا][٤] قال عبد الله بن إدريس[٥] أحد أئمة الكوفة: ليس للرافضي شفعة؛ لأنه لا شفعة إلا [لمسلم][٦].

وقال أحمد في رواية أبي طالب: شتم عثمان زندقة[٧].

وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة أنهم فساق. وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر [وعمر][٨]: عبد الرحمن بن أبزى[٩] الصحابي[١٠].

=

البخاري ومسلم وأبو زرعة الرازي وغيرهم، ينظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٥٧.

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ، المعروف بالأثرم، الإمام الحافظ، تلميذ الإمام أحمد، حدث عنه النسائي وغيره، مات في حدود الستين ومائتين. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٦٢٣. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٢:٦٢٣.

(٢) سقطت من "ك".

(٣) الأثر عن أحمد بن يونس في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٨/ ١٥٤٦، رقم (٢٧١٧).

(٤) سقطت من "ف".

(٥) عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي (١١٥-١٩٢هـ) الإمام الحافظ. حدث عنه مالك وهو من شيوخه، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل وغيرهم. ينظر سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٢.

(٦) في "ف"، وفي "ك": للمسلم.

(٧) السنة، للخلال: ٣/ ٤٩٣، رقم (٧٨١) وسبق أن أورده المؤلف.

(٨) في "ك"، وفي "ط": عمر بن، وهو تصحيف.

(٩) عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي، صحابي ابن صحابي، من صغار الصحابة له صحبة ورواية، سكن الكوفة، وعاش إلى سنة نيف وسبعين. ينظر الإصابة: ٦/ ٤٤٦، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٠١.

(١٠) ينظر السنة للخلال: ١/ ٢٥٥، رقم (٣٠٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٧/ ١٣٣٩، رقم (٢٣٧٨)، وتاريخ ابن عساكر: ٣٠/ ٤٠٠-٤٠١، والنهي عن سب الأصحاب، للضياء

=

فصل[(١)]

أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي[(٢)] رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع، قال: [أخبرنا][(٣)] الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي[(٤)] [١٠أ] سماعاً، [قال][(٥)]: [أخبرنا][(٦)] [أبو المكارم أحمد بن محمد اللبان][(٧)]، قال: [أخبرنا][(٨)] [أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن][(٩)] الحداد[(١٠)]

=

المقدسي: ص٨٦.

(١) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٢) عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدمياطي (٦١٣-٧٠٥هـ)، الحافظ المحدث، تتلمذ على الحافظ المنذري وعلى غيره، حدث عنه الذهبي والمزي والسبكي وغيرهم. ينظر طبقات الشافعية للسبكي: ١٠/ ١٠٢.

(٣) في "ف"، وفي "ك": أنا.

(٤) يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الحنبلي (٥٥٥-٦٤٨هـ)، محدث الشام. ولد بدمشق، طلب الحديث بعد الثلاثين، واستوطن في آخر عمره حلب، وتصدر بجامعها. كان إماماً حافظاً ثقة نبيلاً. ينظر شذرات الذهب: ٥/ ٢٤٣.

(٥) سقطت من "ف".

(٦) في "ف"، وفي "ك": أنا.

(٧) سقطت من "ل"، ومن "ك"، ومن "ط".

(٨) في "ف"، وفي "ك": أنا.

(٩) سقطت من "ل"، ومن "ك"، ومن "ط".

(١٠) في "ك" بياض بمقدار نصف سطر بعد كلمة "الحداد"، وفي "ط" بياض بمقدار كلمة. والذي يظهر أنها بقية اسم الحداد، فالسند متصل لا انقطاع فيه كما تبين من نسخة "ف"، كما أن الحافظ أبي نعيم من شيوخ الحداد. والحداد هو: أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني الحداد (٤١٩-٥١٥هـ)، شيخ أصبهان في القراءات والحديث جميعاً. حمل الكثير عن أبي نعيم، =

[الأصبهاني][(١)]، قال [أخبرنا][(٢)] [الحافظ أبو نعيم[(٣)]][(٤)]، قال: حدثنا إبراهيم بن [محمد][(٥)] بن حمزة[(٦)]، ثنا أبو [عبيدة][(٧)] محمد بن أحمد بن المؤمل[(٨)] ح، قال أبو نعيم: [وحدثنا][(٩)] إبراهيم بن عبد الله بن [إسحاق[(١٠)]][(١)]،

=

وكان خيّراً صالحاً ثقة، ينظر سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٠٣.

(١) سقطت من "ل"، ومن "ك"، ومن "ط".

(٢) في "ف": أنا.

(٣) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ)، الإمام الحافظ، الثقة المحدث، صاحب الحلية وغيرها من المصنفات. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٤٥٣.

(٤) في "ف": أبو نعيم الحافظ. وبعده نقص بمقدار نصف سطر في "ل"، وفي "ك"، وبمقدار كلمة في "ط"، ويظهر أنه بقية اسم أبي نعيم، أو من عبارات المحدثين، فالسند متصل لا انقطاع فيه. كما تدل عليه نسخة "ف". كما أن إبراهيم بن محمد بن حمزة من شيوخ أبي نعيم كما سيأتي في ترجمته.

(٥) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمارة الأصبهاني، الحافظ الإمام، محدث أصبهان، ولد سنة بضع وسبعين ومئتين، حدث عنه أبو نعيم وآخرون. قال أبو نعيم: «كان أوحد زمانه في الحفظ»، توفي سنة (٣٥٣هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٨٣.

(٧) في "ط": أبو عبدة، والتصويب من "ل"، ومن "ف"، ومن "ك"، ومن حلية الأولياء لأبي نعيم: ١/ ٤، وعشرة النساء للنسائي: ص٩٣. وفي غيرهما من المصادر: أبو عبيدة. بينما في تاريخ بغداد (٢/ ٢٢٩) والكامل في الضعفاء لابن عدي، وأغلب من ترجم له أو ذكر أحاديثه: أبو عبيد. ولعله الأقرب؛ لأن بعض من ترجم له يكنيه بأبي عبيد الله، والله أعلم.

(٨) محمد بن أحمد بن المؤمل بن أبان بن تمام بن خرزاذ أبو عبيد الصيرفي. نقل توثيقه الخطيب البغدادي. مات سنة (٣١٣هـ) ينظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٢/ ٢٢٩.

(٩) في "ف": ثنا.

(١٠) إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق بن جعفر بن إسحاق الأصبهاني ويعرف بالقصار. سكن نيسابور إلى أن توفي بها رحمه الله، ورد بغداد حاجاً وحدث بها، وحدث عنه أبو نعيم، وكان سماعه منه بنيسابور، توفي (٣٧٣هـ)، ينظر تاريخ بغداد: ٧/ ٤٤.

ثنا محمد بن إسحاق السراج[٢]، قالا: ثنا محمد بن عثمان بن كرامة[٣]، ثنا خالد بن مخلد[٤]، عن سليمان بن بلال[٥]، عن شريك بن عبد الله بن أبي [نمر[٦]][٧]، [عن عطاء بن عبدالله[٨]][٩]، عن عطاء[١٠]،

=

(١) سقطت من "ف".

(٢) محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران السراج (٢١٦-٣١٣هـ) ، الإمام الحافظ الثقة، محدث خراسان، مات رحمه الله بنيسابور. ينظر تاريخ بغداد: ٢/ ٥٦.

(٣) محمد بن عثمان بن كَرَامة العِجلي، ثقة، مات ببغداد سنة (٢٥٦هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٨٧٧.

(٤) خالد بن مَخلَد القَطواني البَجَلي، صدوق يتشيع، مات سنة (٢١٣هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٢٩١.

(٥) سليمان بن بلال التيمي، أبو محمد وأبو أيوب المدني، ثقة. مات سنة (١٧٧هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٤٠٥.

(٦) شريك بن عبد الله بن أبي نمر، صدوق يخطئ. مات سنة (١٤٠هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٤٣٦.

(٧) في "ط": "يمن"، وهو تصحيف.

(٨) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، نزيل الشام مولى المهلب بن أبي صفرة (٥٠-١٣٥هـ). اسم أبيه عبدالله ويقال ميسرة. روى عن الصحابة مرسلاً، وروى عن سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وخلق، ولم يصح أن البخاري أخرج له. ينظر تهذيب التهذيب: ٧/ ١٩٠.

(٩) سقطت من "ف"، ومن "ك"، ومن "ط". وفي سند البخاري (في كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٥٠٢): عن شريك بن عبدالله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة. كما ساق النسائي في "عشرة النساء ص٩٣" الحديث بسند السبكي من إبراهيم بن محمد بن حمزة إلى أبي هريرة، ولم يذكر فيه "عطاء بن عبدالله".

(١٠) قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٨٩): «عطاء هو ابن يسار- ضد اليمين- ووقع في بعض النسخ كذلك، وقيل هو ابن أبي رباح، والأول أصح، والحديث من أفراده». وعطاء هو ابن يسار الهلالي أبو محمد المدني، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، مات
=

عن أبي هريرة[(١)] قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله تعالى [قال][(٢)]: من آذى لي وليا فقد آذنته [بالحرب)][(٣)]**[(٤)].

وبالإسناد إلى أبي نعيم قال: [حدثنا][(٥)] أبو أحمد محمد [بن أحمد][(٦)] بن إبراهيم القاضي[(٧)]، ثنا[(٨)] الحسن بن علي بن [نصر[(٩)]][(١٠)]، قال: قرئ على أبي موسى محمد بن المثنى[(١١)]، قال الحسن: وحدثنا الحسن بن سلمة بن أبي

=

سنة (٩٤هـ) ينظر تقريب التهذيب: ص٦٧٩.

(١) أبو هريرة عبدالرحمن بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف الدوسي، اختلف في اسمه وفي اسم أبيه على أقوال، أصحها ما ذكرت، من أكثر الصحابة حديثاً وأحفظهم، وكان أكثرهم ملازمة لرسول الله ﷺ. توفي سنة (٥٧هـ). ينظر الاستيعاب: ص٨٥٠.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) في البخاري، وفي "ف"، وفي "ك"، وفي "ط": بالحرب. وهو ما أثبته، وفي "ل": بحرب.

(٤) حلية الأولياء: ١/ ٥، والحديث رواه البخاري: كتاب الرقاق، رقم (٦٥٠٢).

(٥) في "ل": وحدثنا.

(٦) سقطت من بقية النسخ.

(٧) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد العسال، الحافظ المتقن، حدث عنه أبو نعيم الأصبهاني وغيره. قال الخطيب: «سمعت أبا نعيم يقول: ولي أبو أحمد العسال القضاء، وكان من كبار الناس في الحفظ والإتقان والمعرفة» مات سنة (٣٤٩هـ). ينظر تاريخ بغداد: ٢/ ٨٩.

(٨) في "ط": قال حدثنا.

(٩) الحسن بن علي بن نصر بن منصور الطوسي، الإمام الحافظ المجود. سئل عنه ابن أبي حاتم، فقال: "ثقة معتمد عليه". مات في طريق الغزو سنة (٣٠٨هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٢٨٧.

(١٠) في "ف": محمد، وهو تصحيف.

(١١) أبو موسى محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار، الإمام الحافظ الثبت. مات سنة (٢٥٢هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٨٩٢.

كبشة[١]، أن أبا عامر [البصري][٢]، حدثهما قال: حدثنا عبد الواحد بن ميمون[٣]، عن عروة[٤]، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ [فيما][٥] يروي عن ربه عز وجل قال: **(من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي)**[٦].

وبه إلى أبي نعيم، قال: [وحدثنا][٧] سليمان بن أحمد[٨]، ثنا [يحيى][٩] بن

---

(١) لم أجده باسم "الحسن" بل وجدت الحسين بن سلمة بن إسماعيل بن يزيد بن أبي كبشة الطحان الطحان البصري صدوق. مات قريباً من سنة (٢٥٠هـ). ينظر تهذيب الكمال: ٦/ ٣٨١، وتقريب التهذيب: ص٢٤٧.

(٢) في "ف": العبدي، وهو تصحيف. وفي "ك"، وفي "ط": العقدي. وهو صواب أيضاً فالمراد به: به: عبدالملك بن عمرو القيسي أبو عامر العَقَدي البصري. ثقة، مات سنة أربع أو خمس ومائتين. ينظر تهذيب التهذيب: ٦/ ٣٦٣.

(٣) عبد الواحد بن ميمون، أبو حمزة المدني، مُنكَر الحَديثِ، يروي عن عُروة. روى عنه العقدي وطلحة بن يحيى الزرقي. ينظر التاريخ الأوسط للبخاري: ٣/ ٤٢٢.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، التابعي الجليل، أبو عبدالله المدني ثقة فقيه مشهور، مات سنة (٩٤هـ) على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان. ينظر تقريب التهذيب: ص٦٧٤.

(٥) زيادة من "ف"، ومن "ك"، ومن "ط".

(٦) الحلية لأبي نعيم: ١/ ٤، والحديث رواه أيضاً الإمام أحمد: ٤٣/ ٢٦٢. قال الشيخ الأرنؤوط في في الموضع نفسه: حديث صحيح لغيره.

(٧) في "ف"، وفي "ك": ثنا.

(٨) أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) الإمام، الحافظ، الثقة، صاحب صاحب المعجم الكبير والأوسط والصغير، حدث عنه أبو نعيم وكثير غيره. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١٩.

(٩) في "ف": محمد، وهو تصحيف.

بن أيوب(١)، ثنا سعيد بن أبي مريم(٢)، ثنا نافع بن يزيد(٣)، ثنا عياش بن عباس(٤)، عن عيسى بن عبد الرحمن(٥)، عن زيد بن أسلم(٦)، عن أبيه(٧)، قال: وجد عمر بن الخطاب معــاذ بن جبل(٨) رضي الله عنهما قاعداً عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ [قال](٩): يبكيني

---

(١) يحيى بن أيوب بن بادي، المصري العلاف، الإمام المحدث الحجة، الفقيه، مات سنة (٢٨٩هـ)، عن تسعين سنة. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٤٥٣.

(٢) سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي المصري (١٤٤-٢٢٤هـ)، الحافظ الثقة، محدث الديار المصرية، قال الذهبي: «كان من أئمة الحديث». ينظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٣٢٧.

(٣) نافع بن يزيد الكلاعي، أبو يزيد المصري، يقال إنه مولى شرحبيل بن حسنة. ثقة عابد مات سنة (١٦٨هـ). ينظر تقريب التهذيب: ص٩٩٦.

(٤) عياش بن عباس القِتباني المصري. ثقة، مات سنة (١٣٣هـ) تقريباً. ينظر تقريب التهذيب: ص٧٦٤.

(٥) عيسى بن عبدالرحمن بن فروة، وقيل: ابن سَبرة الأنصاري، أبو عبادة الزرقي متروك. قال الألباني: «وعيسى هذا هو الزرقي المدني، وهو ضعيف اتفاقاً». ينظر تقريب التهذيب: ص٧٦٨، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة: ٦/ ٥٤٦، الحديث رقم (٢٩٧٥).

(٦) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبدالله، وأبو أسامة المدني. ثقة عالم وكان يرسل. مات سنة (١٣٦هـ) ينظر تقريب التهذيب: ص٣٥٠.

(٧) أسلم العدوي مولى عمر ثقة مخضرم، مات سنة (٨٠هـ). تقريب التهذيب: ص١٣٥.

(٨) أبو عبدالرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي. أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة، وشهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن بعد غزوة تبوك، كان من أعلم أمة محمد ﷺ بالحلال والحرام. توفي هو وابنه عبدالرحمن بطاعون عمواس سنة (١٨هـ) وعمره (٣٨) سنة. ينظر الاستيعاب: ص٦٧١.

(٩) سقطت من الأصل. وفي "ف": قال. وفي "ك"، وفي "ط"،: فقال.

شيء سمعته من رسول الله ﷺ، [سمعت رسول الله ﷺ يقول](١): (**إن يسير يسير الرياء شرك، وإن من عادى أولياء الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة**)(٢).
بالمحاربة)(٢).

هذا [الحديث](٣) أيضاً يصلح لأن يكون مستنداً [لأنا](٤) *نتحقق ولاية أبي بكر [لله](٥)، وكذا عمر، وكذا عثمان، وكذا علي، وسائر العشرة. فمن آذى واحداً [منهم](٦) فقد بارز الله [تعالى](٧) بالمحاربة. فلو قيل بأنه يجب عليه ما يجب على المحارب لم يبعد. ولا يلزم هذا في غيرهم من المسلمين؛ إلا فيمن تحققت ولايته بإخبار الصادق(*) ويدخل المؤذي لهؤلاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا [١٠أ] (*)[جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾...

(١) في "ف": سمعته يقول.

(٢) الحلية لأبي نعيم: ١/ ٥. وأخرجه أبو نعيم أيضاً في معرفة الصحابة: ٥/ ٢٤٣٧، رقم (٥٩٦٠-٥٩٦٠-٥٩٦١). ورواه ابن ماجه: كتاب الفتن، رقم (٣٩٨٩)، واستقصى الشيخ الألباني تخريجه وحكم عليه بالضعف، ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٦/ ٥٤٥، رقم (٢٩٧٥).

(٣) سقطت من "ف"، ومن "ك"، ومن "ط".

(٤) في "ل": لأنه، وفي "ف"، وفي "ط": لأن، والمثبت من "ك".

(٥) في بقية النسخ: رضي الله عنه.

(٦) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٧) زيادة من "ف"، ومن "ك"، ومن "ط".

(*) نقل عبارة السبكي هذه باختصار ابنُ حجر الهيتمي في الإعلام بقواطع الإسلام: ص٢٠٧-٢٠٨.

(*) من هذا الموضع حتى القوس المعقوف مع النجمة: زيادة من بقية النسخ لا يوجد في الأصل (ل) بقدر٣ أوراق تقريباً أو أقل، وهو ما يعادل خُمس النسخة "ل" تقريباً.

الآية [المائدة:٣٣]؛ إلا أن يقال إن الذين يحاربون [الله][(١)] في الآية معهودون، ألا ترى قوله [تعالى][(٢)]: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩] لا يثبت لهم حكم المحاربين الذين في سورة المائدة يدل على أن هذا من أعظم الذنوب حتى استحق به محاربة الله ومبارزته سبحانه بالحرب.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه [أراد][(٣)] قطع لسان [عبيد الله][(٤)] بن عمر[(٥)] إذ شتم المقداد بن الأسود[(٦)] فكلم في ذلك فقال: دعوني أقطع لسانه لسانه حتى لا يشتم بعد أصحاب [محمد][(٧)] ﷺ[(٨)].

---

(١) زيادة من "ط".

(٢) زيادة من "ف".

(٣) زيادة من "ف".

(٤) في "ف": عبد الله، وهو تصحيف.

(٥) الصحابي عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ولد ﷺ على عهد رسول الله ﷺ ولا يحفظ له روايةً عنه ولا سماعاً منه، من أنجاد قريش وفرسانهم، قتل ﷺ بصفين مع معاوية سنة (٣٦هـ). ينظر الاستيعاب: ص٤٩١.

(٦) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي، ويقال له المقداد بن الأسود، نسبة لمن تربى في حجره. ممن أسلم قديماً، فهو سابع سبعة. شهد بدراً وله فيها مقام مشهور، وشهد أحداً والمشاهد كلها. حديثه في الكتب الستة. توفي ﷺ سنة (٣٣هـ) وله سبعون سنة، وصلى عليه عثمان، وقبره بالبقيع. ينظر الاستيعاب: ص٧٠٦.

(٧) في "ف": رسول الله.

(٨) ينظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٧/ ١٣٣٨-١٣٣٩، رقم (٢٣٧٦) ورقم (٢٣٧٧)، والشفا: ٢/ ١١١١.

وفي كتاب ابن شعبان[(١)]: من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة، حد عند بعض [أصحابنا][(٢)] حدين: حداً له، وحداً لأمه، ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة؛ [لفضل][(٣)] هذا على غيره، ولقوله ﷺ: **(من سب أصحابي فاجلدوه)**[(٤)]. ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة، حد حد الفرية؛ لأنه سبٌّ له. وإن كان أحد [من ولد][(٥)] هذا الصحابي حياً قام بما يجب له؛ وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه، قال: وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء [بنبيهم][(٦)] ﷺ. ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به. ومن سب [غير][(٧)] عائشة رضي الله عنها ففيه قولان: أحدهما: يقتل. والآخر: كسائر الصحابة، يجلد حد

---

(١) هو أبو إسحاق، محمد بن القاسم بن شعبان العماري، اشتهر بابن الْقُرْطِيّ. كان صاحب سنة واتباع، وباع مديد في الفقه. نشأ ابن شعبان في مصر وسمع من شيوخها، ولم ينتقل منها إلى غيرها، توفي سنة (٣٥٥هـ) وقد جاوز الثمانين سنة. وكتابه هو: "الشعباني الزاهي" كما سماه هو، وبعضهم يسميه: "الزاهي في الفقه". ولكنه اشتهر عند العلماء بكتاب ابن شعبان، وطبع جزء منه حديثاً، ولم أجد فيه عبارة ابن شعبان. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٧٩.

(٢) في "ك"، وفي "ط": أصحابه. والتصويب من "ف" ومن كتاب الشفا: ٢/ ١١١٣. والمقصود بهم أصحاب ابن شعبان من المالكية.

(٣) في "ك": الفضل، وفي "ط": الفصل. والتصويب من "ف" ومن الشفا: ٢/ ١١١٢. وقوله: "لفضل هذا على غيره": أي لزيادة جرمه على من سواه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) كررت هذه الكلمة في "ك"، وفي "ط"؛ وما أثبته هو من "ف" ومن كتاب الشفا: ٢/ ١١١٣.

(٦) في "ك"، وفي "ط": نبيهم. وما أثبته هو من "ف" ومن كتاب الشفا: ٢/ ١١١٣.

(٧) في سائر النسخ: ومن سب عائشة. وما أثبته من كتاب الشفا: ٢/ ١١١٣، ومن كتاب نسيم الرياض للخفاجي: ٦/ ٤٤١. وشرح الشفا للقاري: ٢/ ٥٥٥، ومن السيف المسلول للمصنف: ص٤١٨.

المفتري. قال: وبالأول أقول.

وروى أبو مصعب[١] عن مالك: من سب آل بيت محمد ﷺ يُضرب ضرباً وجيعاً ويُشْهَّر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته؛ لأنه استخفاف بحق الرسول ﷺ.

وأفتى أبو مطرف[٢] فيمن أنكر تحليف امرأة بالليل، وقال: "لو كانت بنت أبي بكر، ما حلفت إلا بالنهار" بالأدب الشديد؛ لذكر [هذا][٣] لابنة أبي بكر في مثل هذا[٤].

وقال [أبو عمران][٥] فيمن قال: "لو شهد على أبي بكر الصديق": [أنه][٦]: إن كان في مثل [هذا لا يجوز][١] فيه الشاهد الواحد؛ فلا شيء

---

(١) أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف (١٥٠-٢٤٢هـ)، قاضي المدينة. الإمام، الثقة، لازم: مالك بن أنس، وتفقه به، وسمع منه الموطأ، وأتقنه عنه. حدث عنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه وغيرهم. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١١/ ٤٣٦.

(٢) أبو مطرف الشعبي فقيه مالقه، لم أجد له ترجمة.

(٣) سقطت من "ف".

(٤) ينظر الشفا: ٢/ ١١١٢-١١١٤.

(٥) في "ك"، وفي "ف"، وفي "ط": ابن عمران. والتصويب من كتاب الشفا: ٢/ ١١١٤، ومن كتاب نسيم الرياض: ٦/ ٤٤٣. وشرح الشفا: ٢/ ٥٥٦. وأبو عمران هو: موسى بن عيسى الفاسي، المالكي (٣٦٨-٤٣٠هـ) كان من أعلم الناس وأحفظهم، جمع حفظ الفقه إلى الحديث، وكان يقرأ القراءات ويجودها، ويعرف الرجال والجرح والتعديل، تخرج به خلق من الفقهاء والعلماء. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٥٤٥.

(٦) في "ف" وفي "ط": له، وسقطت من "ك"، وما أثبته من الشفا: ٢/ ١١١٤.

عليه. وإن كان أراد غير هذا؛ فيضرب ضرباً يبلغ به [حد][٢] الموت، وذكروها رواية[٣].

قال القاضي عياض: [حدثنا][٤] أحمد بن محمد بن [غلبون[٥]][٦]، عن أبي ذر[٧] إجازة، [أنا][٨] الدارقطني[٩]، وأبو عمرو بن حيوة[١٠]، ثنا محمد بن نوح[١]، ثنا عبد العزيز بن محمد بن

=

(١) في "ك"، وفي "ف"، وفي "ط": ما يجوز. وما أثبته من الشفا: ٢/ ١١١٤.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) ينظر الشفا: ص١١١٤.

(٤) في "ف"، وفي "ك": ثنا.

(٥) أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبدالرحمن بن غلبون الخولاني القرطبي (٤١٨-٥٠٨هـ)، الشيخ الفاضل، المعمر الصادق، مسند الأندلس. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٢٩٦.

(٦) في "ك"، وفي "ط": علبون، والتصحيح من "ف" ومن الشفا: ٢/ ٩٤٨، ومن السيف المسلول للمصنف: ص١٤٨.

(٧) عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، المعروف ببلده: بابن السماك الأنصاري (٣٥٥-٤٣٤هـ)، أبو ذر الهروي المالكي، صاحب التصانيف، وراوي (الصحيح) عن الثلاثة: المستملي، والحموي، والكشميهني. روى عنه بالإجازة: ابن عبد البر، والخطيب، وأحمد بن محمد بن غلبون. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٥٥٤.

(٨) في "ف": ثنا.

(٩) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (٣٠٦-٣٨٥هـ). قال الذهبي: «كان من بحور العلم، ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله، مع التقدم في القراءات وطرقها، وقوة المشاركة في الفقه، والاختلاف، والمغازي، وأيام الناس، وغير ذلك». ينظر سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٤٤٩.

(١٠) محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن حَيْوَيّة البغدادي، الإمام الثقة. توفي سنة (٣٠٢هـ) عن (٨٧) سنة. ينظر نسيم الرياض: ٦/ ١٧٠.

الحسن بن زبالة[٢] ثنا [عبد الله][٣] بن موسى بن جعفر[٤] عن علي بن موسى عن أبيه [عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه][٥] أن رسول الله ﷺ قال: (**من سب نبياً فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه**)[٦].

وفي حديث أبي برزة[٧]: كنت يوماً عند أبي بكر

=

(١) محمد بن نوح أبو الحسن الفارسي الإمام، الحافظ، الثبت، نزيل بغداد، حدث بدمشق، ومصر، وبغداد. وحدث عنه: الدارقطني وغيره، مات سنة (٣٢١هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٣٤.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن زبالة: من أهل المدينة، قال ابن حبان: «يروى عن المدنيين الثقات الأشياء الموضوعات المعضلات، كان ممن يتصور له الشيء فيعرض عليه، ويخيل له فيحدّث به حتى بطل الاحتجاج بأخباره». وقال ابن حجر: «عبد العزيز بن الحسن بن زبالة، عن عبد الله بن موسى بن جعفر الصادق بحديث منكر عن آبائه، قال ابن حبان: "يأتي عن المدنيين بالأشياء المعضلات، فبطل الاحتجاج به" فالظاهر أنه هذا، أو أنه عبد العزيز بن محمد بن الحسن. ينظر المجروحين: ٢/ ١٢١، ولسان الميزان: ٥/ ٢٠١. وينظر للمصنف السيف المسلول: ص١٤٩.

(٣) في "ك"، وفي "ط": عبيد الله، والتصحيح من الشفا: ٢/ ٩٤٨، ومن السيف المسلول: ص١٤٨.

(٤) يحتمل أن يكون هو عبدالله بن موسى الهاشمي، فيه كلام ما بين توثيق وتضعيف، توفي سنة (٣٧٤هـ) وبالتالي فإن السند فيه انقطاع بينه وبين علي بن موسى المتوفى سنة (٢٠٣هـ)، وإن كان غيره فلا يعرف. ينظر شرح الشفا: ٢/ ٤٠٣. وبقية السند هم من الأئمة الاثني عشر عند الرافضة، وقد سبقت ترجمتهم.

(٥) سقط من "ك"، ومن "ط"، وأثبتها من "ف" ومن الشفا: ٢/ ٩٤٨، ومن السيف المسلول: ص١٤٨.

(٦) ينظر الشفا: ٢/ ٩٤٨، والحديث سبق تخريجه.

(٧) نضلة بن عبيد بن الحارث، صحابي أسلم قديماً، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد، ثم تحوّل إلى
=

[الصديق][(١)] فغضب على رجل- وحكى القاضي إسماعيل وغيره في هذا الحديث أنه سب أبا بكر. ورواه النسائي[(٢)]: أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه، فقلت: يا خليفة رسول الله [ﷺ][(٣)]! دعني أضرب عنقه. قال: اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله ﷺ[(٤)].

وفي صحيح مسلم[(٥)] عن النبي [ﷺ][(٦)]: **(إذا أكفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما)**، وفي رواية: **(أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه)**[(٧)]، وفي رواية: **(من دعا رجلا بالكفر، أو**

=

البصرة واستقر بها، ثم غزا خرسان في آخر عهد معاوية، أو في عهد ابنه يزيد، وتوفي بها ﵁. ينظر الاستيعاب: ص٧١٤.

(١) زيادة من "ف".

(٢) الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان. (٢١٥-٣٠٣هـ) ولد بنَسَا، ونسبته إليها. سمع جمعاً كثيراً من علماء الحديث، وحدث عنه الكثير توفي في فلسطين. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٢٥.

(٣) زيادة من "ك".

(٤) ينظر الشفا: ٢/ ٩٥٣. والحديث رواه أبوداود: كتاب الحدود، رقم (٤٣٦٣)، والنسائي: كتاب تحريم الدم، رقم (٤٠٧١) وصححه الألباني في الموضعين السابقين. ورواه البيهقي (٧/ ٩٦)، والحاكم (٤/ ٣٩٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٠٤-٢٦١هـ) صاحب الصحيح، من أئمة المحدثين. ولد ومات بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وروى عن الإمام أحمد وعن خلق كثير. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٥٥٧.

(٦) في "ف": عليه السلام.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢١٥-٢١٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال عدو الله وليس كذلك؛ إلا حار عليه)[١].

قال النووي[٢]: هذا الحديث مما عده [العلماء][٣] من المشكلات من حيث إن ظاهره غير مراد، وذلك أن مذهب [أهل][٤] الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي، كالقتل والزنا، وكذا قوله لأخيه: "كافر" من غير اعتقاد بطلان الإسلام. إذا عرف ما ذكرناه؛ فقيل في تأويل الحديث أوجه:

أحدها: أنه محمول على المستحل لذلك وهذا يكفر، فعلى هذا معنى باء بها أي: بكلمة الكفر، وكذا حار عليه أي: رجعت عليه كلمة الكفر. فباء وحار بمعنى واحد.

الوجه الثاني: رجعت إليه نقيصته لأخيه ومعصيته كبيرة.

الثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا الوجه [نقله][٥] القاضي عياض عن الإمام مالك، وهو ضعيف؛ لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر [أهل][٦] البدع.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢١٧). من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ص١٣٥.

(٣) سقطت من "ك". وفي شرح النووي: بعض العلماء

(٤) زيادة من "ف". وهي كذلك في شرح النووي.

(٥) في "ف": نقلها.

(٦) زيادة من "ف".

الوجه الرابع: أن [معنى][(١)] ذلك يؤول إلى الكفر، وذلك أن المعاصي -كما قالوا-: بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها أن تكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر. ويؤيد هذا الوجه ما جاء في رواية أبي عوانة[(٢)]: (**فإن كان كما قال وإلا فقد باء بالكفر**)، وفي رواية: (**إذا قال لأخيه يا كافر فقد وجب الكفر على أحدهما**)[(٣)].

والوجه الخامس: معناه فقد رجع [عليه][(٤)] تكفيره فليس الراجع عليه حقيقة الكفر بل التكفير؛ لأنه [جعل][(٥)] أخاه المؤمن كافراً فكأنه كفَّر نفسه، نفسه، إما لأنه كفَّر من هو مثله وإما لأنه كفَّر من لا يكفِّره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام، والله أعلم.

قلت: كون الخوارج لا يكفرون لست موافقاً عليه؛ لأن النبي ﷺ صح عنه في صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[(٦)]، قال:

---

(١) في "ك": معناه.

(٢) الإمام الحافظ، أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد، صاحب "المسند الصحيح" الذي خرجه على "صحيح مسلم". ولد بعد الثلاثين ومئتين، وتوفي سنة (٣١٦هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤١٧.

(٣) مسند أبي عوانة: ١/ ٣١-٣٢، رقم (٥١، ٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) سقطت من "ف".

(٥) في "ف": رجع.

(٦) الأولى عدم تخصيص علي بن أبي طالب ﷺ بقول: "كرم الله وجهه". قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٦/ ٤٧٨): «غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يفرد علي ﷺ، بأن يقال: "عليه السلام"، من دون سائر الصحابة، أو: "كرم الله وجهه" وهذا وإن كان معناه صحيحاً، لكن ينبغي أن يُسَاوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان =

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**سيخرج في آخر الزمان [قوم]**[(١)] **أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون [من خير قول]**[(٢)] **البرية. يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً [لمن قتلهم عند الله]**[(٣)] **يوم القيامة**)[(٤)].

وقد رويت آثار تدل على أنهم هم الذين قاتلهم علي. وهم الخوارج، وهم- ومن كان مثلهم- بهذه المنزلة يجوز قتلهم بهذا الحديث وإن ادعى الإسلام. ولا يترك ما عندنا إلى اعتقاده، ولا يلتفت إليه بنص هذا الحديث، فإن هذا نص في القتل. وأما مجرد سب أبي بكر وغيره من الصحابة، فلم يجئ قط ما يقتضي قتل قائله ولا كفره، والحديث الذي يروى: (**من سب صحابيا فاجلدوه**)[(٥)] إن صح فمعناه صحيح؛ لأن واجبه التعزير، [وهو يقتضي][(٦)] أنه لا يقتضي كفراً ولا قتلاً.

وحديث أبي برزة الذي في سنن أبي داود [(٧)]، والنسائي، قال: «كنت

=

وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين».

(١) في "ك"، وفي "ف": أقوام، والمثبت من "ط"، ومن صحيح مسلم.

(٢) في "ف": من قول خير، والمثبت من "ك"، ومن "ط"، ومن صحيح مسلم.

(٣) في "ف": عند الله لمن قتلهم. والمثبت من "ك"، ومن "ط"، ومن صحيح مسلم.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، رقم (٢٤٦٢).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في "ك": وهي تقتضي.

(٧) سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) شيخ السنة، صاحب

=

عند أبي بكر، فتغيظ على رجل، فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ! تأذن لي أن أضرب عنقه؟ [قال](١): فأذهبت كلمتي غيظه، فقام فدخل فأرسل إلي، فقال: ما الذي قلت آنفا؟ قلت: أتأذن لي أن أضرب عنقه؟ [قال](٢): أكنت فاعلا لو أمرتك؟ [قلت](٣): نعم قال: لا. والله ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ»(٤).

فهذا الحديث يدل على أن إغضاب النبي ﷺ يوجب القتل دون غيره من الناس، وكذلك [أذاه يوجب القتل دون غيره من الناس؛ بشرط أن يكون](٥) أذاه مقصوداً، وسواء أكان الأذى خفيفاً أم غير خفيف، فلا شيء من قصد أذى النبي ﷺ محتمل؛ بل كله كفر موجب للقتل؛ للحديث الذي قال: (**من يكفيني عدوي**)(٦)، فابتدر له خالد [بن الوليد](٧). وهو حديث صحيح. والأشهر أنه كفر للآية الكريمة، وقوله ﷺ: (**من سب نبياً فاقتلوه**)(٨)؛ إن ثبت فهو [عمدة](١) في أن قتله حد لا يسقط بالتوبة كما

=

السنن، تتلمذ على أحمد بن حنبل، وحدث عن خلق كثير. حدث عنه النسائي وغيره. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٢٠٣.

(١) زيادة من "ك"، ومن "ط".

(٢) زيادة من "ط".

(٣) في "ف": فقلت.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سقطت من "ف".

(٦) سبق تخريجه.

(٧) زيادة من "ف".

(٨) سبق تخريجه.

يقوله [المالكية][٢]؛ لكن هذا الحديث لا نعلمه إلا بإسناد لم يظهر لنا من حاله شيء؛ فلا يصح الاحتجاج بعمومه وجعل مناط القتل من غير توبة ولا استتابة وإن تاب حداً، [هذا][٣] إنما [يصح][٤] لو صح الحديث، وذلك الوقت يحتمل أن يقال: إنه مشروط بعدم التوبة، وأما إذا لم يصح؛ فالقول بعدم التوبة والأخذ بعمومه صعب.

وثم مسائل وألفاظ لا يطلق عليها أنها سب، وقد توسعت المالكية فيها، وأوجبوا القتل بها، ولم يقبلوا فيها التوبة، ونحن لا نشتهي أن نخوض في الكلام فيها فإن الجانبين خطران.

وفي [الصحيحين][٥] عن النبي ﷺ: **(ولعن المؤمن كقتله)**[٦] .

قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق [العيد[٧]][٨]: سؤال لا يمكن أن يراد في أحكام الدنيا؛ لأن اللعن لا يوجب القصاص ولا في الآخرة؛ لأن الإثم

=

(١) في "ف": حجة.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) سقطت من "ك".

(٤) في "ك"، وفي "ط": صح، وما أثبته من "ف".

(٥) في "ف": الصحيح.

(٦) رواه البخاري: كتاب الأدب، رقم (٦١٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٣٠٣) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٧) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، تقي الدين القشيري (٦٢٥-٧٠٢ هـ)، المعروف بابن دقيق العيد: قاض مجتهد. تعلم بدمشق والاسكندرية ثم بالقاهرة. وولي قضاء الديار المصرية. ينظر شذرات الذهب: ٦/ ٥.

(٨) سقطت من "ف".

يتفاوت.

قال [المازري](١): يشبهه في الإثم؛ لأن اللعن قطع الرحمة والموت قطع التصرف(٢). وقيل: لعنته تقتضي قصد إخراجه من المسلمين أو قطع منافعه الأخروية عنه. وقيل: استواؤهما في التحريم. واقتضى كلام ابن دقيق العيد أن اللعنة تعريض بالدعاء الذي قد يقع في ساعة إجابة إلى [البعد](٣) من رحمة الله تعالى، وهو أعظم من القتل الذي [هو تفويت](٤) الحياة(٥).

وقد رأيت أن ألخص الكلام في هذه المسألة فأقول وبالله التوفيق:

هذه المسألة في رجل لعن أبا بكر، وعمر، وعثمان ﭬ على رؤوس الأشهاد، قال: إنه مستحل لذلك. وقال: إن أبا بكر مات على غير الحق، وأنه كذب النبي ﷺ في منعه ميراث فاطمة رضي الله عنها. فاستتيب ثلاثة أيام [فلم يتب](٦)، وهو مصر على ذلك. فحكم [قاضي المالكية](٧) بقتله

---

(١) في "ف" وفي "ط": الماوردي، وهو تصحيف. والتصويب من "ك"، ومن إحكام الأحكام لابن دقيق العيد: ٤/ ١٥٢، ومن إمتاع الأسماع للمقريزي: ٩/ ٢١٥. والمازري: هو محمد بن علي بن عمر المازري، نسبة إلى مازر بلدة في جزيرة صقلية، المحدث الفقيه، تتلمذ عليه القاضي عياض، وغيره. ولد بمدينة المهدية بأفريقيا، وبها توفي سنة (٥٣٦هـ) وله ثلاث وثمانون سنة. ينظر سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ١٠٤.

(٢) ينظر المعلم بفوائد مسلم، للمازري: ١/ ٣٠٦.

(٣) في "ط": العبد، وهو تصحيف، والتصويب من "ك"، ومن "ف".

(٤) في "ف": يفوت.

(٥) ينظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد: ٤/ ١٥٢.

(٦) في "ف": ولم يتب. والعبارة سقطت من "ك".

(٧) في "ك": قاض مالكي.

فقتل، وهو مصر على ذلك من غير توبة، وقلوب الخلائق مجتمعة على قتله، فادعى بعض الناس أن هذا قتل بغير حق.

والجواب: كذب من قال: إن قتله بغير حق. بل قتله بحق؛ لأنه كافر مرتد مصر على كفره، وإنما قلنا إنه كافر لأمور:

أحدها: قوله ﷺ: **(من رمى رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله وليس كذلك؛ إن كان كما قال وإلا رجعت عليه)**(١) ونحن نتحقق أن أبا بكر رضي الله عنه مؤمن وليس عدوا لله، ويرجع على هذا القائل ما قاله بمقتضى نص الحديث؛ فيحكم بكفره [بالحديث](٢) الصحيح، وإن كان هو لم يعتقد الكفر بقتله، كما يحكم على من سجد للصنم، أو ألقى المصحف في القاذورات بالكفر، وإن لم يجحد بقلبه؛ لقيام الإجماع على تكفير فاعل ذلك. [ويشهد](٣) لهذا من كلام مالك رضي الله عنه أنه حمل الحديث على الخوارج الذين كفروا أعلام الأمة، فهذا نص مالك يوافق استنباطي من هذا الحديث تكفير هذا القائل، ولا يضرنا كون هذا خبر واحد؛ لأنا نعمل بخبر الواحد في الحكم بالتكفير، وإنما لا يعمل به في الكفر نفسه الذي يحتاج إلى جحد أمر قطعي.

فإن قلتَ: قد قال النووي رحمه الله: هذا ضعيف ؛ لأن المذهب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في "ف": في الحديث.

(٣) في "ف"، وفي "ك": يشهد.

الصحيح عدم تكفير الخوارج[1]. قلتُ: رضي الله عن [الشيخ محيي الدين][2]، أخذ بظاهر المنقول من عدم التكفير، وذلك محمول [على][3] ما إذا لم يصدر منهم سبب مكفر، كما إذا لم يحصل إلا مجرد الخروج والقتال ونحوه، أما مع التكفير لمن تحقق إيمانه فمن أين ذلك.

فإن قلتَ: قد قال الأصوليون في أصول الدين- ومنهم سيف الدين الآمدي- جواباً عن قول المكفرين: كيف لا نكفر الشيعة والخوارج من تكفيرهم أعلام الصحابة وتكذيب النبي ﷺ في قطعه لهم بالجنة؟ وأجاب: أن ذلك إنما [هو إذا][4] كان [المكفر][5] يعلم بتزكية من كفره قطعا على الإطلاق إلى مماته وليس كذلك[6]. وهذا الجواب يمنع ما قلتم.

قلتُ: هذا الجواب إنما نظر فيه إلى أن المكفر لا يلزمه بذلك تكذيب النبي ﷺ، ولم ينظر إلى ما قلناه من الحكم عليه بالكفر بالحديث الذي ذكرناه، وإن لم يكن في باطنه تكذيب، [كما قاله إمام الحرمين[7]، وغيره في

---

(١) ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: ص١٣٥.

(٢) في "ف": النووي.

(٣) سقطت من "ك".

(٤) زيادة من "ف".

(٥) في "ط": الكفر، والتصويب من "ك"، ومن "ف".

(٦) ينظر أبكار الأفكار للآمدي: ٥/ ١٠٢.

(٧) أبو المعالي، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، الجويني الشافعي (٤١٩-٤٧٨هـ)، تفقه على والده والده وخلفه في التدريس، حج وجاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ويتعبد، ولقب بإمام الحرمين لمجاورته هذه، ثم عاد إلى نيسابور وتولى التدريس بالمدرسة النظامية، ينظر سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٦٨.

الحكم بالكفر على الساجد للصنم، والملقي للمصحف في القاذورات وإن لم يكن في باطنه تكذيب][(١)].

فإن قلت: يلزم على هذا أن كل من قال لمسلم إنه كافر يحكم بكفره.

قلت: إن كان ذلك المسلم مقطوعاً بإيمانه كالعشرة المشهود لهم بالجنة[(٢)] فنعم، وكذا عبد الله بن سلام[(٣)] ونحوه ممن ثبت عن النبي ﷺ الشهادة لهم، وكذا كل من بايع تحت الشجرة؛ إلا صاحب الجمل الأحمر[(٤)]، وكذا أهل بدر[(١)].

---

(١) سقطت من "ك". وقول إمام الحرمين تجده في كتابه نهاية المطلب: ١٧/ ١٦٢.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو الحارث الإسرائيلي. الإمام الحبر، حليف الأنصار، ومن خواص أصحاب النبي ﷺ. أسلم وقت هجرة النبي ﷺ وقدومه، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. توفي ﷺ سنة (٤٣هـ) بالمدينة. ينظر الاستيعاب: ص٤٦٠. وبشارة النبي ﷺ لعبدالله بن سلام ﷺ بالجنة يدل عليها ما رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، رقم (٣٨١٣)، وفي كتاب التعبير، رقم (٧٠١٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٦٣٨١-٦٣٨٢) من حديث قيس بن عباد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لعبدالله بن سلام: (أنت على الإسلام حتى تموت). وفي رواية: (يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى). وروى البخاري في كتاب مناقب الأنصار، رقم (٣٨١٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٦٣٨٠) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال (ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام).

(٤) عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من يصعد الثنية ثنية المرار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل). قال: فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس. فقال رسول الله ﷺ: (كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر). فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ. فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان =

وأما إذا لم يكن ذلك المسلم مقطوعاً بإيمانه بل هو من عرض المسلمين، فلا نقول فيه ذلك إن كان إيمانه ثابتاً من حيث الحكم الظاهر؛ لأن النبي ﷺ أشار إلى اعتبار الباطن بقوله: (**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**)، وبقوله: (**فقد باء بها أحدهما**)[٢].

بقي قسم آخر وهو: أن لا يكون من الصحابة المشهود لهم بالجنة؛ ولكن [ممن][٣] أجمعت الأمة على [صلاحه][٤] وإمامته، كسعيد بن المسيب[٥]، والحسن[١]، وابن

=

الرجل ينشد ضالة له» رواه مسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين، رقم (٧٠٣٨)، قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٨/ ٣١٢): «قيل: هو الجد بن قيس المنافق. و"ينشد ضالته": يطلبها، ويرفع صوته بذلك». وثنية المرار: هي مهبط الحديبية، قال ابن الأثير في النهاية (ص١٢٩): «الثنية في الجبل: كالعقبة فيه. وقيل: هو الطريق العالي فيه، وقيل: أعلى المسيل في رأسه. والمرار بالضم: موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية، وبعضهم يقوله بالفتح. وإنما حثهم على صعودها؛ لأنها عقبة شاقة وصلوا إليها ليلاً حين أرادوا مكة سنة الحديبية فرغبهم في صعودها».

(١) روى البخاري: كتاب الجهاد والسير، رقم (٣٠٠٧)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، رقم (٦٤٠١) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) في "ط": مما، وما أثبته من "ك"، ومن "ف".

(٤) في "ك"، وفي "ط": خلافته، وما أثبته من "ف".

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن ، القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ﷺ، روى عن كثير من الصحابة ﷺ. توفي رحمه الله في المدينة سنة (٩٤هـ) ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢١٧.

سيرين[٢]، وأضرابهم من التابعين وبعدهم من علماء المسلمين المجمع عليهم، فهذا عندي أيضا ملتحق بمن ورد النص فيه فيكفر من كفره.

وحاصله أنا نكفر [من يكفر][٣] من نحن نقطع بإيمانه إما بنص، أو إجماع.

فإن قلت: هذا طريق لم يذكره أحد من المتكلمين، ولا من الفقهاء. قلت: الشريعة كالبحر كل وقت يعطي جواهر، وإذا صح دليل لم يضره خفاؤه على كثير من الناس مدة طويلة، على أننا قد ذكرنا من كلام مالك رحمه الله ما يشهد له.

فإن قلت: الكفر هو جحد الربوبية والرسالة. وهذا رجل موحد مؤمن بالرسول ﷺ وآله وكثير من صحابته، فكيف يكفر؟

قلت: التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الوحدانية أو الرسالة، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً، وهذا منه. فهذا دليل لم يرد في هذه المسألة أحسن منه لسلامته عن اعتراض

=

(١) الحسن بن يسار التابعي الجليل، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ، شهد مقتل عثمان ﷺ وله أربع عشرة سنة. كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، توفي رحمه الله سنة (١١٠هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٣.

(٢) محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك ﷺ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. أدرك ثلاثين صحابياً. كان محدثاً فقيهاً ورعاً. توفي رحمه الله سنة (١١٠هـ). ينظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٠٦.

(٣) سقطت من "ف".

صحيح قادح فيه. وينضاف إليه قوله ﷺ: «**من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب**» رويناه في حلية الأولياء من طريق أبي هريرة وعائشة ومعاذ بن جبل[(١)]؛ ولكن لا يقال بظاهره، بل هو كقوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾ [البقرة:٢٧٩]، على أنه يمكن التزامه، وأن المراد إذا لم يترك الربا، ولا أقر به: كفر. ولا شك أن أبا بكر رضي الله عنه [ولي][(٢)]، فإيذاؤه مبارزة [بمحاربة الله][(٣)]. وقوله ﷺ [في الحديث الصحيح][(٤)]: «**ولعن المؤمن كقتله**»[(٥)]، وأبو بكر رضي الله عنه مؤمن، وفي الحديث الأول كفاية وهو في صحيح مسلم.

الدليل الثاني: استحلاله لذلك بمقتضى اعترافه، ومن استحل ما حرمه الله فقد كفر ولا شك أن [لعنه][(٦)] الصديق وسبه محرم.

قال ابن حزم: واللعن أشد السب، وقد صح عن النبي ﷺ: (**سباب المؤمن فسوق**)[(٧)]. فسب أبي بكر رضي الله عنه فسق، [واستحلال الفسق كفر][(٨)].

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) في "ك": المحاربة لله، وفي "ف": محاربة لله.

(٤) سقطت من "ف".

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في "ط": لعنته.

(٧) رواه البخاري: كتاب الإيمان، رقم (٤٨) ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢٢١) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) زيادة من إمتاع الأسماع، للمقريزي: ٩/ ٢١٧، كما نقلها عن السبكي، ولم أقف على عبارة ابن حزم في كتبه، أو على عبارة قريبة منها، ولم أجدها في النسخ التي بين يدي؛ لكن يشهد لها العبارة =

فإن قلت: إنما يكون استحلال الحرام كفراً إذا كان تحريمه معلوماً بالدين بالضرورة.

قلت: وتحريم سب الصديق ﷺ معلوم من الدين بالضرورة، بالنقل المتواتر [على][١] حسن إسلامه وأفعاله الدالة على إيمانه، وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه الله تعالى، هذا لا شك فيه [ولا يرتاب][٢]. وإن شك فيه الرافضي ومن كان كذلك؛ فتحريم لعنه وسبه معلوم من الدين بالضرورة، فيكون مستحله كافراً. ولا يرد على هذا إلا شيء واحد وهو: أن يكفر مستحل ما علم تحريمه، فأخذه أنه إنما علم تحريمه بالضرورة، وكان ذلك العلم حاصلاً عند الجاحد، فجحده تكذيب للنبي ﷺ؛ فلذلك كفر الجاحد. والرافضي لم يكن ذلك العلم الضروري بالتحريم [حاصلاً][٣] عنده؛ فلم يلزم منه تكذيبه للنبي ﷺ، ولا [ينفصل][٤] من هذا إلا بأن يقال: إن تواتر ذلك عند عموم الخلق يكفي؛ فلا يعذر الرافضي بالشبهة الفاسدة التي غطت على قلبه حتى لم يعلم. وهذا محل نظر وجدل، وإن كان القلب يميل إلى بطلان هذا العذر.

الدليل الثالث: أن هذه الهيئة الإجماعية التي حصلت من هذا الرافضي

=

التي بعدها.

(١) سقطت من "ك". ومن "ف".

(٢) سقطت من "ط".

(٣) في "ك"، وفي "ط": جاهلاً، والتصويب من "ف" ومن إمتاع الأسماع: ٩/ ٢١٧.

(٤) في "ك"، وفي "ط": يفصل، وما أثبته من "ف" ومن إمتاع الأسماع: ٩/ ٢١٧.

ومجاهرته ولعنه، واستحلاله على رءوس الأشهاد، [وإصراره][(١)] بالنسبة إلى أبي بكر وعمر وعثمان- وهم أئمة الإسلام، والذين أقاموا الدين بعد النبي ﷺ، وما علم لهم من المناقب والمآثر- كالطعن في الدين، والطعن في الدين: كفر .فهذه ثلاثة أدلة ظهرت لنا في قتله.

الأمر الرابع : [النقول][(٢)] عن العلماء: فمذهب أبي حنيفة أن من أنكر خلافة الصديق ﵁ فهو كافر، وكذلك من أنكر خلافة عمر بن الخطاب ﵁. ومنهم من لم يحك في ذلك خلافاً، [ومنهم من ذكر في ذلك خلافاً][(٣)] وقال: الصحيح أنه كافر. والمسألة مذكورة في كتبهم: في الغاية للسروجي، وفي الفتاوى الظهيرية، والبديعية، وفي الأصل لمحمد بن الحسن[(٤)]. والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبي حنيفة ﵁ وهو أعلم بالروافض؛ لأنه كوفي والكوفة منبع [الرفض][(٥)].

والروافض طوائف: منهم من يجب تكفيره، ومنهم من لا يجب تكفيره. فإذا قال أبو حنيفة بتكفير من ينكر إمامة الصديق ﵁ فتكفير لاعنه أولى، والظاهر أن المستند [أن][(٦)] منكر إمامة الصديق مخالفته للإجماع، بناء

---

(١) في "ك": وإضراره.

(٢) في "ف"، وفي "ك": المنقول.

(٣) زيادة من "ف"، ومن إمتاع الأسماع: ٩/ ٢١٨.

(٤) لم أقف على شيء في كتاب الأصل لمحمد بن الحسن الشيباني. ولكنه في الفتاوى البزازية: ٣/ ٣١٨، وفي البحر الرائق: ١/ ٣٧٠، ٥/ ١٣١.

(٥) في "ف": الروافض.

(٦) زيادة من "ف"، ومن إمتاع الأسماع: ٩/ ٢١٨، كما نقلها عن السبكي.

على أن جاحد الحكم المجمع عليه كافر، وهو المشهور عند الأصوليين. وإمامة الصديق ﷺ مجمع عليها من حين بايعه عمر بن الخطاب، ولا يمنع من ذلك تأخر بيعة بعض الصحابة، فإن الذين تأخرت بيعتهم لم يكونوا مخالفين في صحة إمامته؛ ولهذا كانوا يأخذون عطاءه ويتحاكمون إليه. فالبيعة شيء، والإجماع شيء، لا يلزم من أحدهما الآخر ولا من عدم أحدهما عدم الآخر، فافهم ذلك فإنه قد يغلط فيه، وهذا [قد](١) يعترض عليه بشيئين:

أحدهما: قول بعض الأصوليين: إن جاحد الحكم المجمع عليه إنما يكفر إذا كان معلوماً من الدين بالضرورة، وأما المجمع [عليه](٢) الذي ليس معلوماً من الدين بالضرورة فلا يكفر بإنكاره، مثل: كون بنت الابن لها السدس مع البنت مجمع [عليه](٣)، وليس معلوماً بالضرورة فلا يكفر منكره.

ويجاب عن هذا: بأن خلافة الصديق وبيعة الصحابة له ثبتت بالتواتر المنتهي إلى حد الضرورة، فصارت كالمجمع عليه المعلوم بالضرورة، وهذا لا شك فيه. ولم يكن أحد من الروافض في أيام الصديق ﷺ، ولا في أيام عمر، ولا أيام عثمان، وإنما حدثوا [بعده](٤) وحدثت مقالتهم بعد

---

(١) سقطت من "ف".

(٢) زيادة من "ف"، ومن إمتاع الأسماع: ٩/ ٢١٨.

(٣) سقطت من "ف".

(٤) في "ك"، وفي "ط": بعد.

حدوثهم.

الشيء الثاني: أن خلافة الصديق رضي الله عنه- وإن علمت بالضرورة- فالخلافة من الوقائع الحادثة، وليست حكماً شرعياً. والذي يكفر جاحده إذا كان معلوماً بالضرورة](*) [١٠ب] إنما هو الحكم الشرعي؛ لأنه من الدين [كالصلاة](١) والزكاة والحج؛ [ولأنه](٢) [الذي](٣) يلزم من جحده تكذيب [الرسول ﷺ، وهذا محل يجب التمهل فيه والنظر. نعم وجوب الطاعة وما أشبهه حكم](٤) شرعي [يتعلق](٥) بالخلافة.

والشافعية [حكى](٦) [القاضي حسين منهم في كتاب الصلاة في كفر](٧) ساب الشيخين وجهين.

فإن قلتَ: [فقد](٨) جزم في كتاب الشهادات بفسق ساب الصحابة، ولم يحك فيه خلافاً. وكذلك ابن الصباغ(٩) في الشامل وغيره، وحكوه عن

(*) إلى هنا ينتهي النقص في نسخة الأصل المرموز لها بحرف "ل".

(١) في "ط": والصلاة.

(٢) سقطت من "ك".

(٣) سقطت من بقية النسخ.

(٤) سقطت من "ف".

(٥) في "ف": معلق.

(٦) في "ف": نقل. بينما سقطت من "ك".

(٧) في بقية النسخ: القاضي حسين في كتاب الصلاة منهم في كفر.

(٨) في بقية النسخ: قد.

(٩) عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ (٤٠٠-٤٧٧هـ) فقيه شافعي من أهل بغداد ولادة ووفاة. كانت الرحلة إليه في عصره، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية. وعمي في آخر =

الشافعي، فيكون ذلك ترجيحاً لعدم الكفر. قلتُ: لا. وهما مسألتان:

المسألة المذكورة في الشهادات في السب المجرد دون التكفير، وهو موجب للفسق، ولا فرق في الحكم بالفسق بين ساب أبي بكر ﷺ [وساب غيره من الصحابة في مطلق الفسق، ويزيد أبو بكر](١) وأعلام الصحابة ﷺ زيادة أخرى.

والمسألة المذكورة في كلام القاضي حسين في كتاب الصلاة في الاقتداء في ساب الشيخين أو [ساب](٢) الحسين، وهي محل الوجهين في الكفر أو الفسق، ولا مانع من أن يكون سب مطلق [الصحابة](٣) [موجباً](٤) للفسق، وسب هذا الصحابي [المخصوص](٥) مختلفاً في كونه موجباً للفسق أو الكفر.

[ولنا مسألة ثالثة](٦) وهي: تكفير أبي بكر ونظرائه من الصحابة هذه لم يتكلم فيها أصحابنا [لا](٧) في كتاب الشهادات، ولا في كتاب الصلاة،

=

عمره. له "الشامل" في الفقه. ينظر سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٦٤.

(١) سقطت من بقية النسخ.

(٢) زيادة من "ط".

(٣) في بقية النسخ: الصحابي.

(٤) في "ل": موجب.

(٥) سقطت من بقية النسخ.

(٦) في "ك": وأما مسألة ثالثة، وفي "ط": وأما المسألة الثالثة.

(٧) سقطت من بقية النسخ.

وهي مسألتنا. والذي أراه: أنه موجب للكفر قطعاً- [أعني قطعاً][(١)] عملاً بمقتضى الحديث المذكور. والمالكية قد حكينا كلام مالك ﵁.

[والحنابلة فالمنقول عن أحمد ﵁ أنه قال: من طعن في خلافة عثمان][(٢)] ﵁ فقد طعن في المهاجرين والأنصار.

ولقد صدق أحمد في هذه المقالة، فإن عمر بن الخطاب ﵁ لما جعل الخلافة شورى في الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم عثمـــان، وعلي، وطلحة[(٣)]، والزبير[(٤)]، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن بن أبي وقاص[(٥)]. وأسقط طلحة، والزبير، وسعد حقوقهم، وبقي عثمان،

---

(١) سقطت من بقية النسخ.

(٢) سقطت من "ف".

(٣) طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو القرشي، من السابقين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، أبلى طلحة يوم أحد بلاء حسناً ووقى رسول الله ﷺ بنفسه. وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى استقل على الصخرة. توفي ﵁ في خلافة علي سنة (٣٦هـ). ينظر الاستيعاب: ص٣٨٥.

(٤) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في الإسلام. أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي ﵁ في خلافة علي سنة (٣٦هـ). ينظر الاستيعاب: ص٢٧٠.

(٥) سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، خال خال رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، من أوائل الصحابة الذين أسلموا ، ليث القادسية، صاحب الدعوة المستجابة، وأحد الستة أصحاب الشورى. توفي ﵁ في المدينة سنة (٥٥هـ). ينظر الاستيعاب: ص٣٠٤.

وعلي، وعبد الرحمن بن عوف[١]. وقام عبد الرحمن ليبايع أحد الرجلين: إما عثمان، وإما علياً، [١١أ] ونصب نفسه لذلك ولم يخترها لنفسه. [فأقام][٢] ثلاثة أيام بلياليها لا ينام، وهو يدور على المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ويستشيرهم فيمن يتقدم: عثمان، أو علي. ويجتمع بهم جماعات وفرادى، رجالاً ونساء، ويأخذ ما عند كل واحد منهم في ذلك إلى أن اجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان رضي الله عنه فبايعه، فكانت بيعة عثمان عن إجماع قطعي من المهاجرين والأنصار.

[ولذلك[٣] قال أحمد: "من طعن فيها فقد طعن في المهاجرين والأنصار"][٤]. ويوافق ذلك ما روي عن أحمد [أيضا][٥] أنه قال: "شتم عثمان زندقة". وقد تأملت هذا الكلام فوجدته مثل الأول؛ لأن الزندقة هي إخفاء الكفر وإظهار ما ليس [بكفر][٦]، والطعن في المهاجرين والأنصار كفر، وشتم عثمان وحده بظاهره ليس بكفر. فهذا هو التأويل الصحيح لكلام أحمد.

وذهب بعض أصحابه إلى أنه يأخذ من هذه الرواية قولاً له: أن سب

---

(١) في "ل" زيادة: [وسعد بن أبي وقاص]، ولا مكان لها في هذا الموضع؛ إذ سبق أن ذكر أن سعداً رضي الله عنه قد أسقط حقه في الخلافة، والتصويب من "ف" ومن "ك"، ومن "ط".

(٢) في "ف"، وفي "ط": فبقي، وفي "ك": وبقي.

(٣) في "ف": فلذلك، وفي "ط": فكذلك.

(٤) سقطت من "ك".

(٥) سقطت من "ط".

(٦) في بقية النسخ: كفراً.

[الصحابي][(١)] كفر. وهذا ليس بتخريج صحيح، ولا فهم لكلام [أحمد][(٢)]، والمنقول عن أحمد في سب الصحابي [أبي بكر وغيره][(٣)] أنه قال: "أنا أجبن عن قتله؛ ولكن ينكل نكالاً شديداً". وإذا كان هذا في أبي بكر ﷺ، فعثمان أولى. والرواية التي عنه في عثمان لا تعارض [ذلك][(٤)] لما بيناه؛ [ولذلك][(٥)] قال زندقة [وما][(٦)] قال كفر. والذي يخرّج من كلام العلماء يجب أن [يتأنى][(٧)] في فهم كلامهم، وكأني بك تقول أصحاب أحمد أخبر بمراده .

والجواب: أن الله تعالى فهم علمه [لمن][(٨)] يشاء، وقد يؤتى قصير العلم فهماً في مسألة، لا يعطاه كثير العلم، فالله يقسم فضله في عباده كما يشاء.

فتلخص أن سبّ[(٩)] أبي بكر ﷺ على مذهب أبي حنيفة، وأحد الوجهين عند الشافعية: كفر. وأما مالك فالمشهور [عنه][(١٠)] أنه أوجب به

---

(١) في بقية النسخ: الصحابة.
(٢) في "ك"، وفي "ط": آخر.
(٣) سقطت من "ك"، ومن "ط".
(٤) سقطت من بقية النسخ.
(٥) في "ك": وكذلك.
(٦) في "ف": ولا.
(٧) في "ك": تباين.
(٨) في بقية النسخ: من.
(٩) في "ف": مَنْ سبّ.
(١٠) سقطت من بقية النسخ.

الجلد؛ فيقتضي أنه ليس بكفر، ولم أر [عنه][(١)] خلاف ذلك إلا ما قدمته في الخوارج؛ [فتخرج][(٢)] عنه أنه كفر. فتكون المسألة عنده على حالين: إن اقتصر على السبّ من غير تكفير لم يكفر، وإن كفّر كفر.

فهذا الرافضي [لعنه الله][(٣)] قد زاد إلى التكفير فهو كافر عند مالك، وأبي حنيفة، وأحد وجهي [الشافعية][(٤)]، وزنديق عند أحمد بتعرضه لعثمان [١١ب] المتضمن لتخطئة المهاجرين والأنصار، وكفره هذا ردة؛ لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين، والمرتد يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل. وهذا استتيب [ولم][(٥)] يتب فكان قتله على مذهب جمهور العلماء أو جميعهم؛ لأن القائل بأن الساب [لا يكفر][(٦)] لم نتحقق منه أنه يطرده فيمن يكفر أعلام الصحابة رضوان الله عليهم. فأحد الوجهين عندنا إنما اقتصر على الفسق [في][(٧)] مجرد السب دون التكفير، [وكذلك][(٨)] أحمد إنما جبن عن قتل من لم لم يصدر منه إلا السب، والذي صدر من هذا الملعون أعظم من السب.

ومن جملة المنقول قول الطحاوي [أحد أئمة الحنفية][(٩)] في عقيدته في

(١) في "ط": عنده.
(٢) في "ف"، وفي "ك": فيخرج.
(٣) زيادة من "ك"، ومن "ط".
(٤) في "ف": الشافعي.
(٥) في بقية النسخ: فلم.
(٦) في "ف": لا يقتل بكفر.
(٧) في "ل": دون، وما أثبته من بقية النسخ.
(٨) في "ك": ولذلك.
(٩) سقطت من "ك"، ومن "ط".

الصحابة: «وبغضهم كفر»(١)، وهذا [القول](٢) منه يحتمل [أن يحمل على مجموع الصحابة، ويحتمل](٣) أن يحمل على كل واحد منهم إذا أبغضه لا لأمر خاص به؛ بل لمجرد صحبته للنبي ﷺ، ولا شك أن ذلك كفر؛ لأنه لا يبغضه لصحبته للنبي ﷺ [إلا(٤) لبغضه للنبي ﷺ](٥)، وبغض النبي ﷺ كفر. ويحتمل أن يحمل على ما إذا أبغض صحابياً لا لأمر من الأمور. والقول بأن هذا [وحده كفر](٦) يحتاج إلى دليل، وأما إذا أبغضه لشحناء بينهما دنيوية ونحوها فلا يظهر [تكفيره](٧).

وهذا الرافضي [لعنه الله](٨) ومن أشبهه: بغضهم لأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ لا شك أنه ليس لأجل الصحبة؛ لأنهم يحبون علياً، والحسن، والحسين وغيرهم؛ ولكنه [لهوى](٩) أنفسهم واعتقادهم بجهلهم ظلمهم [لأهل](١٠) بيت النبي ﷺ. فالظاهر أنهم إذا اقتصروا على السب من غير تكفير، ولا جحد لمجمع عليه: لا يكفرون.

---

(١) ينظر شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٣١٠.

(٢) في بقية النسخ: المنقول.

(٣) سقطت من "ك".

(٤) سقطت من "ط".

(٥) سقطت من "ك".

(٦) في "ف": كفر وحده.

(٧) في "ف"، وفي "ك": كفره.

(٨) زيادة من بقية النسخ.

(٩) في "ك"، وفي "ط": بهوى.

(١٠) في "ف": لآل.

واعلم أن من كان كفره للطعن في الدين فإن توبته مقبولة لقوله تعالى: ﴿وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة:١٢] [فقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾][١]: دليل لقبول توبتهم وهذا الرافضي [لعنه الله][٢] الذي صدر منه هذا الطعن لم [ينته][٣] ولم يتب.

الأمر الخامس: الذي يمكن أن يتمسك به في قتل هذا الرافضي أن هذا المقام الذي قام لا شك أنه يؤذي [١٢أ] النبي ﷺ، [وإيذاء النبي][٤] ﷺ [يوجب القتل][٥] بدليل الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ فيمن آذاه: **(من يكفيني عدوي)** فقال خالد بن الوليد: أنا أكفيكه. فبعثه إليه النبي ﷺ فقتله[٦]. وهو حديث صحيح قاله علي بن المديني للخليفة لما سأله عن حديث فيمن سب النبي ﷺ وقال له الخليفة : هذا [حديث][٧] عن رجل من بلقين. قال علي: يا أمير المؤمنين هذا رجل معروف، فأعطاه الخليفة ألف دينار.

---

(١) سقطت من بقية النسخ.

(٢) زيادة من بقية النسخ.

(٣) في "ك" بياض مكان هذه الكلمة.

(٤) في بقية النسخ: وإيذاؤه.

(٥) في بقية النسخ: موجب للقتل.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) في بقية النسخ: الحديث.

لكن الأذى على قسمين: أحدهما: [أن](١) يكون فاعله قاصداً لأذى النبي ﷺ، ولا شك أن هذا يقتضي القتل، وهذا كأذى عبد الله بن أبي في قصة الإفك.

والآخر: أن لا يكون فاعله قاصداً لأذى النبي ﷺ، [وهذا](٢) مثل كلام مسطح وحمنة في الإفك، فهذا لا يقتضي قتلاً. وكلام هذا الرافضي [لعنه الله](٣) قد يقال: إنه من هذا القبيل [انتصاراً](٤) بزعمه لآل بيت النبي ﷺ؛ لكن في المقام الذي قام به فحش، [وهضم](٥) لمنصب الخلفاء الراشدين الذين أقام [الله](٦) بهم الدين ﷺ.

ومن الدليل على أن الأذى لا بد أن يكون مقصودًا [قوله](٧) تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، فهذه الآية في ناس صالحين من الصحابة [ولم](٨) يقتض ذلك الأذى كفراً، وكل معصية ففعلها [يؤذي](٩)، ومع ذلك [ليس](١٠) بكفر. فالتفصيل في الأذى

---

(١) سقطت من بقية النسخ.

(٢) سقطت من بقية النسخ.

(٣) زيادة من بقية النسخ.

(٤) في بقية النسخ: لانتصاره.

(٥) في "ف": وغضب.

(٦) سقطت من "ك"، ومن "ط". وفي "ف": قام بهم.

(٧) في بقية النسخ: قال.

(٨) في بقية النسخ: لم.

(٩) في "ف": مؤذ. وفي "ك"، وفي "ط": مؤذي.

(١٠) في بقية النسخ: فليس.

[الذي][(١)] ذكرناه [متعين][(٢)]، وبه [يقف][(٣)] الاستدلال بهذا الوجه. [وإنما][(٤)] ذكرناه ليعلم.

وأما الوقيعة في عائشة رضي الله عنها والعياذ بالله [فموجب][(٥)] للقتل لأمرين:

أحدهما: أن القرآن [شهد][(٦)] ببراءتها فتكذيبه كفر، والوقيعة فيها تكذيب له.

والثاني: أنها فراش النبي ﷺ والوقيعة فيها تنقيص له، وتنقيصه كفر.

وينبني على المأخذين سائر زوجاته ﷺ إن عللنا بالأول لم يقتل من وقع في غير عائشة رضي الله عنها، وإن عللنا بالثاني قتل لأن الكل فراش [النبي][(٧)] صلى [١٢ب] الله عليه وسلم، وهو الأصح على ما قاله بعض المالكية. وإنما لم يقتل النبي ﷺ قذفة عائشة؛ لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن، فلم يكن تكذيباً للقرآن؛ ولأن ذلك حكم ثبت بعد نزول الآية [فلا][(٨)] ينعطف حكمه على ما قبلها.

---

(١) زيادة من بقية النسخ.

(٢) في "ط": يتعين.

(٣) في "ف": ينقض.

(٤) في "ك"، وفي "ط": إنما.

(٥) في "ك"، وفي "ط": فموجبة.

(٦) في "ك"، وفي "ط": يشهد.

(٧) في "ف": للنبي.

(٨) في بقية النسخ: فلم.

الأمر السادس: ورد في الترمذي بإسناد صحيح: (**الله الله في أصحابي لا تسبوا أصحابي من أحبهم أحبني ومن أبغضهم أبغضني ومن آذاهم آذاني**)(١)، فإن كان هذا في جملة الصحابة [أو في](٢) واحد من حيث الصحبة: فصحيح، حكمه ثابت معمول به كما قدمناه. [وكذا هو](٣) من حيث هم تعظيماً لقدرهم [العظيم](٤) لصحبتهم لهذا النبي [العظيم] ﷺ(٥).

ﷺ(٥).

ولا شك أن هذا حكم يشمل الصدّيق، وغيره من سائر الصحابة، وهم درجات ويتفاوت حكمهم في ذلك بتفاوت مراتبهم، والجريمة تزيد بزيادة من تعلقت به، فلا يقتصر في سب أبي بكر رضي الله عنه [على الجلد الذي يقتصر عليه لجلد(٦) غيره، فإذا نظرت إلى "قدر"(٧) أبي بكر](٨) [وقدر أدنى أدنى الصحابة](٩)- وإن كان لا [دنيّ](١٠) فيهم بل معناه أقرب إلينا- وكان وكان واجبه الجلد، فكم بينه وبين مرتبة الصديق رضي الله عنه مراتب، كل مرتبة

(١) سبق تخريجه، وبيان ضعفه.

(٢) في "ك": أو في كل، وفي "ط": وفي كل.

(٣) في "ك": وهذا، وفي "ط": وهذا هو. وسقطت من "ف".

(٤) زيادة من "ك".

(٥) سقطت من "ف".

(٦) في "ف": في جلد.

(٧) في "ف": كلام أبي بكر وقدره.

(٨) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٩) سقطت من "ف".

(١٠) في "ط": أدنى.

تزيد حتى تنتهي إلى [رتبة](١) الصديق، فكم يكون واجبها؟

[وكما أن](٢) الواجب لمجرد [حق](٣) الصحبة [هو الجلد](٤)، فإذا انضاف إلى الصحبة غيره، مما يقتضي الاحترام لنصرة الدين، [وحماية](٥) المسلمين، وما حصل على يده من الفتوح، وخلافة النبي ﷺ وغير ذلك، كل واحد منها يقتضي مزيد حق لأجله زيادة عقوبة بالاجتراء عليه، فيزداد الواجب وليس ذلك لتجدد حكم بعد النبي ﷺ؛ ولكن النبي ﷺ شرع أحكاماً، وأناطها بأسباب، فنحن نتبع تلك الأسباب، وترتب على كل سبب منها حكمه، وكان الصديق في حياة النبي ﷺ له حق السبق إلى الإسلام والتصديق، والقيام في الله [والنصرة والمحبة والإنفاق](٦) وغير ذلك من كل خصلة جميلة، ثم بعد [١٣أ] النبي ﷺ من خلافته إياه، وما حصل على يده من الخير: يزداد حقه، وحرمته، واستحقاق [كل](٧) من اجترأ عليه زيادة النكال، فلا يبعد أن يكون لضرورته من الدين بهذا المحل أن يكون سابه طاعناً في الدين فيستحق القتل، ولقد قتل الله بسبب يحيى بن زكريا [عليهما السلام](٨) خمسة [وسبعين](١) ألفاً، وقال بعض العلماء إن

(١) في "ك": مرتبة.

(٢) في "ف": وإن كان.

(٣) زيادة من بقية النسخ.

(٤) في "ف": وهو الجلد. وفي "ك"، وفي "ط": وهو الواجب.

(٥) في "ف": وجماعة.

(٦) في بقية النسخ: والمحبة والإنفاق والنصرة.

(٧) زيادة من بقية النسخ.

(٨) سقطت من "ف"، وفي "ك": عليه السلام.

ذلك دية كل نبي. ويقال: إن الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ: (**إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، ولأقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً**)(٢). فإذا قتلنا بهذه الواقعة عشرين نفساً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لم يكن كثيراً، ولا تعتقد بجهلك أن هذا الكلام جهل من جنس فعل العرب الجهال، وما كانت [الجاهلية](٣) تفعله من قتلهم بالشريف جماعة، وذلك خطأ حيث كان أخذاً بغير جرم إلا الجرم الأول، وهذا إنما يأخذهم الله بذنوبهم كل واحد يقتل بذنبه؛ ولكن السبب في ذلك من جهة الله [تعالى](٤) الاجتراء العظيم [الأول](٥) تعظيماً لحرمته، وهكذا الصديق رضي الله عنه يظهر الله تعالى حرمته وحقه باجتراء كثير من الروافض [لعنهم الله](٦) الذين [خزوا](٧) بهذه الواقعة، وكانت [تشتال](٨) أنوفهم لو صفح عنه.

=

(١) في "ك"، وفي "ط": وخمسين.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٣١٩، قال الذهبي: "المتن منكر جدا" . والخطيب في تاريخ بغداد: ١/ ٤٧٢، والمهرواني في الفوائد المنتخبة (المهروانيات): ص٢/ ٦٩٣-٦٩٤، قال المحقق: "الحديث من جميع طرقه لا يسلم من وجود متّهم، أو ضعيف جدًّا، أو من لا تُعرف له ترجمة في إسناده، هذا بالإضافة إلى وجود عنعنة حبيب بن أبي ثابت في جميع ما وقفت عليه من طرقه المتقدّمة، وهو مدلّس من الثّالثة".

(٣) في "ك": الجهال

(٤) سقطت من "ف".

(٥) في "ف": للأول.

(٦) زيادة من بقية النسخ.

(٧) في "ط": خسروا.

(٨) في "ف": لتشتال. وتشتال، مأخوذ من شتل، وهو أخذ بذر النبات من مكان ليغرسه في مكان آخر، والشتلة: هي النبتة الصغيرة تنقل من منبتها إلى مغرسها. والمقصود أن أنوف الرافضة
=

وقد قال أبو يوسف(١) صاحب أبي حنيفة: إن التعزير [يجوز](٢) بالقتل وإن كان ذلك صحيحًا فلا يوجد في [قتله](٣) سبب أعظم من التجري لهذا المقام في حق الصديق والخلفاء الراشدين [رضي الله عنهم أجمعين](٤).

الأمر السابع: أن لعنة الصديق وأضرابه [معصية](٥) قطعاً تجب التوبة عنها قطعاً، فيطلب من اللاعن التوبة، ويعاقب على الامتناع منها وإن انتهى إلى القتل؛ لأنه واجب لا يؤدي عنه [غيره](٦). وهذا مأخذ الشافعي ﷺ في قتل تارك الصلاة أنه [أمر](٧) لا يؤديه عنه غيره(٨).

فإذا جعل الشافعي الامتناع من الصلاة مجوزاً للقتل؛ فالامتناع من هذه التوبة المعلوم وجودها من الدين [ضرورة](٩) كذلك [يوجب

=

ترتفع أنفة وتكبراً واستعلاء وحقداً. ينظر المعجم الوسيط: ١/ ٤٧٢.

(١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي (١١٣-١٨٢هـ) الإمام المجتهد. حدث عن: هشام بن عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وأبي حنيفة، ولزمه وتفقه به، وهو أنبل تلامذته، وأعلمهم. وحدث عنه: يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وأسد بن الفرات، وعدد كثير. وكان هارون الرشيد يبالغ في إجلاله. ينظر سير أعلام النبلاء: ٨/ ٥٣٥.

(٢) زيادة من "ف"، ومن "ك".

(٣) في "ل": مثله، وما أثبته هو من بقية النسخ.

(٤) سقطت من "ف".

(٥) سقطت من "ك".

(٦) زيادة من بقية النسخ.

(٧) في "ف": لأنه أمر، وفي "ك"، وفي "ط": لأمر.

(٨) ينظر كتاب الأم للشافعي: ١/ ٢٥٥.

(٩) في بقية النسخ: بالضرورة.

القتل](١) كالصلاة [لا](٢) فرق بينهما. وتعظيم الصحابة [من](٣) شعائر الدين [كما أن الصلاة من [١٣ب] شعائر الدين](٤) فهذا ما أردنا كتابته في هذه الواقعة وهذان الوجهان ذكرناهما زيادة في تقرير المقصود والعمدة على ما تقدم والله تعالى أعلم(٥).

قال مصنفه علي السبكي رحمه الله في نسخته التي جمعها بخطه ونقلت منها هذه أنه فرغ من تأليفها بكرة نهار الأحد الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة بطامه دمشق سقا الله ثراه وجعل الجنة مأواه.

والحمد لله وبعد:

فبالله يا مستفيداً من غرائبه لا تبخلن بأن تدعو لكاتبه

كتبه أفقر عبيد الله وأحوجهم إلى رحمة الله: أبو بكر محمد بن فهد بن الحسن الأنصاري السيوطي، بجامع طولون بالقاهرة صانها الله من الآفات(٦).

---

(١) في بقية النسخ: موجب للقتل.

(٢) في بقية النسخ: ولا.

(٣) زيادة من بقية النسخ.

(٤) سقطت من "ك"، ومن "ط".

(٥) إلى هنا تنتهي بقية النسخ ("ف"، و"ك"، و"ط").

(٦) آخر نسخة "ل" وبها تنتهي الرسالة.

وجاء في آخر فتاوى السبكي مخطوط مركز الملك فيصل التي ضمنها النسخة "**ف**": "تم بحمد الله وعونه وتوفيقه، حسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم =

=

تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان الكرم سنة أربعة وسبعين وثمانمائة، أحسن الله عاقبتها" ا.هـ.

وجاء في آخر فتاوى السبكي مخطوط الظاهرية التي ضمنها النسخة "**ك**"، وكذلك في آخر فتاوى السبكي المطبوعة: "كان الفراغ من كتابته نهار الاثنين صحوة نهار مستهل شهر ربيع الأول من شهور سنة ثمان وسبعين وثمانمائة على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه الجليل: أحمد بن محمد بن إسماعيل الصيداوي ختم الله له بخير، ولمن قرأ فيه، ولجميع المسلمين. كتبت برسم السيد الحسيب النسيب سيدي كمال الدين محمد بن السيد الحسيب النسيب للشيخ للإمام العالم العلامة القاضي عزالدين حمزة تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان، وغفر له ولوالديه ولنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم تسليماً كثيراً، دائماً أبداً، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وفي "**ك**" زيادة:

"وإن تجد عيباً فسد الخللا ... فجل من لا عيب فيه وعلا
والحمد لله على ما أولى ... فنعم ما أولى ونعم المولى
ثم الصلاة بعد حمد الصمد ... على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الأخيار ... ما انسلخ الليل من النهار" ا.هـ.

مصادر ومراجع التحقيق

١- الأجوبة البندنيجية على الأسئلة اللاهورية "وهو جواب سؤال من مدينة لاهور في حق من سب الصحابة"، أبو الهدى عيسى صفاء الدين البندنيجي، تحقيق وتعليق: عبدالعزيز صالح المحمود الشافعي، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢- الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، لأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الآلوسي، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: د. عبد الله بوشعيب البخاري، دار ابن القيم- الرياض، دار ابن عفان- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣- الاختيار لتعليل المختار، لابن بلدجي: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، حقق أصوله: د. خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥- الإشراف على مذاهب العلماء، محمد بن إبراهيم بن المنذر، حققه وقدم له وخرّج أحاديثه: د. أبو حماد صغير أحمد الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٦- إعانة الطالبين حاشية على "حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين لزين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري، تأليف أبي بكر عثمان بن محمد شطا

الدمياطي البكري. ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٧- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، ضبط وتقديم وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦هـ.

٨- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢م.

٩- الإعلام بقواطع الإسلام، ابن حجر الهيتمي (مطبوع ضمن الجامع لألفاظ الكفر للدكتور محمد الخميس).

١٠-أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، حققه: د. علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١١-الاكتفاء في أخبار الخلفاء، للكردبوس، تحقيق: د. صالح بن عبدالله الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ.

١٢- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٣- الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٤-الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت: ١٣٩٣هـ.

١٥-إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٦-الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

١٧-البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين إبراهيم ابن نجيم، دار المعرفة، بيروت.

١٨-البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن.

١٩-تاج التراجم أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطلُوبغا محمد خير رمضان يوسف دار القلم دمشق-بيروت الأولى،١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

٢٠-تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢١-تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.

٢٢- التاريخ الأوسط، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: تيسير بن سعد أبو حيمد، مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٣- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٤- تاريخ مدينة دمشق ج٣٠، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٥- التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفرائيني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٦- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي ين محجن الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية- بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣١٣هـ.

٢٧- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الإصدار الثاني، الطبعة الرابعة: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٨- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

٢٩- التكفير وضوابطه، أ. د. إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار الإمام البخاري، الدوحة، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٣٠- تهذيب الكمال، يوسف بن عبدالرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣١-الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٣٢- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٣- الجامع في ألفاظ الكفر ويشتمل على أربعة كتب منها كتاب: "الإعلام بقواطع الإسلام" لابن حجر الهيتمي، تحقيق: د. محمد بن عبدالرحمن الخميس، دار إيلاف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

٣٤-الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبدالقادر بن محمد القرشي، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٥-الحاوي في فقه الشافعي، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٦-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٣٧-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ.

٣٨-الذيل التام على دول الإسلام، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، حققه وعلق عليه: حسن إسماعيل مروة، دار العروبة- الكويت، دار ابن العماد- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٩-رسالة في الرد على الرافضة، للشيخ محمد بن عبدالوهاب (ضمن مجموع مؤلفاته- ملحق المصنفات) تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، نشر جامعة الإمام، الرياض.

٤٠-الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، دراسة وتحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.

٤١-الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي، علق عليه: مجدي بن منصور الشوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢-روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٥هـ.

٤٣-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٤-السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى:١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٤٥-السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٦-سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة . بيروت الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٢-١٩٨٥م.

٤٧-السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، حققه وعلق عليه: إياد أحمد الغوج، دار الفتح، عَمان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

٤٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥٠-شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي الحنفي، حققه وعلق عليه: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٥١- شرح فتح القدير، لابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت.

٥٢- شرح المقاصد، مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٣- الشرح والإبانة في أصول السنة والديانة، المعروف بـ "الإبانة الصغرى"، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: عادل بن عبدالله آل حمدان، دار الأمر الأول، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ.

٥٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٥٥- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي، وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٦- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

٥٧- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ.

٥٨- طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩- عشرة النساء للإمام النسائي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، بهانج - دار المعمور، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٦٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الحنفى بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦١- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم ابن سلام، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٦٢- الفتاوى البزازية، حافظ الدين محمد بن محمد، بهامش الفتاوى الهندية (المجلدات ٤-٦)، بيروت: ١٤٠٠هـ.

٦٣- فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٦٤- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، حقق أصوله: محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.

٦٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر- د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦٦- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

٦٧- الفوائد، تمام بن محمد الرازي أبو القاسم، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

٦٨- الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب (المهروانيات)، للشيخ أبي القاسم يوسف بن محمد المهرواني الهمذاني، تخريج الإمام أبي بكر الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: سعود بن عيد بن عمير الجربوعي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

٦٩- الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير، اعتناء: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان-الرياض.

٧٠- الكبائر، محمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٧١- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصيني الدمشقي الشافعي، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي و محمد وهبي سليمان، دار الخير، دمشق: ١٩٩٤م.

٧٢- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.

٧٣- المجروحين لابن حبان، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٤- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده، خرح آياته وأحاديثه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٥- المحلى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الفكر بيروت.

٧٦- المحيط البرهاني في الفقه النعماني، محمود بن أحمد بن عبدالعزيز بن مازة البخاري الحنفي، تحقيق عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٧٧- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى:١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٧٨- مسند أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، تحقيق: أيمن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٩- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة: ١٤١٥هـ.

٨٠- معجم الشيوخ، علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر، قدم له: د.شاكر الفحام، تحقيق: د. وفاء تقي الدين، دار البشائر، دمشق.

٨١- المعجم الصغير للطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير المكتب الإسلامي/ دار عمار، بيروت/ عمان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٨٢- المعجم المختص، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٣- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ودار الدعوة.

٨٤- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٨٥- مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، نشر: فرانز شتاينر بفيسبادن . الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨٦- المقالات والفرق، سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمي، صححه وقدم له وعلق عليه: د. محمد جواد مشكور، مركز انتشارات علمي، الطبعة الثانية: ١٣٦٠هـ.ش.

٨٧- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٨٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف الدين النووي، بيت الأفكار الدولية، عمان-الرياض.

٨٩- الموسوعة الصوفية، د. عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٩٠-نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، ضبطه وقدم له: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩١-النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى وبين الشيعة، إبراهيم فصيح بن صبغة الله بن أسعد صدر الدين الحيدري، تحقيق وتعليق: عبدالعزيز صالح المحمود الشافعي، مكتبة الإمام البخاري، مصر- الإسماعيلية، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٩٢-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن محمد الجزري ابن الأثير، أشرف عليه: علي بن حسن بن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

٩٣-نهاية المطلب في دراية المذهب، لإمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، حققه وصنع فهارسه: أ. د. عبدالعظيم محمود الديب، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٩٤-النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، ضياء الدين محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي، حققه: محي الدين نجيب، مكتبة دار العروبة/ الكويت، ودار ابن العماد/ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٩٥-هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١م. أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٦-الوافي بالوفيات ج٢١، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

المحتويات

حديث

(ويح عمَّارٍ تقتله الفئة الباغية)

جمعاً لرواياته ودراسة عقدية

إعداد:

الدكتور/ سعد بن عبدالله الماجد

أكاديمي سعودي، أستاذ العقيدة المساعد بكلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بشيراً ونذيراً وهادياً إلى الصراط المستقيم، أما بعدُ:

فقد جعل الله لرسوله ﷺ أصحاباً، وأنصاراً، ودعاةً لدينه، وأمناء على وحيه، فبلغوا ونصحوا، وضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقد شهد القرآن الكريم بفضلهم وسابقتهم، فقال عز من قائل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

ونوَّه الرسول ﷺ بفضلهم على سائر القرون فقال: (**خير أمتي قرني**[١]،

---

(١) قرني: القرن: أهل كل زمان، والمقصود بالقرن: الجيل. فيقال جيل الصحابة وجيل التابعين أما =

ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[١].

ونهى عن سبهم لما لهم من الفضل، فقال ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)**[٢].

والصحابة رضي الله عنهم مع هذا كله بشر، غير معصومين من الفتنة والوقوع فيها، وغير مُنزهين عن الخطأ، وقد أخبر الرسول ﷺ عن فتنة عظيمة بين بعض الصحابة رضي الله عنهم، وجعل قتل أحد الصحابة رضي الله عنهم وهو عمار بن ياسر رضي الله عنه علامة على معرفة الفرقة الباغية المخطئة.

أسباب اختيار الموضوع:

كان مما دعاني لبحث ودراسة هذا الموضوع:

١ – أن هذا الحديث أصبح فتنةً لبعض الناس من السذج والجهال، الذين لم يتميز لهم الحق من الباطل فيما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

=

من جهة الزمن فقيل: أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة سنة. ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير الجزري (٤/ ٤٥)، مادة (قرن).

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (ص ٧٤٧)، رقم الحديث (٣٦٥٠)، ومسلم في صحيحه، فضائل الصحابة (ص ١١١١)، رقم الحديث (٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، (ص ٧٥٢)، رقم الحديث (٣٦٧٣).

٢ – أن أهل الأهواء والبدع من الخوارج[1] والرافضة[2]، اتخذوه

---

(١) الخوارج فرقة من الفرق الإسلامية التي ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، ولهم آراء كثيرة شاذة، فيها تطرف وانعزال عن الأمة الإسلامية، فهم يرون في سيرة الخليفتين عثمان رضي الله عنه –خاصة في السنوات الأخيرة من خلافته – وعلي رضي الله عنه – بعد حادثة التحكم ومن بعدهما من أمراء المسلمين، ما لا يراه غيرهم من المسلمين، فيزعمون أنهم مخالفون للدين ويجيزون الخروج عليهم والتألب ضدهم، وكان بداية ظهور الخوارج والشيعة بعد حادثة التحكيم.

وتتلخص عقائد الخوارج فيما يأتي:

١ – تكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما، وطعنهم في بعض الصحابة رضي الله عنهم.

٢ – تكفير مرتكب الكبيرة.

٣ – جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش.

٤ – التوحيد عندهم كقول المعتزلة، وذلك بإثبات أسماء الله عز وجل، وتعطيل الصفات فراراً من تشبيه الله بخلقه بزعمهم.

٥ – نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

٦ – القول بخلق القرآن.

٧ – إنكار عذاب القبر بالكلية.

إضافة إلى أمور أخرى خالفوا فيها الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، مثل قولهم بعدم رجم الزاني المحصن، وعدم حجية السنة.

ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٨، ٢٠٣ – ٢٣٥)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٤٩١)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٠٧)، والخوارج – دراسة ونقد لمذهبهم– تأليف: ناصر السعوي (ص٢٢).

(٢) الرافضة: وهم من قال بأن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحقهم بالإمامة وولده نصاً ووحياً، كما يدعون موالاة أحد عشر شخصاً من أولاد علي رضي الله عنه وهو معهم، ويعدونهم معصومين كالأنبياء والرسل، بل وأفضل منهم ومن الملائكة المقربين، ويدعون أن مذهبهم مؤسس على آرائهم وأفكارهم.

=

ذريعة لسب بعض صحابة رسول الله ﷺ.

٣ – بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة ﷺ، وموقفهم مما شجر بين الصحابة ﷺ.

منهج البحث:

أخذت في كتابة البحث بالأمور التالية:

١ – قمت بالترجمة لعمار بن ياسر ﷺ.

٢ – قمت بجمع روايات الحديث محل الدراسة: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية).

=

ومن أبرز عقائدهم:

١ – التوحيد ويدخلون في نفي الصفات وتعطيلها – وكانوا في بداية أمرهم مجسمة–.

٢ – القول بأن القرآن مخلوق.

٣ – نفي رؤية الله في الآخرة.

٤ – العدل، ويدخلون فيه التكذيب بالقدر، وأن الله لا يقدر أن يهدي ولا يضل من يشاء... وهم متأثرون بالمعتزلة القدرية.

٥ – النبوة، ويدخلون فيها نفي المعجزات لغير الأنبياء، وزادوا على ذلك فجعلوها للأئمة.

٦ – الإمامة التي جعلوها من أعظم أصولهم.

٧ – قالوا بتكفير الصحابة ﷺ.

٨ – قالوا بعدم حجية السنة.

إضافة إلى تأثرهم بالمرجئة.

ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ٣٧٠)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٤)، الفرق بين الفرق (ص ٤٣ – ٤٧)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص ٧٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٥٦).

٣ – درست الحديث مبيناً معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة ﷺ، وموقفهم مما شجر بينهم، مع بيان فهمهم للحديث واعتذارهم عما حصل بين الصحابة.

٤ – عزوت الآيات القرآنية لمواضعها في كتاب الله، بذكر السورة، ورقم الآية.

٥ – خرّجت الأحاديث الواردة في هذا البحث، من كتب السنة، وحاولت الاستيعاب، والإطالة لمعرفة أماكن الحديث، وبيان حكم العلماء عليها.

٦ – ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث من غير المشهورين.

٧ – بينت معاني الغريب في الأحاديث.

٨ – عملت في آخر البحث فهرساً للمصادر والمراجع والموضوعات.

خطة البحث:

وتشتمل على: تمهيد، وفصلين، وخاتمة بأهم النتائج.

التمهيد، وفيه: التعريف بعمّار بن ياسر ﷺ، ويشمل:

١ – اسمه.

٢ – أسرته.

٣ – مولده.

٤ – صفته الخَلقية.

٥ – إسلامه.

٦ – هجرته.

٧ – جهاده في سبيل الله.

٨ – فضائله.

٩ – مقتله رضي الله عنه.

الفصل الأول: روايات حديث: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية).

الفصل الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من حديث: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية). وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: فضل ومنزلة الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: عدالة الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: حب أهل السنة والجماعة للصحابة وترضيهم عنهم.

المبحث الرابع: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنه.

المبحث الخامس: مذاهب الناس فيما شجر بين علي ومعاوية رضي الله عنه.

المبحث السادس: موقف أهل السنة والجماعة من قتال علي رضي الله عنه ومن معه لمعاوية رضي الله عنه.

المبحث السابع: موقف أهل السنة والجماعة من مقاتلة معاوية رضي الله عنه ومن معه لعلي رضي الله عنه.

المبحث الثامن: موقف أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة ﷺ.

المبحث التاسع: اعتذار أهل السنة والجماعة عما شجر بين الصحابة ﷺ.

المبحث العاشر: الفوائد المستنبطة من الحديث.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج الدراسة.

هذا وأسأل الله تعالى الإخلاص في القول والعمل.

التمهيـد:

التعريف بعمار بن ياسر رضي الله عنه

١ — اسمه:

هو: «عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس، وهو زيد بن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وبنو مالك من أُدَد من مذْحج»(١).

وهو مع هذا: «مولى لبني مخزوم، لأن أباه ياسراً تزوج أمة لبني مخزوم، فولدت له عماراً» (٢).

يُكنى: أبا اليقظان(٣).

٢ — أسرته:

قَدِم أبوه: «ياسر بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة يطلبون أخاً لهم، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وزوَّجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها سمية بنت خيّاط(٤)، فولدت له عماراً فأعتقه أبو

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٣١).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للحافظ ابن عبد البر (ص ٤٨١).

(٣) المصدر السابق، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ص ٩٤٣).

(٤) قيل: بنت خُباط: بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة، ويقال بمثناة تحتانية [خياط] وعند الفاكهي =

حذيفة.

ولم يزل ياسر وعمّار مع أبي حذيفة إلى أن مات، وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وسميّة وعمّار وأخوه عبدالله بن ياسر.

وكان لياسر ابنٌ آخر أكبر من عمار وعبدالله يقال له: حُريث، قتلته بنو الدِّيل في الجاهلية» (١).

ونجد من المؤرخين من يخالف في التعريف حيث يزعم بأن ياسراً كان عبداً لبني بكر من بني الأشجع بن ليث، حيث يقول ابن إسحاق: «كان ياسر عبداً لبني بكر من بني الأشجع بن ليث فاشتروه منهم، فزوجوه سمية أم عمار، فولدت عماراً، وكانت سمية أَمَة لهم، فأعتقوا سُمية وعماراً وياسراً» (٢).

وهذا ما لم أجده عند غيره ممن عَرَّف بياسر رضي الله عنه، وخاصة ممن اعتنى

=

سمية بنت خبط بفتح أوله بغير ألف، الإصابة (ص ١٧١١).

وقال ابن الأثير: بالياء تحتها نقطتان، وكذا ضبطه أبو نعيم، أسد الغابة (٥/ ٣١٤).

ونقل الحاكم قول ابن إسحاق في تعريفه لسمية أم ياسر بأنها: (سمية بنت مسلم بن لخم) المستدرك على الصحيحين (ص ١١٠٦)، رقم الحديث (٥٦٩٦)، وهذه التسمية لم أجدها عند غير ابن إسحاق صاحب السيرة، وذكره الحاكم في المستدرك عن ابن إسحاق، رقم الحديث (٥٦٩٦) (ص ١١٠٦).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٣١)، وينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (ص ٧٦٩)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٣٢٥)، والإصابة لابن حجر (ص ١٣٨٨).

(٢) السيرة النبوية لابن إسحاق (ص ٢٢٩).

بالترجمة للصحابة ﷺ، كالحافظ ابن عبد البر[١]، وابن الأثير[٢]، وابن حجر[٣] رحمهم الله تعالى.

٣ – مولده:

ليس هناك تاريخ محدد ومعروف لمولد عمار ﷺ، إلا ما رُوي عن إبراهيم بن سعد الزهري[٤] أنه قال: «بلغنا أن عمار بن ياسر قال: كنت تِرْباً لرسول الله ﷺ في سنه، لم يكن أحد أقرب به سناً منِّي» [٥].

ولعله ولد عام الفيل، أو بعده، ولهذا ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله بأن «سنَّ عمار ﷺ يوم قتل نيفاً على تسعين، وقيل ثلاثاً وتسعين، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: اثنتين وتسعين سنة» [٦].

ولعل الأقرب عندي أنه توفي في سن التسعين، هذا إذا أخذنا بالرواية السابقة مع النظر إلى سن النبي ﷺ، وأنه توفي سنة ١١هـ وله من العمر ثلاث وستون فنضيف ٢٧ سنة عليها وهي مدة بقاء عمار ﷺ بعد رسول الله ﷺ، حيث قتل سنة ٣٧هـ في صفين وكان ضمن جيش علي ﷺ.

---

(١) الاستيعاب (ص ٧٦٩).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٣٢٥).

(٣) الإصابة (ص ١٣٨٨).

(٤) هو: إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص الزهري، التابعي الثقة، وأحد فقهاء المدينة. ينظر: الكاشف للذهبي (١/ ٢١٢)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ١١٧).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ص ١١٦)، ورقم الحديث (٥٧٠٤).

(٦) الاستيعاب (ص ٤٨٤).

٤ – صفته الخَلْقية:

كان عمار رضي الله عنه آدم[١]، طويلاً، مضطرباً، أشهل العينين[٢]، بعيد ما بين المنكبين، وكان لا يغير شيبه، وقيل كان أصلع في مقدم رأسه شعرات[٣].

٥ – إسلامه:

لقد كان عمار بن ياسر رضي الله عنه من السابقين[٤] إلى الدخول في الإسلام، بعد بعد بضعة وثلاثين، وهو ممن عذب في الله هو ووالديه رضي الله عنهم، وأسلم في دار الأرقم بمكة.

أخرج ابن سعد بسنده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: (لقيتُ صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقلت له: ما تريد؟

قال لي: ما تريد أنت؟

فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه.

قال: وأنا أريد ذلك.

فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك

---

(١) آدم: أي أسمر البشرة. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦/١) مادة: أدم.

(٢) أشهل: أحمر العينين ينظر المصدر السابق (٢/ ٤٦١) مادة: شهل.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ٣١٢)، وينظر: الاستيعاب (ص ٤٨٢)، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (ص ٤٦)، والمستدرك للحاكم النيسابوري (١١٠٦ وما بعدها)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٤٠).

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٧)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٥/ ١٤٦)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٠٨) وغيرهم.

حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون.

فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً) (١).

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمَّار، وأمُّه سميَّة، وصُهيب، وبلال، والمقداد) (٢).

ولما كان إسلام عمار ﷺ ووالديه في أول دعوة الرسول ﷺ، والإسلام كان ضعيفاً فقد تعرَّض هو وذويه لأذى قريش وتعذيبهم لهم حتى يرجعوا، وكان النبي ﷺ يمر بهم وهم يُعذَّبون فيقول لهم: **(صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة)**(٣).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٣٢).

(٢) رقم الحديث (٣٨٣٢)، (٦/ ٣٨٢)، وقال محققه: إسناده حسن من أجل عاصم وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. وأخرجه ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (١٥٠)، (ص ٢٣)، وروي عن مجاهد كما عند ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب (ص ٩١٣)، وابن الأثير في كتابه أسد الغابة (٣/ ٣٠٩).

(٣) ابن إسحاق في السيرة النبوية (ص ٢٢٩)، والحاكم في مستدركه (ص ١١٠٦)، رقم الحديث (٥٦٩٥)، والطبراني في معجمه الأوسط (٢/ ١٤١)، رقم الحديث (١٥٠٨)، وفي المعجم الكبير (٢٤/ ٣٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٣٩)، رقم الحديث (١٦٣١)، وقال ابن حجر رحمه الله: (أخرج أحمد في الزهد من طريق يوسف بن ماهك نحوه مرسلاً، وأخرج الحارث في مسنده والحاكم أبو أحمد وابن منده من طريق الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عثمان وهو منقطع، وأخرجه الحاكم والطبراني في الأوسط من رواية أبي الزبير عن جابر مرفوعاً. الإصابة (ص ١٣٨٨). وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٩٣): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبدالعزيز المقوم وهو ثقة».

وماتت أم عمار سمية ﵂، وجأها أبو جهل بحربة في قبلها، فقتلها قبل الهجرة، فكانت أول شهيدة في الإسلام ﵂[١].

وصَبَرَ عمار ﵁ على التعذيب حتى بلغ منه مبلغاً عظيماً من الألم البدني والنفسي قَلَّ معه احتماله وقدرته، فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، واطمأن بالإيمان قلبه، فنزلت فيه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وهذا مما اجتمع أهل التفسير عليه[٢].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ): «وذُكر أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، وقومٍ كانوا أسلموا، ففتنهم المشركون عن دينهم، فثبت على الإسلام بعضهم، وافتتن بعض»[٣].

عن ابن عباس ﵄ قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه، ثم تركوه فرجع إلى رسول الله ﷺ فحدثه بالذي لقي من قريش والذي قال، فأنزل الله تعالى ذكرهُ عُذْره: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

وأخرج ابن إسحاق بسنده عن محمد بن سيرين قال: مر رسول الله ﷺ

(١) الاستيعاب (ص ٩١٣).
(٢) الاستيعاب (ص ٤٨١).
(٣) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٤/ ٣٧٣)، في تفسير الآية ١٠٦ من سورة النحل.
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٧٣)، تفسير الآية ١٠٦ من سورة النحل.

بعمار بن ياسر وهو يبكي بذلك عينيه فقال له رسول الله ﷺ: **(مالك، أخذك الكفار، فغطوك في الماء، فقلت كذا وكذا، فإن عادوا لك فقل كما قلت)**[(١)].

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر[(٢)] قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: (ما وراءك؟) قال: شرٌّ يا رسول الله! والله ما تُركتُ حتى نِلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير!! قال: (فكيف تجدُ قلبك؟) قال: مطمئن بالإيمان. قال: (فإن عادوا فعد)[(٣)].

وعن محمد بن كعب القرظي[(٤)] قال: أخبرني من رأى عمار بن ياسر

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق (ص ٢٢٩).

(٢) وقيل: اسمه سلمة بن محمد بن عمار بن ياسر، وقيل: سلمة أخٌ له، وقال الحافظ الذهبي رحمه الله عن سلمة هذا: صدوق في نفسه، روايته عن جده مرسلة، روى عنه علي بن جدعان وحده، قال ابن حبان: لا يحتج به. وقال الحافظ ابن حجر عنه: مجهول. ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٢/ ١٨٠)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ٧٥٦، ٥/ ٧٥٨)، وتقريب التهذيب (ص ٨٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٧٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٤٠)، والبيهقي في سننه (٨/ ٢٠٨)وقال الحافظ ابن حجر عنه: هو مرسل ورجاله ثقات أخرجه الطبري وقبله عبدالرزاق وعنه عبد بن حميد، وأخرجه البيهقي من هذا الوجه فزاد في السند فقال: عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه. وأخرج الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس نحوه مطولاً وفي سنده ضعف. فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٢/ ٣٥٩).

(٤) هو: محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، وقيل: أبو عبدالله المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، تابعي ثقة، وإمام في التفسير، توفي سنة ١٢٠هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: الكاشف للذهبي (٢/ ٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥)، وتذكرة الحفاظ =

متجرداً في سراويل قال: فنظرت إلى ظهره فيه خَبَطٌ كثير! فقلت: ما هذا؟ قال: هذا مما كانت تعذبني به قريش في رمضاء مكة!![(١)].

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لعبدالله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم. قال: (نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول: نعم! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم)[(٢)].

٦ – هجرته:

كان عمار رضي الله عنه من المهاجرين الأوائل – فراراً بدينه – إلى المدينة قطعاً، إلا أنه اختلف وشُكَّ في هجرته إلى الحبشة، حيث شكك ابن إسحاق في هجرته[(٣)].

بينما نجد الإمام ابن عبد البر رحمه الله يكتب في التعريف عنه في كتابه (الاستيعاب) بأنه: هاجر إلى أرض الحبشة[(٤)]، دون أن يشير إلى من نقل

=

للذهبي (١/ ٨١)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٢٦)، وطبقات المفسرين للأدنهوي (ص٩).

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٦٥) عن محمد بن إسحاق.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٠٥).

(٤) (ص ٤٨٢).

عنه، أو أن الخبر مختلف فيه كما فعل ابن الأثير في كتابه: (أسد الغابة) حيث قال: «واختلف في هجرته إلى الحبشة» [١].

ويرجح السهيلي في كتابه: (الروض الأنف) فيقول: «والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة وغيرهما أنه لم يكن فيهم» يعني أن عماراً ﷺ لم يكن من المهاجرين إلى الحبشة[٢].

٧ – جهاده في سبيل الله:

كان ﷺ من المشاركين في الجهاد وقتال الكفار، حيث شهد بدراً، وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد اليمامة وقتال المرتدين والكفار بعد وفاة الرسول ﷺ، كما شهد الجمل وصفين مع علي ﷺ، هذا ما تحصلت عليه، ولعل له أكثر من ذلك بالمشاركة في الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام في زمن عمر وعثمان ﷺ أجمعين[٣].

٨ – فضائله:

هذه بعض الأحاديث من السنة شاهدة بفضائل عمار ﷺ، ومنزلته في الإسلام، مزكيةً لإيمانه، ومبينة لشخصيته ﷺ.

---

(١) (٣/ ٣٠٩).

(٢) (٣/ ١٣٢).

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٣٣)، والمعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٢)، ومستدرك الحاكم (ص ١١٠٧)، والاستيعاب لابن عبد البر (ص ٤٨٢)، وسير السلف الصالحين لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (ص ٢٦٥)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣١١).

١ – أخرج الإمام البخاري بسنده عن إبرهيم[١] قال: ذهب علقمة[٢] إلى الشام فلما دخلَ المسجدَ قال: اللهمَّ يسرْ لي جليساً صالحاً!؟ فجلس إلى أبي الدرداءِ فقالَ أبو الدرداء: ممَّنْ أنتَ؟ قال: مِن أهل الكوفةِ. قال: أليسَ فيكم أوْ منكم صاحبُ السرِّ الذي لا يعلمه غيرُهُ؟ يعني حُذيفة. قال: قُلْتُ: بلى. قال: أليسَ فيكم أو منكم الذي أجارهُ الله على لسان نبيه ﷺ؟ يعني من الشيطان يعني عماراً؟ قلتُ: بلى. قال: أليس فيكم أو منكم صاحب السَّواك، والوساد والسِّرار؟ قال: بلى[٣]. يعني عبدالله بن مسعود كما في رواية أخرى[٤].

٢ – عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال: **(إني لا أدري ما قَدْرُ بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي – وأشار إلى أبي بكر وعمر – وتمسكوا بعهد عمَّار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه)**[٥].

ومعنى تمسكوا بعهد عمار: أي ما يوصيكم به ويأمركم.

---

(١) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمران الكوفي، الإمام الثقة، توفي سنة ٩١هـ وقيل: ٩٦هـ. ينظر: الكاشف للذهبي (١/ ٢٢٧)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ١٦٨).

(٢) هو: علقمة بن قيس بن مالك النخعي، أبو شبل الكوفي، الإمام الثقة، توفي سنة ٦١هـ. ينظر: الكاشف (٢/ ٣٤)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٥٥٨).

(٣) فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما (ص ٧٦٨)، ورقم الحديث (٣٧٤٣).

(٤) المصدر السابق، رقم الحديث (٣٧٤٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨/ ٣٠٩)، رقم الحديث (٢٣٢٧٦) و(٣٨/ ٣٩٩)، ورقم الحديث (٢٣٣٨٦)، وقال محققه: حسن بطرقه وشواهده. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب (ص ٨٦١)، ورقم الحديث (٣٧٩٩)، وقال عنه: هذا حديث حسن. وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٤٨)، ورقم الحديث (٣٧٩٩).

٣ – عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنتُ جالساً عند النبي ﷺ فجاء عمارٌ، فاستأذن فقال: **(ائذنوا له، مرحباً بالطيِّب المطيَّب)**(١).

٤ – عن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لا يُخيَّرُ بين أمرين إلا اختار أرشدهما)**(٢).

٥ – عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ابن سميَّة ما**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٩) رقم الحديث (٧٧٩)، وفي (٢/ ٢٨٩) رقم الحديث (٩٩٩)، وفي (٢/ ٣٠٣)، رقم الحديث (١٠٣٣)، وقال محققه: رجاله ثقات رجال الشيخين غير هانئ بن هانئ فمن رجال أصحاب السنن.

وأخرجه الترمذي في سننه، في المناقب (ص ٨٦١)، رقم الحديث (٣٧٩٨). وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في سننه، في فضل عمار بن ياسر ﷺ، (ص ٢٢)، رقم الحديث (١٤٦)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، (ص ١٢٢٦)، رقم الحديث (٧٠٣٥)، وابن جرير في تهذيب الآثار (٣/ ١٥٥)، رقم الحديث (١٤)، والطبراني في معجمه الأوسط (٥/ ١٠٢)، رقم الحديث (٤٧٩٤)، وفي معجمه الصغير (الروض الداني) (١/ ١٥٤)، رقم الحديث (٢٣٨)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٢٤)، رقم الحديث (٤٠٤)، والبزار في مسنده (٢/ ٣١٤)، رقم الحديث (٧٤١)، والطيالسي في مسنده (١/ ١٨)، رقم الحديث (١١٧)، وفي كتاب الدعاء للطبراني (١/ ٥٤٣)، رقم الحديث (١٩٤٩)، والحاكم في مستدركه على الصحيحين (ص ١١٠٩)، رقم الحديث (٥٧١٦). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والآجري في الشريعة (ص ٧٠٦)، رقم الحديث (٢٠٢٦)، و(٢٠٢٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤١/ ٣٢٢)، رقم الحديث (٢٤٨٢٠)، وبنحوه أخرجه الترمذي في سننه في مناقب عمار بن ياسر ﷺ (ص ٨٦١)، رقم الحديث (٣٧٩٩)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب المناقب (٧/ ٣٥٩)، رقم الحديث (٨٢١٨)، والحاكم في مستدركه (ص ١١٠٩)، رقم الحديث (٥٧١٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وصححه الإمام الألباني في كتاب صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٤٨)، رقم الحديث (٣٧٩٩).

عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما) (١).

٦ – عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان)** (٢).

٧ – عن خالد بن الوليد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من يُعادِ عماراً يُعادِهِ الله، ومن يسبُّ عماراً يسبُّه الله)** (٣).

٨ – عن خالد بن الوليد ﷺ قال: كان بيني وبين عمار كلامٌ، فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكو خالداً إلى رسول الله ﷺ، فجاء خالدٌ وعمار يشكوان، فجعل يُغلِظُ له، ولا يزيدهُ إلا غِلظةً والنبي ﷺ ساكتٌ، فبكى عمارٌ فقال: يا رسول الله، ألا تراهُ؟! قال: فرفع النبي ﷺ رأسهُ، وقال: **(من**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٢٠)، رقم الحديث (٣٦٩٣) وفي (٧/ ٢٨١)، ورقم الحديث (٤٢٤٩)، وقال محققه: (حسن لغيره)، وأخرجه ابن ماجه في سننه في فضل عمار بن ياسر ﷺ (ص ٢٣)، رقم الحديث (١٤٨). والحاكم في مستدركه (ص ١١٠٩)، ورقم الحديث (٥٧١٨)، وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين إن كان سالم بن أبي الجعد سمع من عبدالله بن مسعود ولم يخرجاه وله متابع من حديث عائشة ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، (ص ٨٦١)، ورقم الحديث (٣٧٩٧)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب. أخرجه الحاكم في مستدركه (ص ٩٣٥)، رقم الحديث (٤٧٢١)، وأبو نعيم الأصبهاني في كتابه: حلية الأولياء (١/ ١٩٠)، والمتقي الهندي في كنز العمال (١١/ ٣٤٤) رقم الحديث (٣٣٦٧٢)، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص ٤٣٤)، رقم الحديث (٣٧٩٧).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب المناقب (٧/ ٣٥٧)، رقم الحديث (٨٢١٣)، وأحمد في مسنده (٢٨/ ٢٤)، رقم الحديث (١٦٨٢١)، والحاكم في مستدركه (ص ١١٠٩)، ورقم الحديث (٥٧٢١)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والحديث صحيح.

عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله). قال خالد: فخرجت فما كان شيءٌ أحبَّ إلي من رضى عمار، فلقيته فرضيَ[(١)].

٩ – قال عمرو بن العاص ﷺ: (إني لأرجو أن لا يكون النبي ﷺ مات يوم مات وهو يحبُّ رجلاً، فيدخله الله النار، قالوا: قد كنا نراه يحبُّك، قد كان يستعملك، قال: الله أعلم، أحبني أم تألفني، ولكنَّا قد كنا نراه يحبُّ رجلاً، قالوا: من ذاكَ الرجل؟ قال: عمّار بن ياسر، قالوا: فذاك قتيلكم يوم صفّين. قال: قد والله قتلناه!!) [(٢)].

١٠ – عن علي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مُلئَ عمارٌ إيماناً إلى مشاشه)** [(٣)].

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب مناقب عمار بن ياسر ﷺ، (٧/ ٣٥٦)، رقم الحديث (٨٢١١)، والإمام أحمد في مسنده (٢٨/ ١٢)، رقم الحديث (١٦٨١٤)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ (ص ١٢٢٧)، ورقم الحديث (٧٠٤٠)، والحاكم في مستدركه (١١٠٩)، ورقم الحديث (٥٧٢٤)، والحديث صحيح.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، عمار بن ياسر ﷺ، (٧/ ٣٥٨)، رقم الحديث (٨٢١٦)، والإمام أحمد في مسنده (٢٩/ ٣١٩)، ورقم الحديث (١٧٧٨١)، وفي (٢٩/ ٣٤٢)، ورقم الحديث (١٧٨٠٧)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٤٠)، والحاكم في مستدركه (ص ١١١٢)، ورقم الحديث (٥٧٣٠)، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (ص ٢٢)، رقم الحديث (١٤٧)، والحاكم في مستدركه (ص ١١١٢)، ورقم الحديث (٥٧٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٢٤)، ورقم الحديث (٤٠٤). وأبو عبدالله المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/ ٣٩٥)، ورقم الحديث (٧٨٢)، وقال: إسناده لا بأس به. وقال الإمام ابن حجر: أخرجه الترمذي ولم أجده في النسخة التي لدي، وابن ماجه، وسنده حسن، الإصابة (ص ٩٤٤).

٩ – مقتله ﷺ:

كان عمار بن ياسر ﷺ مع علي ﷺ في صفين.

عن عبدالله بن سلمة[(١)] قال: رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً طوالاً أخذ الحربة بيده ويده ترعد! فقال: (والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، ثم قال: والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر[(٢)] لعرفت أنَّا على الحق وهم الباطل)[(٣)].

عن أبي سنان الدؤلي[(٤)] قال: رأيت عمار بن ياسر دعا غلاماً له بشراب فأتاه بقدح من لبن فشربه، ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، إن رسول الله ﷺ قال: (**إن آخر شيء أزوده من الدنيا ضيحة**

---

(١) هو: عبدالله بن سلمة المرادي، الكوفي، تابعي، روى عن جمع من الصحابة، اختلف في حاله، فقال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وقال: أبو حاتم: تعرف وتنكر. الكاشف (١/ ٥٥٩)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٥٠٠).

(٢) هجر: البحرين: الأحساء. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٨/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم (ص ١١٠٦) رقم الحديث (٥٧٠١).

(٤) هو: يزيد بن أمية الدؤلي، أبو سنان، المدني، ثقة، عده ابن عبد البر، وابن الأثير، وابن حجر في الصحابة، حيث ولد في زمن وقعة أحد. وقال أبو حاتم: ولد في زمن النبي ﷺ عام أحد في حين الوقعة، وهذا أخذه [يعني ابن عبد البر] عن الواقدي ولا يثبت.
ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (ص ٧٦٤)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٣٣٢)، والإصابة لابن حجر (ص ١٣٩٤)، وترجم له أيضاً في الكاشف للذهبي (٢/ ٣٨٠)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ١٣٧).

لبن) ثم قال: والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل(١).

أما قاتله، فهو أبو الغادية الجهني، **قال ابن عبد البر** رحمه الله (ت٤٦٣هـ): «روى الشعبي، عن الأحنف بن قيس في خبر صفين قال: ثم حمل عمار، فحمل عليه ابن جزء(٢) السكسكي، وأبو الغادية الفزاري، فأما أبو الغادية فطعنه(٣)، وأما ابن جزء فاحتزَّ رأسه» (٤).

---

(١) لم أجده في المطبوع من معجم الطبراني الكبير، وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٧) فقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) لم أعثر له على ترجمة. ولكن وجدت اختلافا في اسمه فقيل ابن جزء وقيل ابن جوى كما في البداية والنهاية لابن كثير – في النسخة التي بين يدي-(٤/ ٢٨٦)،وقيل ابن جون السكسكي، كما عند المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢/ ٣٨٠)، وأكثر المصادر على أنه ابن حُوي السكسكي كما في الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٦٠)، وفي تاريخ خليفة بن خياط (ص١١٨)، وفي تاريخ ابن الأثير (ص٤٣٧).

(٣) أبو الغادية الجهني، وجهينة في قضاعة، اختلف في اسمه، فقيل: يسار بن سَبُع، وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم. وقال الحافظ ابن حجر: (أبو الغادية المزني: فرق غير واحد بينه وبين الجهني وخالفهم ابن سعد، فقال فيمن نزل البصرة من الصحابة أبو الغادية المزني قاتل عمار. وقال مسلم في الكنى: أبو الغادية المزني يسار بن سبع قاتل عمار، له صحبة، وقال النسائي مثله إلا قوله وله صحبة. وقال ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات أبو الغادية المزني.
قلت: وتسميته بذلك غلط إنما هو اسمه الجهني.
وقال ابن عساكر: من قال إن المزني هو قاتل عمار فقد وهم. وقال بمثله ابن عبد البر.
وعنه قال: سكن الشام، ونزل في واسط، ويعد من الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام.
ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (ص ٨٤١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٣٥٦)، والإصابة لابن حجر (ص ١٥٣٠).

(٤) الاستيعاب (ص ٤٨٣)، ولم أقف لابن عبد البر تخريجاً لطرق هذا الحديث.

وقال ابن الأثير رحمه الله (ت٦٣٠هـ): «وقد اختلف في قاتله فقيل: قتله أبو الغادية المزني، وقيل: الجهني طعنه طعنة فسقط، فلما وقع أكبَّ عليه آخر فاحتز رأسه، فأقبلا يختصمان، كل منهما يقول: أنا قتلته. فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار، والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وقيل حمل عليه عقبة بن عامر الجهني، وعمرو بن الحارث الخولاني، وشريك بن سلمة المرادي فقتلوه. وكان قتله في ربيع الأول أو الآخر من سنة سبع وثلاثين، ودفنه علي في ثيابه ولم يغسله» (١).

وقال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ): «حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوى السكسكي وأبو الغادية الفزاري، فأما أبو الغادية فطعنه، وأما ابن جوى فاحتز رأسه.

ولعل الراجح أن الذي قتل عماراً رضي الله عنه هو أبو الغادية الجهني، كما تقدم في الترجمة له عند ابن عبد البر، وابن كثير، وابن حجر.

وأما القول بأنه مزني فهو وهم كما قال بذلك ابن عساكر، وابن عبد البر، وابن حجر رحمهم الله جميعاً» (٢).

وقد جاء الوعيد لقاتله وسالبه، ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن أبي غادية قال: قُتل عمار بن ياسر، فأُخبر عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن قاتله وسالبه في النار). فقيل لعمرو: فإنك

(١) أسد الغابة (٣/ ٣١٢)، وينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٩٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢٨٥).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٨٦).

تقاتله؟ قال إنما قال: قاتله وسالبه[١].

*****

(١) مسند الإمام أحمد (١٣/ ٤٩١) رقم الحديث (١٧٧٠٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٤): رجال أحمد ثقات، وفي (٩/ ٢٩٧) قال: رواه الطبراني وقد صرح ليث بالتحديث، ورجاله رجال الصحيح.

الفصل الأول: روايات حديث: (ويح عمَّار تقتله الفئة الباغية)

وهذا جمع لروايات هذا الحديث من كتب السنة: الصحاح، والسنن، والمسانيد وغيرها.

١ – عن عكرمة[١] قال لي ابن عباس، ولابنه علي[٢]: انطلقا إلى أبي سعيد[٣] فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط[٤] يُصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كُنَّا نحملُ لبنةً لبنةً، وعمارٌ لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: (ويح[٥] عمارٍ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)[٦]. قال يقول: عمارٌ:

(١) هو: عكرمة البربري، أبو عبدالله المدني، مولى ابن عباس، عالم ثقة إلا أنه أخذ بمذهب الخوارج. وقيل: كان إباضياً، أو صفرياً، يرى السيف، قاله الذهبي، وهو ممن نقل مذهب الصفرية إلى إفريقية، توفي سنة ١٠٦هـ. ينظر: الكاشف للذهبي (٢/ ٣٣)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٥٤٧).

(٢) هو: علي بن عبدالله بن عباس، أبو محمد، ويقال: أبو عبدالله، ويقال: أبو الفضل المدني، إمام ثقة، قليل الحديث، توفي بالبلقاء من أرض الشام في (الحميمة)، سنة ١١٧هـ، وقيل: ١١٨هـ، وقيل: سنة ١١٩هـ. ينظر: الكاشف (٢/ ٤٣)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٦٢٨).

(٣) يعني الخدري.

(٤) حائط: بستان، إذا كان عليه حائط وهو جدار. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ٤٤٤)، مادة (حوط).

(٥) ويح: كلمة ترحُّمٍ وتوجّع، تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها. وقد يقال بمعنى المدح والتعجُّب. قاله ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٠٤)، مادة (ويح). وقال ابن رجب: ويح: كلمة رحمة، قاله الحسن وغيره. وقيل: ويح: رحمة لنازلٍ به بليَّة. وانتصابه بفعل مضمر، كأنه يقول: أترحم عماراً ترحماً. فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب (٢/ ٣٨١).

(٦) يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار: فيه إشارة إلى أن عماراً على الحق دون من خالفه.

قال ابن رجب: وقد وقع في [نسخ] صحيح البخاري زيادة في الحديث، وهي: (تقتله الفئة =

أعوذ بالله من الفتن.

٢ – وفي رواية أخرى: عن عكرمة أن ابن عباس ﭬ قال له ولعلي بن عبدالله: ائتيا أبا سعيد فاسمعا من حديثه، فأتيا وهو وأخوه[1] في حائط لهما

=

الباغية)، وقد خرجه بهذه الزيادة الإمام أحمد. وخرجه النسائي. المصدر السابق.

وقال ابن حجر: (اعلم أن هذه الزيادة لم يذكرها الحميدي في الجمع، وقال: إن البخاري لم يذكرها أصلاً، وكذا قال أبو مسعود. قال الحميدي: ولعلها لم تقع للبخاري أو وقعت فحذفها عمداً. قال: وقد أخرجها الإسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث.

قال ابن حجر: ويظهر لي أن البخاري حذفها عمداً وذلك لنكتة خفية، وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ فدل على أنها في هذه الرواية مدرجة، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرط البخاري، وقد أخرجها البزار من طريق داود بن أبي هند عن أبي نظرة عن أبي سعيد فذكر الحديث في بناء المسجد وحملهم لبنة لبنة وفيه فقال أبو سعيد: فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: (يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٦٣٥). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد (ص ٩٥)، رقم الحديث (٤٤٧٨).

فائدة: قال ابن رجب رحمه الله: يدل على أن أبا سعيد شهد بناء المسجد وعمل فيه، وهذا يدل على أن المراد بناءُ المسجد ثاني مرة لا أول مرة؛ فإن جماعة من أهل السير ذكروا أن النبي ﷺ بعدما فتح الله عليه خيبر بنى مسجده مرة ثانية، وزاد فيه مثله. وإنما استشهدنا لذلك بمشاركة أبي سعيد في بناء المسجد، ونقل اللبن؛ لأن أبا سعيد كان له عند بناء المسجد في المرة الأولى نحو عشر سنين أو دونها؛ لأن النبي ﷺ ردَّه يوم أحد ولم يجزه، وله نحو ثلاث عشرة سنة، وكانت غزوة أُحد في أواخر السنة الثالثة من الهجرة، ومن له عشر سنين أو دونها فبعيدُ أن يعمل مع الرجال في البنيان. كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٧٨).

(١) قال ابن حجر رحمه الله: هذا الأخ زعم بعض الشراح أنه قتادة بن النعمان وهو أخو أبي سعيد ولا يصح أن يكون هو، وليس لأبي سعيد أخ شقيق، ولا أخ من أبيه ولا من أمه إلا قتادة، فيحتمل أن يكون المذكور أخاه من الرضاعة، ولم أقف إلى الآن على اسمه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ٦٣٤).

يسقيانه. فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس، فقال: كنا ننقل لبن المسجد لبنةً لبنة، وكان عمارٌ ينقل لبنتين لبنتين، فمرَّ به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار، وقال: (**ويح عمار، تقتله الفئة الباغية**(١)**، عمارٌ يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار**)(٢).

٣ – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أخبرني من هو خير مني، أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسحُ رأسه ويقول: (**بُؤسَ**(٣) **ابن سمية! تقتلك فئة باغية**)(٤).

وفي رواية: (وَيْسَ) (٥)، أو (يا وَيْسَ ابن سُميَّة).

---

(١) في هذه الرواية تصريح بأن من يقتل عماراً هي الفئة الباغية.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله (ص ٥٧١)، رقم الحديث (٢٨١٢)، والإمام أحمد في مسنده (١٧/ ٢٥٧)، رقم الحديث (١١١٦٦)، وفي (١٧/ ٣١٩)، رقم الحديث (١١٢٢١)، وفي (١٨/ ٣٦٧)، ورقم الحديث (١١٨٦١)، وفي (٣٧/ ٢٩٨)، ورقم (٢٢٦١٠). وأبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ٥١٧)، ورقم الحديث (٦٣٧)، وفي (٣/ ٦٢٢)، ورقم الحديث (٢٢٨٢). والإمام النسائي في سننه الكبرى، كتاب الخصائص (٧/ ٤٦٧)، ورقم الحديث (٨٤٩٤) عن أبي سعيد الخدري، وابن حبان في صحيحه (ص ١٢٢٧)، ورقم الحديث (٧٠٣٨)، وفي الحديث رقم (٧٠٣٧) بلفظ (ويح ابن سمية)، كلها عن أبي سعيد الخدري.

(٣) بؤس: كأنه ترحَّم له من الشدة التي يقع فيها، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٩٠)، مادة (بأس).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في (الفتن) (ص ١٢٦١)، رقم الحديث (٧٣٢٠)، والإمام أحمد في مسنده (٣٧/ ٢٩٧)، ورقم الحديث (٢٢٦٠٩)، والإمام النسائي في سننه الكبرى، كتاب الخصائص (٧/ ٤٦٨)، ورقم الحديث (٨٤٩٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٤).

(٥) ويس: كلمة تقال لمن يُرحم ويرفق به مثل ويح، وحُكمها حكمها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٠٤)، مادة (ويس).

٤- وفي رواية عن أمِّ سلمة؛ أن رسول الله ﷺ قال لعمارٍ: (**تقتلك الفئةُ الباغيةُ**)[١].

٥ – عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أبشر عمار تقتلك الفئة الباغية**) [٢].

٦ – عن حنظلة بن خُويلد العنزي[٣] قال: بينا نحن عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كلَّ واحد منهما أنا قتلته، فقال عبدالله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**تقتله الفئة الباغية**).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (الفتن) (ص ١٢٦٢)، رقم الحديث (٧٣٢١، ٧٣٢٢)، والإمام أحمد في مسنده (٤٤/ ٨٣)، رقم الحديث (٢٦٤٨٢)، بلفظ: (ويحه ابن سمية تقتله الفئة الباغية)، وفي (٤٤/ ١٨٩)، رقم الحديث (٢٦٥٦٣)، وفي (٤٤/ ٢٥٥)، ورقم الحديث (٢٦٦٥٠)، بلفظ: (تقتلك الفئة الباغية). والنسائي في سننه الكبرى، كتاب المناقب (٧/ ٣٥٨)، رقم الحديث (٨٢١٧)، وفي (٧/ ٤٦٦)، رقم الحديث (٨٤٩٠)، ٨٤٩١)، وفي (٧/ ٤٦٧)، ورقم الحديث (٨٤٩٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٤)، وابن حبان في صحيحه (ص ١٢٢٦)، ورقم الحديث (٧٠٣٦).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عمار بن ياسر (ص ٨٦٢)، رقم الحديث (٣٨٠٠). قال الإمام الترمذي بعده: (في الباب عن أم سلمة وعبدالله بن عمرو وأبي اليسر وحذيفة [وقال] هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث العلاء بن عبدالرحمن). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٤٩)، رقم الحديث (٣٨٠٠).
وأخرج الحديث أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة ﷺ، بلفظ (ويح ابن سمية) (١١/ ٤٠٣)، رقم الحديث (٦٥٢٤).

(٣) حنظلة بن خويلد العنزي، وثقه ابن معين، وابن حبان، ينظر: كتاب ذيل الكاشف لأبي زرعة العراقي (ص ٨٦)، وكتاب تهذيب التهذيب (٢/ ٢٤١).

قال: فقال معاوية: ألا تُغني[١] عنا مجنونك يا عمرو فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك حياً ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل! [٢].

٧ – عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: يا أبت ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: (**ويحك يا ابن سميَّة! تقتلك الفئة الباغية**). قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا تزال تأتينا بهنّة[٣]! أنحن قتلناه؟! إنما قتله الذين جاؤوا به[٤].

٨ – عن مولاة[٥] لعمار بن ياسر قالت: اشتكى عمار بن ياسر شكوى بعل[٦] منها فغشي عليه فأفاق ونحن نبكي حوله! فقال: ما يبكيكم

---

(١) أي كُفه واصرفه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥١)،مادة: غنا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١/ ٩٦)، رقم الحديث (٦٥٣٨)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٥)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب الخصائص (٧/ ٤٦٨)، رقم الحديث (٨٤٩٦)، وله أسانيد أخرى. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٤): رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) بهنة: كناية عن الشيء لا تذكره باسمه. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٤٠) مادة (هنن)، ولسان العرب (١٥/ ١٠٥) مادة (هنن).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١/ ٤٢)، رقم الحديث (٦٤٩٩)، و(١١/ ٥٢٢)، رقم الحديث (٦٩٢٦)، وقال محققه: إسناده صحيح.

وأخرجه البزار في مسنده (٦/ ٣٥٨)، رقم الحديث (٢٣٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٣١)، رقم الحديث (٧٥٩)، وفي المعجم الوسيط (٨/ ٤٤)، رقم الحديث (٧٩٠٨).

(٥) لم يتبين لي اسمها.

(٦) بعل منها: لعلها بمعنى ثقلت عليه وأجهدته وأنهكته. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ١٤٠)، مادة (بعل)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ١١٥)، مادة (بعل).

أتحسبون أني مت على فراشي، أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخر زادي مذقة من لبن[(١)].

٩ - عن حبة[(٢)] قال: اجتمع حذيفة وأبو مسعود فقال أحدهما لصاحبه: إن رسول الله ﷺ قال: (تقتل عماراً الفئة الباغية) وصدقه الآخر[(٣)].

١٠ - عن عبدالله بن أبي الهذيل العنزي[(٤)]، أن عماراً رضي الله عنه كان ينقل معهم - يعني الصخر - فقال رسول الله ﷺ: **(ويحك يا ابن سميَّة تقتلك الفئة الباغية)**[(٥)].

---

(١) لم أجد في المطبوع من معجم الطبراني الكبير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٥).
وقال: رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه إلا أنه قال: إن رسول الله ﷺ أخبرني أني أقتل بصفين. رواه البزار باختصار، وإسناده حسن.

(٢) هو: حبة بن جوين العرني، أبو قدامة الكوفي، شيعي غال، ضعفه ابن معين، والنسائي وغيرهما، توفي سنة ٧٦هـ. ينظر: ذيل الكاشف لأبي زرعة العراقي (ص ٦٩)، وتهذيب التهذيب (١/ ٦٤١).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٧/ ٣٥١)، رقم الحديث (٢٩٤٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (ص ١١١١)، رقم الحديث (٥٧٢٩)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح عال ولم يخرجاه.

(٤) عبدالله بن أبي الهذيل العنزي، أبو المغيرة الكوفي، تابعي ثقة، توفي في ولاية خالد القسري. ينظر: ينظر: الكاشف (١/ ٦٠٥)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٦٩١).

(٥) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٣٩)، رقم الحديث (٦٨٤)، والحارث في مسنده (٢/ ٩٢٤)، رقم الحديث (١٠١٧)، وأبو يعلى (٧/ ١٩٥)، رقم الحديث (٤١٨١) وإسناد الحديث مرسل.
وفي مسند البزار (٤/ ٢٥٦) رقم الحديث (١٤٢٨) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (٢/ ٩٢٤) رقم الحديث (١٠١٧، ١٠١٨).

١١ – عن محمد بن عُمارة بن خزيمة بن ثابت[(١)] قال: ما زال جدي كافاً سلاحه يوم الجمل حتى قُتل عمارٌ بصفين، فسلَّ سيفه فقاتل حتى قتل. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**تقتل عماراً الفئة الباغية**) [(٢)].

١٢ – عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يبني المسجد وكان ابن ياسر يحمل صخرتين، فقال: (ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية) [(٣)].

١٣ – عن أبي بكر[(٤)] بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه[(٥)]، لما قُتِلَ عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قُتِل عـمَّار!

---

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطي الأوسي الأنصاري، يُعرف بذي الشهادتين، جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، يكنى أبا عمارة، وشهد بدراً وما بعدها، وكان مع علي رضي الله عنه حتى قُتل بصفين سنة ٣٧هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (ص ٢٠٣)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ص ٣٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ١٩٨) رقم الحديث (٢١٨٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٨٥) رقم الحديث (٣٧٢٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (ص ١١٠٧) رقم الحديث (٥٧١٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٥٢)، رقم الحديث (٣٧٨٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٢): رواه أحمد والطبراني وفيه أبو معشر لين، وفي إسناد الحديث انقطاع.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٢٤٩)، رقم الحديث (٦٣١٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٢): رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى، وإسناد أبي يعلى منقطع وفي إسناد الطبراني أحمد بن عمر العلاف الرازي لم أعرفه.

(٤) هو: أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، قاضي المدينة وأميرها. ثقة، توفي سنة ١٢٠هـ. ينظر: الكاشف (٢/ ٤١٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣١٢).

(٥) هو: عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي الأنصاري، أبو الضحاك، صحابي جليل، شهد الخندق وهو ابن ١٥ سنة، واستعمله النبي ﷺ على أهل نجران، توفي سنة ٥١ أو ٥٢ أو ٥٣هـ. ينظر: الكاشف (٢/ ٧٤)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٨).

وقد قال رسول الله ﷺ: (تقتله الفئة الباغية)، فقام عمرو بن العاص فزعاً يُرجِّع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنُكَ؟ قال: قُتِل عمارٌ؟! فقال معاوية: قد قُتِل عمارٌ، فماذا؟! قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقتله الفئة الباغية)، فقال له معاوية: دحضْتَ[(١)] في بَوْلِك! أو نحن قتلناهُ؟ إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[(٢)].

١٤ – عن أبي اليسر[(٣)] بن عمرو عن زياد[(٤)] بن الفرد أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية[(٥)].

---

(١) دحضت: أي زلقت. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٩٨)، مادة (دحض).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٩/ ٣١٦)، رقم الحديث (١٧٧٧٨) وفي (٢٩/ ٣٠١)، ورقم الحديث (١٧٧٦٦)، والحاكم في مستدركه (ص ١١٠٨)، ورقم الحديث (٥٧١٣، و٥٧١٤)، والطبري في تاريخ (٣/ ٩٩). ومعمر بن راشد في جامعه (١١/ ٢٤٠)، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٢٣) رقم الحديث (٧١٧٥)، و(٣/ ٣٣٠)، رقم الحديث (٧٣٤٦)، و(١٣/ ٣٣٤)، رقم الحديث (٧٣٥١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٢): رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيحين، ورواه أبو يعلى باختصار.

(٣) هو: أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري السلمي، الصحابي الجليل، توفي سنة ٥٥هـ. ينظر: الإصابة لابن حجر (ص ١٥٨٤).

(٤) زياد بن أبي القرد وقيل ابن أبي الفرد، وقيل الفرد الأنصاري، قيل له صحبة. ينظر: الاستيعاب (ص ٢٥٤)، والإصابة (ص ٤٤١).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٦٦)، رقم الحديث (٥٢٩٦)، و(١٩/ ١٧٠)، رقم الحديث (٣٨٢)، و(١٩/ ١٧١)، رقم الحديث (٣٨٣)، قال ابن حجر: فيه انقطاع بين الزهري وبينهما، كتاب الإصابة (ص ٤٤١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٦): رواه الطبراني وفيه مسعود بن سليمان، قال الذهبي: مجهول. قلت: والزهري لم يدرك أبا اليسر.

١٥ – عن ابنة هشام بن الوليد بن المغيرة وكانت تمرض عـمَّاراً قالـت: جاء معاوية إلى عمار يعوده فلما خرج من عنـده قـال: اللهـم لا تجعـل منيتـه بأيدينا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقتل عماراً الفئة الباغية)[١].

١٦ – عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول لعـمار رحمـة الله عليه: **(تقتل عماراً الفئة الباغية)** [٢].

١٧ – عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثـم تقتـل عماراً الفئة الباغية)** [٣].

١٨ – عن عبدالرحمن بن أبي ليلى[٤] قال: قال لي عـمار: قـال لي رسـول الله ﷺ: **(تقتلك الفئة الباغية)**[٥].

١٩ – عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، وضرب جنب

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٩٦)، رقـم الحـديث (٩٣٢)، وأبـو يعـلى في مسـنده (١٣/ ٣٥٣)، رقم الحديث (٧٣٦٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٦): رواه أبو يعـلى والطبراني وابنة هشام، والراوي عنها لم أعرفها، وبقية رجالها رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣١٢)، رقم الحديث (٥١٦)، وأبو يعلى في معجمـه (٢٣٢)، رقم الحديث (٢٨٣). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٢): رواه أبو يعـلى والطـبراني في الصـغير باختصار القصة، وفيه أحمد بن بديل الرملي، وثقه النسائي وغيره، وفيه ضعف.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٦٨)، رقم الحديث (٤٣)، قلت في إسـناده: محمـد بـن موسى الواسطي وهو ضعيف.

(٤) هو: عبدالرحمن بن أبي ليلى الأوسي الأنصاري، أبو عيسى الكـوفي، التـابعي الثقـة، تـوفي سـنة ٨٢هـ، وقيل: ٨٣هـ. ينظر: الكاشف (١/ ٦٤١)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٢١).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٩١) رقم الحديث (٧٥٢٦)، في إسناده ضـعف مـن قبل إسماعيل بن عمرو البجلي، ويزيد بن أبي زياد.

عمار قال: (**إنك لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحق، يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن**) [١].

٢٠ – عن محمد[٢] بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه[٣] عن أبي رافع[٤] أن النبي ﷺ قال لعمار: (**تقتلك الفئة الباغية**) [٥].

٢١ – عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمّار: (يا عمار، تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنه لن يدلك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمار، من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه، قلده يوم القيامة وشاحين من نار)

---

(١) لم أجده في المطبوع من معجم الطبراني الكبير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٧) وقال: رواه الطبراني وفيه مسلم بن كيسان الأعور وهو ضعيف.

(٢) هو: محمد بن عبيد الله بن أبي رافع الهاشمي، مولاهم الكوفي، ضعيف منكر الحديث، في عداد شيعة الكوفة. ينظر: الكاشف (٢/ ١٩٧)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٧٢٣).

(٣) عبيد الله بن أبي رافع المدني مولى النبي ﷺ، الثقة، كثير الحديث، وكاتب علي رضي الله عنه. ينظر: الكاشف (١/ ٦٧٩)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣١١).

(٤) أبو رافع مولى النبي ﷺ، اختلف في اسمه، فقيل: إبراهيم، وقيل أسلم، وقيل هرمز، وقيل ثابت، وكان قبطياً، توفي أبو رافع في خلافة عثمان، وقيل في خلافة علي. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (ص ٨٠٥)، والإصابة لابن حجر (ص ١٤٦٩).

(٥) أخرجه أبو يعلى في معجمه (١/ ١٦٢)، رقم الحديث (١٨١)، ومسند الروياني (١/ ٤٦١)، رقم الحديث (٦٩٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣٢٠)، رقم الحديث (٩٥٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٦): رواه الطبراني وفيه محمد بن موسى الواسطي وهو ضعيف.

قلنا: يا هذا، حسبك، رحمك الله، حسبك الله.

قال الجوزقاني: هذا حديث موضوع لا شك فيه[١].

أقوال الأئمة في الحكم على الحديث:

قال ابن عبد البر رحمه الله: «تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: (تقتل عماراً الفئة الباغية)، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث»[٢].

وقال ابن حجر رحمه الله: «روى حديث (تقتل عماراً الفئة الباغية) جماعة من الصحابة: منهم قتادة بن النعمان، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبدالله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وخزعة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدهم»[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): «وأما عمار فصحَّ أنه عليه السلام قال: (تقتلك الفئة الباغية) وباقي ذلك كذبٌ مزيد في الحديث»[٤].

قال ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ): «وما زاده الروافض في هذا

(١) أخرجه الجوزقاني في كتابه، الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (ص ١٠٧) رقم الحديث (١٩٤).

(٢) الاستيعاب (ص ٤٨٤).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ٦٣٥).

(٤) المنتقى من منهاج الاعتدال (مختصر منهاج السنة لابن تيمية) اختصره الحافظ الذهبي (ص ٤٠٩).

الحديث بعد قوله (الباغية): لا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة) فهو كذب وبُهت على رسول الله ﷺ، فإنه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين» [(١)].

ومع هذا فقد وقع في بعض كتب أهل العلم أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره قد حكم على هذا الحديث أنه غير صحيح.

فقد روى الخلال أن الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين ذُكر لهما قول (يقتل عمار الفئة الباغية) فقالا: «ما فيه حديث صحيح» [(٢)]؟

قال الخلال: «سمعت محمد بن عبدالله بن إبراهيم قال: سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: روي في (تقتل عماراً الفئة الباغية) ثمانية وعشرون حديثاً ليس فيها حديث صحيح» [(٣)]؟

قال ابن رجب رحمه الله (ت٧٩٥هـ): «هذا الإسناد غير معروف، وقد روي عن أحمد خلاف هذا» [(٤)].

بل وهذا يخالف رواياته للحديث بأسانيد صحيحة، وقد تقدم ذكرها.

بل إنه سُئل كما عند الخلال عن حديث النبي ﷺ في عمار: (تقتلك الفئة) فقال أحمد: «كما قال رسول الله ﷺ: قتلته الفئة الباغية، وقال: في هذا

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٩٠).
(٢) ينظر: السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٤٦٣) بتصرف. وإسناده ضعيف كما قال محققه د: عطية الزهراني.
(٣) السنة للخلال (٣/ ٦٤٣).
(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب (٢/ ٣٨٤).

غير حديث صحيح عن النبي ﷺ، وكره أن يتكلم في هذا بأكثر من هذا»[(١)].

وفي موضع آخر: سُئل رحمه الله: عن قول النبي ﷺ: (تقتلك الفئة الباغية) فقال: «لا أتكلم فيه، تركه أسلم» [(٢)].

فهذا دليل على أنه يرى صحة الحديث، مع روايته له في مسنده.

والعجيب أن الخلال رحمه الله يذكر الروايتين في كتابه في موضع واحد ولا يعلّق عليهما!؟

وقد أخرج الحاكم في (تاريخ نيسابور) بسنده عن صالح بن محمد الحافظ – يعني جَزَره – يقول: سمعت يحيى بن معين وعلي بن المديني يصححان حديث الحسن [يعني البصري] عن أمه، عن أم سلمة: (تقتل عمّاراً الفئة الباغية) [(٣)].

والخلاصة:

أن الحديث صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ، وقد نقل ذلك بروايات وأسانيد: صحيحة، وحسنة، وضعيفة، وموضوعة.

*****

---

(١) السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٤٦٣).

(٢) السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٤٦٢).

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٢/ ٣٨٤).

الفصل الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من حديث:

(ويح عمَّار تقتله الفئة الباغية)

هذه دراسة لخبر عظيم، وعلم من أعلام نبوته ﷺ، حيث أخبر عن أمر غيبي يقع لأحد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ويكون علامةً على أهل الحق، وحاكماً على قضية من أبرز قضايا الاختلاف، والتي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم على حين فتنة ومحنة، تمخضت عن انقسام بين الصحابة إلى ثلاثة صفوف بدلاً من الصف الواحد المنتظم خلف الإمام الحق، خليفة المسلمين وولي أمرهم.

المبحث الأول: فضل ومنزلة الصحابة ﷺ

لقد تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة على الشهادة بفضل الصحابة ﷺ ومنزلتهم، أولهم وآخرهم.

إضافة إلى الشهادة لهم بالإيمان والسبق إلى الخيرات والأجر العظيم من الله تعالى، وما من كتاب: في السنة ولا في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، إلا وقد أثنى فيه على الصحابة ﷺ بذكر فضائلهم ومناقبهم والترضي عنهم.

وسأقتصر هنا على ذكر بعض الأدلة على وجه التمثيل لا الحصر.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ - قال الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالله تعالى رضي عن جميع الصحابة والمهاجرين والأنصار السابقين والمتأخرين، ومن اتبع الصحابة ممن آمن بالله ورسوله ﷺ.

قال الإمام الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ) في تفسيره لهذه الآية: «ومعنى الكلام: رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه، وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ورضي عنه السابقون والأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه، وإيمانهم به، وبنبيه ﷺ»(١).

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١/ ٦٤٢).

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي[1] رحمه الله (ت٣٧١هـ): «وقد أثبت الله رضاه عنهم لم يكن منه بعد ذلك ما يُوجب سخط الله عز وجل، ولم يوجب ذلك للتابعين إلا بشرط الإحسان، فمن كان من التابعين من بعدهم لم يأت بالإحسان، فلا مدخل له في ذلك»[2].

٢ – قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

فالله تعالى رضي عن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم المبايعين لرسوله ﷺ تحت الشجرة يوم الحديبية، مع علمه بما في قلوبهم من إيمان، وما يموتون عليه من حسن خاتمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨هـ) **معلِّقاً على هذه الآية**: «والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومَن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً، وعلى هذا فقد بيَّن في مواضع أُخر أن هؤلاء الذين رضي الله عنهم هم من أهل الثواب في الآخرة، يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

---

(١) هو: أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني، الإسماعيلي الشافعي، شيخ الشافعية، الإمام الحافظ، والحجة الفقيه، توفي سنة ٣٧١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٩٤٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٧٥).

(٢) اعتقاد أهل السنة لأبي بكر الإسماعيلي (ص ٥٢).

وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **(لا يدخل النَّار أحد بايع تحت الشجرة)**[(١)].

وأيضاً فكل من أخبر الله عنه أنه ﵁ فإنه من أهل الجنة وإن كان رضاه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء والمدح عليه فلو علم أنه يتعقب ذلك ما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك»[(٢)].

٣ - قال الله عز وجل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي هذه الآية ثناء على الصحابة ﵃ بأنهم رحماء أبرار بالأخيار من المؤمنين، وأشداء على الكفار كما قال الله عز وجل: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤][(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﵃ (ص ١٠٩٩)، رقم الحديث (١٦٣)، باختلاف يسير، ولفظ هذا الحديث عند الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله (ص ٨٧٢)، رقم الحديث (٣٨٦٠).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لابن تيمية (ص ٣٩٦).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢١٨)، وتفسير الطبري (٨/ ١٩٤)، وزاد المسير =

وفي هذا **قال الإمام مالك** رحمه الله (ت١٧٩هـ): «من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية»[١].

وقال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ): «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك»[٢].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله (ت٢٠٤هـ): «لا آمن أن يكونوا قد ضارعوا[٣] الكفار يعني الرافضة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾»[٤].

قلت: بل يدخل في ذلك كل من أبغض الصحابة رضي الله عنهم، أو واحداً منهم، سواء كان من الخوارج أو من الرافضة أو غيرهم، من أهل الأهواء والبدع.

٤ – قال الله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

=

لابن الجوزي (ص ١٣٢٥).

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل) آخر سورة الفتح (ص ١٢١٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٩).

(٣) ضارعوا: شابهوا، ينظر: مختار الصحاح للرازي (ص ٢١٣)، مادة (ض ر ع).

(٤) تفسير زاد المسير لابن الجوزي (ص ١٣٢٧).

وفي هذه الآية بيان فضل الصحابة ﷺ الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله قبل فتح الحديبية، والله تعالى وعد الجنة لمن أنفق وقاتل في سبيل الله من قبل الفتح، ومن أنفق بعد وقاتل في سبيل الله لإنفاقهم وقتالهم أعداء الله[١].

ثانياً: من السنة النبوية:

١ – عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يأتي على الناس زمان فيغزو فئام[٢] من الناس فيقولون: فيكم صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صَاحَب من صَاحَب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم)**[٣].

وهذا دليل على فضل الصحابة ﷺ، ومن صاحبهم، وسيأتي ما يدل على خيرية قرنهم، والذي يليه.

٢ – عن عمران بن حصين[٤] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(خير أمتي قرني[٥]، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)** قال عمران: (فلا أدري[١] أذكر

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٦) بتصرف.

(٢) فئام: الجماعة الكبيرة، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٦٤) مادة (فأم).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (ص ١١١٠) رقم الحديث (٢٠٨).

(٤) هو عمران بن حُصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، يُكنى أبا نجيد، بابنه نجيد بن عمران. أسلم أبو هريرة وعمران بن حصين، عام خيبر، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، توفي سنة ٥٢هـ. ينظر: الاستيعاب (ص ٥٢١)، وأسد الغابة (٣/ ٤٠٨)، والإصابة (ص ٩٥٤).

(٥) قرني: القرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، =

أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة) (٢).

٣ – عن سعيد(٣) بن أبي بردة(٤)، عن أبي بردة عن أبيه قال: (صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قُلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا فخرج علينا، فقال: (ما زلتم ههنا؟ قلنا يا رسول الله: صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم. قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعد وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي،

=

وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم، وأحوالهم. وقيل القرن: أربعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل مائة سنة. النهاية في غريب الحديث (٤/ ٤٥) مادة (قرن).

(١) قال ابن حجر: وقع مثل هذا الشك في حديث ابن مسعود وأبي هريرة عند مسلم، وفي حديث بريدة عند أحمد، وجاء في أكثر الطرق بغير شك، منها: عن النعمان بن بشير عند أحمد، وعن مالك عند مسلم عن عائشة [لم أجد في صحيح مسلم المطبوع عن مالك، والمذكور فقط رواية واحدة عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده عن عائشة، وعند أحمد رواية عن حسين بن علي بسنده عن عائشة] قال رجل يا رسول الله: أي الناس خير؟ قال: (القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث) فتح الباري (٧/ ٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (ص ٧٤٧)، رقم الحديث (٣٦٥٠)، ومسلم في صحيحه، فضائل الصحابة (ص ١١١١)، رقم الحديث (٢١٤).

(٣) هو سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، كوفي ثقة. ينظر: الكاشف (١/ ٤٣٢)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٢).

(٤) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، قيل اسمه: عامر، وقيل: الحارث، ثقة، مات سنة ١٠٤هـ. ينظر: تقريب التهذيب (ص ٥٤٨).

فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[١].

قال ابن الأثير رحمه الله (ت٦٠٦هـ): «أراد بوعد السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة، وذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وإعدامها. وأراد بوعد أصحابه ما وقع بينهم من الفتن، وكذلك أراد بوعد الأمة.

والإشارة في الجملة إلى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير، فإنه لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه، فلما تُوفي جالت الآراء واختلفت الأهواء، فكان الصحابة ﭬ يسنِدُون الأمر إلى الرسول ﷺ في قول أو فعل أو دلالة حال، فلما فُقد قلَّت الأنوار وقويت الظلم. وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم»[٢].

٤ — عن أبي سعيد الخدري ﭬ قال: قال النبي ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه[٣])**[٤].

وفي هذا الحديث أبلغ النهي عن سب الصحابة ﭬ الذي اتخذته الرافضة ديناً، ينسبونه لآل البيت ﭬ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان لأمته (ص ١١٠٩)، ورقم الحديث (٢٠٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٧١) مادة (أمن).

(٣) النصيف: هو النصف، كما يقال عشر وعشير، وثمن وثمين، وقيل النصيف مكيال دون المد. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (٧/ ٣٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (ص ٧٥٢)، رقم الحديث (٣٦٧٣).

٥ – عن عبدالله[١] بن أبي أوفى ﷺ قال: شكا عبدالرحمن بن عوف خالد بن الوليد فقال الرسول ﷺ: (يا خالد؟ لِمَ تؤذي رجلاً من أهل بدر؟ لو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله. فقال: يا رسول الله! يقعون فيَّ فأردُّ عليهم؟! فقال رسول الله ﷺ: لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبَّه على الكفار)[٢].

قال ابن حجر رحمه الله (ت٨٥٢هـ): «فنهي بعض من أدرك النبي ﷺ وخطابه بذلك عن سبّ من سبقه يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه، عن سب من سبقه من باب أولى»[٣].

٦ – عن عطاء[٤] بن أبي رباح رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله)**[٥].

---

(١) عبدالله بن أبي أوفى، الأسلمي، صحابي جليل، شهد الحديبية، وخيبر وما بعدها، وسكن الكوفة، توفي سنة ٨٧هـ. ينظر: الاستيعاب (ص ٣٨٢)، وأسد الغابة (٢/ ٥٥٦)، والإصابة (ص ٧٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة (١/ ٦٥)، ورقم الحديث (١٣)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/ ٣٩).

(٤) عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشي، مولاهم المكي، التابعي الثقة، روى عن بعض الصحابة ﷺ، توفي سنة ١١٤هـ. ينظر: كتاب الكاشف (٢/ ٢١)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٨٨).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في كتابه السنة، باب ذكر الرافضة (ص ٧٧٤)، رقم الحديث (١٠٠١).

وقال الإمام الألباني رحمه الله: حديث حسن، وإسناده مرسل صحيح رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين، غير محمد بن خالد وهو الضبي الملقب بسؤر الأسد، وهو صدوق، وللحديث بعض الشواهد الموصولة المسندة، ومن أجلها أوردت الحديث في (الصحيحة) (٢٣٤٠). كتاب السنة =

وهذه عقوبة عظيمة لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ وآذاهم.

وبما سبق يتبين فضل الصحابة ﭫ وخيريتهم وأنهم أفضل جيل عرفه العالم لإيمانهم بالله وبرسوله ﷺ، وجهادهم في سبيل الله، وتضحيتهم بالنفس والمال في مرضاة الله ونصرة دينه.

كما أن الله تعالى أنزل الصحابة أحسن المراتب في الدنيا والآخرة، والرسول ﷺ شهد لهم بذلك فمنع من التعرض لهم وتنقصهم، ولعن من سبَّهم.

*****

=

لابن أبي عاصم، تحقيق وتخريج الألباني رحمه الله.

المبحث الثاني: عدالة[١] الصحابة ﷺ

من معتقد أهل السنة والجماعة القول بعدالة الصحابة ﷺ، وأنهم أهل استقامة وصلاح في دينهم وأخلاقهم.

ولهذا لا يُسأل عنهم لتزكية الله ورسوله ﷺ لهم كما تقدم في فضائل الصحابة ﷺ.

وقد كثرت أقوال العلماء في إثبات عدالة الصحابة ﷺ أذكر بعضاً منها مما يناسب ذكره هنا.

١ — عدالة الصحابة ﷺ مبنية على ما جاء في الكتاب والسنة من تعديل الله عز وجل ورسوله ﷺ.

ولهذا **قال الخطيب البغدادي**[٢] رحمه الله (ت٤٦٣هـ): «كل حديث اتصل إسناده بين مَنْ رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العملُ به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن... ووصف رسول الله ﷺ

---

(١) العدالة: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ملكة تحمله [يعني صاحبها] على ملازمة التقوى والمروءة. والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة، من شرك، أو فسق أو بدعة). نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص ٣٨).

(٢) هو: أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ، ومن كتبه المشهور: (تاريخ بغداد)، وكتاب (الكفاية في معرفة أصول علم الرواية)، وغيرها، توفي سنة ٤٦٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠).

الصحابة... وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقولهم من العلماء»[(١)].

٢ – اختصاص الصحابة ﭬ بالعدالة:

قال ابن الصلاح[(٢)] رحمه الله (ت ٦٤٣هـ): «للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم بل ذلك مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يُعتد به في الإجماع».

٣ – أن أهل السنة والجماعة متفقون على القول بعدالة الصحابة ﭬ دون تفريق بينهم.

قال ابن الصلاح: «إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم. ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح

---

(١) كتاب الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، للخطيب البغدادي (١/ ١٨٠).

(٢) هو: عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان، أبو عمرو بن الصلاح الكردي، الشهرزوري، الموصلي الشافعي، الحافظ الكبير، صاحب (علوم الحديث) المشهور بمقدمة ابن الصلاح، توفي رحمه الله سنة (٦٤٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٠).

الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم» (١).

وهذه العدالة لكل الصحابة ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨هـ): «الصحابة كلهم ثقات باتفاق أهل العلم بالحديث والفقه، حتى الذين كانوا ينفرون عن معاوية ﷺ إذا حدثهم على منبر المدينة يقولون: وكان لا يُتهم في الحديث عن رسول الله ﷺ لأنهم معروفون بالصدق عن النبي ﷺ، وكان هذا حفظاً من الله لهذا الدين، وأصحاب النبي ﷺ ولله الحمد من أصدق الناس حديثاً عنه، لا يعرف فيهم من تعمَّد عليه كذباً» (٢).

وبمثله **قال ابن كثير** رحمه الله (ت ٧٤٤هـ): « الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبةً فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل» (٣).

وهذه شهادات عظيمة وميزة يستحقها الصحابة ﷺ وفضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

٤ – ولم يخالف في القول بعدالة الصحابة ﷺ إلا أهل الأهواء والبدع

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٤٧)، وينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٤/ ٩٣).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٥٧ – ٤٥٨).

(٣) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تأليف أحمد شاكر (ص ١٦٥ – ١٦٦).

من الخوارج والرافضة والمعتزلة[١].

قال العلائي[٢] رحمه الله (ت ٧٦١هـ): «لم يخالف في عدالة الصحابة من حيث الجملة أحد من أهل السنة. وإنما الخلاف عن المعتزلة والخوارج وأمثالهم» [٣]. من الرافضة وأهل الأهواء والبدع.

---

(١) المعتزلة: فرقة ظهرت بين المسلمين في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري رحمه الله.

ومن عقائدهم:

١ – القول بالقدر وهو أن الإنسان يخلق فعل نفسه وسموا ذلك عدلاً.

٢ – نفي صفات الله الحسنى.

٣ – القول بخلق القرآن – وهم سبب امتحان المسلمين بها في زمن الخليفة المأمون العباسي المعتزلي –.

٤ – القول بعدم رؤية الله عز وجل يوم القيامة، وسموا ما تقدم من نفي الصفات، وعدم الرؤية، والقول بخلق القرآن توحيداً!.

٥ – قالوا: أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين.

٦ – ومنعوا الشفاعة في أهل الكبائر يوم القيامة وسموا ذلك إنفاذ الوعد والوعيد.

ينظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٦، ٢٣٧)، والفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي (ص ٧٩)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٨)، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (ص ٤٩)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها تأليف الدكتور: عواد بن عبدالله المعتق (ص ٢٢).

(٢) هو: صلاح الدين بن كيكلدي بن عبدالله الدمشقي، المعروف بالعلائي أبو سعيد، الفقيه، والمحدث والأصولي، أشعري، أو متأثر بهم، توفي رحمه الله سنة ٧٦١هـ. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٦٩٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٩٠).

(٣) تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، للعلائي (ص ٧٨).

وعلى هذا فالقول بعدالة الصحابة ﵃ عقيدة تفرد بها أهل السنة والجماعة.

*****

المبحث الثالث: حب أهل السنة والجماعة للصحابة وترضيهم عنهم

أهل السنة والجماعة يحبون صحابة رسول الله ﷺ – ورضي الله عنهم جميعاً – ويوالونهم كلهم مع اعتقادهم بفاضلهم في الصحبة، وإن اشتركوا في فضلها، ولا يغالون في حبهم فيرفعوهم عن مقام الصحبة إلى مقام النبوة أو الربوبية والألوهية. ولا يفرطون ويقصرون في حبهم فينزلوهم منازل الفسقة والمنافقين؛ بل يوالونهم بالعدل والإنصاف خلافاً للرافضة والنواصب والخوارج [(١)].

وإليك أقوال أئمة أهل السنة:

١ – **قال الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله (ت ٢٤١هـ): «لا نقول في أصحاب رسول الله ﷺ إلا الحسنى» [(٢)].

ولا يفرق بين الصحابة ﷺ سابقهم ولاحقهم.

وقد ذُكر للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «رحمهم الله أجمعين» [(٣)].

٢ – **قال الإمام إسماعيل بن يحيى المزني**[(٤)] رحمه الله (ت٢٦٤هـ) في

---

(١) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، تأليف الدكتور: محمد با كريم محمد با عبدالله (ص٤٤١ وما بعدها).

(٢) السنة، لأبي بكر الخلال (٣/ ٥١١).

(٣) السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٤٧٧).

(٤) هو: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي، الإمام العلامة الفقيه، صاحب التصانيف: (الجامع الكبير)، و(الجامع الصغير)، و(المسائل المعتبرة) وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٢٦٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢).

رسالته (شرح السنة): «ويقال بفضلهم [يعني الصحابة] ويذكرون بمحاسن أفعالهم، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله عز وجل لنبيه وخلقهم أنصاراً لدينه؛ فهم أئمة الدين، وأعلام المسلمين، فرحمة الله عليهم أجمعين» (١).

فالصحابة ﭫ خيار أهل الأرض بعد الرسول ﷺ، وهم أئمة الدين وأهل الإسلام، ولا بد من الاقتصاد والسنة في حبهم.

٣ – **قال الإمام الطحاوي** رحمه الله (ت ٣٢١هـ): «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» (٢).

وفي هذا رد على الروافض والنواصب، فطريقة أهل السنة والجماعة التوسط في الصحابة ﭫ فلا إفراط ولا تفريط، والحق وسط بين طرفين.

٤ – **قال الإمام الآجري** رحمه الله (ت٣٦٠هـ): «ينبغي لمن تدبر ما رسمناه من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وفضائل أهل بيته ﭫ أجمعين أن يحبهم ويترحم عليهم ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله الكريم بهم (٣)، ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا» (٤).

---

(١) (ص ٨٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٨٩).

(٣) لعل مراده التوسل: بحبهم وإتباعهم.

(٤) الشريعة، للآجري (ص ٧٠٨).

٥ - **قال الإمام محمد بن القاضي أبي يعلى الفراء**[١] رحمه الله (ت٥٢٦هـ) عن معتقده الذي هو معتقد أهل السنة بعد عده جملةً من المعتقدات قال: «الترحم على جميع أصحاب الرسول ﷺ أولهم وآخرهم وذكر محاسنهم»[٢].

٦ - **قال الإمام أبو محمد، الموفق ابن قدامة**[٣] رحمه الله (ت ٦٢٠هـ): «ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم»[٤].

فهذا هو حب أهل السنة والجماعة لصحابة رسول الله ﷺ، مع ترضيهم عنهم، بخلاف غيرهم من أهل الضلالة والرفض الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم جماعة وأفراداً، وقد وجد في عهد الصحابة رضي الله عنهم من يسبهم أو يغض من منزلتهم وربما يكون هذا قبيل مقتل عثمان رضي الله عنه.

---

(١) هو: محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي البغدادي، الإمام الفقيه والقاضي الثقة، ممن برع ودرس وصنف، وكان يبالغ في السنة ويلهج بالصفة، وجمع طبقات الفقهاء الحنابلة، توفي رحمه الله (٥٢٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٠١).

(٢) الاعتقاد، لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى الفراء (ص ٤٣).

(٣) أبو محمد الموفق هو: عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب المغني، والكافي، والمقنع في المذهب الحنبلي، الإمام الكبير الثقة. توفي رحمه الله سنة (٦٢٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥).

(٤) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة (ضمن مجموع) تحقيق: بدر بن عبدالله البدر (ص ١٩٨).

عن هشام[١] بن عروة[٢] عن أبيه قال: قالت لي **عائشة** ﵂: (يا ابن أُختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم) [٣].

عن ابن عمر ﵄ أنه قال: (لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خيرٌ من عمل أحدكم عُمره) [٤].

فهذين الصحابيين نهيا عن سب صحابة رسول الله ﷺ، وبيَّنا مخالفته لما جاء في الكتاب والسنة من فضلهم والأمر بالاستغفار لهم، ولما حصلّوه من الأجور العظيمة في نصرة الإسلام ونشره، وسيأتي كلام لبعض العلماء من التابعين ومن جاء بعدهم على سبيل التمثيل لا الحصر.

وعن ميمون بن مهران[٥] رحمه الله (ت ١١٧هـ) قال: «ثلاث

---

(١) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام السدي، أبو المنذر، وقيل أبو عبدالله، تابعي ثقة، توفي سنة (١٤٦هـ). ينظر: الكاشف للذهبي (٢/ ٣٣٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٦٤٩).

(٢) هو: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبدالله المدني التابعي الثقة، الورع، توفي سنة ٩٣ أو ٩٤هـ. ينظر: الكاشف (٢/ ١٨)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٧١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: التفسير، باب: في تفسير آيات متفرقة (ح/ ١٥)، (ص ١٣٠٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة (ص ٢٤)، رقم الحديث (١٦٢)، والإمام أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة (١/ ٦٧)، رقم الحديث (١٥)، وابن أبي عاصم في كتابه السنة (ص ٤٧٦)، رقم الحديث (١٠٠٦). وقال الألباني محقق الكتاب ومخرجه: (رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير نسير بن ذعلوق فلم أعرفه الآن). وقد وثق ابن حبان وابن حجر نسير بن ذعلوق كما في الثقات لابن حبان (٣/ ٩٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٥٣٣)، وقال محقق فضائل الصحابة: (إسناده صحيح).

(٥) هو: ميمون بن مهران، أبو أيوب، الجزري الرقي، التابعي الثقة، روى عن بعض الصحابة كعمر والزبير وعائشة وغيرهم، توفي سنة ١١٧هـ. ينظر: الكاشف (٢/ ٣١٢)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٩٩).

ارفضوهن: سب أصحاب محمد ﷺ، والنظر في النجوم، والنظر في القدر»[(١)].

قال الإمام مالك رحمه الله (ت ١٧٩هـ): «من شتم النبي قُتل، ومن شتم أصحابه أُدِّب»[(٢)].

وقال الإمام إسحاق[(٣)] **بن راهويه** رحمه الله (ت ٢٣٨هـ): «من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس»[(٤)].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت ٢٤١): «ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه بحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً حتى يترحَّم عليهم جميعاً، ويكون قلبُه لهم سليماً»[(٥)].

وقال النووي رحمه الله (ت ٦٧٦هـ): «واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون»[(٦)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة (١/ ١١٠)، رقم الحديث (١٩)، وقال محققه: إسناده صحيح إلى ميمون بن مهران.

(٢) الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى للقاضي عياض (ص ٤٠٤).

(٣) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، المعروف بابن راهويه، وهو لقب أبيه، أحد الأئمة الحفاظ، الثقات، توفي سنة ٢٣٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان (١/ ١٩٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨).

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (ص ٣٩٣).

(٥) أصول السنة، للإمام أحمد برواية مالك بن عبدوس (ص ٧٦).

(٦) شرح صحيح مسلم، للنووي، فضائل الصحابة (١٦/ ١٣٩)، رقم الحديث (٢٢٢).

وسب الصحابة ﷺ فتح لباب عظيم من الشر والبدعة والنفاق، وبه ينقض الإسلام عروة عروة، فلا تقام تعاليم الإسلام، ولا يبلغ هذا الدين كما جاء به الرسول ﷺ.

وهذا ما سعت إليه السبئية(١) والرافضة، لنبذ هذا الدين ومحاربته، وما وصلت إليه من بدع ونفاق وكفر وشرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا أردت الخير والإسلام والإيمان فـ:

(قل: خير قولٍ في صحابة أحمد   وامدح جميع الآل والنسوان) (٢).

(١) السبئية: هم أصحاب عبدالله بن سبأ اليهودي الصنعاني، -ابن السوداء- كان يهودياً ثم زعم الإسلام وتخفى به، وكاد للإسلام وأهله وحمل الغوغاء من أهل الأمصار على قتل عثمان ﷺ، وكان يقول بأنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً، وأن علياً ﷺ وصي محمد ﷺ، وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء.. كما قال بعقيدة الرجعة بعد مقتل علي ﷺ وأنه سيعود، وأبطل الآخرة كما زعم أن علياً ﷺ كان نبياً ثم غلا فيه وقال بأنه إله ؟! ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة ورفع خبرهم إلى علي ﷺ، فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، وتوقف عن الباقين منهم، ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، فلما قتل علي ﷺ زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها ابن عيسى عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوه أنه علي، وعلي قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه...قال البغدادي: قال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينه بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام فانتسب إلى الرافضة. ينظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق، للبغدادي، (ص١٧٧).

(٢) القصيدة النونية للقحطاني (ص ٢٨).

المبحث الرابع: موقف الصحابة ﭫ من الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية ﭬ

لما قتل عثمان ﭬ، وقعت فتنة عظيمة وفتح باب الاختلاف والتفرق، حيث تمخض عن ذلك التقاتل والاختلاف بين علي ﭬ ومعاوية ﭬ في موقعة صفين وغيرها- وقد أدت بالصحابة ﭫ إلى أن يختلفوا إلى ثلاث طوائف:

١ - طائفة مع علي ﭬ، وبعض الصحابة ﭫ ومنهم عمار بن ياسر ﭬ، والحديث في مقتله محور هذا البحث، وهي ترى أن عليا ﭬ هو الإمام والخليفة الحق الذي يجب طاعته، وقتال مخالفه والخارج عن طاعته.

٢ - طائفة مع معاوية ﭬ ومن معه من أهل الشام وبعض الصحابةﭫ، وهذه الطائفة ترى أن معاوية ﭬ، مصيب في خلافه لعلي ﭬ ومطالبته بالقصاص من قتلة عثمان ﭬ، فهو واليه على الشام وولي دمه لكونه من بني أمية، وأنه يجب على علي ﭬ القصاص من القتلة ثم يطالب معاوية ﭬ ومن معه من أهل الشام بمايعته وإلا لكان متسترا على القتلة ومانعاً من تنفيذ القصاص بهم وعلى رأس هؤلاء معاوية ﭬ.

٣ - طائفة اعتزلت الفتنة فلم تشارك في القتال في صفين من أمثال: سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وغيرهم كثير ﭫ أجمعين، وهذه الطائفة رأت بأن التقاتل والاختلاف القائم بين علي ﭬ ومعاوية ﭬ فتنة ويجب الاعتزال عن المشاركة فيها.. وذلك لما جاء من الأحاديث عن النبي ﷺ محذرة من الفتن والخروج فيها وإراقة

الدماء... [(١)].

وقد جاء في خبرهم ما ذكره **صاحب كتاب الأخبار الطوال** قال: «ثم إنَّ علياً رضي الله عنه نادى في الناس بالتأهب للمسير إلى العراق، فدخل عليه سعد ابن أبي وقاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة، فقال لهم: قد بلغني عنكم هناة كرهتها لكم؟! فقال سعد: قد كان ما بلغك، فاعطني سيفاً يعرف المسلم من الكافر حتى أقاتل به معك؟

وقال عبدالله بن عمر: أنشدك الله أن تحملني على ما لا أعرف.

ثم إن أسامة بن زيد، دخل فقال: اعفني من الخروج معك في هذا الوجه، فإني عاهدت الله ألا أقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله.

وبلغ ذلك الأشتر[(٢)]، فدخل على علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار، فإنا من التابعين بإحسان، وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى مما شركناهم فيه، وهذه بيعة عامة، الخارج منها طاعِنٌ مستعتب، فحُضّ هؤلاء الذين يريدون التخلف عنك باللسان، فإن أبوا فأدِّبهم بالحبس!؟

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٣ وما بعدها)، والمنتظم لابن الجوزي (٥/ ٧٥ وما بعدها)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢٧٥ وما بعدها)..

(٢) هو: مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المعروف بالأشتر، أدرك الجاهلية، وكان ممن يسعى في الفتنة وألّب على عثمان وشهد حصره، وكان مع علي رضي الله عنه في الجمل وصفين، ولاه على مصر، فلما كان بالقلزم (البحر الأحمر) شرب شربة عسل فمات سنة ٣٧هـ. ينظر: الثقات لابن حبان (٣/ ٣٠)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٤٥).

فقال علي: بل أدعهم ورأيهم الذي هم عليه» [١].

وهذا مثل ما رواه البخاري في صحيحه، بسنده، عن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبدالله بن عمر، فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجلٌ فقال: يا أبا عبدالرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة والله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد ﷺ يُقاتل المشركين، وكان الدخول في دينه فتنة، وليس كقتالكم على الملك) [٢].

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد[٣] قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاء ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلتَ في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟! فضرب سعد في صدره، فقال: اسكت؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**) [٤].

وبهذا يتبين عمق فقه الصحابة، مع قوة إيمانهم وحسن طاعتهم، وما كانوا طُلاب دنيا، ولا ملك، وما حصل بين بعضهم فعن اجتهاد وإرادة خير.

وأما من شهد الفتنة من الصحابة في الجمل وصفين فهم قلة، وليس كما

---

(١) الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري (ص ٢٠٥).

(٢) كتاب الفتن (ص ١٤٨٩)، رقم (٧٠٩٥).

(٣) هو: عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري، المدني، تابعي ثقة، توفي سنة ١٠٤هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: الكاشف (١/ ٥٢٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٣٧).

(٤) الزهد (ص ١٢٨٤)، رقم الحديث (٧٤٣٢).

تصوره الأخبار التاريخية بالكثرة التي لا تلتزم بصحة الإسناد.

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن محمد بن سيرين رحمه الله قال: **(هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضر فيها مائة بل لم يبلغوا ثلاثين)**(١).

وقال الإمام أحمد: «حدثنا أمية(٢) بن خلد قال لشعبة: إن أبا شيبة(٣) روى عن الحكم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً؟

فقال: كذب أبو شيبة(٤)؟ والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك، فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت(٥)، وقد قيل: إنه شهدها من أهل بدر: سبأ بن حنيف، وكذا أبو أيوب الأنصاري(٦)».

قال ابن كثير رحمه الله: «وروى ابن بطة(٧) بإسناده عن

---

(١) السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٤٦٦)، ومصنف عبدالرزاق (١/ ٣٥٧)، رقم الحديث (٢٠٧٣٥).

(٢) أمية بن خالد بن الأسود الثوباني، أبو عبدالله البصري، ثقة، توفي سنة ٢٠٠هـ. ينظر: تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٨).

(٣) هو: إبراهيم بن عثمان العبسي، أبو شيبة، مولاهم الكوفي قاضي واسط، ضعيف في روايته، توفي سنة ١٦٩هـ. ينظر: تهذيب التهذيب (١/ ١٣٦).

(٤) الحكم بن عتبة الكندي مولاهم، أبو محمد، تابعي ثقة، توفي سنة ١١٣هـ. ينظر: تهذيب التهذيب (٢/ ١٦٩).

(٥) السنة للخلال (٣/ ٤٦٥).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢٧٠).

(٧) هو: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، أبو عبدالله، أحد الأئمة الكبار، صاحب كتاب الإبانة الكبرى والصغرى، توفي سنة ٤٨٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩).

بكير[١] بن الأشج أنه قال: (أما إن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم»[٢].

*****

---

(١) هو: بكير بن الأشج القرشي مولاهم، نزيل مصر، تابعي، ثقة، اختلف في سنة وفاته فقيل: ١١٧هـ، وقيل: ١٢٠هـ وقيل غيرها. ينظر: تهذيب التهذيب (١/ ٤٦١).

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٧١).

المبحث الخامس: مذاهب الناس فيما شجر بين علي ومعاوية رضي الله عنه

قد اختلف الناس فيما حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنه إلى أربعة أقوال، أذكرها باختصار:

- القول الأول: بأن علياً رضي الله عنه مصيب في مقاتلة معاوية رضي الله عنه ومن معه، وهذا الحديث (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) دال على ذلك، مع الأدلة على قتال علي للخوارج المارقة.

- القول الثاني: بأن معاوية رضي الله عنه مصيب في مقاتلة علي رضي الله عنه، ومن معه من أهل العراق.

- القول الثالث: أن كلا منهما مصيب في فعله وقتاله، وهذا بناء على قول من يقول كل مجتهد مصيب، وهو قول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة، ومن يمسك عن التخطئة والذم إمساكاً عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، فيشبه قول من يصوب الطائفتين.

- القول الرابع: أن المصيب واحد لا بعينه، وهذا قول يشبه قول المتوقفين في خلافة علي رضي الله عنه من أهل البصرة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، كالكرامية الذين يقولون: كلاهما كان إماماً، ويجوز عقد الخلافة لاثنين. وتصويب أحدهما لا بعينه، تجويز لأن يكون غير علي رضي الله عنه أولى منه بالحق، وهذا لا يقوله إلا مبتدع ضال فيه نوع من النصب وإن كان متأولاً.

لكن الراجح: أن علياً رضي الله عنه أولى بالحق وأقرب إليه كما دل عليه النص،

ممن خالفه وقاتله[١].

وسيأتي لذلك مزيد بيان.

*****

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧ – ٤٣٩) بتصرف، وينظر: الفصل في الملل، لابن حزم (٣/ ٧٨).

المبحث السادس: موقف أهل السنة والجماعة من قتال علي رضي الله عنه ومن معه لمعاوية رضي الله عنه.

فأهل السنة والجماعة، على القول بأن علياً رضي الله عنه، ومن معه كانوا على الحق، ومن قاتله في صفين وامتنع عن بيعته هم البغاة، كما دلَّ عليها حديث: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية).

والذي قتل عماراً كان أحد رجال جيش معاوية رضي الله عنه.

والكلام في بيان الحق والصواب فيما جرى بين الصحابة إذا كان بالحق والإنصاف مع عدم الخوض بالباطل والكذب والبهتان ليس مذموماً، مع التزام الأدب والاعتذار عنهم، وملاحظة أفهام المتلقين وعدم فتنتهم.

وإليك بعض أقوال العلماء في تحديد الفئة الباغية والتي جانبت الصواب مع اجتهادها:

فقد فسر **الحسن البصري** رحمه الله الفئة الباعية بأهل الشام: معاوية وأصحابه:

ولما سئل **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله عن حديث النبي ﷺ في عمار: (تقتلك الفئة الباغية) [١] قال: «كما قال رسول الله: قتلته الفئة الباغية، وقال: في هذا غير حديث صحيح عن النبي، وكره أن يتكلم في هذا بأكثر من هذا» [٢].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب (٢/ ٣٨٤).

(٢) السنة، لأبي بكر الخلال (٣/ ٤٦٣).

وفي رواية أخرى قال: لا أتكلم فيه، السكوت عنه أسلم[١].

ولما سأل رجال الإمام أحمد بن حنبل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبدالله، هو رجل من بني هاشم؟ فأقبل عليه، وقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤][٢].

فالإمام أحمد رحمه الله من ورعه وحبه للصحابة ﷺ تنوعت إجاباته في هذا الموقف مع تورعه وترك الطعن في الصحابة.

وقال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله (ت ٣١١هـ): «فنشهد أن كل من نازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته فهو باغ، على هذا شهدت مشايخنا وبه قال ابن إدريس[٣] رضي الله عنه»[٤].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨هـ): «أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً وهو مذهب الأئمة الفقهاء، ولم يسترب أئمة السنة، وعلماء الحديث أن علياً أولى بالحق وأقرب إليه، كما دل عليه النص، وإن استرابوا في وصف الطائفة الأخرى بظلم أو بغي، ومن وصفها بالظلم والبغي – لما جاء من حديث عمار – جعل المجتهد في ذلك من أهل التأويل»[٥].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٣/ ٤٦٢)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب (٢/ ٣٨٤).

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٩١).

(٣) يعني الشافعي محمد بن إدريس رحمه الله.

(٤) معرفة علوم الحديث، لأبي عبدالله الحاكم (ص ١١٤).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٤٣٧).

وفي موضع آخر قال: «وليس كل ما كان بغياً وظلماً أو عدواناً يخرج عموم الناس عن الإيمان، ولا يوجب لعنتهم، فكيف يخرج ذلك من كان خير القرون؟! وكل من كان باغياً، أو ظالماً، أو معتدياً، أو مرتكباً ما هو ذنب فهو قسمان: متأول وغير متأول.

فالمتأول المجتهد: كأهل العلم والدين، الذين اجتهدوا، واعتقد بعضهم حل أمور، واعتقد الآخر تحريمها، كما استحل بعضهم بعض أنواع الأشربة، وبعضهم بعض المعاملات الربوية، وبعضهم بعض عقود التحليل والمتعة، وأمثال ذلك، فقد جرى ذلك وأمثاله من خيار السلف، فهؤلاء المتأولون المجتهدون غايتهم أنهم مخطئون، وقد قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد ثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء، أما إذا كان الباغي مجتهداً ومتأولاً، ولم يتبين له أنه باغ، بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئاً في اعتقاده: لم تكن تسميته «باغياً» موجبة لإثمه، فضلاً عن أن توجب فسقه، ثم بتقدير أن يكون (البغي) بغير تأويل: يكون ذنباً، والذنوب تزول عقوبتها بأسباب متعددة: بالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وغير ذلك.

ثم إن (عماراً تقتله الفئة الباغية) ليس نصاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بل يمكن أنه أريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلته، وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها، ومن المعلوم أنه كان في المعسكر من لم يرض بقتل عمار، كعبدالله بن عمرو بن

العاص وغيره، بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار، حتى معاوية، وعمرو»[(١)].

وقد نقل الإجماع عن عدد كبير من العلماء من المالكية والشافعية، والحنابلة، وغيرهم على هذا القول، وأن عليا ﵁ هو الإمام الحق، ومن أن مخالفه قد بغى عليه، ولا أعلم خلافاً لهذا القول[(٢)].

*****

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٤ – ٧٦).

(٢) ينظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٨٦)، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي (ص ٤٦١)، ومقتل الشهيد عثمان بن عفان ﵁، للقاضي محمد بن يحيى الأندلسي (ص ٤١١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ١٤٢)، والعواصم من القواصم لابن الوزير اليماني (٨/ ٢).

المبحث السابع: موقف أهل السنة والجماعة من مقاتلة معاويةرضي الله عنه ومن معه لعلي رضي الله عنه.

أهل السنة والجماعة يحبون معاوية رضي الله عنه ويشهدون بمنزلته وفضله في الإسلام، ودواوين السنة تشهد بذلك. وقد سبق بيان سبب قتاله لعلي رضي الله عنه، وأنه كان عن اجتهاد وتأويل وفي وقت فتنة عظيمة كانت تمر بالمسلمين.

كما أن أهل السنة يرون أن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمار: (يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) ليس فيه تكفيراً لمن قاتل علياً رضي الله عنه، كما تزعم الرافضة، بل تدل على أن علياً وعماراً كانا على الحق دون من قاتلهم[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): «هذا يدل على صحة إمامة علي، ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار – وإن كان متأولاً – وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ، وإن كان متأولاً، أو باغ بلا تأويل» [٢].

أما كيف يكون معاوية رضي الله عنه ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم يدعون إلى النار، فيقال: «إنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمارٌ يدعوهم إلى طاعة علي، وهو الإمام

(١) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٢/ ٣٨١).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧).

الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم»[(١)].

بل قد دلت الأدلة الصحيحة على أن من قاتل علياً ﷺ لا يخرج من الإيمان والإسلام.

كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩ – ١٠].

وإن كانت الآيتان نزلتا فيما وقع بين حيين من الأوس والخزرج من الأنصار، فتضاربوا بالعصي، والنعال والأيدي[(٢)].

إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهي مخاطبة للمسلمين بالإصلاح بين الفئتين من المسلمين في أي زمان ومكان، والأخذ على يد الباغية، وأن هذا البغي لا يخرج من دائرة الإيمان والإسلام، ومن ذلك ما وقع بين الصحابة ﷺ.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ): «يقول الله تعالى آمراً بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ٦٣٤).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٣)، زاد المسير لابن الجوزي (ص ١٣٣٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩/ ٣٧٣).

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، بهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خطب يوماً ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنه فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) (١).

فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة» (٢).

فـ «في هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين.

يدل عليه ما روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سُئل وهو القدوة في قتال البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: (لا. من الشرك فرّوا). فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: (لا. إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً). قيل: فما حالهم؟ قال: (إخواننا بغوا علينا) (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): «فثبت بالكتاب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (ص ٧٦٩)، ورقم الحديث (٣٧٤٦)، وكتاب الفتن (ص ١٤٩٢)، رقم الحديث (٧١٠٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٢٢٥).

(٣) تفسير البغوي (ص ١٢٢١).

والسنة وإجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون، وأن علي بن أبي طالب والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقاتلة له، والله أعلم»[١].

ومن أدلة السنة:

عن أبي بكرة قال: بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: **(ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به فئتين من المسلمين)**.

فهذا دليل على إسلام الفريقين، وأن من قاتل علياً رضي الله عنه لم يكفر ولم يخرج بذلك من الإسلام.

وقال الخطابي رحمه الله (ت ٣٨٨هـ): «في الخبر دليل على أن واحداً من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملَّة الإسلام، إذ قد جعلهم النبي ﷺ مسلمين، وهكذا سبيل كل متأوِّلٍ فيما تعاطاه من رأي ومذهب دعا إليه، إذا كان فيما تناوله بشبهة، وإن كان مخطئاً في ذلك، ومعلوم أن إحدى الفئتين كانت مصيبة والأخرى مخطئة»[٢].

والحديث لم يميز إحدى الفئتين بفضل أو نقص إيمان وإسلام.

قال الحافظ الجوزقاني رحمه الله (ت ٥٤٣هـ) معلقاً على الحديث: «فاستدلنا هذا الحديث على صحة نبوته ﷺ؛ لأنه أخبر عن أمر يكون فكان كما أخبر، وعلى أن الفئتين كلاهما من المسلمين، ولم يميز إحداهما على

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٣).

(٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود، تأليف الإمام أبي سليمان الخطابي (٤/ ٢٩٢).

الأخرى بفضل ولا نقص»[١].

والحديث فيه أيضاً رد على الخوارج المكفرة لعلي ﷺ، ومن معه، **قال ابن حجر** رحمه الله (ت ٨٥٢هـ): «فيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفِّرون علياً، ومن معه، ومعاوية ومن معه بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين. ومن ثم كان سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث: «قوله: (من المسلمين) يعجبنا جداً»[٢].

ومن الأدلة أيضاً على إيمان الطائفتين، ما جاء عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعوتهما واحدة**)[٣].

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة؛ فبينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**)[٤].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**تمْرُقُ**[٥] **مارقة**

(١) الأباطيل والمناكير (ص ١١٨).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١٢/ ٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن (ص ١٤٩٤)، رقم الحديث (٧١٢١)، ومسلم في صحيحه، الفتن (ص ١٢٥٠)، رقم الحديث (١٥٧).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١/ ١٥١)، وعبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٦٣٢)، رقم الحديث (١٥١٤)، وإسناده ضعيف لكن يشهد له ما قبله.

(٥) تمرق: تجوز وتخترق، كما يخرق السهم الشيء المرمي به، ويخرج منه، والمراد بالمارقة: الخوارج. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧٣)، مادة (مرق).

عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق).

وفي رواية أخرى: (**يكون في أمتي فرقتان فيخرج من بينهما مارقة، يلي قتلها أولاهم بالحق**) [(١)].

وهذا الحديث أيضاً في إثبات إسلام الطائفتين علي رضي الله عنه ومن معه، ومعاوية رضي الله عنه ومن معه.

قال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ): «فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام، من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**)»[(٢)].

*****

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، الزكاة (ص ٤٣٢)، رقم الحديث (١٥٠)، ورقم الحديث (١٥١).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٢٩٨).

المبحث الثامن: موقف أهل السنة والجماعة من الخوض فيما شجر بين الصحابة ﷺ

من معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ، الإمساك عن الخوض فيما شجر بينهم، والاعتذار لهم، مع ذكر محاسنهم، وما أثنى الله به ورسوله ﷺ عليهم؛ لأن ما جرى عليهم كان فتنة لهم، ولمن جاء بعدهم، ولهذا منع أهل السنة والجماعة من الخوض فيما شجر بينهم، إضافة إلى أن فتح هذا الباب يقوض الإسلام، ويستبيح حماه، ويتسور منه أهل الزندقة والنفاق لحرب الإسلام، والرافضة أبرز مثال وأصدقه في الحقيقة والواقع، وهذه أقوال أئمة أهل السنة في المنع من الخوص مما شجر بين الصحابة، مع بيان ما لهم من منزلة في الإسلام.

نقل **الإمام الشافعي** رحمه الله (٢٠٤هـ) قول العلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم العلم عن الموقف مما شجر بين الصحابة ﷺ فقال: «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل سفيان بن عيينة، ومالك وغيرهم [ثم عدَّد عقائد يجب الإيمان بها قال بعدها] وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وأحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم» (١).

فالشافعي رحمه الله يريد بالسلف هنا: الصحابة ﷺ، وأن من عقائد

---

(١) اعتقاد الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، جمع أبي الحسن علي الهكاري، تحقيق د. عبدالله البراك (ص ١٧)، ضمن مجموع فيه ثلاث رسائل.

أهل السنة وأهل الحديث، معرفة حق الصحابة، من المحبة والإكرام والتحديث بفضائلهم، ثم الإمساك عن الخوض فيما شجر بينهم سواء كانوا من صغار الصحابة أو من كبارهم، وهذا القول أخذه عن العلماء الكبار المعروفين بالعلم والاتباع.

ونقل **الإمام اللالكائي** رحمه الله اعتقاد الإمام علي بن المديني(١) رحمه الله (ت٢٣٤هـ)، ومن أدركه من جماعة السلف وفيه: «ومن تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساوئه فهو مبتدع حتى يترحم عليهم جميعاً فيكون قلبه لهم سليماً» (٢).

ولا يكون تنقص للصحابة ﵃ إلا بالخوض فيما شجر بينهم، ولا يخرج من ذلك سالماً من الهوى والابتداع، ولا يشفى إلا بالترحم عليهم والإمساك عن الخوض فيما شجر بينهم ﵃.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت ٢٤١هـ) عن عقيدة أهل السنة في الصحابة ﵃ والموقف مما شجر بينهم: «الكفَّ عن مساوئ أصحاب رسول الله ﷺ، تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم» (٣).

بل يرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن منتقص الصحابة ﵃ في

---

(١) هو علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصري، أبو الحسن المعروف بابن المديني، الإمام الحجة الثقة، توفي رحمه الله سنة (٢٣٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي (١/ ١٦٩).

(٣) طبقات الحنابلة، لأبي يعلى (١/ ٣٤٢)، والعقيدة للإمام أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال (ص ٦٥).

الأحداث التي جرت بينهم مبتدع حتى يترحم عليهم جميعاً فيقول: «ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه بحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً» (١).

وقول الإمام أحمد هذا مثل قول الإمام علي بن المديني رحمه الله الذي تقدم.

وقال الإمام أبو زرعة الرازي (٢) رحمه الله (ت ٢٦٤هـ): «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة» (٣).

وقال الإمام البربهاري (٤) رحمه الله (ت ٣٢٩هـ) في كتابه (شرح «وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه

---

(١) أصول السنة لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل، رواية عبدوس بن مالك العطار، تحقيق: الوليد بن محمد بن نبيه بن سيف النصر، (ص ٧٦)، وأصل الاعتقاد في طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى (١/ ٢٤١).

(٢) هو عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ أبو زرعة الرزي، الحافظ الثقة، توفي سنة ٢٦٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٥)، والكاشف للذهبي (١/ ٦٨٣)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢٥٣).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في كتابه: الكفاية في معرفة أصول علم الرواية (١/ ١٨٨)، رقم (١٠٤).

(٤) هو: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الإمام القدوة، وشيخ الحنابلة، وقامع البدعة، توفي رحمه الله سنة (٣٢٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٣١٩).

صاحب قول سوءٍ وهوى، لقول رسول الله ﷺ: **(إذا ذُكر أصحابي فامسكوا)** [(١)]، قد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيراً.

وقوله: **(ذروا أصحابي، لا تقولوا فيهم إلا خيراً)** [(٢)].

ولا تحدث بشيء من زللهم، ولا حربهم، ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يُحدِّث به، فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت[(٣)]. واعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمداً ﷺ، وقد آذاه في قبره»[(٤)].

وفي موضع آخر قال: «والكفُّ عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير ومن كان معهم، ولا تخاصم فيهم، وكِل أمرهم إلى الله تبارك وتعالى، فإن رسول الله ﷺ قال: **(إياكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني)**. وقوله: **(إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير،(١٠/ ١٩٨)، وله رواية أخرى عن ثوبان (٢/ ٩٦).

قال الهيثمي: ورواه الطبراني عن ثوبان... وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف، وعن عبدالله بن مسعود ورواه الطبراني، وفيه مسهر بن عبدالملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٧/ ٢٢). وذكر الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٨٥) (ح٣٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، المكثرين مسند أنس بن مالك (ح/ ١٣٨٤٨)، (ص ٩٦٩) بلفظ: (دعوا لي أصحابي) ولم أجده بلفظ البربهاري (ذروا أصحابي)، ورواية أحمد في مسنده صححها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥٥٦)، رقم (١٩٢٣).

(٣) (ص ١١٢).

(٤) المصدر السابق (ص ١٢٠).

شئتم، فإني قد غفرت لكم) [(١)].

وكل هذا بمعنى النهي عن الخوض فيما شجر بين الصحابة ﷺ، وأنه مذهب أهل السنة والجماعة، وأن من خاض فهو صاحب هوى وإفساد لدين الإسلام.

وقد نقل **أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي**[(٢)] **الشافعي** رحمه الله (٣٧٧هـ) في كتابه (التنبيه والرد على أهل الأهواء البدع) إجماع علماء أهل السنة على الكف عما شجر بين الصحابة ﷺ ضمن مجموعة من العقائد: فقال: «أصول السنة مما اجتمع عليه الفقهاء والعلماء كلهم يقولون: الكف عن أصحاب محمد ﷺ»[(٣)].

ويدل على هذا القول ما تظافرت به النقول عن الأئمة العلماء من أهل السنة والجماعة في هذا المبحث وما لم أذكره هنا.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني[(٤)] رحمه الله (ت ٤٣٠هـ): «فالواجب على المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله تعالى به

---

(١) شرح السنة (ص ١٠٦).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن عبدالرحمن، أبو الحسين الملطي الشافعي، من أئمة أهل السنة، وقد أخذ في كتابه: (التنبيه والرد) بمنهج أهل السنة بخلاف من ألف في الفرق، توفي سنة ٣٧٧هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٣/ ٧٧).

(٣) (ص ٢٥ -٢٦).

(٤) هو: أحمد بن عبدالله بن إسحاق أبو نعيم الأصبهاني الأحول، الحافظ الكبير، صاحب التصانيف المشهورة: (حلية الأولياء)، و(دلائل النبوة)، و(فضائل الصحابة)، توفي سنة (٤٣٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٥٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٩٥)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣/ ٢٤٥).

وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم، وأن يغضُّوا[١] عما كان منهم في حال الغضب والإغفال وفرط منهم عند استذلال الشيطان إياهم.

ويأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالى به، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد، وهو لهم غفور.

ولا يوجب ذلك البراءة منهم، ولا العداوة لهم، ولكن يُحب على السابقة الحميدة، ويتولى للمنقبة الشريفة»[٢].

وقال أبو عمرو عثمان بن سعد الداني[٣] رحمه الله (ت ٤٤٤هـ) في كتابه: (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة وأصول الديانات) عن عقيدة أهل السنة فيما جرى بين الصحابة ﷺ: «ومن قولهم: [يعني أهل السنة] أن يُحسن القول في السادات الكرام أصحاب محمد عليه السلام، وأن تذكر فضائلهم، وتنشر محاسنهم، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم، لقوله ﷺ: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا) يعني: إذا ذكروا بغير الجميل،

(١) يغضوا بمعنى الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ، والاعتذار لهم، لما لهم من منزلة في الإسلام.
(٢) الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني (ص ٣٤١).
(٣) هو: عثمان بن سعيد بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم الأندلسي القرطبي ثم الداني، أبو عمرو الداني، الإمام الحافظ، المجود المقرئ، توفي رحمه الله سنة (٤٤٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٧٧).

ولقوله: (الله الله في أصحابي)، ويجب أن يُلتمس لهم أحسن المخارج، وأجمل المذاهب، لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين، والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصح الناس للعباد، وهم من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] وقد شُهد لهم بالجنة في غير موضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨]، رحمة الله عليهم أجمعين» [(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٧٢٨هـ) عن موقف أهل السنة من الخوض فيما شجر بين الصحابة ﷺ: «كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفوراً. فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذماً، ويكون هو في ذلك مخطئاً، بل عاصياً فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله، إما من ذم من لا يستحق الذم، وإما من مدح أمور لا تستحق المدح ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف» [(٢)].

وعلى هذا من أراد السلامة في دينه وآخرته، فليعرض عما شجر بين

---

(١) (ص ١٣٢).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٤٨).

الصحابة ﵃، مع الاعتقاد فيهم بالخيرية والفضل، مع الترضي عنهم ومحبتهم وإكرام الرسول ﷺ في صحابته ﵃.

*****

المبحث التاسع: اعتذار أهل السنة والجماعة عما شجر بين الصحابة

أهل السنة والجماعة من أنصف الناس في صحابة رسول الله ﷺ وأحراهم بالعدل، والإنصاف، مع تجردهم من الأهواء والبدع المضلة، ولهذا نجدهم مع إعراضهم عن الخوض فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم يعتذرون عما حصل بينهم، ولا يدخلون في نواياهم، أو النقص من أقدارهم، ولا يعتمدون على ما سطر في كتب الروايات التاريخية، مما لا زمام له ولا خطام، ولهذا اهتموا بأسانيد تلك الروايات ورجالها، وتخريجها والحكم عليها، وهذه أقوال لبعض العلماء في بيان الموقف الصحيح من الخلاف الواقع بين الصحابة وخاصة في موقعة صفين وما ترتب عليها من إراقة للدماء، سواء من الصحابة أو من تابعيهم.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله (ت ٣٢٤هـ): «فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين: فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام، وكلهم من أهل الاجتهاد. وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة، فدل على أنهم كانوا على حق في اجتهادهم. وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد.

وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبَّدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري من كل من ينتقص أحداً منهم، رضي الله عن جميعهم» (١).

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري (ص ١٧٨).

وأهل السنة على القول بأن ما وقع منهم إنما كان على تأويل واجتهاد.

قال الإمام الخطابي[١] رحمه الله (ت ٣٨٨هـ): «وأما ما شجر بين الصحابة من الأمور، وحدث في زمانهم من اختلاف الآراء، فإنه من باب كلما قل التسرع فيه والبحث عنه كان أولى بنا وأسلم، ومما يجب علينا أن نعتقده في أمرهم أنهم كانوا أئمة علماء قد اجتهدوا في طلب الحق، وتحروا وجهته، وتوخوا قصده، فالمصيب مأجور والمخطئ معذور، وقد تعلق كل منهم بحجة، وفزع إلى عذر، والمقايسة عليهم، والمباحثة عنهم، اقتحام فيما لا يعنينا» [٢].

وما أكثر الذين خاضوا فيما شجر بين الصحابة ﷺ مع قلة العلم والتدين فوقعوا فيما نهوا عنه، ولم يخرجوا من ذلك سالمين.

وإلا فمذهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ وحسن الظن بهم، وإعذارهم فيما وقعوا فيه.

وأن ما وقع منهم إنما كان على اجتهاد وطلب للحق والخير.

وكل هذه الأقوال على الاتفاق بالاعتذار عما حصل بين الصحابة، مع اختلاف الزمن، والمذاهب الفقهية، والأصولية.

---

(١) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، الإمام المحدِّث، وصاحب التصانيف المشهورة ومنها: (إصلاح غلط المحدثين)، و(أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري)، توفي رحمه الله سنة (٣٨٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٤٠٣)، وشذرات الذهب (٣/ ١٢٧).

(٢) العزلة للخطابي (ص ٢٣).

قال القاضي عياض[١] رحمه الله (ت ٥٤٤هـ): «ما جرى بين الصحابة من الدماء فعلى التأويل والاجتهاد، وكل يعتقد أن ما فعله صواب وسداد»[٢].

وقال النووي رحمه الله (ت ٦٧٦هـ): «ومذهب أهل السنة والحق: إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى الله، وكان بعضهم مصيباً، وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ؛ لأنه اجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه» [٣].

وفي موضع آخر قال: «وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره.

وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء، والصحابة النجباء رضي الله عنهم.

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج

---

(١) هو: عياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل اليحصبي السبتي، أحد الأعلام الحفاظ، وصاحب كتاب (الشفاء في شرف المصطفى)، و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك)، وغيرها، توفي سنة (٥٤٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ٦٧)، وطبقات الحفاظ (ص ٤٧٠).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٧/ ٣٨١).

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (٨/ ٢١٩).

شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم» [(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): «نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب. وهم كانوا مجتهدين؛ إما مصيبين لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم، وما كان لهم من السيئات – وقد سبق لهم من الله الحسنى – فإن الله يغفرها لهم: إما بتوبة أو بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة كما قال ﷺ» [(٢)].

وقال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٨هـ): «وأما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام فمنه ما وقع عن قصدٍ، كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وإن كان أخطأ، ومأجور أيضاً، وأما المصيب فله أجران» [(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (ت ٨٥٢هـ): «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عُرف منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢١٣)، كتاب فضائل الصحابة.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٤٠٦).

(٣) الباعث الحثيث (ص ١٦٦).

يؤجر أجرين»[١].

والخلاصة:

إن الموقف الصحيح مما شجر بين الصحابة ﭬ هو الإعراض عن الخوض، مع الاعتذار عما حصل بين الصحابة ﭬ، وأن ما حصل بينهم إنما كان عن خطأ، وحاشاهم أن يتعمدوا الخطأ لما دلت عليه فضائلهم ومنزلتهم في الإسلام.

*****

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٧).

المبحث العاشر: الفوائد المستنبطة من هذا الحديث

١ – أن هذا الحديث من أعلام النبوة[(١)]، حيث أخبر الرسول ﷺ بخبر غيبي يقع بين الصحابة فوقع كما أخبر.

٢ – فيه فضيلة ظاهرة لعلي ولعمار رضي الله عنه[(٢)].

٣ – هذا الحديث يدل على صحة خلافة علي ووجوب طاعته[(٣)].

٤– تخطئة من قاتل علياً رضي الله عنه ومن معه[(٤)].

٥–وفيه رد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه[(٥)].

٦ – أن هذا الحديث لا يبيح لعن أحد من الصحابة ولا يوجب فسقه[(٦)].

٧ – ليس في الحديث تكفيراً لأحد من الصحابة أو انتقاصاً من فضله.

٨ –فيه الرد على الرافضة المكفرة للصحابة، ومعاوية على وجه الخصوص، وهذا أظهر في الأدلة التي تدل على مقاتلة علي للخوارج، كما

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٣٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المصدر السابق (٤/ ٥٤٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٩).

تقدم الاستدلال لذلك.

٩ – مشروعية التعوذ بالله من الفتن.

*****

الخاتمة

أهم نتائج هذه الدراسة:

١ – بيان فضيلة ومنزلة عمَّار بن ياسر ﷺ في الإسلام، وكذلك بقية الصحابة ﷺ.

٢ – أن عمار بن ياسر ﷺ قُتل كما أخبر بذلك النبي ﷺ على حين اختلاف وفتنة بين الصحابة ﷺ، وجاء ذلك في روايات عدة.

٣ –أن الخلاف بين الصحابة ﷺ لا يهدر ولا ينفي ما لهم من الفضل والسابقة في الإسلام.

٤ – القول بعدالة الصحابة ﷺ ونزاهتهم، وحسن أخلاقهم.

٥ – أن الصحابة ﷺ غير معصومين، ولا منزهين من الخطأ، والوقوع في المعاصي.

٦ – أن أهل السنة والجماعة حفظوا وصية الرسول ﷺ في أصحابه ﷺ، ولهذا أحبوهم، وأكرموهم، وترضوا عنهم ولم يسبوهم، بل وذبوا عن أعراضهم.

٧ – أن الصحابة ﷺ قد اختلفوا فيما بينهم عن اجتهاد وتأويل إلى ثلاثة أقسام.

٨ – أن الناس بعد الصحابة ﷺ قد اختلفوا في الموقف مما حصل بين الصحابة ﷺ، ونتج عنه القتال وإراقة الدماء، إلى أربعة أقوال، ومواقف.

٩ –أن أسعد الناس وأولاهم بالحق أهل السنة والجماعة، حيث صوبوا علياً رضي الله عنه، وخطّؤوا من خالفه وقاتله.

١٠ – ترجيح أهل السنة والجماعة لعلي رضي الله عنه ومعسكره إلا أنهم لا يحكمون على مخالفه بالكفر والنار.

١١ – من أصول معتقد أهل السنة والجماعة الإعراض عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم.

١٢ – أن أهل السنة والجماعة أهل إنصاف وعدل وتحري للحق، ولهذا بينوا المصيب من المخطئ من الصحابة رضي الله عنهم، مع حسن الأدب معهم، ومعرفة فضلهم وخيريتهم في هذه الأمة.

والحمد لله الذي به تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.

٢-الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، للحافظ أبي عبدالله الحسين الجوزقاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٣-الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: بشير محمد عيون، نشر مكتبة المؤيد، الطائف – السعودية، ومكتبة دار البيان، دمشق – سوريا، الطبعة الثالثة، عام ١٤١١هـ.

٤-الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، قرأه وعلق عليه: الدكتور: يحيى مراد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٥-الأحاديث المختارة، لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، نشر مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.

٦-الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، تحقيق الدكتور: عصام محمد الحاج علي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ.

٧-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، نشر دار الأعلام، عمّان – الأردن، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

٨-أُسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن بن الأثير، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٢٢هـ.

٩-الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر، اعتنى به: حسان عبدالمنان، نشر بيت الأفكار الدولية، لبنان، الطبعة عام ٢٠٠٤م.

١٠-أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، برواية عبدوس بن مالك العطار، شرح وتحقيق: الوليد بن سيف النصر، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.

١١-اعتقاد الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، جمع أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، تحقيق الدكتور: عبدالله بن صالح البراك، نشر دار الوطن، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ (ضمن مجموع).

١٢-اعتقاد أهل السنة، لأبي بكر الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، نشر دار ابن حزم، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

١٣-الاعتقاد، لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى الفراء، تحقيق الدكتور: محمد بن عبدالرحمن الخميس، نشر دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

١٤-إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق الدكتور: يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

١٥-الإمامة والرد على الرافضة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق الدكتور: علي بن ناصر الفقيهي، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.

١٦-الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، تأليف أحمد شاكر، نشر مكتبة المعارف، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.

١٧-البداية والنهاية، للإمام ابن كثير، تحقيق: عبدالرحمن اللاذقي، ومحمد غازي بيضون، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة عام ١٤٢٢هـ.

١٨-البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. لأبي الفضل السكسكي الحنبلي، تحقيق الدكتور: بسام علي العموش، نشر مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية عام ١٤١٧هـ.

١٩-البلغة في تاريخ أئمة اللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اعتنى به: بركات يوسف هبود، نشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٢٠-تحقيق مُنيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، لخليل العلائي، تحقيق الدكتور: عبدالرحيم القشقري، نشر دار العاصمة، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.

٢١-تذكرة الحافظ، للحافظ الذهبي، نشر مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

٢٢-تفسير البغوي (معالم التنزيل) لأبي محمد البغوي، نشر دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

٢٣-تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٢٤-تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، قدم له الدكتور: يوسف

عبدالرحمن المرعشلي، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٩هـ.

٢٥-تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، بعناية: عادل مرشد، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.

٢٦-التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. للإمام أبي الحسين الملطي، تحقيق وتعليق: يمان بن سعد الدين المياديني، نشر دار رمادي، الدمام – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.

٢٧-تهذيب الآثار، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمد محمد شاكر، نشر مطبعة المدني، القاهرة – مصر.

٢٨-تهذيب التهذيب في رجال الحديث، للحافظ ابن حجر، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٢٩-الثقات، لأبي حاتم بن حبان، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، وتركي فرحان المصطفى، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٣٠-جامع الترمذي، نشر دار السلام، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عم ١٤٢٠هـ.

٣١-جامع معمر بن راشد، لمعمر بن راشد الأزدي، تحقيق: حبيب الأعظمي، (ملحق بكتاب المصنف للصنعاني).

٣٢-حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت –

لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥هـ.

٣٣-الخوارج – دراسة ونقد لمذهبهم – تأليف: ناصر السعوي، نشر دار المعراج الدولية، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٣٤-الدعاء، للطبراني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.

٣٥-ذيل الكاشف، للحافظ أبي زرعة العراقي، تحقيق: بوران الصناوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.

٣٦-زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، نشر المكتب الإسلام، ودار ابن حزم، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

٣٧-سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، نشر مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.

٣٨-السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق وتخريج: الإمام الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة عام ١٤١٩هـ.

٣٩-السنة، لأبي بكر الخلال، تحقيق الدكتور: عطية بن عتيق الزهراني، نشر دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ.

٤٠-السنة، للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق ودراسة الدكتور: محمد بن سعيد القحطاني، نشر رمادى، الدمام - السعودية، الطبعة الرابعة عام ١٤١٦هـ.

٤١-السنة، للبربهاري، تحقيق: عبدالرحمن بن أحمد الجميزي، نشر مكتبة دار المنهاج، الرياض –السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٨هـ.

٤٢-سنن ابن ماجه، نشر دار السلام، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عـام ١٤٢٠هـ.

٤٣-السـنن الكـبرى، للنسـائي، نشر مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة الأولى عـم ١٤٢١هـ.

٤٤-سير أعلام النبلاء، للإمـام الـذهبي، بـإشراف: شـعيب الأرنـاؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، عام ١٤٢٢هـ.

٤٥-سير السلف الصالحين، للحافظ أبي القاسم الأصبهاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وطارق فتحي السيد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٤٦-السيرة النبوية، لابن إسحاق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتـب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ.

٤٧-السيرة النبوية، لابن هشام، نشر ار إحياء التراث العـربي، بـيروت، لبنـان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٧هـ.

٤٨-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، نشر دار المسـيرة، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ.

٤٩-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي، تحقيق الدكتور: أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض – السعودية، الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ.

٥٠-شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الدكتور: عبدالله بـن عبدالمحسن التركي، وشعيب الأرنـاؤوط، نشر مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، لبنـان،

الطبعة الأولى عم ١٤٠٨هـ.

٥١-شرح صحيح مسلم، للنووي، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.

٥٢-الشريعة لأبي بكر الآجري، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، نشر دار الحديث، القاهرة – مصر، طبعة عام ١٤٢٥هـ.

٥٣-شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.

٥٤-الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، للقاضي عياض، نشر المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٥٥-الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، نشر دار ابن حزم، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ.

٥٦-الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، نشر دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٥٧-صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان، اعتنى به: جاد الله بن حسن الخداش، نشر بيت الأفكار الدولية، الأردن، طبعة عام ٢٠٠٤م.

٥٨-صحيح البخاري، نشر دار السلام، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٥٩-صحيح سنن الترمذي، للألباني، نشر مكتبة المعارف، الرياض – السعودية،

الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

٦٠-صحيح مسلم، نشر دار السلام، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

٦١-ضعيف سنن الترمذي، للألباني، نشر مكتبة المعارف، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

٦٢-طبقات الحفاظ، للسيوطي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.

٦٣-طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، خرج أحاديثه: أبو حازم أسامة بن حسن، وأبو الزهراء حازم علي بهجت، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٦٤-طبقات الشافعية، للتاج السبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى.

٦٥-الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، أعد فهارسه: رياض عبدالله عبدالهادي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٦٦-طبقات المفسرين، للأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٦٧-العزلة، للخطابي، نشر المطبعة السلفية، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ.

٦٨-العواصم من القاصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير اليماني،

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ.

٦٩-فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، نشر دار الحديث، القاهرة – مصر، طبعة عام ١٤٢٤هـ.

٧٠-فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الولى عام ١٤٣٠هـ.

٧١-فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تأليف السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، نشر مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.

٧٢-الفرق بين الفرق. لعبدالقاهر البغدادي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

٧٣-الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، وضع حواشيه: أحمد شمس الدين، نشر مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.

٧٤-فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الدكتور: وصي الله بن محمد عباس، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية عام ١٤٢٠هـ.

٧٥-القصيدة النونية، للقحطاني، تحقيق: عبدالعزيز الجربوع، نشر دار ذكرى، الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ.

٧٦-الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الذهبي، تعليق: محمد عوامة، وتخريج: أحمد محمد نمر الخطيب، نشر شركة دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ.

٧٧-كتاب العقيدة، للإمام أحمد بن حنبل، برواية أبي بكر الخلال، دراسة وشرح وتحقيق: الشيخ عبدالعزيز السيروات، نشر دار ابن قتيبة، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.

٧٨-الكفاية في معرفة أصول علم الراية، للخطيب البغدادي، تحقيق وتعليق: أبي إسحاق إبراهيم الدمياطي، نشر مكتبة ابن عباس، مصر.

٧٩-كنز العمال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

٨٠-لمعة الاعتقاد، ضمن مجموع فيه: (إثبات العلو، وذم التأويل) لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، نشر دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ.

٨١-مجمع الزوائد، للهيثمي، نشر دار الريان، ودار الكتاب العربي، القاهرة – بيروت، عام ١٤٠٧هـ.

٨٢-مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد رحمهما الله، طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٤هـ.

٨٣-مختار الصحاح، للرازي، نشر دار الحديث، القاهرة – مصر، طبعة عام ١٤٢٥هـ.

٨٤-المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبدالله الحاكم، نشر دار إحياء

التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٨٥-مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود الجارود، تحقيق الدكتور: محمد ابن عبدالمحسن التركي، نشر دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٨٦-مسند أبي يعليى، تحقيق: حسين سليم الأسد، نشر دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ.

٨٧-مسند الإمام أحمد بن حنبل، بإشراف الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٩هـ.

٨٨- مسند البزار، لأبي بكر البزار، تحقيق الدكتور: محفوظ الرحمن زين الله، نشر مؤسسة علوم القرآن، ومكتبة العلوم والحكم، بيروت – المدينة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

٨٩-المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤١٨هـ.

٩٠-مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبدالله بن أبي شيبة تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

٩١-المعارف، لابن قتيبة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٢٤هـ.

٩٢-معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطابي، خرجه وراجعه الدكتور: محمد محمد تامر، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٨هـ.

٩٣-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها. تأليف: عواد بن عبدالله المعتق، نشر مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٧هـ.

٩٤-المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين، القاهرة – مصر، عام ١٤١٥هـ.

٩٥-المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق: محمد شكور، نشر المكتب الإسلامي، ودار عمار، بيروت – عمان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

٩٦-المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، تحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٤هـ.

٩٧-معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به: الدكتور: محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٩٨-معرفة علوم الحديث، للحاكم، نشر مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.

٩٩-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. لأبي الحسن علي الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، نشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عام ١٤١١هـ.

١٠٠-مقتل الشهيد عثمان بن عفان ﷺ، للقاضي محمد بن يحيى الأندلسي، دراسة وتحقيق الدكتور: كرم حلمي فرحات أحمد، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

١٠١-مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، للحافظ أبي عمرو الشهروزي المعروف بابن الصلاح، تحقيق الدكتور: عبدالحميد هنداوي، نشر المكتبة العصرية، لبنان، عام ١٤٢٤هـ.

١٠٢-الملل والنحل. لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، نشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عام ١٤٢٢هـ.

١٠٣-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠٤-المنتقى من منهاج الاعتدال (مختصر منهاج السنة لابن تيمية) اختصره الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر وزارة الشؤون الإسلامية – السعودية، عام ١٤١٨هـ.

١٠٥-منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية عام ١٤١١هـ.

١٠٦-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ الذهبي، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، نشر دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٠هـ.

١٠٧-نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، تحقيق: عبدالكريم الفضيلي، نشر المكتبة العصرية، لبنان، عام ١٤٢٤هـ.

١٠٨-النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: أبي عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.

١٠٩-وسطية أهل السنة بين الفرق، تأليف الدكتور: محمد باكريم محمد باعبدالله، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٩هـ.

فهرس الموضوعات